

مجلة التأصيل جامعة دنقلا

العدد الثاني عشر يوليو ٢٠٢٦ م
المجلد الأول

هيئة التحرير

المشرف العام

أ.د. الوليد مصطفى إبراهيم موسى

رئيس التحرير

د. الأمين عثمان شعيب

نائب رئيس التحرير

د. صالحة سيد أحمد عبد الله

المحررون:

أ.د. أشرف إبراهيم عبد الله إبراهيم

د. عبد الله الطيب علي أحمد

د. أبو القاسم جمعة أحمد محمد

د. محمد علي محمود الزين

أ. أبو القاسم علي محمد عقيد

هيئة المستشارين

أ.د. عبد الحكيم حسن إبراهيم
أ.د. معاوية بابكر حسن المهدي
أ.د. كباشي حسين قسيمة
أ.د. الزهور حسن الماهل
أ.د. مهيد محمد المتوكل
أ.د. الطيب محمد المصطفى حياتي
أ.د. علي أحمد بابكر
أ.د. كمال الحاج الحسين عبد الرحمن
أ.د. كمال عبد الله المهلاوي
أ.د. قيس عبد الله إبراهيم الحاج
أ.د. أحمد محمد زين
د. أبو القاسم خليفة التهامي
د. رباب عبد الرحمن الشريف
د. قاسم عمر أبو الخير
د. محمود محمد أحمد علي عثمان

قواعد النشر:

- * تُعنى المجلة بنشر البحوث العلمية المقدمة إليها وفق رؤية تأصيلية.
- * تقبل البحوث من كافة الباحثين داخل وخارج السودان.
- * ألا يكون البحث قد نشر أو قيد الإجراء للنشر في أية دورية علمية أخرى.
- * ألا تكون الورقة جزءاً من رسالة جامعية أو كتاب منشور.
- * يرسل البحث إلكترونياً على بريد المجلة بنوع خط Simplified Arabic بنط ١٤ بمسافة واحدة.
- * يُقدم البحث مطبوعاً على ورق A4. على ملف وورد (٢٠٠٧).
- * ألا تزيد عدد الصفحات عن ٢٥ صفحة ولا تكون أقل من ١٢ صفحة، ويرفق مستخلصاً للبحث لا يزيد عن (٢٠٠ كلمة) باللغة العربية فقط، حيث يشتمل المستخلص على أهداف البحث وأهميته، ومشكلة البحث، والمنهج المتبع في البحث، والنتائج المتحصل عليها.
- * مراعاة الجودة في الفكرة والأسلوب والمنهج والتوثيق العلمي والخلو من الأخطاء اللغوية والنحوية.
- * تُوضع إحالات المراجع داخل النص على نمط جمعية علم النفس الأمريكية (APA) (ابن كثير، ٢٠٠٤ م، ١٥٢) ومن ثم تأتي تفاصيل المراجع كالآتي:
- اسم العائلة، الاسم الأول، سنة النشر، عنوان الكتاب، دار النشر، مكان النشر.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، ٢٠٠٤ م، تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصفاء، القاهرة.
- في حالة التوثيق من المجلات: اسم المؤلف، سنة النشر، ويُوضع عنوان المقال بين علامتي تنصيص، ثم اسم الدورية، المجلد أو العدد، بلد النشر، ثم ترتيب صفحات المقال داخل العدد.
- حسن، صالح رمضان، ٢٠٠٢ م، "الصحابي المجاهد، النعمان بن مقرن المزني"، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، العدد الرابع والعشرون، دبي، ص ص ٢٣٠-٢٤٨.

- بالنسبة للرسائل الجامعية: اسم الباحث، سنة النشر، عنوان الرسالة، نوع الرسالة (ماجستير - دكتوراه)، الجامعة المانحة للدرجة.

عبد الرازق، فائز أحمد، ٢٠٠٨م، فاعلية استخدام مسرح العرائس في تنمية بعض الجوانب الاجتماعية والأخلاقية، رسالة ماجستير منشورة، جامعة بور سعيد.

* تُعرض البحوث المقدمة للنشر في المجلة حال قبولها مبدئياً على محكمين من ذوي الاختصاص يتم اختيارهم بسريّة تامة.

* للمجلة الحق في إجراء أي تعديلات شكلية تتناسب ورسالة المجلة.

* تعتذر المجلة عن النظر في البحوث المخالفة لقواعد النشر.

* تنقل حقوق طبع البحث ونشره إلى مجلة التأصيل جامعة دنقلا بعد إخطار صاحب البحث بقبول بحثه للنشر.

* الأفكار الواردة في المجلة تعبر عن رأي الباحثين وليس عن رأي المجلة.

* البحوث التي لا تنشر لا ترد لأصحابها.

* ترسل البحوث إلى رئيس تحرير المجلة على العنوان التالي: مجلة التأصيل جامعة دنقلا جمهورية السودان على البريد الإلكتروني

الآتي: jruofd2018@uofd.edu.sd

- أو الاتصال على التلفونات التالية: ٠٠٢٤٩١٢٣٣٢٣٢٦٤ -

٠٠٢٤٩٩١١٠٨٠٠٠١

محتويات العدد

صفحة	الكاتب	الموضوع
ب		هيئة التحرير
ج		مستشارية التحرير
د		قواعد النشر
و		محتويات العدد
ز		كلمة العدد
١	د. فريدة عوض سعيد أحمد	جريمة الإجهاض "دراسة مقارنة"
١٢	د. السيد خاطريه سارين	أحكام الحيوان في فقه العبادات
٣٠	د. محمد بخيت محمد علي	أثر تطبيق نظام القيمة العادلة على جودة المعلومات المحاسبية (دراسة تطبيقية على بنك أم درمان الوطني ٢٠٢٥)
٥٥	د. ميرغني محمد آدم محمد	أثر الجفاف على الزراعة المطرية بمحلية شرق الجزيرة - ولاية الجزيرة - السودان
٧٤	د. أحمد يحيى أمين كردي	تأثير انخفاض منسوب نهر النيل على الزراعة وندرة الغذاء في مصر خلال العصر العثماني - دراسة تاريخية وثائقية
٩٠	د. نجلاء بنت مطيع بن مبارك الدوسري	مستوى تطبيق معايير هيئة تقويم التعليم والتدريب في الإشراف التربوي بمحافظة الأحساء
١١٠	د. عبد الحليم إسماعيل عبد الرحيم	جودة غسل النحل ومعايير التمييز بين الطبيعي والمغشوش في ضوء الفقه الإسلامي والاعتبارات العلمية المعاصرة
١٢٥	د. أبوهداية محمد إسماعيل	مسارات، وقضايا الشعر السوداني الحديث:
١٣٨	د. الطيب موسى إبراهيم الحاج	رقابة القضاء على إجراءات سير التحكيم وأحكامه
١٥٩	د. نجلاء عبد الرحمن وقيع الله بلاص	نظرة إسلامية إلى مشكلة العطالة وآليات الحد من تفاقمها
١٧٩	د. نوف بنت مسفر الودعاني	منهج الإمام البخاري في تصحيح حديث الإفك من رواية مسروق عن أم رومان، دراسة تتبعية تحليلية
٢٣٥	د. شيماء عبد السميع عبد الله محمد	الأمن القومي العربي المائي والتحديات الداخلية والخارجية والتنمية المستدامة لموارده
٢٥٤	أ.د. عبد الكريم عمر الشقاقي	المأل وأثره في السياسة الشرعية
٢٦٤	Amna Alsafi Mohamednoor Alsafi Nada SidAhmed Eljack,	Readiness of EFL Postgraduate Students to Use Telegram in English Language Learning

كلمة العدد

الأخوة القراء الكرام...

نحمد الله لكم أولاً على فضله وتسييره لبلوغ مجلتكم هذا المدى الذي يأتي بعددها الثاني عشر للسنة السابعة، وعلى تميُّز هذا العدد بحمد الله بصدوره في مجلدين.

ثم إننا في هيئة تحرير المجلة نحمد لكم وثيق اتصالكم وكرم تفضلكم بالأراء والاقتراحات التي كان لها الأثر الكبير في استمرار مسيرة المجلة نحو التميز العلمي والمدّ البحثي في مجالاتٍ متجددة في الحياة العامة، وهو الدور المأمول من الباحثين والنقاد نحو مجتمعٍ علميٍّ وحياةٍ راشدة. يأتي هذا العدد حاملاً مجالاتٍ بحثيةٍ يتطلع لها القراء باستشرافٍ وتأتي فيها بوافر الملاحظات التغذّية الراجعة.

على رأس هذه المجالات تأتي الدراسات القرآنية، وفيها تجدون من الموضوعات؛ "الفواصل القرآنية" وعلل اختلافها في حل مُشكِـل المتشابه في القرآن. ومن موضوعاتها "الصحة النفسية" ومعالجة القرآن الكريم لهذا المُشكِـل، بدراسة ميدانية في "جامعة الملك فيصل". ومن موضوعات الدراسات القرآنية كذلك "المناسبات" ومنهج الإمام الطبري في النظر فيها من خلال تفسيره الموسوم بـ"جامع البيان عن تأويل أي القرآن".

أما في مجال "الدراسات الحديثية" فتأتي دراسة تحليلية لمنهج الإمام البخاري في تصحيح الحديث النبوي وذلك بالتطبيق على "حديث الإفك". فهذه الدراسة تم اعتماد نمط التوثيق للمصادر والمراجع مختلف عن النمط الذي تعتمده المجلة لخصوصيتها ومن الدراسات الحديثية كذلك دراسة في الاختلاف في مفهوم "الصُحبة" عند علماء السنة النبوية وأثر ذلك في إعلال الحديث عند بعض نقاد الحديث النبوي.

ومن المجالات البحثية في هذا العدد "الفقه الإسلامي"، وتأتي فيه دراسةً تحليليةً لمنهج الفتوى في الإسلام بدراسة منهج العلامة محمد صفاء الدين الحسني في الفتوى. وفي الدراسات المقاصدية يأتي "فقه البيئة" من منظور مقاصدي لحفظ الموارد الطبيعية. أما في باب "الأحكام الفقهية" فتأتي في هذا العدد دراسة فقهية في الأحكام الفقهية للحيوان في باب "فقه العبادات".

وفي مجال بحوث الدراسات الإسلامية تتصدر "مشكلة العطالة وآليات الحد من تفاقمها" من منظور إسلامي. ودراسة فقهية في معايير التمييز بين الطبيعي والمغشوش في جودة عسل النحل.

وللتشريع والقضاء مجالٌ فيما يحمله هذا العدد من دراسات؛ ففيه دراسة في "السياسة الجنائية" المعاصرة في التجريم والعقاب، ودراسة في "رقابة القضاء" على سير "التحكيم" وأحكامه، ودراسة في جريمة الإجهاض.

ومن المجالات البحثية في هذا العدد "الدراسات التربوية" وتأتي فيها دراسة ميدانية في "دور الاستاذ الجامعي في الحد من القلق من الامتحان لدى الطلاب المتأثرين بالحرب" الدائرة في السودان. ودراسة في "معايير هيئة تقويم التعليم والتدريب في الإشراف التربوي".

وفي الدراسات التاريخية تأتي دراسة عن "نشأة وتطور المدن في السودان القديم" لمدن "كرمة" و"نبته" و"مروي". ودراسة في "أزمة الغذاء في مصر خلال العصر العثماني".

وفي مجال الدراسات الاقتصادية تجدون في هذا العدد دراسة لقياس "أثر تطبيق نظام القيمة العادلة على جودة المعلومات المحاسبية" في "بنك أم درمان الوطني" في السودان. ودراسة عن "واقع التنمية الاقتصادية بدولة غانا".

وفي مجال الدراسات الجغرافية تأتي دراسات لنطاقات جغرافية سودانية، منها: التحليل المورفومتري لحوض "وادي نيالا" بإقليم دارفور، ودراسة عن "أثر الجفاف على الزراعة المطرية" بوسط السودان، ودراسة عن "تأثير انخفاض منسوب نهر النيل على الزراعة".

القراء الكرام

إننا نسعى بكم نحو التجويد المستمر وذلك بما يصلنا من آراء تجودون بها، وتوصيات بناءة على النحو الذي أثر بصورة كبيرة فيما لمستموه من تطور في المحتوى والإخراج.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

هيئة التحرير

جريمة الإجهاض "دراسة مقارنة"

د. فريدة عوض سعيد أحمد^(٩)

المستخلص

يهدف البحث إلى بيان مفهوم الإجهاض وأسبابه وأنواعه وتحليل موقف الشريعة الإسلامية منه، ومعرفة حكم الإجهاض في الفقه الإسلامي والقانون، توضيح عقوبة الإجهاض ومعرفة تأثير الإجهاض على صحة المرأة، تعزيز الوعي بقضية الإجهاض وأهمية اتخاذ قرارات بشأن حملهن، وإبراز الأساس الشرعي الذي أستند عليه المشرع السوداني في تجريم الإجهاض وتنظيم استثنائه. وتظهر أهمية الدراسة في فهم الأسباب والدوافع التي تدفع النساء للجوء للإجهاض مما يمكن من تطوير حلول فعالة للحد من هذه الظاهرة، تقييم التأثيرات الصحية والنفسية للإجهاض على المرأة مما يمكن من تقديم الرعاية الصحية المناسبة، تطوير السياسات والبرامج التي تهدف إلى تقليل الحاجة إلى الإجهاض غير الآمن، وتمحور مشكلة الدراسة فيما يتعلق بتحديد وقت بدء الحماية الجنائية للجنين، والتباين بين الرؤية الفقهية والقانونية لجريمة الإجهاض وما يترتب حول مدى تحقيق التوازن بين حماية حق الجنين، وحماية صحة الأم، اعتمدت الدراسة علي المنهج الوصفي التحليلي والمقارن، وتوصلت الدراسة إلى أن القانون السوداني سعي إلى تحقيق التوازن بين حماية حق الجنين في الحياة وصون صحة الأم وسلامتها، أثبتت الدراسة أن التقارير الطبية والطب الشرعي تمثل عنصراً حاسماً في إثبات وقوع الإجهاض ونسبته للجاني. وجود علاقة بين تجريم الإجهاض وانتشار الممارسات غير الآمنة، قلة الوعي القانوني لدى بعض الفئات تسهم في انتشار الإجهاض غير المشروع، أباح القانون السوداني الإجهاض إذا ثبت أن الحمل كان نتيجة اغتصاب ولم يتم ٩٠ يوماً بينما لم يستثني الفقه الإسلامي حالة إلا خطر الحمل علي حياة الأم.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

تحت الشريعة الإسلامية على حفظ النسل وجعلته من الكليات الخمس التي جاءت الشريعة لرعايتها، ويعتبر الإجهاض أكبر مهدد لحفظ هذا المقصد، وأن الشريعة الإسلامية حافظت على الإنسان منذ وجوده نطفة في بطن أمه فحرمت الاعتداء عليه سواء من الأم أو من غيرها حفاظاً على حقه في الحياة.

وقد برزت بقوة على الساحة في المجتمعات الإسلامية دعاوى الجمعيات النسوية العالمية منها والمحلية التي تدعو إلى إباحة الإجهاض.

(٩) أستاذ مشارك: كلية الشريعة والقانون - جامعة دنقلا

ويعتبر الإجهاض هو موضوع حساس ومعقد يمس العديد من الأفراد والمجتمعات حول العالم، يتعلق بإنهاء الحمل قبل اكتمال نمو الجنين. وتشكل جريمة الإجهاض قضية طبية واجتماعية وأخلاقية حيث تختلف القوانين والآراء حول مشروعية الإجهاض من بلد إلى آخر.

أهمية الدراسة:

- تعد دراسة جريمة الإجهاض أمراً ضرورياً وتظهر أهمية الدراسة في الآتي:
- فهم الأسباب والدوافع التي تدفع النساء اللجوء للإجهاض مما يمكن من تطوير حلول فعالة للحد من هذه الظاهرة.
- تقييم التأثيرات الصحية والنفسية للإجهاض على المرأة مما يمكن من تقديم الرعاية الصحية المناسبة.
- تطوير السياسات والبرامج التي تهدف إلى تقليل الحاجة للإجهاض غير الآمن.
- الحد من جريمة الإجهاض غير الآمن من خلال توفير بدائل آمنة وقانونية للنساء.
- حماية حقوق المرأة في اتخاذ قرارات مستنيرة بشأن حملها.
- تبين مدى إحاطة الشريعة الإسلامية في حماية وحقوق كرامة الإنسان.

أسباب اختيار الموضوع:

- انتشار جريمة الإجهاض بصورة كبيرة.
- الأهمية الاجتماعية لقضية الإجهاض وتأثيراته على الأفراد والمجتمعات.
- التأثير على الصحة العامة فالإجهاض غير الآمن يمكن أن يؤدي إلى عواقب وخيمة وخطيرة للنساء.
- الجدل القانوني والأخلاقي حول حقوق المرأة وحقوق الجنين والقيم الأخلاقية.
- الرغبة في المساهمة في تطوير السياسات والبرامج التي تهدف لتحسين صحة المرأة وتمكينها من اتخاذ قرارات مستنيرة بشأن حملها.
- كل هذه الأسباب تجعل من موضوع الإجهاض كجريمة موضوعاً مهماً ومثيراً للاهتمام بالدراسة والبحث.

فرضيات الدراسة:

- ما هي الأسباب الرئيسة التي تدفع النساء إلى اللجوء للإجهاض؟
- ما حكم الاجهاض في الفقه الإسلامي والقانون الجنائي السوداني؟
- ماهي عقوبة مرتكب جريمة الإجهاض؟
- ما هو تأثير الإجهاض على المرأة؟
- ما هو دور التثقيف والتوعية في تمكين النساء في اتخاذ قرارات مستنيرة بشأن حملهن؟
- ما هي البرامج والسياسات التي يمكن أن تساهم في تقليل الحاجة إلى الإجهاض غير الآمن؟

أهداف الدراسة:

- فهم الأسباب، التعرف على الأسباب الرئيسة التي تدفع النساء إلى اللجوء للإجهاض.
- معرفة حكم الإجهاض في الفقه الإسلامي.
- توضيح عقوبة الإجهاض.
- معرفة تأثير الإجهاض على صحة المرأة.
- تعزيز الوعي بقضية الإجهاض وأهمية اتخاذ قرارات بشأن حملهن.
- تحديد البرامج والسياسات التي يمكن أن تساهم في تقليل الحاجة إلى الإجهاض غير الأمن.

منهجية البحث:

اتبعت المنهج الوصفي والتحليلي المقارن من خلال تحليل النصوص الفقهية وأحكام القانون الجنائي.

مفهوم الإجهاض

أولاً: الإجهاض لغة

الإجهاض لغة الإزلاق، والجهيـض: السقيـط (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ١٣٢/٧) أجهضت الناقة ألقت ولدها قبل تمامه وجهضه، وأجهضه إذا غلبه ثم استعمل الإجهاض في غير الناقة (الحموي، د.ت، ١١٣/١) وأجهضت الناقة والمرأة ولدها إجهاضاً أسقطته ناقص الخلق (الكجراتي، ١٩٦٧م، ٤٢٤/١) والواضح من هذه التعريفات اللغوية هو إجماعها على أن نزول الحمل ميتاً قبل موعده هو الإجهاض، سواء كان بقصد أو من دون قصد.

ثانياً: الإجهاض اصطلاحاً:

لا يختلف التعريف الاصطلاحي عن التعريف اللغوي للإجهاض، ولكن بعض الفقهاء استعمل له ألفاظ أخرى مثل السقط، ويعني وضعه قبل تمامه (الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية، ٢٣/١).

تناول فقهاء الشريعة الإسلامية موضوع الإجهاض في باب الجنائيات فعبّر الحنفية عن هذه الجنائية بالجنائية على ما هو نفس من وجهه دون وجهه لأن الجنين يعتبر نفساً من وجه ولا يعتبر كذلك من وجه آخر فيعتبر من وجه أنه آدمي، ولا يعتبر كذلك لأنه لم ينفصل عن أمه ويعللون ذلك بأن الجنين مادام مختبئاً في بطن أمه فليس له ذمة كاملة (السرخسي، ١٩٦٩م، ١٢٣/٩).

أما جمهور الفقهاء فيسمونها الجنائية على الجنين، أو الإجهاض والتعبير الأخير هو اصطلاح الشافعية غالباً، وتعريف الإجهاض في اصطلاح الفقهاء هو إلقاء الحمل مطلقاً سواء كان ناقص الخلقة أو ناقص المدة مستبين الخلقة أم لا، نفخت فيه الروح أم لم تنفخ قصداً أو بغير قصد أم تلقائياً (الزحيلي، ٢٠٠٥م، ٨٤/١٠).

ويتضح مما سبق أن الإجهاض بمعناه العام هو إنهاء الحمل قبل أوانه أي قبل موعد الولادة الطبيعي بقصد أو بدون قصد بفعل الأم أو غيرها.

تعريف الإجهاض قانوناً:

نص القانون الجنائي لسنة ١٩٩١م على جريمة الإجهاض في المادة (١٣٥) بقوله: يعد مرتكباً جريمة الإجهاض من يتسبب قصداً في إسقاط جنين لامرأة إلا إذا حدث الإسقاط فيمن الحالات الآتية (ستذكر لاحقاً).

من النص السابق يعرف الإجهاض بأنه إسقاط جنين امرأة أي يتعين أن تكون المرأة حامل حتى تكتمل الجريمة. المرأة عرقها القانون في المادة (٣) بأنها: (امرأة تعني الأنثى البالغة) (القانون الجنائي السوداني المادة ٣) ويجب إثبات أن الجاني قد سبب إجهاض المرأة الحامل بأي وسيلة من الوسائل "من يتسبب قصداً" وحتى تتحقق الجريمة كاملة لا بد من إثبات القصد الجنائي.

لكن لا يعتبر الإجهاض قد تم بقصد في أي من الحالات الآتية وهي:

أ/ إذا كان الاسقاط ضرورياً للحفاظ على حياة الأم: في هذه الحالة لا يعد الإجهاض جريمة إذا كان التخلص من الجنين ضرورياً للحفاظ على حياة الأم للضرورة الطبية لمصلحة الأم لأن استمرار الحمل قد يؤدي بحياتها ويجب أن يكون ذلك عن طريق أطباء مختصين مسلمين.

ب/ إذا كان الحمل نتيجة لجريمة اغتصاب ولم يبلغ تسعين يوماً: في هذه الحالة لا بد أن تثبت الأم أن الحمل قد تم نتيجة اغتصاب بطرق الإثبات المعروفة وأن الحمل لم يبلغ تسعين يوماً وإذا توفر الشرط الأول، وانتفى الشرط الثاني أو العكس يعتبر الإجهاض جريمة.

ج/ إذا كان الجنين ميتاً في بطن أمه: إذا ثبت أن الجنين ميتاً في بطن أمه فهو يسبب خطراً على الأم.

مخاطر الإجهاض وعلة تحريمه

مخاطر الإجهاض

يشكل الإجهاض خطراً بالغاً على الأم والنسل والمجتمع ويمكن تلخيصه فيما يلي:

١/ خطره على الأم: الإجهاض غير الآمن غالباً ما يؤدي لوفاة الأم الحامل أو ثقب الرحم أو تعفنه أو تقيح غشاؤه ويؤدي أحياناً لتسمم الأم والعقم والحمل خارج الرحم، إضافة إلى النزيف والصدمات العصبية والنفسية، كما أنه إذا لم يحدث الإسقاط يؤدي إلى تشوه الجنين (مدكور، ٢٠٠٨م، ٣٠/١).

٢/ خطره على النسل: حيث يؤدي الإجهاض إلى تناقص النسل إلى درجة التهديد بإنمائه، وفي ذلك مخالفة للسنة الربانية في تكثير النسل الذي أستخلفه الله تعالى لعمارة هذا الكون، وتوحيد الله عز وجل.

٣/ خطره على المجتمع الذي يتهده الإجهاض بنشر الرذيلة، وإشاعة الفاحشة وفتح الباب على مصراعيه لدعاة الإباحة، كما أنه يخلق جيلاً مصاباً بالأمراض الجنسية والنفسية والاجتماعية والذي سيؤثر بالتأكيد على استقرار المجتمع إضافة إلى الخسائر الفادحة التي يصاب بها المجتمع من جراء كثرة الوفيات في صنوف الأمهات والأجنة (مدكور، ٢٠٠٨م، ٣٥).

علة تحريمه

إذا كان الاجهاض يشكل كل هذه الخطورة على البشرية ويهدد أيما تهديد مقاصد الشريعة الإسلامية فإن علة تحريمه بلا شك تكمن في سعي الشريعة الإسلامية لحماية الحقوق الآتية:

- ١/ حماية حق الله عزوجل من يعتدي على خلقه.
 - ٢/ حماية حق الجنين في استمرار حملته وتهيئته للحياة الإنسانية، وإبعاد أي أذى قد يصيبه لأنه مخلوق يتمتع بالحرمة والتكريم.
 - ٣/ حماية الأم من الأخطار التي تهدد حياتها وعرضها وصحتها.
 - ٤/ حماية حق المجتمع المهدد في استقراره وسلامة أجياله.
 - ٥/ حماية حق الأبوين في حقوقهما الأسرية.
- من أجل ذلك كانت جريمة الإجهاض فعلة شنيعة وجناية خطيرة لا يسمح بها الإسلام ولا يرضاها عاقل على الدوام.
- حكم الإجهاض:**

الجنين في بطن أمه يمر بمرحلتين المرحلة الأولى: مرحلة قبل نفخ الروح. والمرحلة الثانية: بعد نفخ الروح. وفرق علماء الشريعة في حكم الإجهاض بين المرحلتين

أولاً: الإجهاض في مرحلة قبل نفخ الروح: في حكم هذه المرحلة اتجاهات مختلفة، وأقوال متعددة حتي في المذهب الواحد فمنهم من قال: بالإباحة مطلقاً وهو ما ذكره بعض الحنفية، فقد ذكروا أنه يباح الإسقاط بعد الحمل، ما لم يتخلق شيء منه والمراد بالتخلق نفخ الروح (الحنفي، ١٩٩٠م، ٢٧٧/١٣). وذهب بعض فقهاء الشافعية إلى جواز الإجهاض قبل نفخ الروح ولا غرة فيه وهو الفاصل بين الحل والحرمة في الإجهاض (الشيرازي، ١٩٨٧، ٥٦/٥). ومنهم من قال بالتحريم، وهو المعتمد عند المالكية (الدسوقي، د.ت، ٢٧٦/٢). وقال مالك كل ما طرحته مضغة أو علقه مما يعلم أنه ولد ففيه غرة وهو مذهب بعض الحنابلة. وقال ابن تيمية إسقاط الحمل حرام بإجماع المسلمين وهو من الواد الذي قال الله فيه {وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ} (التكوير: ٨-٩). (ابن قدامة، ١٩٦٨م، ٦٦/١٠).

ثانياً: حكم الإجهاض بعد نفخ الروح: أجمع الفقهاء علي أن نفخ الروح في الجنين يتم بعد المائة وعشرون يوماً ودليلهم في ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم "إن أحكمكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقه مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربعة برزقه وأجله، وشقي أم سعيد ثم ينفخ فيه الروح" (أخرجه البخاري في كتاب القدر، ح رقم ٦٥٩٤). فإذا وجدت به الحياة بوجود الروح وإيجاب الرسول صلى الله عليه وسلم الغرة بقتله، فإن ذلك مفاده اعتبار الجنين بعد الشهر الرابع إنساناً تثبت له كل الحقوق للذي انفصل عن أمه حياً، وإذا ثبتت الغرة بالجناية على الجنين في بطن أمه على الذي قصد قتلها، فمن باب أولى على الأم إذا قصدت إسقاطه للتخلص منه، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "قضى رسول الله في جنين امرأة من بني لحيان سقط ميتاً بغرة عبد. وأمّه ثم إن المرأة التي قضى عليها بالغرة توفيت فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن ميراثها لبنها وزوجها وأن العقل على عصبتها" (أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، حديث رقم ٧٥٢٠). فهذه الأدلة تدل على تحريم قتل النفس عموماً ويعتبر الجنين بعد نفخ الروح فيه نفس محرم قتلها.

وقد بيّن مجمع الفقه الإسلامي حكم إسقاط الجنين بقراره الآتي:

فإن مجلس المجمع الفقهي الاسلامي لرابطة العالم الاسلامي في دورته الثانية عشر المنعقدة بمكة المكرمة في الفترة من يوم السبت ١٥ رجب ١١٤١ الموافق ١٠/فبراير ١٩٩٠ إلى يوم السبت ٢٢ رجب ١١٤١ وقد نظر في هذا الموضوع وبعد مناقشته من قبل هيئة المجلس الموقرة ومن قبل أصحاب السعادة الأطباء المختصين الذين حضروا لهذا الغرض قرر بالأكثرية ما يلي:

١/ إذا كان الحمل قد بلغ ١٢٠ يوماً، فإنه لا يجوز إسقاطه ولو كان التشخيص يفيد أنه مشوه الخلقة، إلا إذا ثبت بتقدير لجنة طبية من الأطباء الثقافات المختصين أن بقاء الحمل فيه خطر على حياة الأم فعندئذ يجوز إسقاطه سواء كان مشوهاً أم لا دفعاً لأعظم الضررين.

٢/ قبل مرور ١٢٠ يوماً على الحمل، إذا ثبت وتؤكد بتقدير لجنة طبية من الأطباء المختصين وبناء على الفحوصات الغنية بالأجهزة والوسائل الممكنة أن الجنين مشوهاً تشويهاً خطيراً غير قابل للعلاج وأنه إذا بقي وولد في موعده ستكون حياته سيئة والأماً عليه وعلى أهله فعندئذ يجوز إسقاطه بناء على طلب الوالدين، والمجلس إذ يقرر ذلك يوصي الأطباء والوالدين بتقوى الله والتثبت في هذا الأمر. ويتضح مما سبق ذكره أن بيان مجمع الفقه الإسلامي واضح في تحريم الإجهاض استناداً إلى الأدلة التي تم ذكرها، ولم يستثنى إلا الحالات الضرورية بتقدير من الأطباء الثقافات بخطورة استمرار الحمل على الأم.

حكم الإجهاض في القانون:

نجد أن المشرع السوداني لم يفرق بين المرحلة الأولى (قبل نفخ الروح) والمرحلة الثانية (بعد نفخ الروح) إلا في حالة واحدة وهي إذا كان الحمل نتيجة اغتصاب ولم يبلغ تسعون يوماً (المادة ١٣٥ من القانون الجنائي السوداني) فيما عدا ذلك يعتبر الإجهاض جريمة يعاقب مرتكبها إذا تسبب قصداً في ارتكابها.

أركان جريمة الإجهاض

أركان الإجهاض في الفقه الإسلامي

أي جريمة لا بد لها من توافر ركن مادي وركن شرعي، وفي جريمة الإجهاض لا بد من وجود محل الجريمة وهو الحمل ووجود الحمل يعتبر ركناً لقيام الجريمة فلا إجهاض بدون حمل وسنتحدث هنا عن الأركان الثلاثة لجريمة الإجهاض:

الحمل : لجريمة الإجهاض موضوع محدد وهو الحمل الذي يسكن الرحم وهو ما يعرف بالجنين واعتبار الجنين هو موضوع هذه الجريمة، ما يعني أن الأحكام الشرعية التي تحرم الإجهاض لم تقرر لحماية المرأة الحامل بقدر ما جاءت لحماية الجنين ذاته في أن ينمو نمواً طبيعياً حتي يأتي موعد ولادته، فالجنين الذي يعتبر موضوع هذه الجريمة يمكن تعريفه بأنه الكائن الأدمي الحاصل باختلاط ماء الرجل بماء المرأة في الرحم على نحو يجعله قابلاً للنمو والتطور ما لم يغادر الرحم بولادة (الشرفي، دت، ٢٢٩) من خلال التعريف السابق للجنين يثبت أنه لا يمكن أن تتوفر جريمة الإجهاض إلا إذا كان الجنين الذي يتم إخراجَه من الرحم ضوابط محدده وهي:

١/ إن صفة الحمل لا تتحقق الا باختلاط الحيوان المنوي للرجل مع ماء المرأة ولا يمكن أن يكون لأحدهما فقط.

٢/ لا يتحقق الحمل حتى يستقر الخليط في رحم المرأة فإذا كان الخليط في تجويف خارج الرحم لا يسمى إسقاطه إجهاض، لأنه في غير مكانه الطبيعي، وكذلك لو كان في أنبوبة مخبرية، لا يكون القضاء عليه إجهاض لكونه لم يستقر في الرحم.

٣/ حالة الحمل لا تتحقق حتى يكون الجنين قابل للنمو والتطور بوجود صفة من صفات الحياة، فإذا فقد الجنين صفة النمو والتطور وأصابه الضمور فمات لأي سبب كان فإنه لا يكون محلاً لجريمة الإجهاض.

٤/ لا بد أن يكون المستقر في الرحم آدمياً.

٥/ ألا يكون الجنين قد غادر الرحم بولادة وتم الاعتداء عليه بعد خروجه فلا يسمى هذا إجهاض (الشرفي، دت، ٢٥٢).

ونخلص من ذلك إلى أنه إذا لم توجد الضوابط السابقة وسقط الحمل لا يطلق عليه إجهاضاً.

الركن المادي لجريمة الإجهاض:

تتحقق جريمة الإجهاض بالفعل سواء كان سلباً أم إيجاباً والنتيجة والعلاقة السببية بين الفعل والنتيجة، والإجهاض كجريمة قائمة يتحقق فيها الركن المادي بالقيام بالسلوك الإجرامي سواء قامت به المرأة نفسها أو قام به غيرها فالعبرة بإسقاط الجنين والعلاقة السببية بين الفعل الإجرامي (الاعتداء على الحامل) والنتيجة (إسقاط الجنين) وجود علاقة سببية بينهما فيكون الركن المادي من ثلاث عناصر:

أولاً- الفعل: المقصود بالفعل مطلق التصرف الواقع على المرأة الحامل مادام يصلح سبباً لإنهاء حالة الحمل، ولا يوجد ضابط مادي يضبط هذا الفعل ويحدد صورة سواء كان فعلاً مادياً أو معنوياً وسواء كان استخداماً للعقاقير أو العنف أو غيره ومن ثم فإن القانون الجنائي السواني لم يبين في نصوصه التي ذكر فيها أحكام الإجهاض وعقوبته نوع الفعل الذي يتم فيه الإجهاض، أو صورة بل جعله مهماً.

يرجع تحديد نوع الوسيلة المستعملة في الإجهاض إلى أهل الخبرة، لأنهم أهل الاختصاص في ذلك، ولهم دراية كافية لمعرفة الوسائل التي تؤدي للإجهاض ونوعيتها، طبيعية أم صناعية، ولا يشترط أن يكون هذا السلوك الإجرامي من نوع معين، فقد يكون قول أو فعل، وقد يكون الفعل مادي أو معنوي وقد ترتكب الإجهاض الأم نفسها أو الأب، أو أي شخص أجنبي، ومن أمثلة هذه الأفعال المادية استعمال العنف بالضرب والضغط على بطن الحامل نفسها، أو غيرها من الأفعال المعنوية كالتهديد، والصياح، والتخويف بالضرب أو القتل (هوارية، دت، ٢٥٢).

ومن الأفعال المعنوية إذا بعث السلطان إلى امرأة ليحضرها فأسقطت جنينها ميتاً ضمنه، لما روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث إلى امرأة مغيبة كان يدخل عليها فقالت: "يا ويلها مالها ولعمر" فبينما هي في الطريق إذ فزعت فضرها الطلق فألقت ولداً فصاح الصبي صيحيتين فمات، فاستشار

عمر أصحابه فأشار بعضهم أن ليس عليك شيء، إنما أنت وال ومؤدب، وصمت علي رضي الله عنه فأقبل عليه عمر فقال ما تقول يا أبا الحسن، فقال إن كان قالوا برأهم فقد أخطأ رأيهم وإن كانوا قالوا في هواك فلم ينصحوا لك، إن ديتك عليك، لأنك أفزعتها فألقته، فقال عمر أقسمت عليك أن لا تبرح حتى تقسمها على قومك. ولو فزعت المرأة وماتت لوجبت ديتها أيضاً (ابن قدامة، ١٩٦٨م، ٥٨٠/٩)

وقد يكون الفعل سلبى يؤدي إلى إسقاط الحمل مثل أن يرى الطبيب الحامل تنزف ولا يحاول إنقاذها، مما يؤدي إلى سقوط الجنين وكذلك إذا امتنعت الحامل عن الطعام والدواء الذي يمنع إسقاط الجنين، يعتبر هذا فعل سلبى لجريمة الإجهاض ويعاقب مرتكب هذا الفعل السلبى بجريمة الإجهاض.

ثانياً - النتيجة الإجرامية في الإجهاض:

تعتبر النتيجة الإجرامية في الإجهاض هي إسقاط الجنين من بطن أمه ميتاً، أو إماتته في بطن أمه، وإن لم يسقط، وقيل هي إخراج الجنين، أو متحصلات الحمل الناتج عن التلقيح (قائد، ٢٠١٧م، ٢٩٧). وبذلك تكون النتيجة الإجرامية للإجهاض لها صورتين:

الصورة الأولى سقوط الحمل: يمثل خروج الجنين بإسقاطه من الرحم أغلب حالات الإجهاض عموماً لكونه يمثل الحالة الأخيرة للجنين حتى لو تم قتله في الرحم لا بد من إسقاطه بعد ذلك (الشرقي، د.ت، ٢٥٨)، وغالباً ما يكون سقوط الجنين ميتاً بسبب الأفعال التي أدت إلى إجهاضه بأي مرحلة من مراحل الحمل كان، في موته فقد صفة الجنين. أما إذا خرج الجنين حياً من بطن أمه، ومات بسبب الحالة يكون قتلاً وليس إجهاض فعليه دية (الرافعي، ١٩٩٧م، ١٠/٢٧٣).

يتضح مما سبق أن الجنين إذا خرج حياً من بطن أمه ومات بسبب الإسقاط ففي هذه الحالة يكون قتلاً وليس إسقاط ففيه الدية.

الصورة الثانية: موت الجنين في الرحم

قد يؤدي الاعتداء على المرأة الحامل إلى موت الجنين في بطن أمه فتتحقق جريمة الإجهاض بموت الجنين وإن لم يسقط من الرحم وهذا يعني أن عليه الغرة حتى لو مات الجنين ولم يسقط مباشرة فالعبرة بموته.

علاقة السببية:

لا بد من ارتباط النتيجة بالفعل أو السلوك الإجرامي المرتكب على المرأة الحامل الذي أدى إلى حدوث الإجهاض وهي ما يسمي بعلاقة السببية، تكون مسؤولية الجاني إذا أدى فعله إلى إسقاط الجنين أي إذا تحققت العلاقة بين السلوك الإجرامي والنتيجة (خروج الجنين) هو الذي أدى إلى إسقاط الجنين سواء خرج ميتاً أو حياً ثم مات متأثراً بفعل الاعتداء.

الركن المعنوي لجريمة الإجهاض:

يعتبر الركن المعنوي لأي جريمة أساس قيام المسؤولية الجنائية إضافة للأركان الأخرى ويعتبر الركن المعنوي من أصعب الأركان إثباتاً لأنه عائد للنية. والعقوبة في الشريعة الإسلامية لجناية الإجهاض غرة

سواء كانت بعمد أو بغير عمد، إلا أنها في العمد على الجاني وغير العمد تكون على العاقلة (ابن القيم، ١٩٦٧م، ٥٤٦/١٠)

القصد الجنائي في الإجهاض يقوم على العلم والإرادة المنصرفين إلى الفعل والنتيجة فيجب أن يعلم الجاني أن فعله موجه إلى امرأة حامل، وأن من شأنه أن ينهي حالة الحمل لديها، ويريد فوق ذلك هذا الفعل وتلك النتيجة، فإن كان يجهل طبيعة الفعل، وما ينطوي عليه من خطورة أو يجهل أن الشخص الذي يوجه إليه الفعل هو امرأة حامل فإن القصد الجنائي لا يتوفر، وبهذا لا تتحقق الجريمة وتكون غير مكتملة ولا يعاقب الجاني إن لم يكن قاصداً.

عقوبة الإجهاض

عقوبة الإجهاض في الفقه الإسلامي: العقوبة المقررة عند الفقهاء لمرتكب جريمة الإجهاض هي "غرة" سواء كان عبد أو أمة لقول النبي صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنين بغرة عبد أو أمة (أخرجه مسلم، في صحيحه باب دية الجنين، حديث رقم ١٦٨١). وحديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه إن امرأتين من هزيل رمت إحداهما الأخرى فطرحت جنينها فقضى فيه النبي صلى الله عليه وسلم بغرة عبد أو أمة (أخرجه مسلم في صحيحه، حديث رقم ١٦٨٢).

وأصل الغرة البياض الذي يكون في وجه الفرس وكأنه عبر عن الجسم كله بالغرة، ولم يقصد النبي صلى الله عليه وسلم من جعله في الجنين غرة إلا جنساً واحداً من أجناس الحيوان بعينه فقال عبد الله أو أمة، وغرة المال أفضله وغرة القوم سيدهم، (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ٩/٥)

وتطلق أيضاً على ما يجب في الجنابة على الجنين، وهو أمه أو عبد مميز سليم من العيب (وزارة الأوقاف الكويتية، ٦٩/٣١) فالغرة والدية كل منهما مقابل النفس، لكن الغرة قبل الولادة، وقدرها نصف عشر الدية، أي تكون نصف عشر الدية للذكر أو الأنثى، وانفصال الجنين عن أمه يكون حياً أو ميتاً فإذا انفصل حياً، وأستهل وصرخ ثم مات فيه الدية كاملة وليس الغرة فقط (ابن قدامة، ١٩٦٧م ٤١٣/٨) هذا إذا كان الانفصال في حياة الأم، أما إذا كان الانفصال بعد موت الأم فللعلماء فيه رأيان:

الرأي الأول: إذا انفصل الجنين بعد موت أمه ففيه دية الأم فقط، ولا يوجد غرة للجنين وهذا الراجح عند الحنفية والمالكية والشافعية (ابن نجيم، د.ت، ٣٥٨/٤)

الرأي الثاني: إذا انفصل الجنين بعد موت أمه ففيه دية الأم فقط لأن الجنابة كانت عليها، والجنين كان تابعاً فقط، وعقوبة الدية أكبر من عقوبة الغرة فدخلت الغرة تحت الدية.

الفرع الثاني: عقوبة الإجهاض في القانون السوداني:

العقوبة المقررة حسب الفقرة (٢) من المادة ١٣٥ هي السجن مدة لا تتجاوز ثلاث سنوات، أو بالغرامة أو بالعقوبتين معاً، وذلك دون المساس بالحق في الدية، ويتضح من ذلك أن المحكمة لها الخيار أن توقع عقوبة السجن للمدة التي تراها أو الغرامة بالقدر الذي تراه مناسباً، دون أن يمس توقيع إحدى العقوبتين المساس بالدية، ودية الجنين حسب الجدول الثاني الملحق كالآتي:

- ١- إذا كان الجنين حياً فسقط ومات فإن ديته كاملة وهي مائة من الإبل أو قيمتها نقداً.
 - ٢- إذا سقط الجنين ميتاً فديته نصف عشر الدية الكاملة (إدريس، ٢٠١٧م، ١٦٩).
- نص المشرع في المادة (١٣٦) على تجريم الاعتداء على امرأة حُبلى وإجهاضها دون أن يقصد تسبب الإجهاض ولكنه يقصد بفعله مجرد الاعتداء على المرأة الحُبلى وهو يعلم أنها حُبلى ولا يعلم أن الاعتداء يحتمل أن يؤدي إلى إسقاط جنينها يعاقب بالسجن مدة لا تتجاوز سنة أو بالغرامة أو بالعقوبتين معاً وذلك دون المساس بالحق في الدية. وعناصر هذه الجريمة تتمثل في فعل الاعتداء على المرأة وحدوث الإجهاض تبعاً لذلك، وذكر المشرع بأن تعدد الدية بتعدد الأجنة.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلت إلى الخاتمة وتشتمل على نتائج وتوصيات الدراسة أولاً - النتائج:

- اهتم الفقه الإسلامي بالجنين منذ كونه نطفة قبل نفخ الروح فيه.
- كشفت الدراسة أن بعض النصوص المتعلقة بالإجهاض تعاني غموض نسبي في التطبيق.
- أثبتت الدراسة أن التقارير الطبية والطب الشرعي تمثل عنصراً حاسماً في إثبات وقوع الإجهاض ونسبته للجاني.
- وجود علاقة بين تجريم الإجهاض وانتشار الممارسات غير الآمنة.
- قلة الوعي القانوني لدى بعض الفئات تسهم في انتشار الإجهاض غير المشروع.
- أباح القانون السوداني الإجهاض إذا ثبت أن الحمل كان نتيجة اغتصاب ولم يتم ٩٠ يوماً بينما لم يستثني الفقه الإسلامي حالة الا خطر الحمل على حياة الأم.
- جعل المشرع السوداني التجريم للإجهاض بعد نفخ الروح في الجنين.

ثانياً - التوصيات:

- مراجعة النصوص القانونية المنظمة لجريمة الإجهاض في القانون الجنائي بما يحقق التوازن بين حماية حق الجنين وحماية صحة الأم.
- تعزيز التنسيق بين القانون والطب الشرعي بضرورة التعاون بين الجهات العدلية والكوادر الطبية لتحديد المسؤولية الجنائية بدقة في قضايا الإجهاض.
- وضع ضوابط قانونية واضحة للإجهاض العلاجي تحدد الحالات المسموح بها طبياً وقانونياً.
- تشديد الرقابة على الممارسات الطبية غير المشروعة والمراكز الصحية غير المرخصة التي تمارس الإجهاض خارج الإطار القانوني.
- تفعيل الدور الوقائي بتفعيل دور منظمات المجتمع المدني من خلال التوعية بخطر الإجهاض.

المصادر والمراجع

١. ابن تيمية، عبد السلام عبد الله بن الخضر، د.ت، الفقه على مذهب الإمام أحمد، مكتبة دار المعارف، الرياض.
٢. ابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة، ١٩٦٨م، المغني، مكتبة القاهرة.
٣. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الأنصاري، ١٤١٤-١٩٩٤م، لسان العرب، بيروت.
٤. ابن نجيم، زين العابدين بن إبراهيم بن نجيم المصري، مجمع الأنهار، د.ت، إحياء التراث العربي، بيروت.
٥. إدريس، سر الختم عثمان إدريس، ٢٠١٧م، شرح القانون الجنائي القسم الخاص، أم دقرسي للطباعة والتغليف، السودان، ط٣.
٦. الحموي، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، د.ت، المصباح المنير، المكتبة العلمية، بيروت.
٧. الحنفي، أبو محمد محمود بن أحمد الحنفي، ١٩٩٠م، البناية شرح الهداية، دار الكتب العلمية، بيروت.
٨. الدسوقي، محمد بن حمد بن عرفة الدسوقي المالكي، ٢٠٠٠م، الشرح الكبير للدرديري، دار الفكر، لبنان.
٩. الرافعي، عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، ١٩٩٧م، الشرح الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٠. الزحيلي، وهبه الزحيلي، ٢٠٠٥، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، بيروت.
١١. السرخسي، شمس الدين أبوبكر محمد، المبسوط، د.ت. دار المعرفة، بيروت.
١٢. الشيرازي، أبو اسحق إبراهيم بن علي، ١٩٨٧م، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٣. الشرفي، د.علي حسن الشرفي، د.ت، جرائم الاعتداء على الأشخاص، مطبعة صنعاء، ط٦.
١٤. عودة، عبد القادر عودة، ٢٠٠٢م، التشريع الجنائي الإسلامي، دار الكتاب العربي، بيروت.
١٥. قايد، أسامه عبد الله قايد، ٢٠١٦م، المسؤولية الجنائية للأطباء دراسة مقارنة، دار النهضة العربية، ط٢.
١٦. الكحراتي، جمال الدين محمد ظاهر الصديقي، ١٩٦٧م، مجمع بحار الأنوار، مطبعة مجلس دار المعارف.
١٧. مدكور، محمد سلام مدكور، ٢٠٠٨م، الجنين والأحكام المتعلقة به، المكتبة العلمية، بيروت.
١٨. الموسوعة الفقهية الكويتية، ١٩٨٣م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، دار السلاسل، ط٢.
١٩. هوارية، ابن زرقه، د.ت، جريمة الإجهاض دراسة مقارنة، دار النهضة، القاهرة.

أحكام الحيوان في فقه العبادات

د. السيد خاطرتيه سارين^(٩)

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى التعريف بالحيوان لغة واصطلاحاً وبيان الأحكام الفقهية المتعلقة بالحيوان بفقه الطهارة والصلاة والزكاة والحج والجهاد في سبيل الله، وتكمن أهمية البحث في الكشف عن الأحكام الفقهية التي تتعلق بالحيوان في الفقه الإسلامي في العبادات وجمعها في مكان واحد تسهيلاً للقارئ، كما يقوم البحث على كشف المشكلة التي من أجلها كتب البحث وهي كون الحيوان كائن حي ودابة من الدواب التي ينتفع بها العباد، إلا أنها تعلقت بها أحكام فقهية خفيت على الكثير من العباد لاسيما وارتباطها بالعبادات صحة وفساداً، وقد اتبع الباحث المنهج الاستقرائي الأغلي في جمع المادة العلمية وتوثيقها من مصادرها الأصلية، وعزو الآيات إلى صورها والأحاديث إلى مصادرها، والنتائج التي توصل إليها الباحث تمثلت في أن الحيوان كائن حي يتعلق به أحكام فقهية كثيرة من حيث طهارتها ونجاستها وحرمة أكل بعضها، والانتفاع بجلد ميتها ونحو ذلك.

مقدمة:

إن شأن الحيوان في دين الإسلام عظيم، وقد أناط به الفقه الإسلامي بجملة من الأحكام الفقهية التي تدل دلالة واضحة على عِظَم ديننا وسماحته، وأن الدين الإسلامي دين شامل لم يترك شاردة ولا واردة إلا وله فيه عناية فائقة، فالحيوان في دين الإسلام له حقوق عظيمة، ويترتب على وجوده عند الناس ضوابط ونظم تحكم وجودها بينهم، وبعضها تتطلب التعامل معها على أنه حيوان ذات أحكام خاصة، ومنافعه كثيرة، فلما كان للحيوان هذه الأمور والأحكام أردت أن أكتب في ذلك بحثاً علمياً فيما يتعلق به من أحكام، أسميته "أحكام الحيوان في فقه العبادات" عسى الله أن ينفع به كاتبه وقارنه إنه جواد كريم ورؤوف رحيم والحمد لله رب العالمين.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في الكشف عن أحكام الفقه التي تتعلق بالحيوان في فقه العبادات، من حيث جمعها وبيان أحكامها، لتناثرها في كتب الفقه وخفائها على كثير من أفراد الأمة الإسلامية.

أهداف البحث:

- ١/ التعريف بالحيوان لغة وشرعاً.
- ٢/ بيان الأحكام الفقهية المتعلقة بالحيوان في الطهارة والصلاة.
- ٣/ بيان الأحكام الفقهية المتعلقة بالحيوان في الزكاة والحج والجهاد.

(٩) الأستاذ المشارك بكلية جبرة العلمية

مشكلة البحث:

لما كان الحيوان دابة من الدواب التي خلقها الله تعالى آية من آياته في أرضه، فيه منافع جمة، وبعضها ضارة للإنسان، وله أحكام فقهية كثيرة متناثرة، حُفِيت على كثير من الناس، فوددت أن أكشف هذه الأحكام وأجمعها في مكان واحد تسهيلاً للقاري، وتنميماً للفائدة.

أسئلة البحث:

١/ ما الحيوان في الفقه الإسلامي؟

٢/ ما الحيوانات التي تتعلق بفقه الطهارة والصلاة في الفقه الإسلامي؟

٣/ ما الحيوانات التي تتعلق بفقه الزكاة والحج والجهاد في الفقه الإسلامي؟

منهج البحث:

اتبع الباحث في هذا البحث المنهج الاستقرائي الأغلي في جمع المادة العلمية وترتيبها وتوثيق المعلومات من المصادر الأصلية وعزو الآيات القرآنية إلى سورها والأحاديث إلى مصادرها وعمل الفهارس اللازمة.

حدود البحث:

حدود هذا البحث موضوعية في الحيوان في فقه العبادات وما يتعلق به من أحكام.

الدراسات السابقة:

لم أقف على كتاب أو بحث بنفس عنوان بحثي هذا حسب اطلاعي، إلا أنني اطّلت على بحث بعنوان (حقوق الحيوان والرفق به في الشريعة الإسلامية، أحمد عبيد الكبيسي، وهو بحث مقدم في الجامعة الإسلامية، بالمدينة النبوية، سنة ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م)، فقد كتب مؤلفه عن حقوق الحيوان في الشريعة الإسلامية، وقد خالف بحثي إذ أن موضوع بحثي يتعلق بالأحكام الفقهية المتعلقة بالحيوان في فقه العبادات، إذن هناك تباين كبير بين بحثي وبحثه.

تعريف الأحكام لغة وشرعاً:

الأحكام لغة: (هي جمع حكم وهو لغة القضاء، ويجمع على أحكام، وقد حكم عليه، وحكم بينهم بالأمر حكماً). (الزواوي، ١٤٣٣هـ، ١٤٩).

الأحكام شرعاً: (هي ما اقتضاه خطاب الشرع المتعلق بأحكام المكلفين من طلب أو تخيير أو وضع). (ابن عثيمين، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، ١١/١١).

تعريف الحيوان لغة وشرعاً:

الحيوان لغة: (هو اسم جمع: حيوانات، موجودات ذي روح، كل ذي روح ناطقاً كان أو غير ناطق، مأخوذة من الحياة، استوى فيه الواحد والجمع، لأنه مصدر في الأصل). (ابن منظور، ١٤١٤م).

الحيوان شرعاً: (هو الجسم الحساس النامي المتحرك بالإرادة). (ابن تيمية، ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م، ١/٢٣٥).

تعريف الفقه لغة وشرعاً:

الفقه لغة: (هو الفقه بالكسر العلم بالشيء، والفهم له والفطنة، وقد غلب على علم الدين لشرفه، وفقه وفقه، وجمعه فقهاء وفقهه: علمه). (الزواوي، ١٤٣٣هـ، ٤٨٢).

الفقه شرعاً: (هو معرفة الأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية). (ابن عثيمين، ١٤٢٢هـ، ٥٨).

تعريف الإسلام لغة وشرعاً:

الإسلام لغة: (هو الانقياد والخضوع والذل، يقال: أسلم واستسلم أي انقاد). (الجوهري، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ١٩٥٢/٥).

الإسلام شرعاً: (هو استسلام العبد لله تعالى، وتوحيده والخضوع لأوامره والابتعاد عن الشرك وأهله). (مجموعة من المؤلفين، ١٤٢١هـ، ٢٥٥).

أحكام الحيوان الفقهية في العبادات:

أحكام الحيوان الفقهية في الطهارة:

يتناول البحث المسائل الفقهية التي تتعلق طهارة المسلم بكثير من الحيوانات الأليفة وغيرها، في اثني عشرة مسألة ويظهر ذلك من خلال المسائل الفقهية التالية:

المسألة الأولى: أحكام الحيوان الفقهية في المياه:

أولاً: تعريف الطهارة لغة وشرعاً:

الطهارة لغة: (النظافة والنزاهة من الأقدار الحسية والمعنوية). (الزمخشري، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ٩٣/٥).

الطهارة شرعاً: (ارتفاع الحدث بأحد الطهورين المباحين وزوال النجاسة). (البسام، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، ٧٩/١).

ثانياً: تعريف المياه لغة وشرعاً:

المياه لغة: (جمع ماء وهو المائع المعروف، والهمزة فيه مبدلة من الهاء وأصله: موه بالتحريك، تحولت الواو وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، ثم أبدلت الهاء همزة). (ابن منظور، ١٤١٤م، ٩٢/٢).

المياه شرعاً: (الماء جسم لطيف سيال به حياة كل نام). (ابن منظور، ١٤١٤م، ٩٢/٢).

المسألة الثانية: طهارة ميتة البحر وحلّه:

إن الحيوانات البحرية وإن كانت ميتة فهي طاهرة، وعليه فماؤه طهور يُتَطَهَّرُ به ولو كانت فيه ميتة البحر، لحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في البحر: (هو الطهور ماؤه الحل ميتته). أخرجه أبو داود، (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م) حديث رقم (٨٣). وفيه أن حيوان ميتة البحر حلال ولا يحتاج إلى التزكية، أي النحر أو الذبح، وهذا كالحوت ونحوه، ولقوله صلى الله عليه وسلم: (أُحِلَّتْ لَنَا مِيتَتَانِ وَدَمَانِ، أَمَّا الْمِيتَتَانِ فَالْجَرَادُ وَالْحَوْتِ، وَأَمَّا الدَّمَانِ فَالْكَبِدُ وَالطَّحَالُ) أخرجه ابن ماجه، (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م)، حديث رقم، (٣٣١٤).

ففي الحديث حل الميتتان، وتحريم الميتة عموماً وكذلك الدم المسفوح ولو كان من مأكول اللحم، وفيه أن الكبد والطحال طاهران، والخلاصة انه كل حيوان مات وهو من مأكول اللحم فإن جلده يطهر بالدباغ، وكل حيوان مات وليس من مأكول الميتة فإن جلده لا يطهر بالدباغ.

المسألة الثالثة: نجاسة الكلب:

إن الكلب من الحيوانات الأليفة التي تعيش مع الناس في رحالهم إلا أنه نجس ولُعابه نجس، وإذا شرب الكلب من إناء نجس فإن هذا الإناء ينجس، مما يتطلب تطهيره قبل استعماله، لحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول - الله صلى الله عليه وسلم-: (طهور أحذكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أولاً من التراب) أخرجه مسلم، (١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م)، حديث رقم (٢٧٩). ففي هذا الحديث دليل على أن نجاسة الكلب نجاسة مغلظة لأنه لا يكفي لإزالة نجاسته والطهارة فيها إلا بغسله سبع غسلات، وظاهر الحديث أنه عام في جميع الكلاب لا يستثنى عنه كلب دون كلب.

المسألة الرابعة: طهارة الهرة:

الهرّة من الحيوانات الأليفة التي تعيش مع الناس في رحالهم، وهي ليست بنجسة، فلا ينجس ما لامسته أو ولغت فيه، والعلة من ذلك أنها من الطوافين عليكم كالخدم الذين يخدمون الناس، فهي مع الناس في منازلهم امتعتهم وأوانهم، فلا يمكن التحرز منها، لحديث أبي قتادة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (في الهرة إنها ليست بنجس، إنما هي من الطوافين عليكم) أخرجه أبو داود، كتاب الطهارة، باب سؤر الهرة، حديث رقم (٧٥)، في هذا الحديث وأمثاله من أدلة القاعدة الكلية الكبرى وهي "المشقة تجلب التيسير" فعموم البلوى بها جعل كل ما تلامسه طاهراً وإن كان رطباً، ويقاس على الهرة كل ما شابهها من الحيوانات المحرمة ولكنها أليفة تدعو الحاجة إلى استعمالها كالبلغل والحمار ونحوهما، كما أن مفهوم الحديث يغير مشروعية اجتناب الأشياء النجسة.

المسألة الخامسة: طهارة الذباب:

الذبابة حشرة من الحشرات التي تكثر في المنازل والأماكن التي تعيش فيها الناس، إلا أنها طاهرة حال حياتها ومماؤها، وأنه لا ينجس ما وقع فيه من المائعات السائلة أو الجامدة، فإذا سقطت الذبابة في سائل فإنه يشرع غمسه كله فيما وقع فيه من سائل، ثم نزع والانتفاع بما وقع فيه على طهارته، وإن كان ما وقع فيه جامداً ألقاه وما حوله لعدم سريان مضرته في بقية أجزاء الجامد، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا وقع الذباب في شراب أحذكم فليغمسه، ثم لينزعه، فإن في إحدى جناحيه داء، وفي الآخر شفاء) أخرجه البخاري، (١٤١٩هـ - ١٩٨٨م)، حديث رقم (٣٣٢٠).

وفي هذا الحديث دليل على أن في أحد جناحي الذباب داء والجناح الآخر شفاء، فأمر الشرع بغمسه في السائل لئلا يكون قد ترك داء في أحد الجناحين في الشراب كي يقابل الدواء الداء، فيكون مضاداً له وتزول مضرته.

المسألة السادسة: نجاسة القطعة المقطوعة من الهيمة وهي حية:

إن القطعة من الهيمة مأكولة اللحم إذا قطع يدها أو رجلها والهيمة حية لم تمت، فهذه القطعة ميتة ونجسة حرام أكله، أما باقي الهيمة إذا بقيت حية فهي طاهرة مباح، لحديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما قُطع من الهيمة وهي حية فهو ميت)

أخرجه أبو داود، كتاب في الصيد، باب في صيد قطع منه قطعة، حديث رقم (٢٨٥٨)، ففي هذا الحديث دليل على أن ما أبين من الهيمنة في حال حياتها فهو كميتها طاهرة أو نجسة حلاً أو حرمة، وما أبين من حي فهو كميته، فما أبين من الحيوان الذي إذا مات صار نجساً فهو نجس، فهذا أولى، فما أبين من الحيوان الذي إذا مات صار نجساً فهو نجس.

المسألة السابعة: طهارة جلد الهيمنة إذا دبغ: إن الجلود من حاجيات الإنسان فقد أناط الشرع به حكم كونه طاهر أو نجس ليحمل به الماء والطعام والزيت ونحو ذلك لأنه إناء فلا بد من معرفة طهارته من نجاسته قبل استخدامه واستعماله، فالجلد إذا دبغ صار طاهراً ولو من جلد الميتة، لحديث بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا دبغ الإهاب فقد طهر). أخرجه مسلم، كتاب في الحيض، باب طهارة جلود الميتة بالدباغ، حديث رقم (٣٦٦).

وحديث سلمه بن المحبق رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (دباغ جلود الميتة طهورها). أخرجه ابن حبان (١٤٣٣هـ - ٢٠٠١م)، حديث رقم (١٢٠٩). وعن ميمونة رضي الله عنها قالت: (مرّ النبي صلى الله عليه وسلم بشاة يجرونها، فقال: لو أخذتم إهابها؟ فقالوا إنها ميتة، قال: يطهرها الماء والقرض). أخرجه أبو داود، كتاب في اللباس، باب من روى ألا ينتفع بإهاب الميتة، حديث رقم (٤١٢٩). هذا الحديث يبين أن الجلد عموماً يطهر بالدبغ ولو كان جلد ميتة لحيوان مأكول اللحم، وعليه فيجوز استعمال الجلد المدبوغ في المائعات واللباس والفرش وغير ذلك من الاستعمالات، كما يجوز الدباغ بكل ما ينشف فضلات الجلد ويطيبه ويمنعه من النتن والفساد، سواء كان من القرض أو قشور الرمان أو غيرها من المنقيات المطهرات للجلود.

المسألة الثامنة: تحريم لحوم الحمر الأهلية ونجاستها:

الحمر الأهلية هي من الحيوانات التي يستخدمها الناس في الركوب وحمل أمتعتهم عليها، وكانت حلالاً أكلها، ثم جاء التحريم بعد أن غزا النبي صلى الله عليه وسلم خيبر، كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما كان يوم خيبر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا طلحة رضي الله عنه، فنأدى: (أنّ الله ورسوله ينهيكم عن لحوم الحمر فإنها رجس). أخرجه البخاري، كتاب الذبائح، باب لحوم الحمر الأنيسة، حديث رقم (٢٩٩١).

ففي هذا الحديث دليل على نجاسة الحمر الأهلية في لحمها ودمها وبولها وروثها، بل يحرم أكل لحمها وشرب لبنها، فإنها رجس والرجس القذر النجس.

والتعليل بأنها رجس دليل على أن كل عين نجسة فهي محرمة لما فيها من المضار الصحية ولأنه خبيث مستقذر، وكذلك تقيده بالحمر الأهلية دليل على طهارة وإباحة الحمر الوحشية، ذلك أنها صيد طاهر حلال، لما في حديث أبي قتادة- رضي الله عنه: (أنه اصطاد حمراً وحشياً قال، فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه- وكانوا محرمين: هل منكم أحد أمره أو أشار بشيء؟ قالوا: لا قال: فكلوا ما بقي من لحمه). أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب تحريم الصيد للمحرم، حديث رقم (٢٩١٢).

المسألة التاسعة: طهارة لعاب الإبل:

الإبل حيوان من بهيمة الأنعام وهو طاهر لعابه ولحمه وبوله وأنه ليس بنجس وهذا بإجماع المسلمين، لحديث عمرو بن خارجه رضي الله عنه قال: (خطبنا النبي صلى الله عليه وسلم بمى، وهو على راحلته، ولعابها يسيل على كتفي) ابن حنبل، (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م)، حديث رقم (١٧٦٦٦). فهذا الحديث فيه دليل على طهارة لعاب الإبل، لأن النبي صلى الله عليه وسلم رأى اللعاب على عمرو بن خارجه رضي الله عنه ولم يأمره بغسله وهذا إقرار منه على ذلك الشيء، ويقاس عليه سائر بهيمة الأنعام وغيرها من الحيوانات الطاهرة في حال الحياة، بجامع العلة الواحدة، الجامع بينهما وبين البعير، ولأن لحومها حلال طاهرة فكذلك لعابها.

المسألة العاشرة: طهارة الخف في المسح عليه:

الخف هو ما يلبسه المسلم في الرجل من جلد ساتر للكعبين، ويكون هذا الجلد من حيوان مأكول اللحم، وقد ناسب الكلام عليه لكونه من الحيوان، وقد يستر ما فوقها، ويشترط في هذا الجلد أن يكون طاهراً في نفسه أي من جلد حيوان يباح أكله وإن كان من جلد ميت فلا بد أن يكون قد طهر بالدبغ، ومما يدل على جواز المسح على الخف من الجلد حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فتوضأ فأهويت لأنزع خفيه، فقال: (دعها فإني أدخلتها طاهرتين" فمسح عليهما) أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب إذا أدخل رجله في الخف وهما طاهرتان، حديث رقم (٢٠٦). وحديث على رضي الله عنه أنه قال: (لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه، وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح على ظاهر خفيه) أخرجه أبو داود، كتاب الطهارة، باب كيف المسح، حديث رقم (١٦٢). فهذه الأحاديث دليل على جواز المسح على الخفين المصنوعين من الجلد ويقاس عليهما ما يقوم مقامهما من الجوارب إذا توفرت فيها شروط المسح على الخفين.

المسألة الحادية عشر: الوضوء من لحوم الإبل:

يشرع لمن أكل لحم الغنم أن يتوضأ إن شاء وهو دليل على أن من أكل لحم الغنم وهو على وضوء فإن وضوءه لا ينتقض، أما من أكل لحم الإبل فإنه يشرع في حقه الوضوء وجوباً لأن الراجح من كلام العلماء وجوب الوضوء من لحم الإبل، لحديث جابر بن سمرة رضي الله عنهما أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم أتوضأ من لحوم الغنم؟ قال: (إن شئت، فتوضأ. وإن شئت، فلا تتوضأ) قال: (أتوضأ من لحوم الإبل؟) قال: (نعم. فتوضأ من لحوم الإبل) أخرجه أبو داود، كتاب الطهارة، باب كيف المسح، حديث رقم (١٦٢).

ففي هذا الحديث إباحة أكل لحم الغنم ولا يجب الوضوء منه لأن لحمها غير ناقض للوضوء، وحديث البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (توضؤوا من لحوم الإبل ولا توضؤوا من لحوم الغنم) أخرجه أبو داود، كتاب الطهارة، باب الوضوء من لحوم الإبل، حديث رقم (١٨٤).

ففي هذا الحديث دليل صريح في أن من أكل لحم الإبل وجب عليه الوضوء لأن لحم الإبل ناقض للوضوء على الراجح من كلام أهل العلم.

المسألة الثانية عشر: النهي عن الاستنجاء بالروث أو العظم:

الروث هي فضلات البهائم كالحمير والبقر ونحوها، والعظم ما حوله اللحم من لحوم الحيوانات المأكولة وغيرها، وقد جاء النهي من الشرع في الاستنجاء بها، إما لكونها رجس أو كونها طعام الجن كما وردت بذلك الأحاديث النبوية الشريفة منها حديث سلمان الفارسي - رضي الله عنه - قال: (لقد نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نستقبل القبلة بغائط أو بول أو نستنجي باليمين أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو عظم) أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب الاستطابة، حديث رقم (٢٦٢)، وحديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: (أتى النبي صلى الله عليه وسلم الغائط فأمرني أن أتبعه بثلاثة أحجار، فوجدت حجرتين ولم أجد ثالثاً، فأتيت به بروثة، فأخذها وألقى الروثة، وقال: هذا رجس أو ركس) أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب لا يستنجي بروث، حديث رقم (١٥٦)، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يستنجي بعظم أو روث وقال إنها إنهما لا يطهران) أخرجه الدارقطني، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م)، ص (٥٦/١)، ففي هذه النصوص دليل على النهي عن الاستنجاء بالروث والعظم، إما لكونها رجس وقذرة أو لكون العظم طعام الجن، والروث والعظم هو الشاهد في أن الحيوانات لها علاقة في الكلام على الطهارة من حيث نجاستها أو طهارتها.

أحكام الحيوانات الفقهية في الصلاة:

فيه يتناول الباحث تعريف الصلاة لغة وشرعاً وأحكام الحيوان الفقهية التي تتعلق بالصلاة في سبع مسألة على النحو التالي:

تمهيد: تعريف الصلاة لغة وشرعاً:

الصلاة: لغة: الدعاء، ومنه قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (التوبة، ١٠٣).

الصلاة شرعاً: أقوال وأفعال مخصوصة مفتتحة بالتكبير ومختتمة بالتسليم). (البسام، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، ١/٢٧٣).

المسألة الأولى: الصلاة على الراحلة:

الراحلة يطلق ويراد بها الإبل سواء كانت ذكر أو أنثى، فيجوز صلاة النافلة عليها سافراً كان أو حضراً ولو بلا عذر سواء كانت الصلاة على إبل أو حمار أو نحو ذلك، تسهلاً وتيسيراً لأداء النافلة وترغيباً في الإكثار منها، وهذا الجواز متعلق بالنافلة دون الفرض، فإن صلاة الفرض يجب صلاتها في الأرض مستقراً، وهذا من الاهتمام بأداء الفريضة وتعلق الحيوان بالصلاة النافلة عليها من حديث عامر بن ربيعة رضي الله عنه قال: (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على راحلته حيث توجهت به) أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب التوجه إلى القبلة حيث كان، حديث رقم (١٠٩٣)، وحديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كان إذا سافر وأراد أن يتطوع استقبل بناقته القبلة فكبر ثم صلى

حيث كان وجهه ركابه) أخرجه أبو داود، كتاب صلاة المسافرين، باب التطوع على الراحلة والوتر، حديث رقم (١٢٢٥)، وحديث ابن عمر رضي الله عنهما (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسبح على ظهر راحلته حيث كان وجهه، يومئ برأسه، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يفعلوه) أخرجه البخاري، كتاب الوتر، باب الوتر في السفر، حديث رقم (١١٠٥). فهذه النصوص تدل على جواز الصلاة على الحيوان أثناء سيره في النافلة خاصة، وهذا دليل على تعلق الحيوان بعبادة الصلاة.

المسألة الثانية: الصلاة في معاطن الإبل:

المعاطن جمع عطن وهي مبارك الإبل عند الماء، وما تقيم فيه وتأوي إليه، ومعاطن الإبل جاء النبي عن الصلاة فيها، لحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تصلوا في أعطان الإبل) أخرجه الترمذي، (١٩٩٦م)، حديث رقم (٣٤٩). ففي هذا الحديث دليل على منع الصلاة في معاطن الإبل، والنبي هنا صريح، والعلة في النهي لم يأتي تعليله، في العلة متعبد به، فلا نعقل حكمها ولا سرها، وما علينا إلا أن نقول سمعنا وأطعنا، فالواجب التسليم والانقياد والإيمان الصادق بأن الله تعالى لم يشرع للأمة شيئاً إلا له مصلحة ومنفعة وحكمة، قد تظهر وقد تخفى علينا.

المسألة الثالثة: قتل الحيوان في الصلاة:

إن الشريعة الإسلامية حرصت على المحافظة على الإنسان من الأذى والضرر لذا جاء في الشرع استحباب قتل الحية والعقرب ولو كان المسلم في صلاته، وكل ما يضر الإنسان من الحيوانات والهوام، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اقتلوا الأسودين في الصلاة: الحية والعقرب) أخرجه الترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء في قتل الحية والعقرب في الصلاة، حديث رقم (٩٢١)، والأمر بقتل هذين الأسودين ليس لذاتها وإنما هو لطبعها العدائي المؤذي، وعليه فيستحب قتل كل مؤذ، فمما هو ثابت شرعاً أن إيذاء النفس يوجب القتل، وفيه أيضاً أن الحركة اليسيرة في الصلاة مغتفرة ولا تبطل الصلاة، إذا كانت بهدف قتل هذه الهوام المؤذية قبل فوات فرصة قتلها. وعلى هذا، يُعدّ تعلق المصلي بقتل الحيوانات الضارة والمؤذية أثناء صلاته نوعاً من الانشغال المؤثر فيها.

المسألة الرابعة: ما يقطع الصلاة من الحيوانات.

إن الصلاة عبادة جليلة القدر فينبغي المحافظة عليها من كل ما قد يبطلها من العباد، وتبطل الصلاة أو تقطع بمرور المرأة والحصار والكلب الأسود، لثبوت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم، فمن بطلت صلاته بمرور واحد من الثلاثة فعلى المصلي إعادة صلاته، ولا يجوز أن يستمر فيها لأنها فسدت، ودليل ذلك حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا قام أحدكم يصلي، فإنه يستتره إذا كان بين يديه مثل مؤخرة الرحل، فإذا لم يكن بين يديه مثل آخرة الرحل، فإنه يقطع صلاته: الحمار والمرأة والكلب الأسود، قلت: يا أبا ذر ما بال الكلب الأسود من الكلب الأحمر من الكلب الأصفر؟ قال ابن أخي سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتني فقال: الكلب الأسود شيطان) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب قدر ما يستتر المصلي، حديث رقم (٥١٠).

ووجه الدلالة في الحديث أن الكلب والحمار والمرأة تقطع الصلاة، وأفاد بأن الكلب الذي يقطع الصلاة هو الكلب الأسود خاصة، لأنه شيطان فيحمل المطلق على المقيد، وأيضا تقيد المرأة بالحائض، في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يقطع الصلاة المرأة الحائض والكلب الأسود) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يقطع الصلاة، حديث رقم (٧٠٣).

والمراد بالمرأة الحائض التي بلغت الحيض فدل على أن الجواري الصغار لا يقطعن الصلاة.

المسألة الخامسة: النهي عن التشبه بالحيوانات في السجود.

نهى النبي صلى الله عليه وسلم المصلي أن يتشبه بالحيوانات في صلاته، فتارة ينهى عن عقبة الشيطان، وذلك بأن ينصب ساقيه وفخذه ويضع إيته بينهما على الأرض، فهذا هو إقعاء الكلب الذي يشبه الشيطان على مشابته ليذهب بهاء الصلاة وهيئتها الجميلة كما في الحديث الآتي، كما يُنهى أن يفترش المصلي ذراعيه بأن يضعها على الأرض، لما في هذه الهيئة من مشابة للسبع المؤذي المفترس حيثما يبسط ذراعيه على الأرض، إما مستجدياً للأكلين، وأما مترصباً متوثباً للغافلين، وجاء ذلك النهي في حديث عائشة رضي الله عنها وفيه (...وكان يفترش رجله اليسرى وينصب اليمنى وكان ينهى عن عقبة الشيطان، وينهى أن يفترش الرجل ذراعيه افتراش السبع، وكان يختم الصلاة بالتسليم) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يجمع صفة الصلاة وما يفتح به ويختم به، حديث رقم (٤٩٨)، وقول النبي صلى الله عليه وسلم (اعتدلوا في السجود ولا يبسط أحدكم ذراعيه انبساط الكلب). (أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب لا يفترش أحدكم ذراعيه في السجود، حديث رقم (٨٠٩)، ففي هذه النصوص النهي عن التشبه بالحيوانات في الصلاة لا سيما في الجلوس للتشهد والسجود بالألا يتشبه المصلي بالكلب في الإقعاء والسبع في الانبساط، وهذا يبين تعلق الحيوانات بالصلاة تشبهاً بها، لتنبيه المصلي بمراعاة الصفة الصحيحة للصلاة.

المسألة السادسة: نهى المصلي أن يبرك كالبعير.

أناط الشرع بالمصلي أن يصلي على صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم، كما قال: (صلوا كما رأيتموني أصلي...) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة وكذلك بعرفة وجمع، حديث رقم (٦٣١). إلا أن بعض الناس قد ينزل في سجوده متشبهاً بالبعير في بروكه، فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك، ففي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا سجد أحدكم فلا يبرك كما يبرك البعير وليدع يديه قبل ركبتيه) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب كيف يضع ركبتيه قبل يديه، حديث رقم (٨٤٠)، ففي هذا الحديث النهي عن التشبه بالبعير عند الهوى إلى السجود ففي هذا الحديث يتعلق الحيوان بالصلاة.

المسألة السابعة: صلاة الأوابين حين ترمض الفصال.

صلاة الأوابين هي صلاة الضحى سميت بذلك الاسم لأن الذين يصلون أبوا ورملوا إلى طاعة الله تعالى وعبادته حينما اشتغل الناس بتجارتههم وزروعهم ومتاعهم، ومال بعضهم إلى الراحة والدعة، فيأتي الأوابون بذكر الله تعالى وينقطعون عن كل مطلوب سواه، وقت هذا الصلاة حين ترمض الفصال وهي

احتراق خفاف أولاد الإبل وذلك عند ارتفاع الشمس وقت الضحى، لحديث زيد بن أرقم - رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (صلاة الأوابين حين ترمض الفصال) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة الأوابين حين ترمض الفصال، حديث رقم (٧٤٨).

وفي هذا الحديث تحديد وقت صلاة الضحى حين ترتفع الشمس وذلك باحتراق أرجل صغار الإبل فحينئذ يهرع الحريصين على صلاة الضحى لإدائها في هذا الوقت، فهذا دليل تعلق الحيوان بالصلاة.

أحكام الحيوان الفقهيّة في الزكاة والحج والجهاد.

أحكام الحيوان في الزكاة.

يتناول الباحث الأحكام الفقهيّة التي تتعلق بالحيوان من حيث زكاتها، والمقادير التي تُخرج منها الزكاة، ومقدار المُخرج منها، وذلك في ثلاثة مسائل على النحو التالي:

أولاً: تعريف الزكاة لغة وشرعاً

الزكاة لغة: (الزيادة والنماء والبركة، وبمعنى المدح والثناء والصلاة والطهارة حسية أو معنوية).

الزكاة شرعاً: (هي حق واجب في مال خاص لطائفة مخصوصة في وقت مخصوص)

ثانياً: أحكام الحيوانات الفقهيّة في الزكاة

المسألة الأولى: وجوب الزكاة في بهيمة الأنعام.

إن بهيمة الأنعام من الأموال التي تجب فيها الزكاة إذا كانت سائمة واستوفت الشروط التي تجب إخراج الزكاة فيها، وهي من الحيوانات التي تتعلق بها أحكام فقهيّة في الفقه الإسلامي وأدلة ذلك هي:

حديث أنس رضي الله عنه أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كتب له: (هذه فريضة الصدقة التي فرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين، والتي أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل أربع وعشرين من الإبل فما دونها الغنم، في كل خمس شاة، فإذا بلغت خمساً وعشرين إلى خمس وثلاثين ففيها بنت مخاض أنثى فإن لم تكن فابن لبون ذكر) وحيث معاذ بن جبل رضي الله عنه (أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه إلى اليمن، فأمره أن يأخذ من كل ثلاثين بقرة تبغ أو تبعة، وفي كل أربعين مُسِنَّةً) ففي هذه النصوص وغيرها دليل على وجوب الزكاة في بهيمة الأنعام السائمة وأن نصاب الإبل يبدأ من خمس، وفي البقر ثلاثين وفي الغنم أربعين، وأما الهائم التي ليس سائمة وهي العاملة و المعلوفة فليس فيها زكاة، وكذا الهائم من الإبل والغنم والبقر إذا لم تبلغ نصاباً فلا زكاة فيها.

المسألة الثانية: لا زكاة في الفرس والعوامل من الحيوان.

إن الفرس المعد للركوب لا تجب فيه الزكاة لأنه ليس معداً للنماء، وإنما الزكاة تجب في المال النامي، وكذلك البهيمة العاملة لا زكاة فيها لأنها أعدت للاستعمال في حرث الزرع أو سقيه أو حمل المتاع عليها، فلا زكاة فيها لأنها آلة عمل، وإنما الزكاة تكون في ثمرة عملها وإنتاجها وهو الخارج من الأرض والأدلة على ذلك في الآتي:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: (ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب ليس على المسلم في عبده صدقة، حديث رقم (١٤٦٤)، وحديث على رضي الله عنه

قال: (ليس في البقر العوامل صدقة) أخرجه أبو داود، كتاب الزكاة، باب في زكاة السائمة، حديث رقم (١٥٧٢)، ففي هذه النصوص بيان أن الفرس والبقر العوامل لا زكاة فيها لأنها لم تعد للنماء وإنما أعدت للحرث والركوب وحمل الأمتعة، ومن هنا يتضح للقارئ تعلق الحيوان بالزكاة وأن الله أوجب الزكاة في السائمة منها والمعدة للنماء والدر والنسل.

أحكام الحيوان الفقهية في الحج والعمرة:

أولاً: تعريف الحج والعمرة لغة وشرعاً:

الحج لغة: (القصد والزيارة والأتيان، وقيل القصد إلى مُعْظَم) (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ٣٢٣/٤).
الحج شرعاً: (قصد البيت الحرام، لأعمال مخصوصة في زمن مخصوص) (البسام، سنة النشر، ٢٦٥/٢).

العمرة لغة: (الزيارة، سميت بذلك لأن فيها عمارة الود، مأخوذة من الاعتمار، يقال: أعتمر فهو معتمر أي زار) (الفيروز أبادي، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، الصفحة).
العمرة شرعاً: (زيارة بيت الله الحرام، بإحرام وطواف، وسعي، دون الوقوف بعرفة) (محمد رواس، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ٢٩١).

المسألة الأولى: جواز الإحرام على الدابة من الحيوان وغيره.

الحج ركن الإسلام الخامس وقد أحرم النبي صلى الله عليه وسلم بالحج من ذي الحليفة بعد أن ركب ناقته القصواء عند المسجد وصعد به ناقته إلى البداء، كما في حديث جابر رضي الله عنهما قال: (ثم ركب القصواء حتى إذا استوت به على البداء أهل بالتوحيد) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب التحميد والتسبيح والتكبير قبل الإهلال عند الركوب على الدابة، حديث رقم (١٥٥١)، وفي الحديث تحديد ابتداء إهلال النبي صلى الله عليه وسلم بالحج وأنه عندما استهلت به ناقته عند البداء، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (إني لأعلم الناس بذلك، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجاً، فلما صلى بمسجده بذى الحليفة ركعتين أوجب في مجلسه فأهل بالحج حين فرغ من ركعتيه، فسمع منه أقوام، فحفظوا عنه، ثم ركب فلما استقلت به ناقته أهل، فأدركه أقوام حفظوا منه، وذلك أن الناس إنما كانوا يأتون إرسالا، ثم مضى فلما علا على شرف البداء أهل فأدرك أقوام، وأيم الله لقد أوجب في مصلاه، وأهل حين استقلت به راحلته، وأهل حين علا على شرف البداء) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب التحميد والتسبيح والتكبير قبل الإهلال عند الركوب على الدابة، حديث رقم (١٥٥١)، في هذا الحديث بيان تعلق الحج بالحيوان من حيث إهلال النبي صلى الله عليه وسلم على ناقته القصواء، وفيه تحديد مكان الإهلال بالحج لأهل المدينة النبوية ومن جاء من جهتها، وفيه مشروعية التلبية عند الدخول في الإحرام ورفع الصوت به، وأن الإحرام أول عمل يبدأ به لمن أراد الحج والعمرة، وهذا كتكبير الإحرام لمن أراد الصلاة.

المسألة الثانية: تحريم الصيد على المُحْرِم.

يَحْرُمُ على المُحْرِمِ بالحج أو العمرة أن يصطاد لأنه متلبس بعبادة والصيد يتنافى ذلك، بل ولا يعين على الصيد بدلالة أو إشارة أو مناولة سلاح أو غير ذلك مما يعين على قتله أو إمساكه، ودليل ذلك

حديث أبي قتادة - رضي الله عنه - في قصة صيده الحمار الوحشي ، وهو غير محرم قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه وكانوا محرمين : (هل منكم أحد أمره أو أشار إليه بشيء قالوا لا ، قال فكلوا ما بقي من لحمه) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب لا يعين المحرم الحلال في قتل الصيد، حديث رقم (١٨٢٤)، وكذلك حديث الصعب بن جثامة الليثي - رضي الله عنه - أنه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم حماراً وحشياً وهو بالأبواء أو بؤدان ، فردّه عليه وقال : (إنا لم نرده عليك إلا أنّا حُرّم) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب تحريم الصيد للمحرم، حديث رقم (١١٩٣). في هذه النصوص دليل على جواز أكل لحم الحمار الوحشي، وأنه من الصيد بخلاف الحمار الأهلي فإنه رجب محرم، كما في ذلك دليل على جواز أكل المُحرّم الصيد مما صاده الحلال إن لم يكن قد صاده لأجله، وفيها أيضاً تحريم الصيد على المُحرّم وألا يدل عليه والإشارة إليه، وذلك للمبالغة في بعده ما يشغله عن العبادة، وكذلك البعد عن كل اعتداء أو أذى لغيره، ثم إن الصيد من اللّهُو المرغوب فيه عند كثير من الناس، يحرم على المُحرّم ممارسته والاشتغال به عن طاعة الله في حال الإحرام.

المسألة الثالثة: قتل الفواسق من الحيوانات.

يُشرع قتل الفواسق من الحيوانات المؤذية ولو للمُحرّم بالحج والعمرة، كالعقرب والجِدأة والغراب والفأرة والكلب العقور ونحوها لحديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خمس من الدواب كلهن فواسق يُقتلن في الجِل والحرم): "العقرب والجِدأة والغراب والفأرة والكلب العقور) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب ما يندب للمحرم وغيره قتله من الدواب في الحل والحرم، حديث رقم (١٨٢٩)، ففي هذا الحديث جواز قتل الحيوانات المؤذية والحشرات أخذاً من معنى الحديث الذي أباح قتلهم من أجل فسقهن وقد نص على بعضها.

وكذلك يجوز قتل القمل المؤذي في الرأس وذلك بحلق شعر الرأس ولو كان الإنسان على الإحرام بالحج والعمرة لرفع الضرر عن المسلم الذي أؤذي بالقمل ونحوه، كما في حديث كعب بن عمرة - رضي الله عنه - قال: حملت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقمل يتناثر على وجهي فقال: (ما كنت أرى الوجد بلغ بك ما أرى أتجد شاة؟ قلت: لا، قال: فصم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع) أخرجه الترمذي، كتاب الحج، باب ما جاء في المحرم يحلق رأسه في إحرامه ما عليه، حديث رقم (١٨١٦)، فالحديث يفيد جواز قتل القمل بحلق الشعر للمُحرّم مع الضرر ببقائه ويفيد فإنه لم يسأله عن قدرته على الفدية إلا ليأذن بالحلق، كما صرح في الرواية الأخرى، ففي هذا تعلق الحيوانات بفقه الحج والعمرة، وحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : (لما فتح الله على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين، وإنها لم تحل لأحد كان قبلي، وإنما أُجِلَّت لي ساعة من نهار، وإنها لن تحل لأحد بعدي، فلا يُنقَرُ صيدها) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها إلا لمنشد على الدوام، حديث رقم (١٣٥٥). ففي هذا الحديث بيان تحريم قتل الصيد فيها أو تنفيرها وفي ضمن ذلك جواز قتل ما يؤذي،

فإن كان يجوز إقامة العدل بقتل القاتل فيها، فلذلك يجوز قتل الفواسق من الحيوانات فيها من باب أولى وأحرى.

المسألة الرابعة: الخطبة في الحج على الدابة.

إن الوقوف بعرفة ركن من أركان الحج ولا بد للحاج أن يقف فيها ولو جزءاً من الليل، وفيها خطبة يعظ فيها الإمام المسلمين الذين أقبلوا إلى بيت الله الحرام لأداء الحج، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد خطب الناس في حجة الوداع يذكر الناس بعظم هذا اليوم والدعاء فيه، وكان النبي صلى الله عليه وسلم على ناقته القصواء، كما في حديث جابر - رضي الله عنه - : (فلما كان يوم التروية توجهوا إلى منى، وركب النبي صلى الله عليه وسلم فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس، فأجاز حتى أتى عرفة فوجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها، حتى إذا زالت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له، فأتى بطن الوادي، فخطب الناس، ثم أذن ثم أقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئاً، ثم ركب حتى أتى الموقف، فجعل بطن ناقته القصواء على الصخرات، وجعل حبل المشاة بين يديه واستقبل القبلة فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس وذهبت الصفرة قليلاً حتى غاب الفُرسُ ورفع، وقد شق للقصواء الزمام حتى أن رأسها ليصيب مورك رجله، ويقول بيده اليمنى: (أيها الناس السكينة، السكينة) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب صفة الحج ودخول مكة، حديث رقم (١٢١٨)، ففي هذا الحديث تعلق الحيوان بالحج إذ خطب النبي صلى الله عليه وسلم الناس في عرفة وهو راكب ناقته القصواء، ففيه دليل على جواز الحج راكباً على الدابة من الحيوان وغيره، وأيضاً خطبته على ناقته القصواء ليراه الناس وهو يخطبهم فيسمعهم ويبين لهم أحكام هذا الدين الحنيف.

المسألة الخامسة: نحر وذبح الهدي بمنى.

يشرع للحاج القارن والمتمتع أن يقدم هدياً إلى البيت الحرام إتماماً لحجه وأن ذلك واجب عليهما، ويستحب نحر الهدي أو ذبحه بمنى تأسياً برسول الله صلى الله عليه وسلم كما فعل ذلك في حجة الوداع، لحديث جابر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (نحرت هاهنا ومنى كلها منحرّ فانحروا في رحالكُم، ووقفت هنا وعرفة كلها موقف، ووقفت هنا وجمع كلها موقف) أخرجه أبو داود، كتاب المناسك، باب الصلاة بجمع، حديث رقم (١٩٣٨)، ففي هذا الحديث دليل على استحباب نحر الهدي أو ذبحه في منى، والمراد به دم التمتع والقران والتطوع بهدي الحج، فهذا دليل على تعلق الحج بالحيوان الذي يهدي إلى بيت الله الحرام.

وحديث جابر - رضي الله عنهما - قال: (أن النبي صلى الله عليه وسلم نحر ثلاثاً وستين وأمر علياً - رضي الله عنه أن يذبح الباقي ...) أخرجه أبو داود، كتاب المناسك، باب من نحر الهدي بيده واستعان بغيره، حديث رقم (١٢١٨).

ففيه دليل على صحة التوكيل في ذبح الهدي ونحرها وكذا الأضاحي وتفريغ لحومها وجلودها على المساكين.

المسألة السادسة: رخصة لرعاة الإبل بعدم المبيت بمزدلفة ومنى.

إن المبيت بمزدلفة من واجبات الحج ومجاوزتها بغير عذر شرعي يوجب الدم وكذلك المبيت بمنى أيام التشريق ، وقد رخص النبي صلى الله عليه وسلم للعباس - رضي الله عنه - ورعاة الإبل أن يدفعوا من مزدلفة ومن منى ولا يلزموا بالمبيت فيها لعذرهم أما كونهم سقااة البيت أو رعاة الهدي من الإبل ونحو ذلك للأحاديث الآتية : حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - (أن العباس بن عبد المطلب - رضي الله عنه - استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيت بمكة ليالي منى ، من أجل سقايته ، فأذن له) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب هل يبيت أصحاب السقاية أو غيرهم بمكة ليالي منى، حديث رقم (١٦٣٤).

وحديث عاصم بن عدي - رضي الله عنه - (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص لرعاة الإبل في البيوتة عن منى يرمون يوم النحر، ثم يرمون الغد ومن بعد الغد اليومين ثم يرمون يوم النحر) أخرجه أبو داود، كتاب المناسك، باب يبيت بمكة ليالي منى، حديث رقم (١٩٧٥).
ففي هذا الحديث الرخصة لرعاة الإبل بعدم المبيت بمنى بسبب انشغالهم برعاية الإبل وكذا أصحاب البقر والغنم المتعلق بهدي الحج وفي هذا إشارة إلى تعلق الحيوان بأعمال الحج والعمرة على سواء.

المسألة السابعة: نحر وذبح الهدي في الحج والعمرة.

الهدي هو ما يذبح إلى البيت الحرام من بهيمة الأنعام تقرباً إلى الله تعالى، لمن حج متمتعاً أو قارناً أو أدى عمره، وهو واجب لمن لم يكن حاضري المسجد الحرام وهو دم نسك لا جبران لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ...﴾ (البقرة: ١٩٦).

وقد منعت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم من أداء عمرته يوم الحديبية فصالحهم على أن يرجع عنهم ذلك العام، ويعود من قابل، فتحلل بالحلق التحلل الكامل ونحر هديه وأمر بذلك أصحابه، لحديث ابن عباس - رضي الله عنه - قال: (قد أحصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلق رأسه وجامع نساءه ونحر هديه حتى اعتمر عاماً قابلاً) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب إذا أحصر المعتمر، حديث رقم (١٨٠٩). فيه دليل على أن من أدى نسك الحج أو العمرة أو أحصر عن الحج أو العمرة نحر وذبح هديه من بهيمة الأنعام، فتعلق الحيوان بالحج والعمرة هنا ظاهر في الهدي إلى البيت الحرام.

أحكام الحيوان الفقهيية في الجهاد.

يتناول الباحث الكلام على أحكام الحيوان الفقهيية في الجهاد في سبيل الله، وذلك في أربع مسائل على النحو التالي:

المسألة الأولى: تعريف الجهاد.

الجهاد لغة: (بذل الجهد والوسع والطاقة، من الجهد بمعنى الوسع، أو بمعنى الجهد أي المشقة وكلا المعنيين في الجهاد). ابن الأثير، ص (٣١٩/١).
الجهاد شرعاً: (هو بذل الجهد من المسلمين في قتال الكفار المعاندين المحاربين والمرتدين والبغاة ونحوهم) ابن قاسم، (١٣٩٧ هـ) ص (٢٥٣/٤).

المسألة الثانية: الحمل على الفرس في سبيل الله.

يُشرع الحمل على الدواب في سبيل الله تعالى لأجل نيل أعلى الدرجات والحسنات، فمن حمل على فرس أو غيره فوجد فرسه في السوق ممن أهدى له أو تصدق به عليه ويريد بيعه فلا يصح من المتصدق أو المهدي أن يرجع في هبته أو صدقته، لحديث عمر رضي الله عنه قال: (حملت على فرس في سبيل الله، فأضاعه صاحبه، فظننت أنه بائعه برخص، فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال: (لا تبتعه وإن أعطاك إياه بدرهم) أخرجه البخاري، كتاب الهبة، باب لا يحل لأحد أن يرجع في هبته وصدقته، حديث رقم (٢٦٢٣)، ففي الحديث أنه لا ينبغي للواهب أو المتصدق أن تتعلق نفسه بما وهب وأعطى أو تصدق به، فهو من الترفع والتزهر المحمود، وهو من الخلق الكريم، كما في الحديث فضل الحمل في سبيل الله تعالى - الخيل في نواصبها الخير لبركتها، كما في حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الخير في نواصبها الخير إلى يوم القيامة) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الخيل معقود في نواصبها الخير، حديث رقم (٢٨٤٩). وفي هذه الأحاديث دليل على ركوب الدواب من الحيوان وغيره في الجهاد في سبيل الله وأن من أهدى أو تصدق بدابة فلا يجوز الرجوع عما أهداه أو تصدق به ولا يبتعاه للنهي الوارد في ذلك، وبهذا يعلم تعلق الحيوان بالجهاد في سبيل الله.

المسألة الثالثة: السبق بين الخيل.

السبق نوع من أنواع التدريب على القتال استعداداً للجهاد في سبيل الله تعالى فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يسابق بين الخيل، لا سيما المضمرة منها لخفها وإعدادها للقتال، لحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: (سابق رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الخيل التي أضمرت، فأرسلها من الحفيا التي كان أمدها ثنية الوداع، فقلت لموسى فكم كان بين ذلك قال: ستة أميال أو سبعة وسابق بين الخيل التي لم تضمم فأرسلها من بين ثنية الوداع وكان أمدها مسجد بني زريق، فقلت كم بين ذلك؟ قال: ميل أو نحوه، وكان ابن عمر رضي الله عنه ممن سابق فيها) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب غاية السبق للخيل المضمرة، حديث رقم (٢٨٧٠).

وفي هذا الحديث دليل على التدريب على الخيل للقتال في سبيل الله، كما منعت الشريعة الإسلامية بتعليق الجرس في أعناق الدواب اعتقاد دفع الضر عنها وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، كما في حديث أبي بشر الأنصاري رضي الله عنه أنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره قال عبد الله حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: والناس في مبيتهم فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولاً: (ألا لا يبقين في رقبة بغير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في الجرس ونحوه في أعناق الإبل، حديث رقم (٣٠٠٥)، وفي هذا الحديث التأكيد على عدم الاعتقاد في الجرس وما يعلق على البهائم رجاء البركة أو لدفع ضر أو جلب منفعة، وفي هذا حماية النبي صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وذلك بمنع تعليق الجرس على الحيوانات.

المسألة الرابعة: الحيوانات تكون من الغنائم.

أحلت الغنائم لهذه الأمة دون غيرها من الأمم لخيرية هذه الأمة وتكون من الغنائم الحيوانات، فمن ذلك ما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية فيها عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قبل نجد فغنموا إبلاً كثيرة فكانت سهامهم اثنا عشر بغيراً أو أحد عشر بغيراً ونُقِلوا بغيراً بغيراً) أخرجه البخاري، كتاب فرض الخمس، باب ومن الدليل على أن الخمس لنواب المسلمين، حديث رقم (٣١٣٤). وفي هذا الحديث دليلاً على أن الهائم والحيوانات تكون من الغنائم لأنها أموال تؤخذ من أهل الكفر الذين قاتلهم المسلمين إعلاء لكلمة الله سبحانه وتعالى ورفعاً للظلم عن الناس ودعوة إياهم لدين الإسلام.

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين الذي وفقني لكتابة هذا البحث المتواضع سائلاً الله تعالى أن يتقبله مني وأن يجعله نافعاً مفيداً للكاتب والقارئ وقد توصلت بعد هذا الجهد لأهم النتائج والتوصيات التالية:

النتائج:

- ١- أن الحيوان ككائن حي يتعلق به أحكام فقهية كثيرة جداً خفيت على كثير من المسلمين وهي متناثرة في بطون الكتب مما يتطلب الكشف عنها.
- ٢- من الهائم والحيوانات ما هي طاهرة لا تنجس ويحل أكلها والانتفاع بها.
- ٣- من الحيوانات ما حرّمها الشريعة الإسلامية لنجاستها وقذارتها وحرمت أكلها وكذا الانتفاع بها كالسباع وذوات الأنياب.
- ٤- الانتفاع بجلود الميتة مأكولة اللحم بعد دبغها لأنها تطهر بذلك.

التوصيات:

- ١- أوصى الباحث بمزيد الكتابة في شأن الحيوان وأحكامه في الفقه الإسلامي.
- ٢- القيام بأحكام الحيوان على الوجه الشرعي الذي يعطي الحيوان حقه كاملاً.
- ٣- شكر الله تعالى على ما أنعم علينا من الحيوانات النافعة في الركوب والحمل عليها والانتفاع بجلدها ولبنها وبرها وشعرها.

المصادر والمراجع

القران الكريم

- ١- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (١٤٤٠هـ - ٢٠١٩)، تنبيه الرجل العاقل على تمويه الجدل الباطل، دار عطاءات العلم، الرياض، السعودية، ط٣.
- ٢- ابن حبان، الناشر دار ابن حزم (١٤٣٣هـ - ٢٠١١م)، المسند، بيروت، لبنان، ط١.
- ٣- ابن منظور، حمد بن مُكْرَم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور (١٤١٤هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط٣.
- ٤- البخاري، محمد بن إسماعيل (١٤١٩هـ - ١٩٨٨م)، الجامع الصحيح، طبعة بيت الأفكار الدولية للنشر، الرياض، السعودية، ط١.

- ٥- البسام، عبد الله بن عبد الرحمن البسام (١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، السعودية، ط٥.
- ٦- الترمذي، للإمام محمد بن عيسى الترمذي (١٩٩٦م) الجامع الكبير. دار العرب، بيروت، لبنان، ط١.
- ٧- الجزري، للأمام مجد الدين المبارك بن محمد الجزري (د.ت) النهاية في غريب الحديث والأثر، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان
- ٨- الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م)، مختار الصحاح، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، لبنان، ط٢.
- ٩- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، رؤوس المسائل، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ط١.
- ١٠- السجستاني، للإمام سليمان بن الأشعث (١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م) سنن أبي داود، دار الرسالة العالمية، بيروت، لبنان، ط١.
- ١١- الشافعي، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار بن عبد الله البغدادي الشافعي (١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م)، سنن الدارقطني، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١.
- ١٢- العاصمي، عبد الرحمن بن القاسم (١٣٩٧هـ) حاشية الروض المربع على زاد المستقنع، الرياض، السعودية، ط١.
- ١٣- العثيمين، محمد بن صالح العثيمين (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م) مجموعة فتاوي، مطبعة دار الثريا للنشر، الرياض، السعودية، ط١.
- ١٤- العثيمين، محمد بن صالح العثيمين (١٤٢٢هـ) الشرح الممتع على زاد المستقنع، طبعة دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط١.
- ١٥- الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
- ١٦- الفيروز آبادي، مجد الدين أبوطاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م)، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، ط٨.
- ١٧- القزويني، أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه الربيعي (بالولاء) القزويني (١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م)، سنن ابن ماجه، دار الرسالة العالمية، بيروت، لبنان، ط١.
- ١٨- قلعه جي، محمد رواس قلعه جي (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م)، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للنشر والطباعة، بيروت لبنان، ط٢.
- ١٩- الشيباني، أحمد بن حنبل (١٤٢١هـ-٢٠٠١م)، طبعة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١.
- ٢٠- مجموعة من المؤلفين (١٤٢١هـ)، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، الرياض، السعودية، ط١.

- ٢١- النسائي، أحمد بن شعيب النسائي (١٤٢١هـ-٢٠٠١م)، السنن الكبرى، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١.
- ٢٢- النيسابوري، للإمام مسلم ابن الحجاج (١٣٧٤هـ-١٩٥٥م)، الجامع الصحيح، مطبعة عيسى الحلبي وشركاءه، القاهرة، مصر، ط١.
- ٢٣- النيسابوري، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، (١٤٣٩هـ-٢٠١٨م)، المستدرک علی الصحيحین، دار الرسالة العالمية، بيروت، لبنان، ط١.

أثر تطبيق نظام القيمة العادلة على جودة المعلومات المحاسبية (دراسة تطبيقية على بنك أم درمان الوطني 2025)

د. محمد بخيت محمد علي^(*)

المستخلص

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على العلاقة بين تطبيق نظام القيمة العادلة ودقة وموثوقية وملائمة المعلومات المحاسبية في المصارف السودانية، تتمثل أهمية الدراسة في إثراء المكتبات العلمية وزيادة الجانب النظري للقيمة العادلة ومن الناحية العملية المساهمة في إفادة الشركات والجهات ذات الصلة ومتخذي القرار في تطبيق نظام القيمة العادلة الذي يساهم في تحسين جودة المعلومات المحاسبية، تتمثل مشكلة الدراسة في الآتي: ما هو أثر تطبيق نظام القيمة العادلة على دقة وموثوقية وملائمة المعلومات المحاسبية؟ اتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي وتكون مجتمع الدراسة من موظفي بنك أم درمان الوطني، من أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة: أن تطبيق نظام القيمة العادلة يساعد في تحسين دقة المعلومات المحاسبية، تطبيق نظام القيمة العادلة له تأثير كبير على سرعة إعداد التقارير المالية، قياس الأصول والالتزامات بالقيمة العادلة يوفر معلومات ملائمة للمستثمرين والدائنين، تساهم القيمة العادلة الاصطناعية في تقليل الأخطاء البشرية في البيانات المحاسبية، تطبيق نظام القيمة العادلة يسمح للمنشآت بالإفصاح عن القيمة الحقيقية لوضع المنشأة المالي، يساعد استخدام القيمة العادلة على تسريع الرقابة الداخلية والامتثال للوائح والقرارات المالية، يساعد تطبيق نظام القيمة العادلة على تحسين القدرة على التنبؤ بالأداء المالي المؤسسة.

الإطار النظري:

المقدمة:

نتيجة للتطور الاقتصادي الهائل التي شهدتها العقود الأخيرة وتمثل ذلك في نظام العولة، سيطرة اقتصاد السوق وانتشار نظم تكنولوجيا المعلومات، تطور أسواق المال، ظهور الأدوات المالية والمخاطر المصاحبة لها وأثر ذلك على مهنة المحاسبة من خلال الانتقادات الموجهة للمعلومات المحاسبية بالقصور عن إظهار الوضع المالي الحقيقي للمنشآت مما يفقد التقارير المالية أهميتها، واجهت مهنة المحاسبة في اختيارها لنموذج القياس المناسب لتسجيل العمليات المالية تحديات كبيرة حيث أن القياس المحاسبي يعتبر من أكثر المشاكل المحاسبية التي أثارت الجدل حولها قديماً وحديثاً. ومن المعلوم أن أساليب القياس التي تضمنتها الفروض والمبادئ المحاسبية المقبولة والمتعارف عليها المحلية والدولية متعددة. وأدى كثرة الخيارات أو البدائل التي تسمح باتباعها في قواعد القياس إلى آثار سلبية تحد من قابلية البيانات المالية للمقارنة. تبنت هذه الدراسة الجهود التي قام بها واضعي

(*) أستاذ المحاسبة المشارك جامعة كرري. كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية

المعايير المحاسبية الدولية لحل مشكلة القياس باستخدام نموذج القيمة العادلة والتي يمكن القبول بها كبديل لنموذج التكلفة التاريخية. طريقة القيمة العادلة كمقياس محاسبي للتعبير عن خصائص المعلومات المحاسبية كالملائمة والمصادقية والتي تساعد مستخدمي المعلومات على اتخاذ القرارات السليمة دار حولها جدل كبير، إذ فتحت افاقا جديدة نحو إعادة النظر في طريقة التكلفة التاريخية وجهت لها الانتقادات لعجزها عن مواكبة التغيرات الاقتصادية بسبب التضخم الذي يحدث في الأسعار من وقت الى اخر. وأن الاستمرار في تطبيق هذا المقياس سيؤدي الى تضليل مستخدمي القوائم المالية المنشورة لعدم قدرتها على تزويدهم بالمعلومات المالية الصحيحة التي تساعد على اتخاذ القرارات.

مشكلة البحث:

تطبيق نظام القيمة العادلة يتطلب توفر المناخ المناسب والعوامل المساعدة على تطبيقه بشكل سليم، إضافة الى تحدي العوائق والصعوبات المتعلقة به ونظرا لما يتميز به التقييم المحاسبي بالقيمة العادلة من متطلبات مختلفة ومعقدة على عكس التكلفة التاريخية التي اعتادها المحاسبون، فيظهر التحدي بالنسبة للمؤسسات في مشكلة تطبيق نظام القيمة العادلة ويتلخص ذلك في الإجابة عن التساؤلات الآتي:

ما هو أثر تطبيق نظام القيمة العادلة علي دقة المعلومات المحاسبية؟

ما هو أثر تطبيق نظام القيمة العادلة على موثوقية المعلومات المحاسبية؟

ما هو أثر تطبيق نظام القيمة العادلة على ملائمة المعلومات المحاسبية؟

اهمية البحث

تتمثل أهمية الدراسة في اثراء المكتبات العلمية وزيادة الجانب النظري للقيمة العادلة من الناحية العلمية بينما من الناحية العملية المساهمة في افادة الشركات والجهات ذات الصلة ومتخذي القرار في اتباع السبل والخطوات لتطبيق نظام القيمة العادلة التي تساهم في تحسين جودة المعلومات المحاسبية.

أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة الى:

١. التعرف على الإطار النظري الذي يوضح ويبرر القياس باستخدام القيمة العادلة حسب المعايير المحاسبية الدولية.

٢. التعرف على جودة المعلومات المحاسبية.

٣. التعرف على أثر تطبيق نظام القيمة العادلة علي جودة المعلومات المحاسبية.

فرضيات البحث:

الفرضية الأولى: هنالك علاقة ذات دلالة إحصائية بين نظام القيمة العادلة ودقة المعلومات المحاسبية.

الفرضية الثانية: هنالك علاقة ذات دلالة إحصائية بين نظام القيمة العادلة وموثوقية المعلومات المحاسبية.

الفرضية الثالثة: هنالك علاقة ذات دلالة إحصائية بين نظام القيمة العادلة وملائمة المعلومات المحاسبية.

منهجية الدراسة.

اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي وفي الدراسة الميدانية تم جمع البيانات الأولية باستخدام استبانة صممت لهذه الغرض.

الدراسات السابقة:

دراسة على (2021):

تمثلت مشكلة الدراسة في السؤال الرئيسي التالي: ما هو أثر القياس والإفصاح المحاسبي على أساس القيمة العادلة على اتخاذ القرار الاستثماري في ظل تحسين جودة التقارير المالية للبنوك العاملة في نبالا ؟، هدفت الدراسة للوقوف على مدى تأثير كل من القياس والإفصاح المحاسبي على أساس القيمة العادلة في جودة التقارير المالية مع التعرف على أثر جودة التقارير المالية في اتخاذ القرار الاستثماري، ومن ثم إبراز دور القياس والإفصاح المحاسبي على أساس القيمة العادلة في اتخاذ القرار الاستثماري، توصلت الدراسة إلى مجموعة نتائج أهمها: لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين القياس والإفصاح المحاسبي على أساس القيمة العادلة والموثوقية، هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين القياس والإفصاح المحاسبي على أساس القيمة العادلة والملائمة، هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين القياس والإفصاح المحاسبي على أساس القيمة العادلة واتخاذ القرار الاستثماري. من أهم توصيات الدراسة تمثلت في ضرورة متابعة المنشآت والمؤسسات المصرفية في مدى تطبيق موجبات حوكمة الشركات، والعمل على زيادة الوعي بمحاسبة القيمة العادلة مع الالتزام بتبني المعايير الدولية للقيمة العادلة

دارسة (بن وأذينة بوحفص. ٢٠٢٠)

هدفت هذه الدراسة الى معرفة مدى توفر متطلبات تطبيق محاسبة القيمة العادلة في بيئة الأعمال الجزائرية، من خلال استقصاء عينة من ممارسي مهنة المحاسبة وهم: الخبراء المحاسبين، محافظي الحسابات، المحاسبين المعتمدين بالإضافة الى المحاسبين الرئيسيين في المؤسسات الاقتصادية. لقد توصلت الدراسة الى انه هناك رغبة من ممارسي مهنة المحاسبة للتحويل عن التكلفة التاريخية والانتقال الى طريقة قياس بديلة، الا ان بيئة الأعمال الجزائرية لا تتوفر على متطلبات تطبيق القيمة العادلة وهذا هو العائق الأساسي أمام تطبيقها على الجزائر. وفي الأخير توصي الدراسة وفي ظل تسارع التحولات الاقتصادية وتطور وانفتاح الأسواق المالية الدولية إلى ضرورة النهوض ببيئة الاعمال الجزائرية بمختلف مكوناتها وجعلها محفزة ومساعدة لتطبيق المعايير المحاسبية الدولية وعلى رأسهم القيمة العادلة.

دراسة (السرطاوي & حسان ٢٠١٩ م)

تمثلت مشكلة الدراسة في السؤال الرئيسي التالي: ما هو أثر التحديات التي تواجه مدققي الحسابات في فلسطين عند القياس بالقيمة العادلة. هدفت هذه الدراسة إلى تحديد أولوية التحديات التي

تواجه مدققي الحسابات عند القياس بالقيمة العادلة وكذلك كشف مدى تأثر مخاطر التدقيق المتأصلة بتقديرات تقييم القيمة العادلة وكذلك إثارة مناقشات حول مدى موثوقية أدلة التدقيق المتعلقة بالقيمة العادلة حيث استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي في الجانب التطبيقي إضافة إلى المنهج الاستقرائي لاختبار فرضيات الدراسة. قد توصل الباحثان إلى: أن أكبر تحد يواجهه مدققي الحسابات في تدقيق تقديرات القيمة العادلة هو نقص الاطلاع على التعديلات والتحديثات الأخيرة لمعايير التدقيق الدولية الخاصة بالتقديرات المحاسبية للقيمة العادلة وقل التحديات تأثيراً هو عدم تعاون الإدارة مع المدقق. من أهم التوصيات التالية: أهمية العمل على توفير أسس محددة ونماذج واضحة لقياس القيمة العادلة لتقليل من الاعتماد على الحكم الشخصي. استخدام المدقق لنماذج القياس نفسها المستخدمة من قبل الإدارة. ضرورة بقاء المدققين على اطلاع بأخر المستجدات الحاصلة في معايير التدقيق الدولية خاصة الخاصة بالقيمة العادلة.

دراسة (Acheampong, Akenten, Agyemang, 2018 م)

Fair Value Accounting: Implementation Challenges Facing Small and Medium Sized Entities in the Agricultural Sector—

هدف الباحث من خلال هذه الدراسة إلى معرفة تحديات ومعوقات تنفيذ محاسبة القيمة العادلة التي تواجه المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في القطاع الزراعي باعتباره أهم قطاع في غانا. وللوصول لهذه الأهداف استخدم الباحث أداة الاستبانة موزعة على مجتمع دراسة وبلغ عدد الاستبيانات القابلة للمعالجة ٣٠ استبانة. وتوصل الباحث إلى مجموعة من النتائج أهمها: أثبتت الدراسة أن المعيار الدولي لإعداد التقارير المالية رقم ١٣ معقد، وبالتالي يصعب تطبيقه على مستوى الشركات الصغيرة والمتوسطة في القطاع الزراعي في غانا. لقد ثبت بوضوح من العينة أن التعليم الأكاديمي لا يركز على المعايير الدولية للإبلاغ المالي. لا يوجد تدريب وثقافة كافيين لموظفي المحاسبة لتنفيذ المعايير الدولية للإبلاغ المالي في القطاع الزراعي في غانا، وتكاليف تنفيذ المعايير الدولية لإعداد التقارير المالية مرتفعة. أثبتت الدراسة أن هناك عدم وجود علاقة منهجية بين القوانين المحلية القائمة في بيئة الأعمال الغانية والمعايير الدولية للإبلاغ المالي، وغياب إشراك الهيئات التنظيمية في وضع معايير إعداد التقارير المالية.

دراسة إبراهيم (2016م):

هدفت الدراسة إلى التعرف على نماذج القياس المحاسبي للقيمة العادلة التي تمكن من قياس القيمة الحقيقية للأسهم العادية، ودراسة العلاقة بين القيمة العادلة للأسهم العادية وجودة المعلومات المحاسبية، تمثلت مشكلة الدراسة في ضعف كفاءة سوق الخرطوم للأوراق المالية مما لا يمكن تطبيق نماذج قياس القيمة العادلة حسب المعايير الصادرة من المنظمات المهنية، وبالتالي اللجوء إلى استخدام نماذج قياس بديلة لقياس القيمة العادلة للأسهم العادية، توصلت الدراسة إلى نتائج منها، يمكن قياس القيمة الحقيقية العادلة للأسهم العادية باستخدام نماذج القياس المحاسبي للقيمة العادلة، وقياس القيمة العادلة للأسهم العادية يوفر معلومات محاسبية ملائمة تعكس حقيقة أداء

الوحدات الاقتصادية، أوصت الدراسة بعد اعتماد المستثمرين بصورة كلية على القيمة السوقية للأسهم العادلة لأن السوق لا يعكس كل الحقائق، وأن تفصح إدارات البنوك عن القيمة العادلة للأسهم العادية ضمن ملحقات القوائم المالية.

دراسة اسماعيل (٢٠١٦م):

هدفت الدراسة إلى التعرف على مفهوم القيمة العادلة وكيفية قياسها وعلاقتها بملائمة المعلومات المحاسبية وترشيد القرارات الاستثمارية، تمثلت مشكلة الدراسة في التساؤلات التالية: ما أثر تطبيق القياس المحاسبي وفق القيمة العادلة على ملائمة المعلومات المحاسبية، ما علاقة المعلومات المحاسبية الملائمة بترشيد القرارات الاستثمارية، استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي معتمدة على المصادر الثانوية والأولية، توصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها، تصحح المعلومات المحاسبية المعدة وفق القيمة العادلة التوقعات السابقة لمتخذ القرار، وأن المعلومات المحاسبية الملائمة التي توفرها القيمة العادلة تساعد المستثمر في تقدير التدفقات النقدية لقراره الاستثماري، كذلك يعتمد المستثمر على المعلومات المحاسبية في حساب العائد والمخاطرة عند اتخاذ القرار الاستثماري، أوصت الدراسة بضرورة استخدام مدخل السوق الذي يعتمد على القيمة السوقية في القياس المحاسبي، وضرورة اعتماد المستثمر على تحليل السوق في تقدير التدفقات النقدية لقراره الاستثمار.

دراسة (Tan, Hancock, Taplin and Tower. ٢٠٠٤م)

بعنوان: instruments: Australian versus Singaporean Fair Value Accounting for Financial: preparer perspective

قامت دراستهم على فحص وجهات نظر المؤسسات المالية في كل من استراليا وسنغافورة، فيما يتعلق بالنموذج الدولي المقترح فيما يخص تطبيق محاسبة القيمة العادلة، وهو قياس الأدوات المالية بالقيمة العادلة، والاعتراف بالإيرادات والنفقات المترتبة على تطبيقها في قائمة الدخل، كما أن الدراسة أرادت معرفة آراء هذه المؤسسات فيما يتعلق بمدى ملائمة المعلومات التي يقدمها تطبيق القيمة العادلة وفيما إذا كانت هناك إمكانية المقارنة ما بين القوائم المالية لهذه المؤسسات عندما تقوم جميعها بتطبيق القيمة العادلة. وتوصلت الدراسة إلى أن هناك حيادية في دعم تطبيق محاسبة القيمة العادلة على جميع الأدوات المالية، إلا أن البنوك الأسترالية أظهرت معارضة أكبر في تطبيق القيمة العادلة مقارنة بسنغافورة. بينما الاتحادات الائتمانية في استراليا هي أكثر إيمانا منها في سنغافورة بالنسبة لاستخدام القيمة العادلة في القياس المحاسبي، وأيضاً وجد أن هناك اتفاق عام بأن محاسبة القيمة العادلة تحسن من ملائمة المعلومات التي تقدمها، إلا أن المؤسسات المالية في سنغافورة كان لها رأي أقوى فيما يتعلق بملائمة محاسبة القيمة العادلة، كما تشجع على إجراء المقارنة ما بين قوائم الدخل للمؤسسات المالية.

المقدمة.

يعتبر القياس من أهم عناصر البحث العلمي حيث لا يمكن اختبار صحة الفروض والنتائج من دونه، فهو أحد الوظائف الأساسية للمحاسبة، وهذا ما يتطلب البحث عن البديل الذي يوفر معلومات تتسم بالخصائص النوعية (الملائمة، الموثوقية، الدقة، القابلية للفهم، القابلية لمقارنة) حيث يكمن الجدل القائم فيما يخص القياس المحاسبي في اختيار الطريقة المناسبة التي تظهر المعلومات بشكل أفضل، من بين طرق القياس التي لكل منها يؤدي إلى نتائج مختلفة للعناصر المحاسبية في القوائم المالية، وبالتالي اختلاف القرارات المتخذة لدى مستخدمي القوائم المالية باختلاف طريقة القياس.

من بين الطرق المستخدمة في عملية القياس نجد طريقة القيمة العادلة التي جاءت لتغطية العجز الذي ظهر في التكلفة التاريخية والتي دعا لها النموذج المحاسبي الدولي (معايير المحاسبة الدولية) والذي تجلى في الإصدارات الحديثة لمجلس معايير المحاسبة الدولية وتأكيد على أهمية استخدامه في عملية الإفصاح والمقياس المحاسبي (المطيري، ٢٠١١م، ٤٢).

مفهوم القيمة العادلة.

- تعددت التعاريف المقدمة لمفهوم القيمة العادلة بتعدد الجهات التي قدمتها فقد عرفت القيمة العادلة من قبل لجنة معايير المحاسبة الدولية وذلك في المعيار المحاسبي الدولي بأنها " القيمة التي يتم بموجبها تبادل أصل أو تسوية التزام بين أطراف مطلعة وراغبة، والتي تعمل في ظل ظروف السوق العادية (زرقون، ٢٠١٦م، ١٢٢).

- القيمة العادلة للأصل على أنها: " ذلك المبلغ الذي يتم بواسطته بيع أو شراء الأصل من خلال عملية تبادلية حقيقية بين أطراف مطلعة وراغبة في التبادل بعيداً عن ظروف التصفية، وفي المقابل تعد القيمة العادلة على أنها تلك القيمة التي تستحق أو المبلغ الذي يتم سداؤه من خلال عملية تبادلية حقيقية بين أطراف راغبة في العملية، مع استبعاد أثر التصفية (علاوي، ٢٠١٤، ٥٤).

- وعرفت أيضاً: هي المبلغ الذي يتم الاتفاق عليه لاستبدال الموجودات (بيع) أو تسوية دفع (مطلوبات) بين طرفين على إطلاع ورغبة وليسوا ذوي مصلحة (قويدر، ٢٠١٤، ٢٢).

من خلال التعريفات السابقة نستخلص أن القيمة العادلة هي قيمة الأصل في ظل أسواق مالية نشطة.

نشأة وتطور محاسبة القيمة العادلة:

نشأ هذا المفهوم نتيجة الجدل الدائر حول محاسبة التضخم في الستينات من القرن العشرين وكيفية إدخال تغيرات الأسعار في الحسابات، حيث كان النقاش يدور حول التكلفة التاريخية والبدائل المطروحة ولاسيما بعض أشكال القيمة الحالية، ونتيجة المحاولات الفاشلة لاعتماد محاسبة تغير الأسعار المستندة على التكلفة الحالية أو تكلفة الاستبدال، اتجه واضعو المعايير المحاسبية إلى استخدام القيمة السوقية الحالية، بمعنى القيمة العادلة (فلوح، ٢٠١١، ٣١٢).

أهمية القيمة العادلة:

لقد اكتسبت الأهمية قبل عام ٢٠٠٧م على الرغم من المعارضة الواسعة التي تعرضت لها على نطاق واسع وهنالك أربعة حجج قدمها مؤيدو القيمة العادلة تؤيد آرائهم وتعطيهم الدعم والقوة على معارضهم الذي افتقروا إلى هذه الحجج وهي (دهمش نعيم ٢٠٠٤، ٤٢).

زيادة ملائمة المعلومات المقدمة للمستثمرين في ظل محاسبة القيمة العادلة.

تغليب الجوهر الاقتصادي على الشكل القانوني.

أصبحت القيمة العادلة مهمة لتطوير المهنة وتطابق التنظيم للمحددات المعيارية.

ضرورة التصدي لمشكلة محاسبة المشتقات المالية.

يبدو جلياً من حديث رئيس الاحتياطي الفيدرالي أنه يركز على استخدام القيمة العادلة في مجال القياس بدلاً من نموذج التكلفة التاريخية وذلك ما لحق بأصول المنشآت خلال الخمسين سنة الماضية نتيجة للتغير الذي حدث في مستوى أبعاد تلك المدة (الهادي ادم ٢٠٠٨، ٢٤٤).

أهداف القيمة العادلة:

يسعى القياس المحاسبي وفق القيمة العادلة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف ومن أهمها ما يلي: (الجعارات، ٢٠٠٨، ١٨٧).

إظهار بنود الحسابات المختلفة بالقيمة الأقرب إلى الواقع في تاريخ إعداد الميزانية (قائمة المركز المالي)، حيث يعترف بالدخل إما بعد الحفاظ على القوة الشرائية العامة لحقوق المساهمين في المؤسسة أو بعد الحفاظ على الطاقة التشغيلية للمؤسسة.

تقييم الأصول والالتزامات على أساس القيمة العادلة تعبر عن المركز الاقتصادي لأنه أخذ الأسعار السوقية بعين الاعتبار، معالجة أي قصور ناتج عن تطبيق مفهوم مبدأ التكلفة التاريخية.

اتفاق تطبيق القيمة العادلة مع مفهوم المحافظة على رأس المال.

تساعد معلومات القيمة العادلة في إجراء المقارنات بين المؤسسات المتشابهة والتي تستعمل القيمة العادلة. وقدرتها على التنبؤ لأنها تعكس التأثيرات الاقتصادية الجارية

نظام القيمة العادلة:

تعريف النظام: انه مجموعة مترابطة ومتجانسة من الموارد والعناصر البشرية والمادية ذات خصائص معينة (الأفراد، التجهيزات، الآلات، الأموال، السجلات. إلخ)، التي تتفاعل وتتكامل مع بعضها داخل إطار معين (حدود النظام)، وتعمل كوحدة واحدة نحو تحقيق هدف أو مجموعة من الأهداف العامة في ظل الظروف أو القيود البيئة المحيطة. بتكون النظام من ثلاثة أجزاء رئيسية تتمثل في الاتي (هويدي، ٢٠٠٦، ٢٢).

المدخلات: وهي كل شيء يأتي من خارج النظام ويدخل إليه، وأن مدخلات النظام هي موارد مختلفة يتم تحديدها بناء على الأهداف التي يسعى النظام إلى تحقيقها من هذه الموارد (الموارد البشرية، آلات، مواد أولية، رؤوس أموال، معلومات إدارية، ... إلخ).

المعالجة: وهي العمليات التحويلية المختلفة التي تؤدي إلى تحويل هذه المدخلات إلى الهدف المراد تحقيقه من النظام أو ما يسمى المخرجات. وقد تكون هذه العمليات مهام تؤدي بواسطة إنسان أو آلة أو حاسب.

المخرجات: تمثل المخرجات ناتج عملية تحويل المدخلات، وتعد المخرجات الأداة التي يمكن من خلالها التحقق من أداء النظام، أي قدرته على تحقيق أهدافه، فهناك مخرجات تستخدمها أنظمة أخرى كمدخلات، كما أن هناك مخرجات يستخدمها النظام ذاته، وايضا هناك مخرجات يتلخص منها النظام.

من خلال ما سبق ان النظام هو مجموعة من العمليات التي تتلقى مدخلات مهيئة، وتنتج مخرجات معينة، وطبيعة هذه المدخلات وطريقه معالجتها والمخرجات الناتجة تتحدد بطبيعة الأهداف التي يسعى النظام إلى تحقيقها. يمكن أن تكون مدخلات نظام معين هي مخرجات نظام آخر وبالعكس.

التغذية العكسية (استرجاع النتائج): يقتضي ضبط عمل النظام وجود الرقابة والتوجيه المستثمرون لآلية التشغيل، وتعرف هذه العملية اصطلاحاً باسترجاع النتائج أو الرقابة، والتي تعني استرجاع المعلومات عن نتائج عمل النظام وتغذية النظام بها لترشيد آلية التشغيل. ويمكن أن تتم هذه العملية بمقارنة المخرجات بمعايير أداء محددة مسبقاً، ثم تغذية النظام بنتائج هذه المقارنة،

مداخل القيمة العادلة:

حسب المعيار الأمريكي (١٥٧) تم تحديد ثلاث مداخل لقياس القيمة العادلة تتمثل في مدخل السوق ومدخل الدخل ومدخل التكاليف سيتم التطرق إليه بالتفصيل وفق الآتي:

١- مدخل السوق:

بموجب هذا المدخل فإنه يتم استعمال الأسعار والمعلومات ذات الصلة به، والتي حصلت نتيجة الصفقات في الأسواق والمتضمنة مقارنة أو تحديد قيمة الأصل أو الالتزام وإن إحدى أهم الفوائد من استعمال هذا المدخل هو أنه يستند إلى المقام الأول على البيانات الفعلية، وإن هذه البيانات غالباً ما تكون في شكل أسعار موثقة ومتاحة للجمهور ومسجلة في تلك الأسواق (بلبالي، ٢٠١٩، ٥١).

٢- مدخل الدخل:

ويستخدم مدخل الدخل عند التقييم لتحويل المبالغ المستقبلية إلى مبلغ موحد للقيمة الحالية اعتماداً على افتراض أن شركاء السوق هم السبب في تلك المبالغ المستقبلية (مثل التدفقات النقدية أو الإيرادات والمصروفات) في مبلغ واحد عند استخدام هذا النهج، فإن القيمة العادلة تعكس توقعات السوق الحالية حول تلك المبالغ في المستقبل وفقاً لهذا المدخل يحدد مبلغ التدفقات النقدية وتوقيت التدفقات النقدية والمخاطر المرتبطة بالتدفقات النقدية (التميمي وآخرون، ٢٠٢٠، ٩٨).

٣- مدخل التكاليف:

يستند مدخل التكلفة إلى أن المبلغ الذي يكون مطلوب حالياً للحصول على الأصل ينبغي أن تكون له القدرة نفسها على تقديم الخدمات، وبذلك فإن هذا المدخل يأخذ بوجهة نظر الكلفة الاستبدالية للأصل من أجل احتساب القيمة العادلة له، وبموجب الكلفة الاستبدالية فإن قيمة الأصل يتم

تحديدها بواسطة كلفة استبدالييه جارية وإن استعمال هذا المبدأ هو للإبقاء على خدمة الأصل نفسها التي يقدمها إلى الشركة (الساعدي، ٢٠١٥، ٥٨).

طرق قياس القيمة العادلة

هناك عدة أساليب وتقنيات يمكن استخدامها للتعبير عن القيمة العادلة، هذه التقنيات تختلف في طرق الحساب لكن قد تتقارب في النتائج ومن أهم هذه الأساليب:

١- التكلفة التاريخية المعدلة:

ويطلق البعض على هذه الطريقة بمدخل القوة الشرائية العامة، وهذا المدخل قائم على تسجيل الأصول والالتزامات والإيرادات والمصروفات بوحدات قياس بنفس القوة الشرائية وعلى هذا فإن وحدة القياس يجب أن تكون موحدة مع الاحتفاظ بنفس أساس القياس المستخدم في القوائم المالية مثل التكلفة التاريخية حيث يتم إعداد القوائم المالية في نهاية الفترة المحاسبية على أساس التكلفة التاريخية ثم يتم تعديلها بالرقم القياسي العام للأسعار (نسيل، ٢٠١٥، ١٢٣).

٢- التكلفة الاستبدالية:

يقصد بها قيمة الأصل الثابت المدفوع خلال فترة استبدال الأصل، غالباً ما تكون هذه التكلفة هي القيمة الحالية للأصل عند تقديره. وعرفت أيضاً: بأنها سعر الدخول الجاري المبلغ النقدي أو ما يمثله الواجب دفعه من أجل الحصول على أصل مماثل للأصل الموجود، أي سعر السوق الحالي إلا أنها أثارت الجدل بين المحاسبين حول عبارة الأصول المماثلة، الإنتاجي للأصل الموجود حالياً. حيث ظهرت عدة معاني مماثلة لها: كلفة استبدال الأصول المستخدمة والتي يقصد بها كلفة إعادة إنتاج الأصول المماثلة يقصد بها التكلفة التي يمكن أن يتكبدها المشروع لإنتاج أصل جديد، ويركز كل من (Edwards & Bell) على المفهوم لتكلفة الاستبدال. (فروحات وآخرون، ٢٠١٤، ٦٥).

٣- القيمة البيعية (أسعار الخروج الجارية):

وهي تعبر عن سعر بيع الأصل الآن مطروحاً منه مصاريف التخلص منه بدلاً من تكلفة استبداله أو تكلفة اقتنائه الأصلية، ويعاب على هذه الطريقة أن المؤسسة اقتنت الأصل ليس لغرض إعادة بيعها ولكن لاستخدامها في عملية الإنتاج وكذلك غياب أسواق منظمة لكثير من عناصر الأصول حتى يمكن تقدير القيمة السوقية لها بطريقة موضوعية (خالد، ٢٠١٦، ٥٤).

٤- القيمة الحالية للتدفقات النقدية المستقبلية (القيمة الاقتصادية):

تحدد قيمة الأصل أو مجموعة الأصول على أساس قيمة التدفقات النقدية الواردة أو الصادرة من المؤسسة بسبب هذا الأصل أو بسبب مجموعة الأصول. وتقاس القيمة الحالية عن طريق خصم صافي التدفقات النقدية المستقبلية باستخدام معدل فائدة واقعي (حسين، ٢٠٠٩، ٤٥).

محددات استعمال القيمة العادلة:

هنالك العديد من الانعكاسات السلبية التي يعكسها تطبيق منهج القيمة العادلة في القياس والاعتراف والإفصاح ومنها ما يأتي: (السعيري وآخرون، ٢٠١٢، ٢٣٩).

١- تكمن المشكلة الأساسية في تقديرات القيمة العادلة في مدى موثوقيتها أي مدى وجود أدلة إثبات بشكل يساعد في تسجيلها في الدفاتر وتدقيقها، حيث يكتنف تقدير القيمة العادلة إلى إتباع أسس قياس متباينة،

٢- من أهم السلبات التكلفة الكبيرة التي ستقع على كاهل الشركة لتطبيق القيمة العادلة، حيث أن نظام الشركة المحاسبي قد صمم للتعامل مع مدخلات النظام وفقاً للتكلفة التاريخية.

٣- الضعف النسبي في الكوادر البشرية المؤهلة لفهم وتطبيق المفاهيم الواردة في المعايير المحاسبية الدولية بشكل سليم.

٤- إن محاسبة القيمة العادلة معقدة وذات طرق مختلطة منها ما يتعلق برغبة الوحدة الاقتصادية في الاحتفاظ بالاستثمارات ومنها ما يتعلق بموضوع تقدير القيمة العادلة نفسها

٥- قد يؤدي اعتماد أساس القيمة العادلة في إعداد القوائم المالية إلى فتح مجال كبير للتلاعب بما يخدم مصالح الإدارة.

مزايا استخدام القيمة العادلة:

تشمل أهم مزايا استخدام القيمة العادلة فيما يلي: (بالضيف. ٢٠١٧، ٢١).

١- تساعد القيمة العادلة في قياس الدخل وفقاً لمفهومه الاقتصادي نظراً لأخذ الأسعار السوقية بعين الاعتبار.

٢- يحد تطبيق القيمة العادلة من مقدرة الشركة على التلاعب بالأرباح الصافية، لأن الأرباح والخسائر الناتجة عن تغير قيم الأصول والخصوم يتم تسجيلها خلال الفترة التي حصلت فيها وليس عند تحققها كصفقات فعلية.

٣- تراعي القيمة العادلة تغيرات القوة الشرائية لوحدة النقد.

٤- تعد القيمة العادلة أكثر ملائمة لإجراء التحليلات المالية ومن ثم تشكل أساساً أفضل للتنبؤات بنتائج الأعمال والتدفقات المالية.

٥- تساعد القيمة العادلة في إجراء المقارنات بين المؤسسات نظراً لمقدرتها على توحيد الممارسات المحاسبية.

٦- الأرباح والخسائر الناتجة عن التغيرات في تقديرات القيمة العادلة تدل على الأحداث الاقتصادية التي منها تجد الشركات والمستثمرون أيضاً سبباً مقنعاً للإفصاح الإضافي.

٧- يؤدي تطبيق محاسبة القيمة العادلة إلى المحافظة على رأس المال وذلك لأنها تسمح بالاعتراف بالانخفاض في قيمة الأصول.

عيوب استخدام القيمة العادلة:

تتمثل عيوب استخدام القيمة العادلة فيما يلي (شلغام، ٢٠١٥، ٧٢):

١- اعتماد هذا المعيار في بعض جوانبه على عدم دقة القياس المحاسبي بسبب اختلاف الاجتهادات والآراء الشخصية لعملية التقييم للأدوات المالية غير النشطة.

- ٢- يتطلب إعداد وعرض البيانات المالية وفق معيار القيمة العادلة فترة زمنية طويلة مما قد يترتب عليها تأخير وصول المعلومات إلى مستخدمي البيانات المالية.
- ٣- قد يسبب استخدام معيار القيمة العادلة مجالا كبيرا للتلاعب في نتائج الأعمال وتغطية بعض الثغرات وفقا لرغبات ومصالح الإدارة عند إعداد البيانات المالية.
- ٤- إن الاعتراف بالمكاسب والخسائر غير المحققة كبنود في قائمة الدخل أو في قائمة التغير في رؤوس الأموال دون أن تتم عمليات تبادل فعلية بين المؤسسة وأطراف خارجية عنها، قد يفتح بابا للتلاعب في الإيرادات.
- ٥- القيمة العادلة تتميز بزيادة التكاليف للحصول على المعلومات وسبباً في زيادة التكلفة عن المنفعة.
- ٦- صعوبة تحديد القيمة السوقية العادلة في حالة عدم توفر أسواق نشطة مما يعيق إجراء مقارنة.
- ٧- افتقاد القيمة العادلة لمصادقيتها في حالة بيع المؤسسة.
- ٨- أثارت مشكلة الانخفاضات المتتالية بالأسواق المالية مؤخراً خلال الأزمة المالية العديد من الشكوك حول محاسبة القيمة العادلة، حيث ترتب على استخدامها تدهور شديد في الأسواق وأسعار الأصول.

مفهوم جودة المعلومات المحاسبية:

تعرف المعلومات المحاسبية بأنها تلك المعلومات الكمية وغير الكمية التي تخص الأحداث الاقتصادية للمؤسسة، والتي تم معالجتها والتقرير عنها في القوائم المالية وفي خطط التشغيل والتقارير المستخدمة داخلياً وبذلك فهي تمثل نتائج العمليات التشغيلية التي تجري على مختلف البيانات المحاسبية بما يجعلها مفيدة للمستعملين (عمارة وزرفاي ٢٠١٣ م، ٤٢).

يقصد بمفهوم جودة المعلومات المحاسبية مجموع الخصائص النوعية التي يجب ان تتصف بها مخرجات أنظمة المعلومات المحاسبية، ولكي تصل هذه الأنظمة الي ذلك يجب ان تطبق إجراءات وممارسات محاسبية معينة قد تختلف من بيئة الي أخرى وذلك حسب طبيعة المتغيرات الاقتصادية، السياسية، القانونية والثقافية. المعلومات المحاسبية ذات الجودة هو ما يحتاجه المستعملون وهي تساعد قاعدة عريضة من المستعملين في اتخاذ قرارات اقتصادية رشيدة سواء كانت هذه القرارات استثمارية، تمويلية، إدارية او غيرها (قطب ٢٠٠٣، ٣٧).

خصائص المعلومات المحاسبية

بصفة عامة يمكن القول إن الخصائص التي تحدد ما إذا كانت المعلومات الناتجة عن تطبيق بديل محاسبي معين أو أكثر أو أقل فائدة في مجال اتخاذ القرارات هي (خنفر والمطارنة، ٢٠١١، ٦٦).

أولاً: الخصائص الرئيسية: هي الخصائص التي تجب توافرها في المعلومات المحاسبية المنشورة والا فقدت هذه المعلومات أهميتها وأصبحت غير مفيدة للمستخدمين.

١- الملائمة:

إن المعلومات المحاسبية يجب أن تتميز بخاصية الملائمة وذلك لزيادة تأثيرها في التحكم بالحاضر واستيعاب الماضي من اجل التنبؤ بالمستقبل بموضوعية تسهل على مستخدمي تلك المعلومات

عملية صنع واتخاذ قرار أدق وأكفأ مما لو كانت تلك المعلومات غير ملائمة، ولأجل تحقيق صفة الملائمة لتلك المعلومات لابد أن تتوفر لها الصفات النوعية الفرعية التالية أن تتميز بقدرتها على التنبؤ بالمستقبل وزيادة الثقة فيها وإمكانية التحقق من صحة التوقعات (النقيب، ٢٠٠٤، ١٤٢).

٢- التوقيت المناسب:

أهم خصائص المعلومات المحاسبية أن تقدم لمستخدميها في الوقت المناسب للاستفادة منها في اتخاذ القرارات الملائمة لمعالجة الخلل وأوجه القصور في الوقت المناسب، بأقل جهد وأدنى مستوى من التكاليف والخسائر. لذا تعتبر كفاءة الكادر المحاسبي من جهة وكفاءة النظام المحاسبي ذاته من جهة أخرى مؤشرا أساسيا في الإسراع بتقديم المعلومات المحاسبية في الوقت المناسب (النقيب، ٢٠٠٤، ١٤٤).

٣- الموثوقية:

ومعناها خلو المعلومات من الخطأ والتحيز وأن تنطوي بصدق على الخصائص المستهدفة إبرازها عن الموضوع الذي يتم التقرير عنه وتمثل هذه الخصائص في صدق التعبير بحيث تكون المعلومات المحاسبية معبرة عن الأحداث الخاصة بصورة سليمة. والحياد وعدم التحيز لفئة معينة من المستخدمين أي لا تغلب مصالح فئة على مصالح فئة أخرى وقابلية التحقق أو الموضوعية أي القدرة على الوصول إلى نفس النتائج من قبل أكثر من شخص إذا تم استخدام نفس الطرق والأساليب التي استخدمت في قياس المعلومة (رحال، ٢٠٠٩، ٨٧).

٤- الموضوعية:

مما لا شك أن الموضوعية تعتبر خاصية أساسية من خواص المعلومات المحاسبية وذلك تجنباً لعملية الانحياز والتأثر الشخصي في عملية القياس المحاسبي من جهة والإفصاح التام عن المعلومات المحاسبية من جهة أخرى مما يدعو عموم المحاسبين في الاتفاق على هذه المسألة أو تلك من المعالجات المحاسبية (رحال، ٢٠٠٩، ٨٩).

٥- الحيادية:

أن المعلومات المحاسبية تهتم جهات عديدة ومختلفة من مستخدميها لدرجة أحيانا تكون مصالحهم متناقضة بعض الشيء لكن هذا التناقض في المصالح لا تستدعي من المحاسب أو حتى مراجع الحسابات أن ينحازوا في إعدادهم للحسابات وفحصها والمصادقة عليها لصالح فئة معينة على حساب أخرى (السعدي، ٢٠٠٩، ٣٥٣).

ثانياً: الخصائص الثانوية: وهي الخصائص التي يتيح توفرها فائدة أكبر للمعلومات ولعل توفرها يعزز من فائدة الخصائص الرئيسية التي سبق ذكرها وتتلخص هذه الخصائص في الآتي: (خنفر والمطارنة، ٢٠١١، ٦٩).

١- القابلية للمقارنة:

ويقصد بها تقديم معلومات محاسبية تسمح بإجراء المقارنات بين المنشآت المماثلة في نفس الصناعة، فذلك يزيد من فائدة المعلومات لأنه يسمح بتقييم مركز ووضع المنشأة المعنية مقارنة بالمنشآت المماثلة (رضوان والبدوي، ٢٠١٢، ٧٥).

٢- الاتساق أو الثبات:

ولتحقيق هذه الخاصية يستوجب الالتزام بإحدى السياسات المهمة في المحاسبة والمتمثلة بسياسات الثبات والاتساق في تطبيق الطرق المحاسبية ما بين سنة وأخرى. وتعتبر هذه السياسة ذاتها أحد المعايير الأساسية الخاصة لإعداد تقارير المراجعة. (محاريق، ٢٠١٣، ٦٥).

٣- اكتمال المعلومات:

لكي تكون المعلومات المحاسبية ذات فائدة مرجوة تجاه مستخدميها لابد من أن تحتوي على العناصر الأساسية والجوهرية التي يحتاجها متخذ القرار، وذلك طبقاً لأهمية المعلومة ودورها في اتخاذ القرارات.

٤- اقتصاديات المعلومات:

لابد للمعلومات الفعالة أن تراعي العامل الاقتصادي في الحصول عليها وذلك من خلال مقارنة تكاليف الحصول على تلك المعلومات مع العوائد والفوائد التي يتم الحصول عليها من توفر تلك المعلومات.

٥- القابلية للفهم:

إن خاصية قابلية المعلومات للفهم والاستفادة تعتمد أساساً على مؤشرين مهمين هم درجة الوضوح والبساطة والإفصاح في عرض المعلومات ومستوى الوعي والإدراك والفهم لدى مستخدمي تلك المعلومات. (النقيب، ٢٠٠٤، ١٤٧).

كيفية تقييم جودة معلومات البيئة المحاسبية:

تحدد جودة معلومات البيئة المحاسبية بمدى إمكانية استعمالها في الوقت الحالي أو توقع استعمالها في المستقبل وكفاءة وفعالية القرارات المتخذة بناءً على تلك المعلومات وبالتالي القيمة المضافة التي تحدثها على مستوى كل مراكز القرار وانعكاسها على مختلف نشاطات ووظائف المؤسسة، وعليه يتم التركيز على القيمة التفضيلية للمعلومات، ويدخل في تحليل ذلك عامل التكلفة والمنفعة، يمكن تقدير تكلفة المعلومات بدقة، لكن تحديد قيمة المنفعة لا تتم بنفس السهولة نظراً لتعدد الاستعمالات وإمكانيات إعادة الاستعمال مع تأثير استعمال تلك المعلومات على عدة مستويات (الطار وأخرون، ٢٠١٩، ١٣٢).

معايير جودة المعلومات المحاسبية:

توجد عدة معايير لقياس جودة معلومات البيئة المحاسبية يمكن تحديدها بصفة عامة على النحو التالي:

١- معايير قانونية:

تسعى العديد من المؤسسات المهنية في العديد من الدول لتطوير معايير لجودة التقارير المالية وتحقيق الالتزام بها، من خلال سن تشريعات وقوانين واضحة ومنظمة لعمل هذه المؤسسات مع توفير هيكل تنظيمي فعال يقوم بضبط جوانب الأداء في المنشأة، بما تتوافق مع المتطلبات القانونية التي تلتزم الشركات بالإفصاح الكافي عن أدائها (الصباغ، ٢٠١٧، ٥٣).

٢- معايير رقابية:

ينظر إلى عنصر الرقابة بأنه أحد مكونات العملية الإدارية التي يركز عليها كل من مجلس الإدارة والمستثمرون ويتوقف نجاح هذا العنصر على وجود رقابة فعالة تحدد دور كل من لجان المراجعة وأجهزة الرقابة المالية والإدارية في تنظيم المعالجة المالية وكذلك دور المساهمين والأطراف ذات العلاقة في تطبيق قواعد الحوكمة بواسطة أجهزة رقابية للتأكد من أن سياساتها وإجراءاتها تنفذ (دهمان، ٢٠١٢، ٣٤).

٣- معايير مهنية:

تهتم بالهيئات والمجالس المهنية المحاسبية بإعداد معايير المحاسبة والمراجعة لضبط أداء العملية المحاسبية، مما برز معه مفهوم مساءلة الإدارة من قبل المالك للاطمئنان على استثماراتهم والتي أدت بدورها إلى ظهور الحاجة لإعداد تقارير مالية تتمتع بالنزاهة والأمانة (القرطبي، ٢٠١٨، ٦٢).

٤- معايير فنية:

إن توفر معايير فنية يؤدي إلى تطوير مفهوم جودة المعلومات مما يعكس بدوره على جودة التقارير المالية ويزيد ثقة المساهمين والمستثمرين وأصحاب المصالح بالشركة ويؤدي إلى رفع وزيادة الاستثمار هذا وقد توجهت مجالس معايير المحاسبة وعلى رأسها مجلس معايير المحاسبة المالية الأمريكي نحو إصدار معايير عديده تساهم في توفير وضبط الخصائص النوعية للمعلومات. (الطيب، ٢٠١٧، ٣٥٩).

الدراسات الميدانية.

إجراءات الدراسة الميدانية.

تهدف الدراسة الميدانية إلى الحصول على أثر تطبيق نظام القيمة العادلة على تحسين جودة المعلومات المحاسبية من خلال استطلاع آراء الأطراف ذات العلاقة بموضوع البحث.

منهجية البحث:

من أجل تحقيق أهداف الدراسة تم استخدام المنهج الوصفي الهادف إلى وصف الظاهرة وتحليل البيانات المتعلقة بمتغيرات الدراسة، كما تم جمع البيانات اللازمة باستخدام المصادر الثانوية التي تتمثل في الكتب والمراجع والدوريات، بالإضافة إلى المصادر الأولية من خلال الاستبيان الذي طور لهذا الغرض لجمع البيانات، واستخدم البرنامج الإحصائي (SPSS) لتحليلها وتفسيرها للوصول إلى استنتاجات تساهم في تطوير الواقع وتحسينه.

مجتمع البحث:

حدد الباحث مجتمع الدراسة كمصدر للحصول على البيانات ويعني جميع المفردات التي يسعى الباحث أن يُعمم عليها نتائج مشكلة الدراسة، ويتمثل مجتمع الدراسة في عدد من مدراء الإدارات والموظفين ببنك ام درمان الوطني، وتم تقدير عينة بعدد (٣٠) فرداً.

عينة الدراسة:

قام الباحث باختيار عينة الدراسة بحيث تشمل الأطراف المعنية والمهتمة بموضوع الدراسة وبما يتوافر لها من الخبرة العلمية والعملية، تم تحليل العينة عبر برنامج spss الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (من خلال عينة طبقية عشوائية). عليه قام الباحث بتوزيع عدد (٢٥) استمارة استبيان على الفئات المستهدفة المطلوبة تم استردادها كاملة بنسبة (١٠٠٪).

أداة الدراسة:

اعتمدت الباحث على الاستبيان كأداة رئيسة لجمع البيانات من عينة الدراسة وأحتوى الاستبيان على قسمين رئيسين:

١. القسم الأول: تضمن البيانات الشخصية لأفراد عينة الدراسة، حيث يحتوي على بيانات حول النوع، العمر، المؤهل العلمي، التخصص، الوظيفة، سنوات الخبرة.
٢. القسم الثاني: يتضمن عبارات الاستبيان على عدد (٢٠) عبارة تُحلل وفق مقياس ليكرت الخماسي المتدرج الذي يتكون من خمس مستويات (أوافق بشدة، أوافق، لا أدري، لا أوافق، لا أوافق بشدة) وتم توزيع هذه العبارات على محاور الدراسة.

الثبات والصدق الإحصائي

يقصد بثبات الاختبار أن يعطي المقياس نفس النتائج إذا ما استخدم أكثر من مرة واحدة تحت ظروف مماثلة. أما الصدق فهو مقياس يستخدم لمعرفة درجة صدق المبحوثين من خلال إجاباتهم على مقياس معين، ويحسب الصدق بطرق عديدة منها الجذر التربيعي لمعامل الثبات، وتتراوح قيمة كل من الصدق والثبات بين الصفر والواحد الصحيح.

عرض البيانات:

اولاً: تم تحليل الدراسة الميدانية على قسمين:

القسم الأول: البيانات الشخصية:

جدول (١/٣) المؤهل العلمي لأفراد عينة الدراسة

البيان	التكرار	النسبة
بكالوريوس	١٤	٥٦
دبلوم عالي	٥	٢٠
ماجستير	٣	١٢
دكتوراه	١	٤

اخرى	٢	٨
Total	٢٥	١٠٠

المصدر: بيانات الاستبانة، ٢٠٢٥ م.

يتضح من الجدول والشكل أن نسبة (٥٦٪) من حملة البكالوريوس ونسبة (٢٠٪) دبلوم عالي ونسبة (١٢٪) من حملة الماجستير ونسبة (٤٪) دكتوراه ونسبة (٨٪) أخرى.

جدول (٢/٣) التخصص العلمي لأفراد عينة الدراسة

المسمى الوظيفي	التكرار	النسبة
محاسبة	١٤	٥٦
ادارة اعمال	٨	٣٢
مراجعة	٣	١٢
Total	٢٥	١٠٠

المصدر: بيانات الاستبانة، ٢٠٢٥ م.

يتضح من الجدول والشكل أن نسبة (٥٦٪) من تخصص محاسبة ونسبة (٣٢٪) من تخصص ادارة اعمال ونسبة (١٢٪) يعملون في وظيفة مراجعة.

جدول (٣/٣) المسمى الوظيفي لأفراد عينة الدراسة

التخصص	التكرار	النسبة
محاسب	٤	١٦
نائب مدير	١	٤
مراجع داخلي	٢	٨
مراجع خارجي	٢	٤
محلل مالي	٢	٨
أخرى	١٤	٥٦
Total	٢٥	١٠٠

المصدر: بيانات الاستبانة، ٢٠٢٥ م.

يتضح من الجدول والشكل أن نسبة (١٦٪) يعملون في وظيفة محاسبة ونسبة (٤٪) نائب مدير ونسبة (٨٪) مراجع داخلي ونسبة (٤٪) مراجع خارجي ونسبة (٨٪) محلل مالي ونسبة (٥٦٪) من تخصصات اخرى

جدول (٤/٣) سنوات الخبرة لأفراد عينة الدراسة

سنوات الخبرة	التكرار	النسبة
اقل من ٥ سنة	١٢	٤٨
٥ و اقل من ١٠ سنة	٥	٢٠

١٠ واقل من ١٥ سنة	٢	٨
١٥ واقل من ٢٠ سنة	٦	٢٤
Total	٢٥	١٠٠

المصدر: بيانات الاستبانة، ٢٠٢٥م

يتضح من الجدول والشكل أن نسبة (٤٨٪) لديهم خبرة اقل من ٥ سنوات ونسبة (٢٠٪) لديهم خبرة بين ٥ واقل من ١٠ سنة ونسبة (٨٪) لديهم خبرة بين ١٠ الي ١٥ سنة ونسبة (٢٤٪) لديهم خبرة بين ١٥ الي ٢٠ سنة.

ثانياً: تحليل بيانات متغيرات الدراسة:

حيث يتم حساب كل من الوسط الحسابي والانحراف المعياري لكل عبارات محاور الدراسة ويتم مقارنة الوسط الحسابي للعبارة بالوسط الفرضي للدراسة (٣) حيث تتحقق الموافقة على الفقرات إذا كان الوسط الحسابي للعبارة أكبر من الوسط الفرضي (٣)، وتتحقق عدم الموافقة إذا كان الوسط الحسابي أقل من الوسط الفرضي، وفيما يلي جدول يوضح المتوسط والانحراف المعياري والأهمية النسبية للعبارات التي تقيس وترتيبها وفقاً لإجابات المستقضي منهم. وفيما يلي الإحصاء الوصفي لجميع فرضيات الدراسة:

جدول لرقم (٥/٣) الإحصاء الوصفي لعبارات الفرضية الاولى

(هنالك علاقة ذات دلالة إحصائية بين تطبيق نظام القيمة العادلة ودقة المعلومات المحاسبية)

عبارات الفرضية	الوسط	الانحراف	قيمة كأي تربيع	النتيجة
تطبيق نظام القيمة العادلة يساعد في تحسين دقة المعلومات المحاسبية.	4.67	.747	78.755b	قبول
تطبيق نظام القيمة العادلة له تأثير كبير على سرعة اعداد التقارير مالية.	٣,٢٠	.676	52.633b	قبول
تساعد القيمة العادلة الاصطناعية في تحسين دقة التقارير المالية.	3.55	.٩٣٧	88.449b.	قبول
تساهم القيمة العادلة الاصطناعية على تقليل الأخطاء البشرية في البيانات المحاسبية مما يزيد من دقة المعلومات.	351	.820	17.204b	قبول
يؤدي تطبيق نظام القيمة العادلة الى تقديم معلومات أكثر دقة عند اتخاذ القرارات.	388	.٨٠٧	31.57b	قبول

المصدر: إعداد الباحث بالاعتماد على بيانات الدراسة الميدانية، ٢٠٢٥م.

يتضح من الجدول (٥/٣) ما يلي:

١. بلغت قيمة مستوي الدلالة (كأي تربيع) للعبارة الأولى (000) اقل من القيمة الجدولية (٠,٠٥) وعليه فإن ذلك يشير إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط العبارة (4.2000) والوسط

الفرضي للدراسة (٣) ولصالح الموافقين بدرجة عالية على العبارة (تطبيق نظام القيمة العادلة يساعد في تحسين دقة المعلومات المحاسبية).

٢. بلغت قيمة مستوى الدلالة (كأي تربيع) للعبارة الثانية (000) اقل من القيمة الجدولية (٠,٠٥) وعليه فإن ذلك يشير إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط العبارة (4.1200) والوسط الفرضي للدراسة (٣) ولصالح الموافقين بدرجة عالية على العبارة (تطبيق نظام القيمة العادلة له تأثير كبير على سرعة اعداد التقارير المالية).

٣. بلغت قيمة مستوى الدلالة (كأي تربيع) للعبارة الثالثة (000) اقل من القيمة الجدولية (٠,٠٥) وعليه فإن ذلك يشير إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط العبارة (3.7200) والوسط الفرضي للدراسة (٣) ولصالح الموافقين بدرجة عالية على العبارة (تساعد القيمة العادلة الاصطناعية في تحسين دقة التقارير المالية).

٤. بلغت قيمة مستوى الدلالة (كأي تربيع) للعبارة الرابعة (000) اقل من القيمة الجدولية (٠,٠٥) وعليه فإن ذلك يشير إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط العبارة (4.5200) والوسط الفرضي للدراسة (٣) ولصالح الموافقين بدرجة عالية على العبارة (تساهم القيمة العادلة الاصطناعية في تقليل الاخطاء البشرية في البيانات المحاسبية مما يزيد من دقة المعلومات).

٥. بلغت قيمة مستوى الدلالة (كأي تربيع) للعبارة الرابعة (000) اقل من القيمة الجدولية (٠,٠٥) وعليه فإن ذلك يشير إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط العبارة (4.5200) والوسط الفرضي للدراسة (٣) ولصالح الموافقين بدرجة عالية على العبارة (يؤدي تطبيق نظام القيمة العادلة الى تقديم معلومات أكثر دقة عند اتخاذ القرارات).

جدول (٦/٣): الإحصاء الوصفي لعبارات الفرضية الثانية:

(هنالك علاقة ذات دلالة إحصائية بين تطبيق نظام القيمة العادلة وموثوقية المعلومات المحاسبية)

عبارات الفرضية	الوسط	الانحراف	قيمة كأي تربيع	النتيجة
يساعد تطبيق نظام القيمة العادلة في تحسين الموثوقية في التقارير والقوائم المالية.	٤,٤٩	.52599	40.400a	قبول
تطبيق نظام القيمة العادلة يسمح للمنشآت بالإفصاح عن القيمة الحقيقية لوضع المنشأة المالي.	٢,٩٠	.70000	25.200b	قبول
يساعد استخدام القيمة العادلة في تقليل الأخطاء البشرية في معالجة البيانات المحاسبية.		.57155	25.200a	قبول
يؤدي تطبيق القيمة العادلة الى تحسين كفاءة معالجة البيانات المحاسبية.	٣,٢٧	.70238	30.200b	قبول
يساعد استخدام القيمة العادلة الى تسريع الرقابة الداخلية والامتثال للوائح والقرارات.	٣,٧٣	.70238	30.200b	قبول

المصدر: إعداد الباحث بالاعتماد على بيانات الدراسة الميدانية، ٢٠٢٥ م.

يتضح من الجدول (٦/٣) ما يلي:

١. بلغت قيمة مستوي الدلالة (كأي تربيع) للعبارة الأولى (000) اقل من القيمة الجدولية (٠,٠٥) وعليه فإن ذلك يشير إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط العبارة (4.2000) والوسط الفرضي للدراسة (٣) ولصالح الموافقين بدرجة عالية على العبارة (يساعد تطبيق نظام القيمة العادلة في تحسين الموثوقية في التقارير والقوائم المالية).

٢. بلغت قيمة مستوي الدلالة (كأي تربيع) للعبارة الثانية (000) اقل من القيمة الجدولية (٠,٠٥) وعليه فإن ذلك يشير إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط العبارة (4.1200) والوسط الفرضي للدراسة (٣) ولصالح الموافقين بدرجة عالية على العبارة (تطبيق نظام القيمة العادلة يسمح للمنشآت بالإفصاح عن القيمة الحقيقية لوضع المنشأة المالي).

٣. بلغت قيمة مستوي الدلالة (كأي تربيع) للعبارة الثالثة (000) اقل من القيمة الجدولية (٠,٠٥) وعليه فإن ذلك يشير إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط العبارة (3.7200) والوسط الفرضي للدراسة (٣) ولصالح الموافقين بدرجة عالية على العبارة (يؤدي تطبيق القيمة العادلة الى تحسين كفاءة معالجة البيانات المحاسبية).

٤. بلغت قيمة مستوي الدلالة (كأي تربيع) للعبارة الرابعة (000) اقل من القيمة الجدولية (٠,٠٥) وعليه فإن ذلك يشير إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط العبارة (4.5200) والوسط الفرضي للدراسة (٣) ولصالح الموافقين بدرجة عالية على العبارة (يؤدي تطبيق القيمة العادلة الى تحسين كفاءة معالجة البيانات المحاسبية).

٥. بلغت قيمة مستوي الدلالة (كأي تربيع) للعبارة الرابعة (000) اقل من القيمة الجدولية (٠,٠٥) وعليه فإن ذلك يشير إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط العبارة (4.5200) والوسط الفرضي للدراسة (٣) ولصالح الموافقين بدرجة عالية على العبارة (يساعد استخدام القيمة العادلة الى تسريع الرقابة الداخلية والامتثال للوائح والقرارات).

جدول (٧/٣): يوضح الإحصاء الوصفي الفرضية الثالثة:

(هنالك علاقة ذات دلالة إحصائية بين تطبيق نظام القيمة العادلة وملائمة المعلومات المحاسبية)

عبارات الفرضية	الوسط	الانحراف	قيمة كأي تربيع	النتيجة
قياس الأصول والتزامات بالقيمة العادلة يوفر معلومات ملائمة للمستثمرين والدائنين.	4.2000	.70711	27.280a	قبول
يساعد تطبيق نظام القيمة العادلة على تحسين القدرة على التنبؤ بالأداء المالي المؤسسة.	4.1200	.66583	19.480b	قبول
تساعد القيمة العادلة الاصطناعية في تحسين سرعة معالجة البيانات المحاسبية.	3.7200	1.06145	14.560b	قبول
يساعد تطبيق القيمة العادلة الاصطناعية في أتمتة بعض العمليات المحاسبية داخل المنشأة.	4.5200	.50990	27.160b	قبول

تراعي نظام القيمة العادلة تغيرات القوة الشرائية وتعد أكثر ملائمة لاتخاذ القرارات الرشيدة.	4.5200	.50990	27.160b	قبول
---	--------	--------	---------	------

المصدر: إعداد الباحث بالاعتماد على بيانات الدراسة الميدانية، ٢٠٢٥ م.

يتضح من الجدول (٧/٣) ما يلي:

١. بلغت قيمة مستوي الدلالة (كأي تربيع) للعبارة الأولى (000) اقل من القيمة الجدولية (٠,٠٥) وعليه فإن ذلك يشير إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط العبارة (4.2000) والوسط الفرضي للدراسة (٣) ولصالح الموافقين بدرجة عالية على العبارة (قياس الأصول والتزامات بالقيمة العادلة يوفر معلومات ملائمة للمستثمرين والدائنين).

٢. بلغت قيمة مستوي الدلالة (كأي تربيع) للعبارة الثانية (000) اقل من القيمة الجدولية (٠,٠٥) وعليه فإن ذلك يشير إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط العبارة (4.1200) والوسط الفرضي للدراسة (٣) ولصالح الموافقين بدرجة عالية على العبارة (يساعد تطبيق نظام القيمة العادلة على تحسين القدرة على التنبؤ بالأداء المالي المؤسسة).

٣. بلغت قيمة مستوي الدلالة (كأي تربيع) للعبارة الثالثة (000) اقل من القيمة الجدولية (٠,٠٥) وعليه فإن ذلك يشير إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط العبارة (3.7200) والوسط الفرضي للدراسة (٣) ولصالح الموافقين بدرجة عالية على العبارة (تساعد القيمة العادلة الاصطناعية في تحسين سرعة معالجة البيانات المحاسبية).

٤. بلغت قيمة مستوي الدلالة (كأي تربيع) للعبارة الرابعة (000) اقل من القيمة الجدولية (٠,٠٥) وعليه فإن ذلك يشير إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط العبارة (4.5200) والوسط الفرضي للدراسة (٣) ولصالح الموافقين بدرجة عالية على العبارة (تساعد القيمة العادلة الاصطناعية في تحسين سرعة معالجة البيانات المحاسبية).

٥. بلغت قيمة مستوي الدلالة (كأي تربيع) للعبارة الخامسة (000) اقل من القيمة الجدولية (٠,٠٥) وعليه فإن ذلك يشير إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط العبارة (4.5200) والوسط الفرضي للدراسة (٣) ولصالح الموافقين بدرجة عالية على العبارة (تراعي نظام القيمة العادلة تغيرات القوة الشرائية وتعد أكثر ملائمة لاتخاذ القرارات الرشيدة).

أولاً: النتائج

من خلال تحليل البيانات السابقة تم التوصل إلى العديد من النتائج اهمها مايلي:

تطبيق نظام القيمة العادلة يساعد في تحسين دقة المعلومات المحاسبية.

تطبيق نظام القيمة العادلة له تأثير كبير على سرعة اعداد التقارير مالية.

تساهم القيمة العادلة الاصطناعية في تقليل الاخطاء البشرية في البيانات المحاسبية مما يزيد من دقة المعلومات.

تطبيق نظام القيمة العادلة يسمح للمنشآت بالإفصاح عن القيمة الحقيقية لوضع المنشأة المالي.

يساعد استخدام القيمة العادلة الي تسريع الرقابة الداخلية والامتثال للوائح والقرارات.

قياس الأصول والتزامات بالقيمة العادلة يوفر معلومات ملائمة للمستثمرين والدائنين. يساعد تطبيق نظام القيمة العادلة على تحسين القدرة على التنبؤ بالأداء المالي المؤسسة. يساعد تطبيق القيمة العادلة الاصطناعية في أتمتة بعض العمليات المحاسبية داخل المنشأة. تساهم القيمة العادلة الاصطناعية في تقليل الأخطاء البشرية في البيانات المحاسبية مما يزيد من دقة المعلومات.

ثانياً: التوصيات:

من خلال النتائج اعلاه يوصي الباحث بالآتي:

١. ضرورة نشر الفكر المتقدم والوعي المحاسبي لاستخدام مدخل القيمة العادل في كافة القطاعات والصناعات وذلك لحل المشكلات القائمة في بيئة الأعمال الاقتصادية.
٢. ضرورة استخدام مدخل القيمة العادلة لتطوير العمل والفكر المحاسبي عن طريق تحسين الافصاح المحاسبي وابتكار دور جديد للمعلومات المحاسبية تتمثل في الاستدلال المحاسبي بالتقارير المالية.
٣. استخدام مدخل القيمة العادلة ليكون ثروة معلوماتية وخبره عملية تفيد في تحسين جودة المعلومات المحاسبية بالتقارير المالية بشكل متقدم.
٤. تطبيق المعايير الدولية الخاصة بمدخل القيمة العادلة لمواكبة التطورات الاقتصادية ومواجهة ظاهرة التضخم.
٥. استخدام مدخل القيمة العادلة لا تاحت معلومات تنبؤيه تتمثل في الأدلة الإرشادية والنماذج التوضيحية والمؤشرات المالية للكشف عن الفوائد التي تتضمنها المعلومات المحاسبية بالتقارير المالية.
٦. ضرورة تطبيق مدخل القيمة العادلة للسماح للمنشآت بتقييم الأصول والخصوم علي حسب سعر السوق السائد.
٧. ضرورة استخدام مدخل القيمة العادلة لتعزيز العمل المحاسبي نحو أنظمة لتصوير الوضع المالي الحقيقي للمنشآت للاعتماد عليه في اتخاذ القرارات الرشيدة.
٨. ضرورة استخدام مدخل القيمة العادلة الذي يؤدي الى تقديم معلومات أكثر دقة وموثوقية عن محتويات التقارير والقوائم المالية.
٩. اعداد المعلومات المحاسبية على أساس القيمة العادلة بمدخل التكلفة يساعد على اتخاذ قرارات الاستثمار.
١٠. العمل على توفير المعلومات المحاسبية بالقيمة العادلة لتوفير معلومات ملائمة عن أداء الشركة والمخاطر المستقبلية.

المصادر والمراجع:

أولاً: المراجع باللغة العربية

١. إبراهيم، الهادي آدم محمد، ٢٠٠٨م، تطبيق المحاسبة عن القيمة العادلة في سوق الخرطوم للأوراق المالية، القاهرة، جامعة سوهاج، كلية التجارة، مجلة البحوث التجارية المعاصرة، العدد الثاني.
٢. أودنيه، بوحفص، (٢٠٢٠-٢٠١٩). مدى جاهزية بيئة الأعمال في الجزائر لتطبيق القيمة العادلة دراسة ميدانية عينة من ممارسي مهنة المحاسبة في الجزائر أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علوم التسيير تخصص مالية جامعة غرداية. غرداية: جامعة غرداية.
٣. بالضياف، بشير، ٢٠١٧م، "القياس المحاسبي للتثبيات وفق مقارنة القيمة العادلة"، مذكرة ماستر غير منشورة، جامعة قاصدي مرباح ورقلة.
٤. بلالي، عبد السلام، ٢٠١٩م، "أثر تطبيق القيمة العادلة على تقييم الأصول المالية"، دراسة تطبيقية على رأس المال السعودي مع الإشارة لبورصة الجزائر، أطروحة شهادة دكتوراه، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة أحمد داريه، أدرار، الجزائر.
٥. التميمي، عماد حرش حاسم وآخرون، ٢٠٢٠م، "أثر نظام المعلومات المحاسبية على العلاقة بين تطبيق محاسبة القيمة العادلة وخصائص المعلومات المحاسبية"، دراسة عن الشركات المدرجة في سوق العراق للأوراق المالية، مجلة كلية مدينة العلم، المجلد ١٢، العدد ١، العراق. ص ص ٩٨-١٢٣.
٦. الجعارات، خالد جمال، ٢٠٠٨م، "معايير التقارير المالية الدولية"، إثراء للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى عمان، الأردن.
٧. جمعة، خالد عبد الرحمن، ٢٠١١م، "أثر تطبيق محاسبة القيمة العادلة للأدوات المالية على عوائد الأسهم"، دراسة تحليلية للشركات المدرجة في سوق فلسطين للأوراق المالية، مذكرة ماجستير في المحاسبة والتمويل، الجامعة الإسلامية غزة.
٨. حسين، سيد عبد الفتاح صالح، ديسمبر ٢٠٠٩م، "تحليل العلاقة بين محاسبة القيمة العادلة وممارسات المحاسبة الابتكارية وأثرها على جودة التقارير المالية"، مجلة الفكر المحاسبي، جامعة عين شمس، مصر، العدد الثاني. ص ص ١٩٠-٢١٢.
٩. خالد، وليد الطيب عمر، ٢٠١٦م، "أثر محاسبة القيمة العادلة على سلوك واتجاهات إدارة في الأرباح في القطاع المصرفي في السودان"، المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، المجلد الثاني، العدد ٥، ص ص ٤٢١-٤٤٥.
١٠. درغام، ماهر موسى، والأغا، تامر بسام، "العلاقة بين أهمية القياس المحاسبي المستند إلى القيمة العادلة وتعظيم الخصائص النوعية للمعلومات المحاسبية"، (دراسة حالة المصارف المحلية العاملة في فلسطين)، المؤتمر الدولي التاسع: الوضع الاقتصادي العربي وخيارات المستقبل، جامعة الزرقاء، الأردن، ٢٤-٢٥ أبريل، ٢٠١٣م.

١١. دهمان، أسامة كمال، ٢٠١٢م، "فاعلية نظم المعلومات المحاسبية الآلية في تحقيق جودة التقارير المالية"، دراسة تطبيقية على وزارة المالية الفلسطينية، رسالة ماجستير، كلية التجارة، الجامعة الإسلامية- غزة، فلسطين.
١٢. رحال، ناصر، وعوادي، مصطفى، "المعالجة المحاسبية للأصول الثابتة حسب النظام المحاسبي المالي الجديد"، ملتقى دولي حول الإطار المفاهيمي للنظام المحاسبي المالي الجديد آليات تطبيقه في ظل المعايير المحاسبية الدولية IFRS/IAS، كلية العلوم الاقتصادية، جامعة البليدة، الجزائر، أيام ١٣/١٥ أكتوبر ٢٠٠٩م.
١٣. الساعدي، حكيم حمود فليح، ٢٠١٥م، "الاحتيايل في ظل القيمة العادلة"، دراسة استطلاعية، مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة بغداد، العراق، المجلد ٢١، العدد ٨٦، ص ص
١٤. السعيري، إبراهيم عبد موسى، ومردان، زيد عائد، ٢٠١٢م، "القيمة العادلة وتأثير استعمالها في مؤشرات الأداء المالي في المصارف التجارية"، مجلة الغري للعلوم الاقتصادية والادارية، مجلد ٨، عدد ٢٧، جامعة الكوفة، العراق. ص ص ٣٨٨-٤١٣
١٥. السعدي، ابراهيم خليل حيدر، ٢٠٠٩، "مشكلات القياس المحاسبي الناجمة عن التضخم وأثرها على استبدال الأصول"، "مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة، العدد ٢٩، العراق، ص ص ٣٥٣-٣٧٨.
١٦. شلغام، هشام، ٢٠١٥م، "تقييم بدائل القياس في ظل تطبيق النظام المحاسبي والمالي"، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة،
١٧. الصباغ، أحمد عبده السيد، ٢٠١٧م، "دور نظم المعلومات المحاسبية في المنشآت الصغيرة والمتوسطة في جودة التقارير المالية"، دراسة ميدانية، مجلة كلية التجارة للبحوث العلمية، جامعة الإسكندرية، المجلد (٥٤)، العدد (١). ص ص ٢٤٧-٢٧٠.
١٨. الطيب، لينا عبد الرحمن محمد، ٢٠١٧م، "نظم المعلومات المحاسبية الآلية ودورها في تعزيز جودة التقارير المالية": دراسة عينة من البنوك السودانية، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النيلين، السودان.
١٩. علاوي، خضير مجيد، 2014 م، "القياس والإفصاح المحاسبي لصافي الاصول المحاسبية باستعمال مبدأ القيمة العادلة"، بالتطبيق على شركة بغداد لإنتاج المواد الانشائية، مساهمة مختلطة مجلة بابل للعلوم انسانية، العدد ٦. ص ص ٥٤ - ٧٩.
٢٠. فروحات، حدة، وعمامرة، أسامة، ٢٠١٤م، "القيمة العادلة كأداة ومنهج للقياس المحاسبي"، الملتقى الأول حول دور معايير المحاسبة الدولية، (IAS - IFRS - IPSAS) في تفعيل أداء المؤسسات الحكومية، ورقلة، الجزائر.

٢١. فلوح، صافي، وعيسى، هاشم حسن، ٢٠١١م، "محاسبة القيمة العادلة في شركات التأمين"، (دراسة تطبيقية)، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة العلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد (٣٣) العدد ١. ص ص ٣١٢ - ٣٤٠.
٢٢. القرطبي، محمد إسماعيل محمد، ٢٠١٨م، "أثر نظم المعلومات المحاسبية الآلية على الأداء المالي"، دراسة حالة وزارة المالية والاقتصاد والتنمية بولاية النيل الأبيض، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة الامام المهدي، السودان.
٢٣. محمد، زرقون، فارس بن يدير. (٢٠١٦). "واقع تطبيق محاسبة القيمة العادلة في البيئة المحاسبية الجزائرية": دراسة ميدانية لفئتين، فئة المؤسسات الاقتصادية المدرجة في البورصة الجزائرية وفئة الأكاديميين والمهنيين المحاسبين. المجلة الجزائرية للتنمية الاقتصادية، ٣٣٩ (٤١٢٤). ص ص ١-٣٠.
٢٤. المطيري، منصور فيحان دعسان، ٢٠١١م، "مدى التزام البنوك التجارية الكويتية في تطبيق معايير القيمة العادلة على الموجودات والمطلوبات المالية"، مذكرة ماجستير في المحاسبة، جامعة الشرق الأوسط.
٢٥. النجار، جميل حسن، ٢٠١٣م، "أثر تطبيق القيمة العادلة على موثوقية وملائمة معلومات القوائم المالية الصادرة عن الشركات المساهمة العامة الفلسطينية"، المجلة الأردنية في إدارة الأعمال، المجلد ٩، العدد ٣، الأردن. ص ص ٤١١ - ٤٣٧.
٢٦. نسيل، يوسف، ٢٠١٥م، "أثر تطبيق القيمة العادلة في قياس عناصر التثبیتان"، دراسة لعينة من المحاسبين والمهتمين في مجال المحاسبة، مذكرة ماستر غير منشورة، جامعة قاصدي مرباح ورقلة.
٢٧. النقيب، كمال عبد العزيز، "مقدمة في نظرية المحاسبة"، دار وائل للنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.
٢٨. نور، أحمد محمد وآخرون، 2008م، مبادئ المحاسبة المالية، الدار الجامعية، الإسكندرية.
٢٩. هوارى معراج، آدم حديدي، "إشكالية تطبيق القيمة العادلة كأساس للقياس والإفصاح في القوائم المالية للبنوك التجارية"، الملتقى الوطني حول النظام المحاسبي المالي في مواجهة المعايير الدولية للمحاسبة ومعايير المراجعة، كلية العلوم الاقتصادية، جامعة البليدة، الجزائر، أيام ١٣/١٤ ديسمبر ٢٠١١م.
٣٠. هوام، جمعة، وحديدي، آدم، "أثر وامكانية تطبيق محاسبة القيمة العادلة في المصارف الإسلامية"، ورقة بحثية مقدمة إلى المؤتمر العالمي التاسع للاقتصاد والتمويل الإسلامي، كلية العلوم الاقتصادية، اسطنبول، تركيا، أيام ٩/١١ سبتمبر ٢٠١٣م.
٣١. هويدي، على، ٢٠٠٠م، تحليل العلاقة بين المعلومات المحاسبية والعائد المتوقع، المجلة العلمية للاقتصاد والتجارة، كلية التجارة، جامعة عين شمس، مصر، العدد ٢. ص ص ٢٢ - ٥١.

ثانياً: الدراسات الأجنبية

- 1- Agyemang, Aken ten, Acheampong, fair value accounting: implementation challenges facing small and medium –sized entities in the agricultural sector, international journal of accounting and financial reporting, vol ,8, no.4,2018.
- 2- Christian Laux Christian Leuz, The Crisis of Fair Value Accounting King Sense of the Recent, The University of Chicago, Booth School of Business 2009.
- 3- Haller A et Walton P, Difference nationals et harmonization, Velbert edition, paris,1997, p32.
- 4- Kumar, K. Ravi. (2013). Environmental Accounting and Business Strategy A Study of Selected MNC's in India. Indian journal of applied research, 3(12),117-119.
- 5- Letmathe, P., & Doust, R. (2000). Environmental cost accounting and auditing. Managerial Auditing Journal, 15 (8), 424-430.

أثر الجفاف على الزراعة المطرية بمحلية شرق الجزيرة - ولاية الجزيرة - السودان

د. ميرغني محمد آدم محمد^(*)

المستخلص

يُعد المناخ عاملاً أساسياً ومحددًا في خصائص البيئة الجافة فهو يتحكم في الطريقة التي تختلف فيها معالم السطح والنبات والحيوان والتربة لأي منطقة من اليابس، هدفت الدراسة إلى الكشف عن العلاقة بين الخصائص المناخية وظاهرة الجفاف والتعرف على الاتجاه العام للعناصر والظواهر المناخية وتحديد مسارها الزمني والتعرف على العناصر الأكثر تأثيراً في الجفاف والكشف عن مدى الضرر الذي أحدثه الجفاف في أراضي المراعي الطبيعية، اتبعت الدراسة المنهج التاريخي والمنهج الوصفي والمنهج التحليلي، كما اعتمدت الدراسة في جمع البيانات على المصادر الأولية والتي من أهمها الاستبانة التي وزعت على عينة عشوائية بلغت ٢٠٠ مفحوص، توصلت الدراسة إلى عدة النتائج التالية: يؤثر الجفاف بصورة كبيرة على منطقة الدراسة حيث كانت أشد السنوات جفافاً هي (٢٠١٥، ٢٠٢٢، ٢٠١١م) حسب معامل ديمارتون؛ هنالك تأثير واضح للجفاف على تقلص المساحات المزروعة اعتماداً على الأمطار.

المقدمة:

يُعد المناخ عاملاً أساسياً ومحددًا في خصائص البيئة الجافة فهو يتحكم في الطريقة التي تختلف فيها معالم السطح والنبات والحيوان والتربة لأي منطقة من اليابس (أبو سمور، ١٩٩٩م، ١٢٣). لقد شهدت العقود الأخيرة اهتماماً بالغاً ومتزايداً من قبل المختصين بالمناخ والسكان والاقتصاد والزراعة بدراسة كوارث الجفاف نظراً لما تمثله من مخاطر بالغة على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والبيئية للدول. فكوارث الجفاف تفوق الكوارث الطبيعية الأخرى بما فيها الفيضانات في مؤثراتها السالبة على حياة السكان في الأقاليم الجافة وشبه الجافة في العالم.

ويُعد الجفاف من الظواهر الطبيعية البالغة التعقيد التي بدأ تأثيرها واضحاً بشكل كبير على مستوى الحياة على الكرة الأرضية في العقود الأخيرة بسبب التغيرات المناخية التي تعاني منها الأرض بسبب ظاهرة الاحتباس الحراري والذي بدأ يشكل خطراً كبيراً لأجزاء كبيرة من الأرض مسبباً مخاطر المجاعة التي تعاني منها دول عديدة في العالم وخصوصاً في قارتي آسيا وإفريقيا (التوم، ١٩٩٤م، ٥٤). ونهت العديد من المنظمات الدولية ووكالات الأمم المتحدة، خاصة المتخصصة في مجال المياه، إلى أن الماء هو مشكلة القرن الحادي والعشرين، وأن النظم الإيكولوجية عامة وأمن الإنسان الغذائي خاصة معرضة كلها للخطر ما لم تتم إدارة الموارد المائية بفعالية أكبر (أبو سمور، ١٩٩٩م، ١٢٤). عزز هذا التنبيه بمؤتمرات عديدة منها مؤتمر دبلن عام ١٩٩٢م بريودي جانيرو، يعاني السودان كغيره من

(*) أستاذ مساعد بكلية التربية بجامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم

بقية دول العالم من العديد من المشكلات البيئية، سيما الجفاف إذ يُعد واحداً من أكثر ثلاث دول إفريقية تعرّضاً له. ويُعتبر عام ١٩٨٥ بداية فترة جفاف أثرت بعمق على تدهور النظام البيئي بأكمله، وساعد ذلك في ازدياد الآثار السلبية لجفاف عام ١٩٨٤. تكيّفاً مع هذه الأوضاع ومواجهة لآزمات نقص الغذاء وكوارث المجاعات فقد ابتدعت المجتمعات التي تقطن المناطق الجافة وشبه الجافة العديد من الاستراتيجيات في معظم مناحي الحياة خاصة تلك المرتبطة بوسائل الإنتاج الأولي (الرعي والزراعة). (مقلي، ٢٠٠٩م، ٤٥)

مشكلة الدراسة:

تُعتبر مشكلة الجفاف من المشكلات المهمة التي تعاني منها المناطق الجافة وشبه الجافة، إذ ترتبط هذه المشكلة بشكل رئيس بالعناصر المناخية والتي يكون لها الأثر الكبير في ظاهرة الجفاف وزيادة مساحة المناطق الصحراوية والكثبان الرملية وتدهور الغطاء النباتي وارتفاع نسبة الأراضي المستملحة وانعكاس ذلك على تدهور الحياة الاقتصادية والاجتماعية. وعلى هذا الأساس يمكن صياغة مشكلة البحث في السؤال الرئيسي التالي: كيف أثر الجفاف على الزراعة المطرية في محلية شرق الجزيرة؟ وتحاول الدراسة من خلال هذا السؤال الرئيس الإجابة على الأسئلة التالية: فرعية هي:

١/ ما آثار الجفاف في مناخ منطقة الدراسة؟

٢/ هل للجفاف تأثير واضح على تقلص المساحات المزروعة اعتماداً على الأمطار؟

٣/ ما هو تأثير الجفاف في تدهور الأراضي الزراعية المطرية في منطقة الدراسة؟

٤/ ما هي المخاطر والآثار الناجمة عن ظاهرة الجفاف في منطقة الدراسة؟

فرضيات الدراسة:

١/ يؤثر الجفاف بصورة كبيرة على منطقة.

٢/ هنالك تأثير واضح للجفاف على تقلص المساحات المزروعة اعتماداً على الأمطار.

٣/ يؤثر الجفاف في تدهور الأراضي الزراعية المطرية بمنطقة الدراسة.

٤/ لظاهرة الجفاف آثار خطيرة تتمثل في تدني إنتاج المحاصيل الزراعية وانتشار الكثبان الرملية وتوسيع المساحات الجافة على حساب المساحات المغطاة بالنبات.

أهمية الدراسة:

١/ إبراز خطورة ظاهرة الجفاف في محلية شرق الجزيرة والتي تُهدد بالدرجة الأولى تقلص المساحات الخضراء وانعدامها في بعض مناطق المحلية وارتفاع نسبة المناطق المستملحة والكثبان الرملية وخاصة أن ظاهرة الجفاف بدأت تتفاقم خلال السنوات الأخيرة.

٢/ تعد التغيرات المناخية من المواضيع الرئيسية التي شغلت اهتمام المختصين والباحثين.

٣/ التعرف على أثر مؤشرات التغير المناخي في زيادة مظاهر الجفاف، إذ تعاني منطقة الدراسة من ظاهرة الجفاف وهي ظاهرة مؤثرة في الإنتاج الزراعي والأمن الغذائي، وأن منطقة الدراسة من المناطق الزراعية المهمة.

أهداف الدراسة:

- ١/ الكشف عن العلاقة بين الخصائص المناخية وظاهرة الجفاف.
- ٢/ التعرف على الاتجاه العام للعناصر والظواهر المناخية وتحديد مسارها الزمني.
- ٣/ التعرف على العناصر الأكثر تأثيراً في الجفاف.
- ٤/ الكشف عن مدى الضرر الذي أحدثه الجفاف في أراضي المراعي الطبيعية وبالتالي مدى عمق الآثار السلبية التي خلفتها مظاهر الجفاف في الثروة الحيوانية التي تعتمد في غذائها على ما توفره تلك المراعي من نباتات طبيعية.

مناهج البحث:

أ- المنهج التاريخي: فالهدف الأساسي من هذا المنهج الاسترجاعي هو الحصول على معلومات والبيانات المعرفية لتحديد تأثير الأحداث الماضية في القضايا والمشاكل الحالية باعتبار أن الأحداث الحالية ما هي إلا نتاج الماضي ومحصلة تفاعلاتها بمرور الزمن فالحاضر تربطه علاقة سببية مع الماضي (سليمان، ٢٠٠٦م، ١٦) استخدم هذا المنهج في الدراسة لمعرفة تاريخ المنطقة والتطور الذي حصل بها.

ب- المنهج الوصفي: يقوم المنهج الوصفي على دراسة ظاهرة المشكلة كما في الواقع ووصف وضعها الراهن، ومقارنتها وتفسيرها (العايدي، ٢٠٠٥م، ١٣) وتم استخدامه لوصف الظواهر الجغرافية لمنطقة الدراسة الطبيعية والبشرية.

ج- المنهج التحليلي:

ويستخدم المنهج الإحصائي لتحليل البيانات وبيان الأحداث المتكررة ويقوم على الملاحظة الكمية للبيانات والتغيرات الكمية للبيانات والتغيرات الكمية التي تحدث في المخرجات التي تربط بموضوع الدراسة (عثمان، ١٩٩٥م، ٨) استخدمه الباحث هذا المنهج في التحليل الإحصائي تم التوصل إلى الرسوم البيانية التي تم الحصول عليها من العمل الميداني.

طرق ومصادر جمع المعلومات:

- أ- المصادر الأولية: وتتمثل في الدراسة الميدانية والملاحظة والمقابلات الشخصية.
- ولكبر حجم مجتمع الدراسة تم حساب العينة بقانون العينة التالي:

$$N = \frac{(\bar{x})^2 * pq}{(2)}$$

(مهران، ٢٠٠٦م، ٩)

N: حجم العينة

Z: درجة معيارية = ٢

P: 85% درجة تفشي الظاهرة

Q: 15% الدرجة المكتملة

D: 5% نسبة الخطأ

مستوى الثقة ٩٥٪

$$N = \frac{4 \times 0.1275}{0.0025} = \frac{0.5028}{0.0025} = 201 \frac{(2) \times 0.85 \times 0.15}{(0.5)}$$

ب- المصادر الثانوية: تتمثل في الكتب والمراجع والدوريات والمؤتمرات التي ناقشت ظاهرة الجفاف في منطقة الدراسة.

مفهوم الجفاف لغة

في اللغة العربية تعابير متعددة للسنين المجذبة منها المححلة المساتقة، المجذبة، العجفاء، الضبع، الكحل، الأزمة، الشهباء، البيضاء، الحمراء، الغبراء، الكهباء، السنواء، وسنوف، والمجادر، والحجرة، الجارفة، والحسوس، وكلها تعني سنوات القحط التي تصيب مناطق معينة نتيجة انحباس الأمطار وانخفاض مناسيب المياه (الجبوري، ٢٠٠٦، ٤٣).

المفهوم الجغرافي للجفاف:

يمكن تعريف الجفاف على أنه الفترة الزمنية التي تقل فيه سقوط الأمطار وتتمايز بارتفاع درجات الحرارة وشدة الإشعاع الشمسي وارتفاع معدلات التبخر وسرعة الرياح مع انخفاض الرطوبة النسبية ويعرف الجفاف أيضا على أنه نقص الأمطار عن الحد المتوقع أو الطبيعي بحيث قد يمتد لفصل أو أكثر بحيث تكون غير كافية لتلبية مطالب الأنشطة البشرية والبيئية عرف الجفاف من قبل الهيئة الدولية المعنية بتغير المناخ (ipcc) على أنه فترة طقس جافة غير طبيعية بحيث يسبب انقطاع التساقط خلال موازنة الموارد المائية، ويعرف الجفاف على أنه فترة ناقصة مائية مقارنة مع قيمة متوسطة للإمكانات الطبيعية المائية (مقبلي، ص ١٦) وعرفه (جيبس) بأنه نقص المياه لتلبية الاحتياجات الأساسية، ويعتمد بدرجة كبيرة على كيفية استخدام المياه في المنطقة (الجبوري، ٢٠٠٦، ٤٥).

تعريف الجفاف:

اختلفت الآراء في تعريف الجفاف تبعاً لاختلاف مصادر التعريف، ولكن هناك إجماع في أن الجفاف هو نقص في المياه والعنصر الأساسي المؤثر في ذلك هو كمية المطر الساقطة – بعبارة أخرى فأن كمية الماء من التساقط أقل من كمية الماء التي يمكن أن تفقد عن طريق التبخر والنتح. وتعرف دائرة الطقس في الولايات المتحدة الأمريكية الجفاف بفترة من الطقس الجاف كافية من حيث الزمن والقسوة لحدوث فشل جزئي أو كلي للإنتاج الزراعي (محسوب، ٢٠٠٠ م، ٢٣).

أنواع الجفاف:

الجفاف الدائم Permanent draught

وهو النوع الذي تمثله الصحراء Desert حيث لا يوجد فصل ممطر يساوي كمية الماء اللازمة للإنبات. وهذا الجفاف يمثل الحالة التي تكون فيها كمية الأمطار الساقطة أقل بكثير من مقدار التبخر. نتج الممكن أي أن الحاجة إلى مياه الري مطلوبة في كل أشهر السنة. (الراوي، السامرائي، ١٩٩٠ م، ٦٧).

الجفاف الفصلي Seasonal draught

يحدث هذا الجفاف في المناطق التي تسقط فيها أمطار كافية في فصل معين بينما تنقطع الأمطار في الفصل الآخر لذا أن الزراعة يمكن أن تتم بالاعتماد على الأمطار في فصل تساقطها في حين لا يمكن الاعتماد ألا على الري في الفصل الآخر كما في مناخ البحر المتوسط. (الجبوري، ٢٠٠٦م، ٤٦)

الجفاف الطارئ Contingent draught

هذا النوع من الجفاف يقتصر على المناطق الرطبة وشبه الرطبة حيث تتميز بعدم انتظام أو تقلب الأمطار وقد يؤدي عدم سقوط الأمطار لفترة طويلة إلى هلاك المزروعات أو هبوط الإنتاج إلى أدنى حد وهذا النوع لا يمكن التنبؤ به لذلك يعتبر من أخطر أنواع الجفاف. (الراوي ، السامرائي ، ١٩٩٠م، ٦٨) وهو أخطر أنواع الجفاف ويحدث بسبب التغيرات الطبيعية الحرج للأمطار في الزمان والمكان، إن هذا النوع من أنواع الجفاف يعد ذات مخاطر كبيرة، وذلك أما أن يحدث في بداية الموسم المطري وبالتالي يمتنع الفلاحين عن الزراعة خوفاً من أن تكون سنة، جافة، والحالة الأخرى هي انقطاع الأمطار في نهاية الموسم الزراعي أو الفترة الحرجة التي تكون النبات في أوج الحاجة إلى المياه أي فترة التزهير وتكوين الحبوب فإن أي قلة في الأمطار يعرض المحصول إلى الفشل. (الجبوري، ٢٠٠٦م، ٤٨)

الجفاف غير المنظور Invisible draught

هذا النوع من الجفاف يقتصر على المناطق الرطبة ويكون على شكل موجات غير محددة الزمن أو الموقع. حيث تقل الرطوبة الجوية أو رطوبة التربة عن حاجة النبات. وان انخفاض الرطوبة اليومية أو الشهرية عن الحد الذي يحتاج إليه النبات قد يؤدي إلى موت النبات أو قلة كثافته أو قزميتها وقد يؤدي إلى نشوب الحرائق وتحويل الموقع إلى نوع من أنواع التصحر (محسوب، ٢٠٠٠م، ٢٥) أسباب الجفاف: لقد دلت الكثير من الدراسات أن المناخ يعتبر أحد الأسباب الرئيسية لحدوث الجفاف وذلك لأن ظاهرة الجفاف مرتبطة ببعض العناصر المناخية مثل (الحرارة، الأمطار التيارات الهوائية) إضافة إلى عوامل أخرى، ويمكن توضيح هذه العوامل من خلال ما يأتي:

١-الرياح التي تهب في طبقات الجو السفلى من نطاقات الضغط المرتفع إلى نطاق الضغط المنخفض الاستوائي هي رياح تجارية فعندما تخترق هذه الرياح الصحاري الحارة في نطاق عروض الخيل فإنها تعمل على امتداد ظروف الجفاف إلى العروض الدنيا فعندما تمر هذه الرياح فوق منطقة شاسعة من اليابس فإنها تكون جافة ومجففة وتزداد قابليتها على امتصاص الرطوبة حيث أنها تهب من عروض باردة إلى عروض أدفأ ونتيجة لامتصاصها للرطوبة تزيد من ظاهرة الجفاف. أن التوزيع غير المتساوي لإشعاع الشمس ومن ثم الحرارة على سطح الأرض هو المحرك الأساسي لدورة الرياح على سطح الكرة الأرضية، فالمنطقة الاستوائية فيها زيادة حرارية سنوية لتعتمد الشمس عليها معظم أيام السنة، والمنطقة القطبية فيها نقص حراري لعدم وصول الإشعاع الشمسي إليها خلال ستة أشهر أو وصولها مائلة جدا في الأشهر الستة الأخرى، ولكي يحدث التوازن لابد من نقل الفائض الحراري من

المنطقة الاستوائية إلى المنطقة القطبية وتقوم الرياح والتيارات البحرية بهذه المهمة (الجبوري، ٢٠٠٦م، ٥١).

٢-تحرك أنطقة الضغط العالي تتحرك أنطقة الضغط الدائم في نصفي الأرض مع حركة الشمس الظاهرية فعندما تتحرك الشمس إلى النصف الجنوبي من الكرة الأرضية فأن جميع أنطقة الضغط تتزحزح جنوب مواقعها أما عندما تتحرك الشمس إلى النصف الشمالي من الكرة الأرضية فأن جميع أنطقة الضغط تتزحزح شمال مواقعها وقد نتج عن ذلك حقيقة وهو أن نطاقي الضغط العالي الدائم المداريين أصبحت تغطيان منطقة أوسع مما لو كانت ثابتة في مكانها طول العام خاصة نطاق الضغط العالي الدائم حول مدار السرطان.(السامرائي، الريحاني، ١٩٩٠م، ٧٢) لذلك فأن حركة الضغط العالي خلال فصل الشتاء والصيف نحو الشمال والجنوب من موقعه العام يساعد على اتساع نطاق البيئات الجافة في العالم وتكون البيئات الجافة أكثر تركيزا حول المدارين والتي تمتاز بأنها مناطق للضغط العالي مثل الصحراء العربية والصحراء الكبرى. (الصالح، الغريزي، ٢٠٠٨م، ٦٣).

٣. المرتفعات: ويكون امتدادها على وجه الخصوص بشكل متعامد مع هبوب الرياح إذ ستكون المناطق الواقعة في الاتجاه المعاكسة (منطقة ظل المطر) منطقة جافة، كما هو الحال في صحراء بتقونيا وشمال الصحراء الكبرى وصحراء بادية الشام. (الفهداوي، ٢٠٢١م، ٨٧) وعندما تواجه الرياح الهابة المرتفعات أمامها فإنها تؤدي إلى الصعود بها على سفوحها المواجهة لها وبصعودها تتعرض للبرودة فيتكاثف ما بها من بخار ماء مؤديا ذلك إلى تساقط الأمطار على تلك السفوح كما في جبال الأنديز والروكي (وهي رياح شمالية غربية) في حين بعد اجتيازها لتلك السفوح ونزولها على السفوح الخلفية لها فإنها تزداد درجة حرارتها من جهة وبازدياد درجة حرارتها تزداد قابلية الهواء على حمل بخار الماء فلا يؤدي ذلك إلى التساقط لعدم حصول التكاثف من جهة أخرى، فأصبحت قليلة الرطوبة على السفوح الخلفية والتي تسمى بالسفوح الواقعة في ظل المطر، ومن الأراضي الناشئة بفعل هذا العامل صحراء بتقونيا في أمريكا الجنوبية في ظل جبال الأنديز والأراضي الجافة الواقعة في ظل جبال الروكي (كي دالتون، ١٩٩٧م، ٤٥).

٤-الموقع الجغرافي:

أ- وجود العوائق التضاريسية: أن وجود السلاسل الجبلية في كثير من المناطق تعمل على عزل هذه المناطق عن المؤثرات البحرية أو الرياح الماطرة فيسود الجفاف في هذه الأراضي ويمكن لهذه العوائق التضاريسية أن تفرض ظروف الجفاف بغض النظر عن البعد أو القرب من المسطحات المائية (الفهداوي، ٢٠٢١م، ٨٨) عندما تواجه الرياح الهابطة المرتفعات أمامها فإنها تؤدي إلى الصعود بها على سفوحها المواجهة لها، وبصعودها تتعرض للبرودة فيتكاثف ما بها من بخار ماء مؤديا ذلك إلى سقوط الأمطار على تلك السفوح كما في جبال الانديز والروكي (وهي رياح شمالية غربية) في حين بعد اجتيازها لتلك السفوح ونزولها على السفوح الخلفية لها فإنها تزداد درجة حرارتها من جهة وبازدياد درجة حرارتها تزداد قابلية الهواء على حمل بخار الماء فلا يؤدي ذلك إلى التساقط لعدم حصول التكاثف من جهة أخرى، فأصبحت قليلة الرطوبة على السفوح الخلفية والتي تسمى بالسفوح

الواقعة في ظل المطر، ومن الأراضي الناشئة بفعل هذا العامل صحراء بتقونيا في أمريكا الجنوبية في ظل جبال الانديز والأراضي الجافة الواقعة في ظل جبال الروكي (الوائي، ٢٠١٨م، ٥٦).

ب- البعد عن المسطحات المائية الكبيرة: إن المسطحات المائية داخل نطاق الأراضي الجافة مثل البحر الأحمر والخليج العربي لا تكون لها آثار محلية أو إقليمية على ظروف المناخ لكن آثارها الملطفة تكون محصورة عادة في عدة كيلو مترات من الساحل وإن كميات الرطوبة الزائدة تصعد إلى الجو وتكون محصورة في أمتار فوق الماء وهذا ينطبق على الأراضي الجافة التي تحيط بها سلاسل عظيمة من الجبال والتي تمنع عنها الرياح الرطبة كما في أواسط القارات (أبو علي، ٢٠٠٤م، ٧٩).

ج- الموقع بالنسبة للتيارات البحرية: إن موقع عدد من الصحاري بالنسبة للتيارات البحرية الباردة أدت إلى انتشار ظروف الجفاف فعند هبوب رياح دافئة رطبة فوق البحار أو المحيطات وبتجاه اليابس مروراً فوق مسطحات مائية قد انخفضت درجة حرارتها بسبب وجود تيار بحري بارد حيث تعمل برودة هذه المياه على خفض درجة حرارة الرياح مما يؤدي إلى تكاثف رطوبتها بشكل ضباب أو أمطار تهطل قبالة الساحل وبالتالي يحرم اليابس المجاور منها فتنتشر ما يسمى بالصحاري الساحلية (الوائي، ٢٠١٨م، ٥٨).

د- انخفاض منسوب سطح البحر: عند انخفاض سطح الأرض عن مستوى سطح البحر يؤدي إلى ارتفاع درجة الحرارة وانخفاض في الرطوبة النسبية وبالتالي يزيد من جفاف الرياح الهابطة من المرتفعات المحيطة كما أنه يزيد من حدة الجفاف بسبب تزايد سرعة هبوبها باتجاه المناطق المنخفضة. كما هو الحال في منطقة البحر الميت (سلامة، ٢٠٢١م، ١٢٣).

٥- نظريات الجفاف:

- النظرية الأولى هي ما ذكرها استبنغ (Stebbing) عام ١٩٥٣م وكان استبنغ أستاذاً لعلم الغابات في جامعة أدمبرة، وعمل في الهند وزار المستعمرات الفرنسية والبريطانية (دول الساحل والسودان)، كما زار السودان عام ١٩٥٣م ولاحظ التصحر الواسع في دول الساحل ولذا جاء بنظريته التي تتمحور في كون وجود علاقة بين الاستغلال غير المرشد للموارد الأرض من جهة وبين التصحر والجفاف من ناحية أخرى. ففي رأيه أنه عندما حدث الاستغلال غير المرشد للموارد حدث التصحر إذ تعرت التربة من غطاءها النباتي، وفقدت قدرًا كبيرًا من الرطوبة جعلها تنجرف، ثم أن قدرًا كبيرًا من مياه الأمطار أصبح ينصرف إلى المجاري المائية أو يتبخر ولا يتسرب إلى داخل التربة. ونتيجة لقلة الرطوبة في الإقليم فإنه حدث تغيير في هطول الأمطار - وسماها مرحلة الأمطار المتقطعة (Intermittent Rainfall stage) حيث تزداد ذبذبة الأمطار السنوية بين الغزارة والجفاف.

- النظرية الثانية جاء بها جوزيف أوترمان عام ١٩٧٤م (J.Otterman) وذكر فيها أنه عندما تتعري التربة من غطاءها النباتي فإن التربة عالية الانعكاس تزيد من البيرو السطح (درجة الانعكاسية reflectivity) وبذلك تنخفض درجة عمليات الهواء (Convective processes) وبهذه الطريقة تنخفض الأمطار، كذلك في نفس الوقت جاء تشارني (Charney) بنظرية قريبة من النظرية السابقة ففي نظره إن التغيرات في الغطاء الأرضي حول الصحراء يمكن تعزز الجفاف (aridity) أما الآلية التي

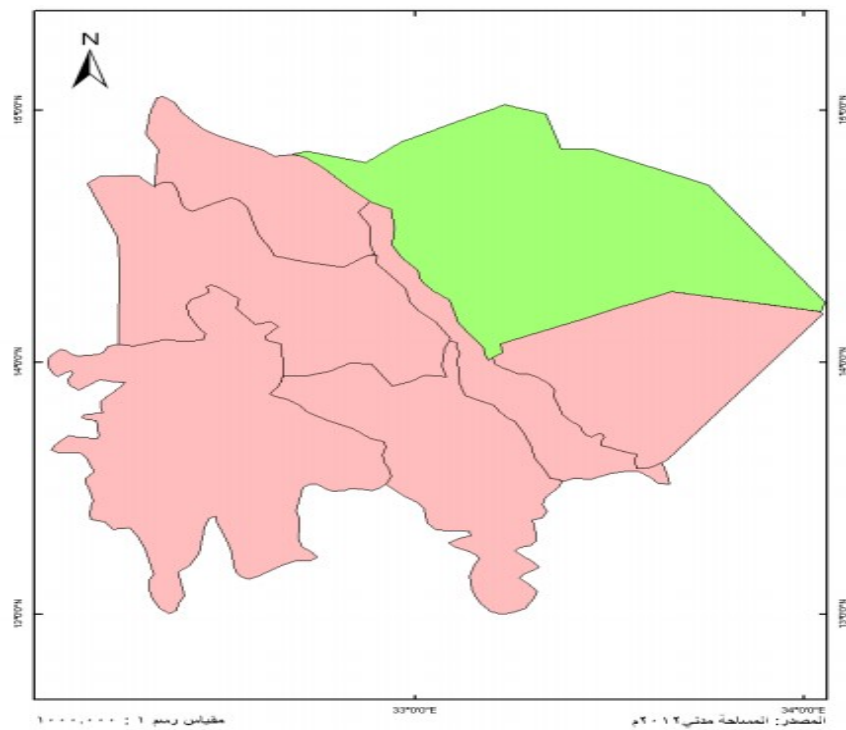
يحدث بها ذلك فتتلخص في أن نقطة البداية تتضمن تعبيراً أو إزالة الغطاء النباتي أو تدهور التربة وقدرتها على الاحتفاظ بالرطوبة. وبعد ذلك يتعاظم تفاعل جو سطح الأرض وينتج عن ذلك انخفاض في كمية الأمطار أما نتيجة لقلّة رطوبة السطح وإما زيادة هبوط الرياح (الفهداوي، ٢٠٢١م، ٩٢).
 - النظرية الثالثة هي التي جاء بها الباحثان برايسون (R.A. Bryson) وتومس موري (ThomasMurrey) في كتابهما مناخات الجوع وتقلبات مناخات العالم الذي قامت بطباعته جامعة واسكونسون ١٩٧٧م. لقد ناقش الكاتبان تدهور بعض المدن القديمة، وأعطيا أمثلة لذلك: مدينة في اليونان ومدينتان أخرتان في أمريكا الشمالية، وأخرى في منطقة نهر السند راجكان بين الهند وباكستان.

٦- العوامل المساعدة على التعرض للجفاف في السودان:

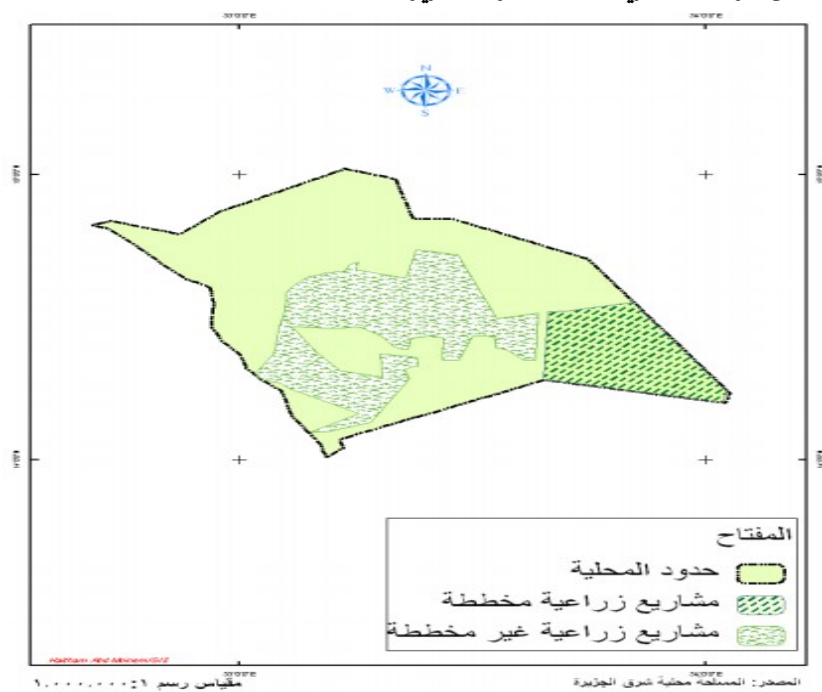
- ١- التوطن في المناطق الجافة وشبه الجافة في غرب وشرق ووسط السودان وهي نظم بيئية هشة.
 - ٢- الزراعة الكثيفة في النطاقات الهامشية.
 - ٣- الزيادة في عدد السكان.
 - ٤- الرعي الجائر، زيادة عدد القطعان على قدرات المراعي على الحمل.
 - ٥- الاحتطاب والتقطيع لاستخدام الخشب للوقود أو البناء (التوم، ١٩٧٤م، ٥٥).
- ثالثاً: منطقة الدراسة:

١- الموقع:

تقع محلية شرق الجزيرة بين خطي طول ٣٣،٥ و ٣٤،١٥، شرقاً وخطي عرض ١٤،٤٥ و ١٥،٣٠ شمالاً ويحدها من الشمال ولاية الخرطوم والشرق القضايف ومن الغرب النيل الأزرق والجنوب محلية أم القرى وتتكون من خمس وحدات إدارية هي وحدة رفاعة، ريفي رفاعة، الهاللية، تمبول، ووحدة ود راوة (مركز معلومات محلية شرق الجزيرة – ٢٠٢٣م، ١).
 خريطة (١) موقع محلية شرق الجزيرة بولاية الجزيرة



خريطة (٢) مناطق الزراعة المطرية بمحلية شرق الجزيرة



٢- المساحة والحدود:

تقع محلية شرق الجزيرة بين خطي طول (٣٣,٥ و ٣٤,١٥) شرقاً وخطي عرض (١٤,٤٥ و ١٥,٣٠) شمالاً ويحدها من الشمال ولاية الخرطوم، والشرق ولاية كسلا، والقضارف، ومن الغرب النيل الأزرق والجنوب محلية أم القرى). وتتكون من خمس وحدات إدارية وهي وحدة رفاعة وريفي رفاعة، الهلالية، تمبول ووحدرة وراوة.

كما تبلغ مساحة محلية شرق الجزيرة حوالي ٨٤٤٩,٤ كلم ٢، وهي تعادل ثلثي مساحة ولاية الجزيرة وحاضرة هذه المحلية مدينة رفاعة (مركز معلومات محلية شرق الجزيرة - ٢٠٢٣ م، ١).

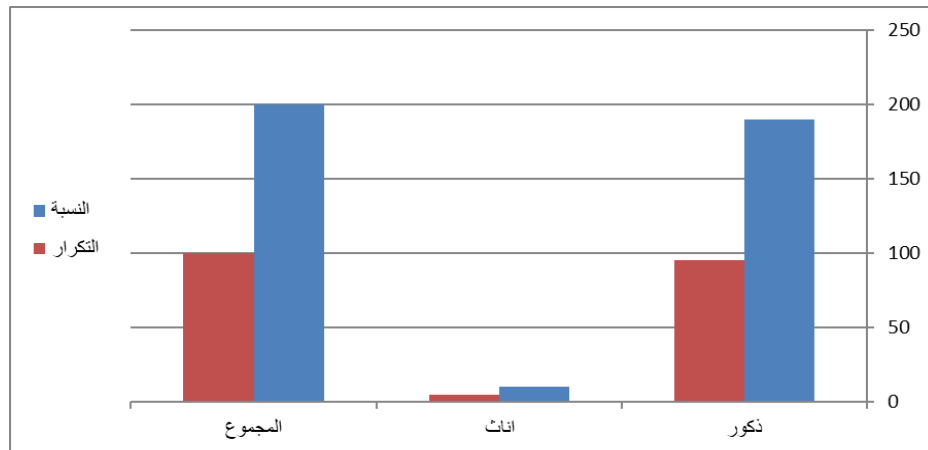
تقدر المساحة الكلية لمحلية شرق الجزيرة بحوالي ١٦٩٩,٤ كلم ٢ وتمثل ١٦,٨٪ من مساحة ولاية الجزيرة يغطي امتداد مشروع الجزيرة الجزء الشرقي منها في مساحة تقدر بنحو ٥١٤٧٥ فدان وهي مساحة قسم حداف وود الفضل حيث يقع ٨٠٪ من أراضي هذين المشروعين ضمن الحدود الإدارية لمحلية شرق الجزيرة كما يغطي مشروع سكر الجنيد مساحة ٤٤,٠٠٠ فدان تقع ضمن محلية وسط البطانة وتمثل ٢,١٪ من مساحة المحلية (مركز معلومات محلية شرق الجزيرة - ٢٠٢٣ م، ٢).

٤- عرض ومناقشة النتائج:

١- خصائص عينة الدراسة:

من خلال دراسة الشكل (١) نلاحظ أن نسبة الذكور تفوق نسبة الإناث بمجتمع الدراسة وهذا طبيعي لأن غالبية مجتمع الدراسة يتكون من المزارعين داخل منطقة شرق الجزيرة. انظر للشكل (١)

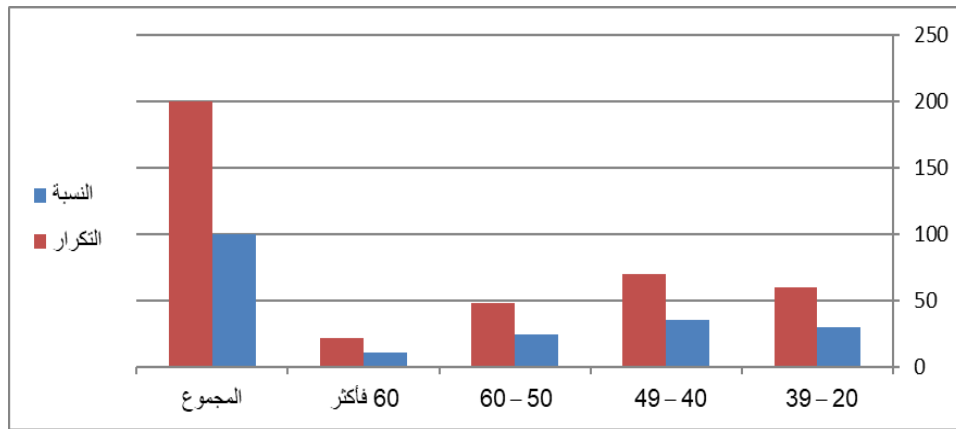
الشكل (١) توزيع أفراد عينة الدراسة تبعاً للنوع



المصدر: العمل الميداني ٢٠٢٥ م

ونلاحظ أيضاً تفاوت في الأعمار لمجتمع الدراسة حيث كانت أكبر نسبة للفئة العمرية (٤٠ - ٤٩) وبلغت نسبتهم ٣٥٪ من مجتمع الدراسة وكانت أدنى نسبة للفئة العمرية (٦٠ فأكثر) وبلغت نسبتهم ١١٪ من مجتمع الدراسة وذلك نسبة لأن العمليات الزراعية تحتاج النشاط والقوة البدنية أما الفئات العمرية ٦٠ فأكثر فهم يعيشون في قرى مستقرين نسبة لكبر سنهم. (انظر للشكل ٢)

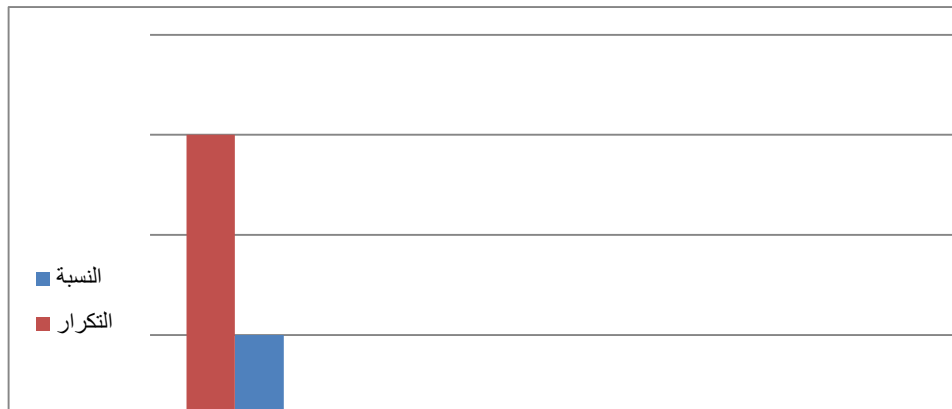
الشكل (٢) توزيع أفراد عينة الدراسة تبعاً للعمر



المصدر: العمل الميداني ٢٠٢٥ م

النسبة الغالبة من مجتمع الدراسة لم يتجاوز تعليمهم الخلاوي والأساس حيث بلغت نسبة تعليم الخلاوي في مجتمع الدراسة ٣٤٪ والأساس ٣٠٪ من مجتمع الدراسة أغلبهم من الفئات العمرية ذات الأعمار فوق الثلاثين عاماً. ونلاحظ أنه في السابق لم يكون هنالك اهتمام كبير بجانب التعليم في مجتمع الدراسة حيث إن الاهتمام بالزراعة وتربية الحيوان يأتي في المقام الأول (انظر للشكل ٣)

الشكل (٣) توزيع أفراد عينة الدراسة تبعاً للمستوى التعليمي

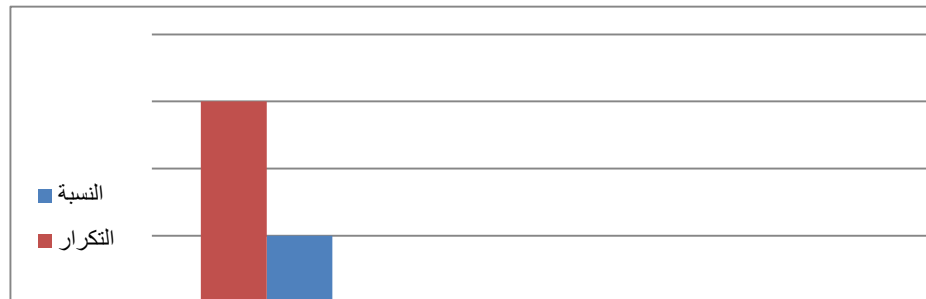


المصدر: العمل الميداني ٢٠٢٥ م

٢- الجوانب المتعلقة بالجفاف والزراعة المطرية بمنطقة الدراسة:

ومن الشكل (٤) نلاحظ أن غالبية مجتمع الدراسة من ذو الخبرة في الزراعة المطرية بمنطقة الدراسة حيث نجد أن ٥٤٪ من مجتمع الدراسة خبرتهم تفوق خمسة عشر عام في الزراعة المطرية بمنطقة الدراسة وهذا يدل الإلمام التام بالعمليات الزراعية الخاصة بالزراعة المطرية لمجتمع الدراسة (انظر للشكل ٤)

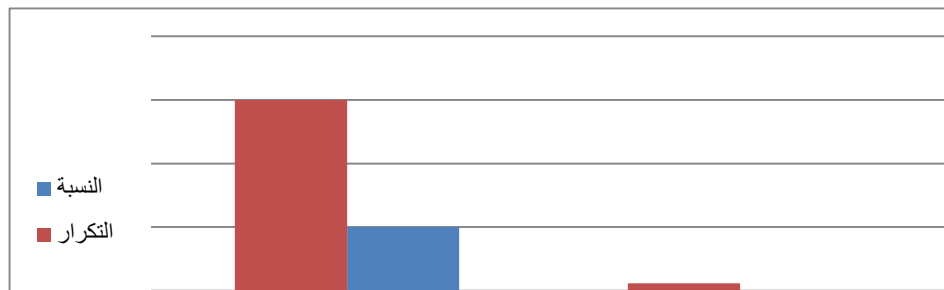
الشكل (٤) يوضح خبرة المزارعين في الزراعة المطرية بمنطقة الدراسة



المصدر: العمل الميداني ٢٠٢٥ م

يؤكد ٧٢٪ من مجتمع الدراسة أن المساحات التي يزرعونها اعتماداً على الأمطار في تناقص مستمر وذلك نسبة للتغيرات التي حدثت في مناخ منطقة الدراسة حيث أصبحت معدلات الأمطار متغيرة بين الزيادة والنقصان إضافة إلى التغير في درجات الحرارة المصحوب بالعواصف الغبارية كل ذلك ساهم في جعل مناخ المنطقة منه إلى المناخ الجاف من شبه الجاف (انظر للشكل ٥).

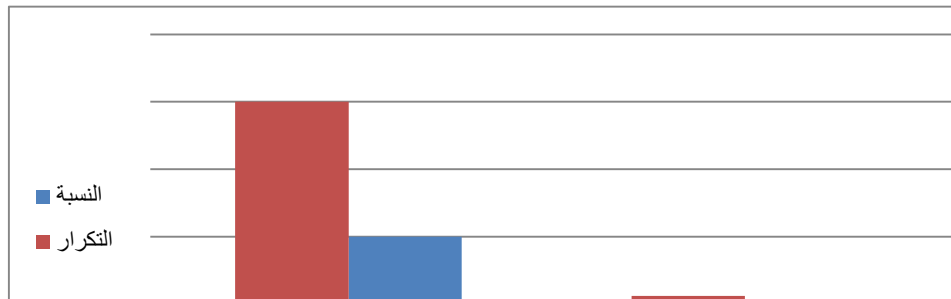
الشكل (٥) يوضح تناقص المساحات المزروعة اعتماداً على الأمطار بمنطقة الدراسة



المصدر: العمل الميداني ٢٠٢٥ م

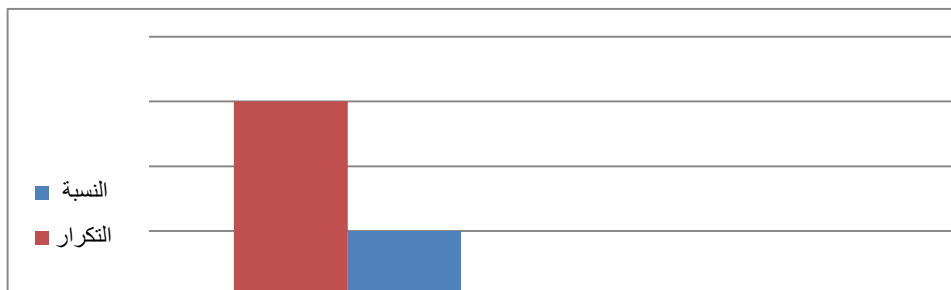
نلاحظ من الشكل (٦) أن ٩٣٪ من مجتمع الدراسة يؤكد إن نمو محاصيل الزراعة المطرية يتراجع كلما ارتفعت درجات الحرارة حيث أن الارتفاع في درجات الحرارة لا يؤدي وحده إلى موت المحاصيل الزراعية في البيئات الجافة وشبه الجافة ولكن إذا صاحب ذلك قلة في المياه سيؤدي إلى ذبول النبات وجفاف أنسجته ومن ثم موته، كما يؤثر الارتفاع في درجات الحرارة إلى زيادة الفاقد المائي عن طريق تنشيط عملية التبخر وبالتالي فقدان التربة لרטوبتها مما ينعكس سلباً على المحاصيل الزراعية.

الشكل (٦) أثر ارتفاع درجات الحرارة على محاصيل الزراعة المطرية



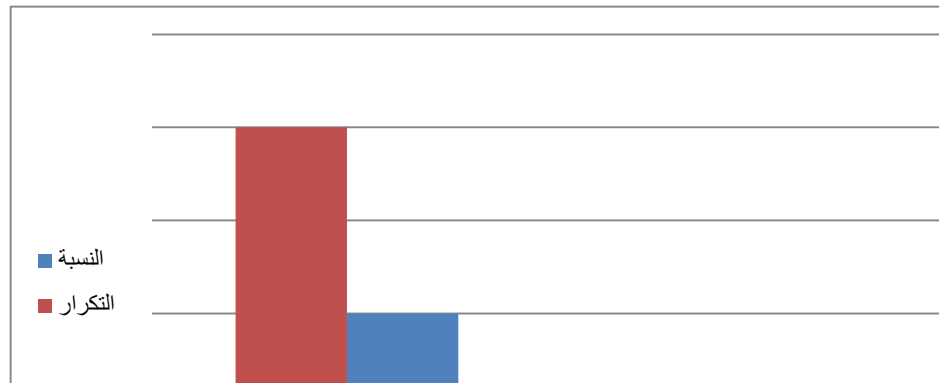
المصدر: العمل الميداني ٢٠٢٥ م

وبدراسة الشكل (٧) نلاحظ أن ٩٨٪ من مجتمع الدراسة يرون أن نمو المحاصيل الزراعية يقل في المواسم التي تكون فيها نسبة الأمطار قليلة وينعكس ذلك على تقلص مساحات الزراعة المطرية بمنطقة الدراسة، حيث أن تساقط الأمطار بكميات كبيرة يعني تغذية المنخفضات الأرضية والأودية بالمياه وبالتالي نمو المحاصيل الزراعية بصورة كبيرة وإذا قل تساقط الأمطار تقل نسبة إنبات المحاصيل الزراعية، كما أن تساقط الأمطار يعمل على تخفيف تأثير درجات الحرارة على المحاصيل الزراعية المطرية وكلما قلت الأمطار قل نمو محاصيل الزراعة المطرية والعكس صحيح. الشكل (٧) أثر التغير في معدلات الأمطار على الزراعة المطرية بمنطقة الدراسة



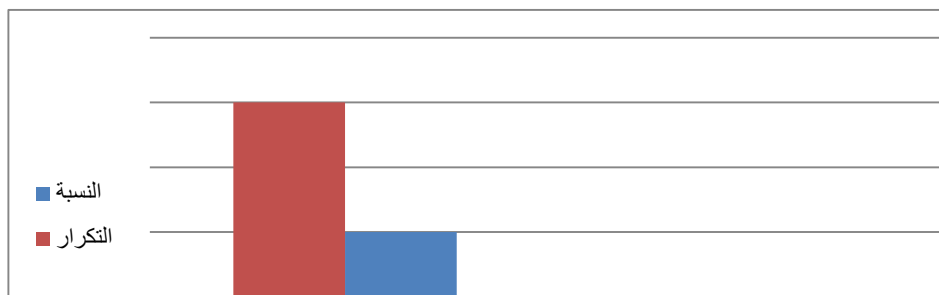
المصدر: العمل الميداني ٢٠٢٥ م

ومن دراسة الشكل (٨) يؤكد ٨٢٪ من مجتمع الدراسة الدور السلبي للعواصف الغبارية على الزراعة المطرية بمنطقة الدراسة حيث تعمل على تدمير وتلف المحاصيل الزراعية، ومن المعروف أن العواصف الغبارية سمة من سمات الجفاف والتصحر وهو ما يؤثر بالسلب على منطقة الدراسة الشكل (٨) تأثير العواصف الغبارية على الزراعة المطرية بمنطقة الدراسة



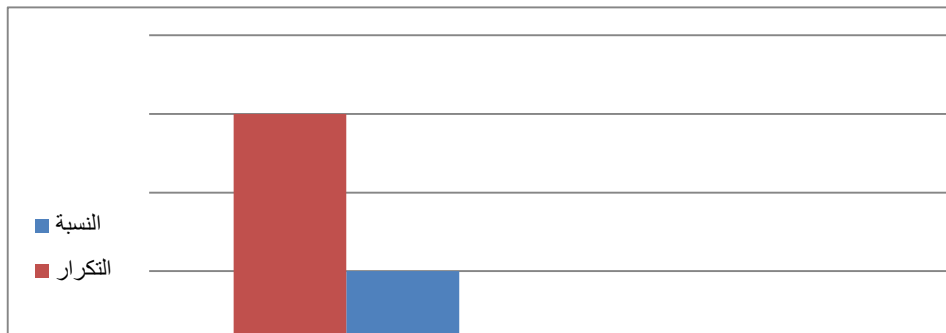
المصدر: العمل الميداني ٢٠٢٥ م

٨٧٪ من مجتمع الدراسة يؤكد أن التصحر ساهمة بصورة كبير في تقلص مساحات الزراعة المطرية وذلك جراء حالات الجفاف المتكررة وموجات الحر التي صاحبة منطقة الدراسة (انظر للشكل ٩) الشكل (٩) أثر التصحر في تقلص مساحات الزراعة المطرية



المصدر: العمل الميداني ٢٠٢٥ م

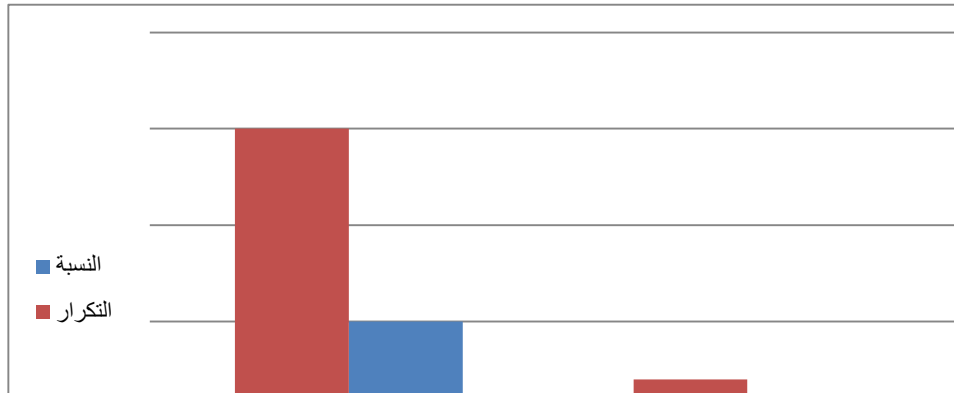
ومن خلال دراسة الشكل (١٠) نجد أن ٨٧٪ من مجتمع الدراسة يرى أن هنالك تغيرات حدثت في الغطاء النباتي بصورة عامة متأثرة بالجفاف من ندرة في الموارد المائية والعواصف الغبارية وموجات الحر إضافة إلى التصحر والزحف الصحراوي بمنطقة الدراسة (انظر للشكل ١٠) الشكل (١٠) التغيرات التي حدثت في الغطاء النباتي نتيجة للجفاف



المصدر: العمل الميداني ٢٠٢٥ م

كما يؤكد ٦٥٪ من مجتمع الدراسة أن الجفاف بمنطقة الدراسة ساهم بصورة أو بأخرى في هجرة سكان الريف إلى المدن بحثاً عن الخدمات الأساسية التي لم تعد تتوفر في القرى حيث تقلصت مساحات الزراعة المطرية في مناطقهم مما ساهم بصورة مباشرة في نقص العمالة والمخزون الغذائي الاستراتيجي لسكان المنطقة وللمراعي الطبيعية في المنطقة وأدى كل ذلك إلى زيادة الهجرة من الريف إلى المدن (انظر للشكل ١١).

الشكل (١١) تأثير الجفاف في الهجرة من الريف إلى المدن



المصدر: العمل الميداني ٢٠٢٥ م

٤- قياس الجفاف في منطقة الدراسة:

تعتمد جميع النظم الحديثة في تحديد الجفاف على مفهوم الموازنة المائية المناخية والتي تعبر عن العلاقة الكمية بين التساقط والتبخر والنتج، فعندما يكون مقدار التبخر والنتج أقل من مقدار التساقط يكون هنالك فائض مائي، أما إذا كان مقدار التساقط أقل من التبخر والنتج ينتج عنه عجز مائي، وهذا يشير إلى مقدار وقوة الحاجة لمياه الري وفي حالة عدم توفرها كما هو في منطقة البطانة.

جدول (١) مؤشر الجفاف ونوع المناخ حسب ديمارتون

مؤشر الجفاف	نوع المناخ	نوع النبات السائد
أقل من ٥	جاف	صحراوية
٥ – ٩	شبه جاف	إعشاب قصيرة
١٠ – ١٩	شبه رطب	استيبس
٢٠ – ٢٩	رطب	حشائش
٣٠ فأكثر	رطب جداً	غابات

المصدر: أبو راضي، ٢٠٠٦ م

وقد تم استخدام معامل الجفاف لديمارتون وفق المعادلة التالية:

متوسط الأمطار السنوية

المتوسط السنوي لدرجات الحرارة + 10

(أبو راضي، ٢٠١١م)

وعن تطبيق المعادلة اتضح أن المناخ السائد في منطقة الدراسة هو المناخ الجاف وشبه الجاف حيث كان أشد السنوات جفافاً هي (٢٠١٥، ٢٠٢٢، ٢٠١١م) حيث بلغ معامل الجفاف فيها (١,٧، ٢,٦، ٣,٣) على التوالي، ونلاحظ أن ظاهرة الجفاف متكررة على مدار سنوات الدراسة مما ينعكس سلباً على الزراعة المطرية بمنطقة الدراسة إذ يؤدي الجفاف إلى قلة الأمطار أو سوء توزيعها وارتفاع درجات الحرارة وموجات الحر والعواصف الترابية مما يساعد على تلف محاصيل الزراعة المطرية. (انظر للجدول ٢ والشكل ١٢).

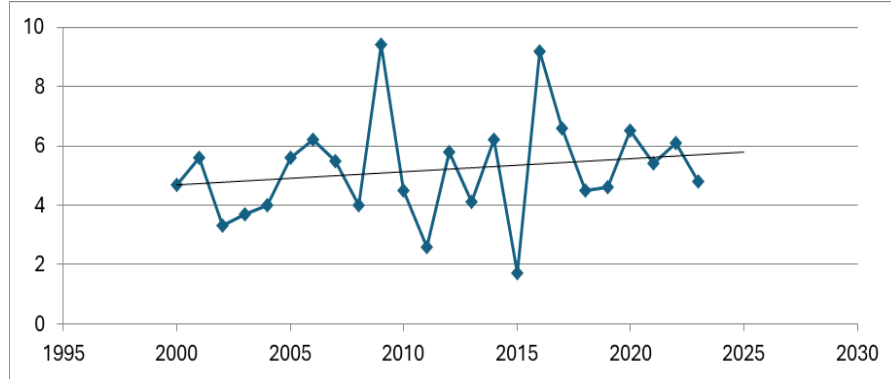
جدول (٢) معامل ديمارتون ونوع المناخ في منطقة شرق الجزيرة

السنة	متوسطات الأمطار	متوسط الحرارة	معامل ديمارتون	نوع المناخ
٢٠٠٠	٢٢٢,٨	٣٧,١	٤,٧	جاف
٢٠٠١	٢٦٥,٣	٣٧	٥,٦	شبه جاف
٢٠٠٢	١٥٤,٨	٣٦,٥	٣,٣	جاف
٢٠٠٣	١٦١,٥	٣٣,٤	٣,٧	جاف
٢٠٠٤	١٨٨,٨	٣٧	٤	جاف
٢٠٠٥	٢٦٩,٦	٣٧,٣	٥,٦	شبه جاف
٢٠٠٦	٢٩٥,٥	٣٧,٣	٦,٢	شبه جاف
٢٠٠٧	٢٦٨,٢	٣٧,٨	٥,٥	شبه جاف
٢٠٠٨	١٩٣,٥	٣٧,٧	٤	جاف
٢٠٠٩	٤٥٦,٤	٣٨,١	٩,٤	شبه جاف
٢٠١٠	١٧٠,٣	٣٧,٣	٤,٥	جاف
٢٠١١	١٢٣,٨	٣٧,٣	٢,٦	جاف
٢٠١٢	٢٨٠,٨	٣٧,٩	٥,٨	شبه جاف
٢٠١٣	١٩٧,١	٣٧	٤,١	جاف
٢٠١٤	٢٩٩	٣٨,١	٦,٢	شبه جاف
٢٠١٥	٨٣,٥	٣٨,٤	١,٧	جاف
٢٠١٦	٤٤٥	٣٨,١	٩,٢	شبه جاف
٢٠١٧	٣٢١	٣٧,٦	٦,٦	شبه جاف
٢٠١٨	٢٢٠,٣	٣٨,١	٤,٥	جاف
٢٠١٩	٢٢٦,٥	٣٨,٢	٤,٦	جاف

شبه جاف	٦,٥	٣٨,٣	٣١٤,٦	٢٠٢٠
شبه جاف	٥,٤	٣٨,٢	٢٦٣,٧	٢٠٢١
شبه جاف	٦,١	٣٨,١	٢٩٤,٢	٢٠٢٢
جاف	٤,٨	٣٨,٢	٢٣٥,٥	٢٠٢٣

المصدر: عمل الباحث ٢٠٢٥ م

الشكل (١٢) معامل ديمارتون للجفاف والخط التنبؤي



المصدر: عمل الباحث ٢٠٢٥ م

النتائج:

- ١/ يؤثر الجفاف بصورة كبيرة على منطقة حيث كان أشد السنوات جفافاً هي (٢٠١٥، ٢٠١١، ٢٠٢٢ م) حيث بلغ معامل الجفاف فيها (١,٧، ٢,٦، ٣,٣) على التوالي حسب معامل ديمارتون.
- ٢/ هنالك تأثير واضح للجفاف على تقلص المساحات المزروعة اعتماداً على الأمطار حيث يؤكد ٨٧٪ من مجتمع الدراسة أن التصحر ساهمة بصورة كبير في تقلص مساحات الزراعة المطرية.
- ٣/ يؤثر الجفاف في تدهور الأراضي الزراعية المطرية بمنطقة الدراسة حيث يؤكد ٨٧٪ من مجتمع الدراسة أن هنالك تغيرات حدثت في الغطاء النباتي بصورة عامة والأراضي الزراعية متأثرة بالجفاف.
- ٤/ ٨٢٪ من مجتمع الدراسة الدور السلبي للعواصف الغبارية على الزراعة المطرية بمنطقة الدراسة حيث تعمل على تدمير وتلف المحاصيل الزراعية، ومن المعروف أن العواصف الغبارية سمة من سمات الجفاف والتصحر وهو ما يؤثر بالسلب على منطقة الدراسة.
- ٥/ ٩٨٪ من مجتمع الدراسة يرون أن نمو المحاصيل الزراعية يقل في المواسم التي تكون فيها نسبة الأمطار قليلة وينعكس ذلك على تقلص مساحات الزراعة المطرية بمنطقة الدراسة.

التوصيات:

- ١/ إدخال نظام الزراعة المطرية الإلية بمنطقة الدراسة.
- ٢/ إيجاد مزيد من أصناف المحاصيل المقاومة للجفاف.
- ٣/ إنشاء محطة رصد جوي متكاملة بمنطقة الدراسة.
- ٤/ زراعة حزام خضر لمقاومة الجفاف والعواصف الغبارية بمنطقة الدراسة.

٥/ المزيد من الدراسات التفصيلية حول الجفاف والزراعة المطرية بمنطقة الدراسة.

المصادر والمراجع:

١. أبو راضي، فتحي عبد العزيز (١٩٩١م) المناخ والبيئة، دراسة تطبيقية لبيئة دلتا النيل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية- مصر.
٢. أبو سمور، حسن والخطيب حامد (١٩٩٩م) جغرافية الموارد المائية، دار صفاء للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان. الأردن
٣. أبو علي، منصور حمدي (٢٠٠٤م) الجغرافية الزراعية، دار وائل للطباعة والنشر - الأردن
٤. التوم، مهدي أمين (١٩٧٤م) مناخ السودان، معهد البحوث والدراسات.
٥. الجبوري، سلام هاتف أحمد (٢٠٠٦م) موسوعة المناخ التفصيلي، مجلة كلية التربية، جامعة بغداد، العراق
٦. الراوي، السامري، عادل سعيد، قصي عبد المجيد (١٩٩٠م) المناخ التطبيقي، جامعة بغداد، كلية الآداب، العراق
٧. سلامة، حسن رمضان (٢٠٢١م) جغرافية الأقاليم الجافة (منظور بيئي جغرافي) - دار المسيرة للنشر والتوزيع -الأردن
٨. سليمان، عبد العزيز عبد الرحيم (٢٠٠٦م) مناهج البحث العلمي في العلوم الإنسانية، دار جامعة الخرطوم للنشر
٩. الصالحي، الغريزي، سعدية عاكول، عبد العباس (٢٠٠٨م) المياه والبيئة، دار الصفا للطباعة والنشر والتوزيع - عمان - الأردن
١٠. العايدي، محمد عوض (٢٠٠٥م) أعداد وكتابة البحوث والرسائل الجامعية، مركز الكتاب للنشر - القاهرة - مصر
١١. عثمان، عبد الرحمن أحمد (١٩٩٥م) مناهج البحث العلمي وطريقة كتابة الرسائل الجامعية، جامعة أفريقيا العالمية، الخرطوم
١٢. الفهداوي، نقيب عباس حامد (٢٠٢١م) أثر المناخ على كفاءة العاملين وقدرتهم الإنتاجية في محافظة الأنبار، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة الأنبار - العراق
١٣. كي دالتون، (١٩٧٦م) المناطق الجافة، ترجمة نوري خليل البرازي، منشورات جامعة بغداد، ومطبعة العاني. العراق
١٤. محسوب، محمد صبري وأرباب، محمد إبراهيم (٢٠٠٠م) الأخطار والكوارث الطبيعية الحدث والمواجهة معالجة جغرافية، دار الفكر العربي، القاهرة.
١٥. محمد عباد مقلي (٢٠٠٩) مخاطر الجفاف والتصحر والظواهر المصاحبة لهما، ط٢، دار شموع للطباعة والنشر، والزاوية، ليبيا.
١٦. مركز معلومات محلية شرق الجزيرة - ٢٠٢١م

١٧. مهران، حاتم أمير (٢٠٠٦م) مناهج البحث العلمي المتقدمة في الديمغرافية والصحة الإنجابية، معهد الدراسات السكانية، جامعة الجزيرة
١٨. الوائلي، على عبد الوهاب الزهرة (٢٠١٨م) أسس ومبادئ في علم الطقس والمناخ، كلية التربية، جامعة بغداد، الطبعة الثانية - العراق

تأثير انخفاض منسوب نهر النيل على الزراعة وندرة الغذاء في مصر خلال العصر العثماني - دراسة تاريخية وثائقية

د. أحمد يحيى أمين كردي^(*)

المستخلص:

يهدف هذا البحث إلى محاولة التعرف على تأثير انخفاض فيضان النيل على الزراعة وندرة الغذاء في مصر خلال العصر العثماني من خلال رصد أمثلة للسنوات التي انخفض فيها الفيضان بشكل كبير، ومحاولة التعرف على آثار ذلك على الحياة في مصر، خاصة في السنوات التي تحدث فيها المجاعة والطواعين، وتأثير ذلك ديموجرافياً، ورصد دور الإدارة المحلية في مصر والمركزية في إستانبول في مواجهة الأزمة والتخفيف من أثارها السلبية. وتنبع أهمية البحث من أنه يتناول موضوعاً يتعلق بالحياة والموت؛ لأن مناسيب المياه المنخفضة لها عواقب وخيمة للغاية؛ لأنها يتبعها عدم ري مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية، وبالتالي نقص في المحاصيل الزراعية بشكل عام، والحبوب وفي مقدمتها القمح بشكل خاص. وكان فيضان النيل الشغل الشاغل للسلطة الحاكمة والمحكومين في مصر على حد سواء، فضلاً عن السلطة المركزية في إستانبول التي تتأثر هي الأخرى بهذا الانخفاض في المنسوب. وتتمثل مشكلة البحث في أن مصر مُنيت في العصر العثماني بسنوات كثيرة كان فيها الفيضان شحيحاً، ويؤدي إلى أزمات اقتصادية عنيفة - أحياناً - تؤدي إلى مجاعات يعقمها طواعين في بعض الأحيان تحصد آلاف الأرواح، لدرجة يصعب معها موازنة الأجساد التراب. ويلجأ الناس لنهب حواصل الغلال وغيرها. واتباع الباحث منهج البحث التاريخي الوصفي، فتم جمع المعلومات التاريخية من الوثائق وبطون المصادر العربية والأجنبية وتم تحليل هذه المعلومات تحليلاً علمياً. وخرجت الدراسة بهذه النتائج تمثلت في أن أثر انخفاض منسوب نهر النيل على الزراعة وندرة الغذاء كان كبيراً، ولذلك اهتمت الحكومات المتعاقبة بقياس منسوب الذي شهد انخفاض منسوب مياه النيل في فترات متعددة، مما دفع الإدارة في مصر إلى الاهتمام بإنشاء العديد من المقاييس على نهر النيل.

المقدمة:

لنهر النيل دور مهم في تاريخ الحياة والأحياء؛ فهو واهب الحياة فيها ومجدد خصوبتها؛ لذلك قدسه المصريون القدماء، وجعلوا منه إلهاً للخير، وأطلقوا عليه اسم "حابي". وقديماً قال هيرودوت: "مصر هبة النيل".

وقد اهتمت الحكومات المتعاقبة - وكذلك الأهالي - بالنيل ودوره عبر العصور. وحال النيل من حيث الزيادة والنقصان كان من الأهمية بمكان؛ حيث إن أرض مصر لم تنتج محاصيل زراعية إلا بقدر ما يغمرها فيضان النيل سنوياً. وتدين أرض مصر بخصوبتها لنهر النيل الذي يمدّها بالمياه

(*) أستاذ التاريخ المساعد. قسم البحوث الإدارية والإنسانية. معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج والعمرة. جامعة أم القرى. المملكة العربية السعودية.

والغرين(الطهي) الذي يزيد من خصوبة التربة. وبقدر الفيضان تزرع الأرض؛ فالفيضان المناسب يغمر مساحة أكبر من الأراضي الزراعية، وبالتالي يزيد الإنتاج (محمود، ٢٠١٠م، ٢٢). وتنقص بالتبعية الأراضي التي تزرع في حالة نقص الفيضان، وبالتالي ينقص الإنتاج؛ ولذلك نجد اهتمام حكام مصر منذ أقدم العصور بقياس النيل، وما يترتب على فيضانه من إنتاج يعود عليهم بالنفع، ولذلك حاز حال النيل من حيث الزيادة والنقصان جانباً كبيراً من تفكير الناس بشكل عام؛ حيث يقدر القائمون على موارد الدولة الضرائب السنوية التي تفرض على الأراضي الزراعية. وشاع في الوثائق - وخاصة وثائق الروزنامة - لفظ شراقي(مجهول: مفتاح الراحة في علم الفلاحة، مخطوط، ٢٦)، وكذلك تقسيم الضرائب المفروضة على الأراضي الزراعية إلى عالي ووسط ودون(دقاتر الترابيع: دفتري ترابيع ولاية جرجا رقم ٢٢٦٧، ٢٢٦٨، ٢٢٨١؛ دفتري ترابيع ولاية الأشمونين رقم ٢٢٦٤، ٢٢٧٧؛ دفتري ترابيع ولاية الهنساوية رقم ٢٢٧٩).

مقياس النيل:

اهتم المصريون منذ العصور القديمة بقياس ارتفاع الزيادات المتدرجة لنهر النيل في فترات الفيضان في عدة مناطق على مجرى النهر. ويرجح البعض أن أداة القياس في البداية كانت أداة محمولة؛ كأن تكون عصا طويلة مدرّجة من البوص (الغاب) أو ما شابه، وتوضع هذه العصا في مجرى النهر(مارسل، ٢٠٠٢م، ٥٠).

وقد تطورت مقاييس النيل؛ ففضلاً عن المقاييس المحمولة نجد بناء منشآت خصصت لقياس النيل في أماكن مختلفة في مصر، يتم من خلالها قياس ارتفاع المياه، سواء عن طريق مقاييس منقوشة على طول جدران أحواض ضخمة تدخل فيها مياه نهر النيل وقت الفيضان، أو عن طريق أعمدة حجرية ذات درجات مختلفة كانت توضع وسط هذه الأحواض نفسها، أو عن طريق درجات توضع بشكل تدريجي بدءاً من مجرى النهر(جلبي، أوليا، ٢٠٠٩م، ٤١٠).

وقد حظي مقياس النيل باهتمام الإدارة العثمانية في مصر، وقد أشارت إلى ذلك وثائق الديوان العالي وكتابات الرحالة، ويستدل من تلك الإشارات على أن عمود المقياس كان محدداً بأذرع، يقع في جزيرة الروضة التي تقع في جزء صغير من النيل قرب مصر القديمة، ويقع هذا المقياس قرب جامع المقياس في وسط غرفة مغلقة، ويدخل الحجرة مجرى مائي يمر تحت الأرض مقابل شاطئ النيل. وعندما تبدأ المياه في الارتفاع تدخل الممر؛ حيث يقوم الأشخاص المكلفون من قبل الباشا بمراقبة ارتفاعها، وينادون في المدينة بهذا الخبر السعيد(الديوان العالي: س ٢، ص ١٠٨، م ١٤٦، ١٥ ربيع الأول ١١٨١م / ١١ أغسطس ١٧٦٧م؛ ذهني، ١٩٩١م، ١٠٨).

ويتم إعلام القناصل الأجانب والشخصيات المهمة في القاهرة، ويعم السرور أرجاء البلاد في حالة وصول زيادة النيل إلى ستة عشر ذراعاً، وهو الحد الأدنى لري الأراضي الزراعية وتحصيل الخراج، وهو ما لا يحدث في حالة قصور النيل عن الزيادة(أنتيس، ١٩٩٧م، ٩٠).

وعندما تتحقق الزيادة المنتظرة للنيل ينادي المنادي في أنحاء المدينة عن هذه الزيادة كل يوم ابتداء من شهر يوليو، بيد أنهم لا يذكرون هذه الزيادة كاملة تحسباً لانخفاض منسوب النهر ذراعاً أو

ذراعين أو حتى أصابع - جزء من الذراع - وهو في العادة ما يحدث في سنوات عديدة، فكانوا يحرصون على أن تصل المياه بالمقياس إلى عدة أصابع قبل تحديد يوم فتح السد أو ما تطلق عليه الوثائق "جبر الجسر"، ويقومون في هذا اليوم بإعادة تكرار القياس خصيصاً لمزيد من التأكد قبل فتح السد (الديوان العالي : س ٧٠، م ١٠٢، ٢٨ ربيع الأول ١١٨٢هـ / ١٢ أغسطس ١٧٦٨م).

الاهتمام بمقياس النيل خلال العصر العثماني:

حظي المقياس في العصر العثماني بجزء كبير من الاحترام، لدرجة أن الإدارة العثمانية في مصر - ممثلة في الباشا ومعاونيه- كانت تعتبره من المقدسات، ولا تتهاون في توقيع أقصى العقوبة على كل من تسول له نفسه المساس به، وفي حالة التجاوز تصدر البيورلدات (الأنسي، ١٩٠٠م، ١٣٦). وأشارت الوثائق العثمانية الصادرة من الأرشيف العثماني بإستانبول إلى ذلك، فورد ما نصه: "الاهتمام بأدوات الميزان والمقياس للنظام (أونال، ٢٠١٢م، ١٠٧) باللغتين العربية والعثمانية التي تنص على إنزال أشد أنواع العقاب على كل من تسول له نفسه تدنيس الأماكن المحيطة به من شرب خمر أو زنا أو ما شابه ذلك، وأطلقت الوثائق على المقياس لفظ "المقياس الشريف" (محكمة مصر القديمة : س ٩٦، ص ١٣٨، م ٥٠٦، ١٩ ربيع الأول ٩٩٢هـ / ١ أبريل ١٥٨٤م).

وقام الباشوات العثمانيون بإصلاحات في المقياس؛ فعلى سبيل المثال نجد والي مصر حمزة باشا في عام ١١٨٠هـ/ ١٧٦٦م، الذي أمر بإحلال دعامة جديدة مكان الدعامة القديمة. وأطلقت المصادر على هذه الدعامات لفظ "كمرا". وفي سنة ١١٨٠هـ/ ١٧٦٦م وضع حمزة باشا والي مصر "كمرا" على عمود المقياس (أمين، ٢٠٠٢م، ٧٠).

وعلى الرغم من اهتمام بعض الباشوات بالمقياس فإنه نال إهمالاً؛ فلم يعط الباشوات المماليك - على الرغم من سطوتهم ونفوذهم - الاهتمام الواجب للمقياس، وإن قاموا بعمل بعض الإصلاحات الضرورية وأعمال الصيانة، متبعين في ذلك التقليد السائد في البلاد، وأخذين برأي القاضي المكلف بإدارة المقياس، إلا أن تلك الإصلاحات كانت بسيطة وغير ذات أهمية، ولذلك لم تتناولها كتابات المؤرخين إلا فيما ندر.

ومهما يكن من أمر فإن مقياس النيل قد نال اهتماماً كبيراً من الإدارة العثمانية في مصر، وكان منسوب مياه النيل على جانب كبير من الأهمية للإدارة والأهالي على السواء.

حالة فيضان النيل:

يعد المنسوب الخاص بفيضان النيل غاية في الأهمية؛ ففي حالة وصول الفيضان إلى ١٦ ذراعاً فمعنى ذلك أنها تكون كافية لري غالبية الأراضي الزراعية، وبالتالي تزرع هذه الأرض، ويفرض عليها الميري (Shaw, 1968. 96). أما إذا ما كانت أقل من ١٦ ذراعاً فتعدّ فيضانات نادرة، ويتبعها القحط. وإذا كان المعدل أقل من ذلك تحدث المجاعة بالتأكيد، وهو ما يبشر بعام شديد على المجتمع بأسره؛ حيث يحدث طاعون وكذلك مجاعة؛ وذلك لأن الزراعة تعتمد على مياه النيل، فإن أي نقص فيها يؤدي للجفاف و "تشرق" الأراضي الزراعية، وفي المقابل تؤدي الزيادة المفرطة للنيل إلى غرق الأراضي

وطول فترة وجود المياه بها، ومن ثم تؤدي أحياناً إلى أزمات اقتصادية رصدتها أحد الرحالة الأجانب (Lithgow, 1973, 3-11).

ومن الجدير بالذكر أن قصور النيل عن الزيادة المعتادة لم يكن مقصوراً على العصر العثماني؛ إذ تعرضت مصر للعديد من المجاعات خلال العصور الوسطى، لا سيما في عصر المماليك الجراكسة (طرخان، ١٩٦٠م، ٢٥٤، ٢٥٥).

وكان للفيضانات الشحيحة - أقل من ١٦ ذراعاً - نصيب كبير في العصر العثماني، والتي نتج عنها جفاف الأراضي وتلف المحاصيل الزراعية. وفي حالة الزيادة واستمرارها فترة طويلة فإن ذلك يؤدي إلى فساد الزرع وتأخيرها عن مواسمها. وإذا أشرنا لأمثلة الفيضانات المنخفضة - الشحيحة - على حد قول المصادر نجد عام ٩٢٤هـ/ ١٥١٨م - مطلع العصر العثماني - "شرقت" فيه أغلب بلاد الصعيد وأكثر البلاد العالية التي لا تروى إلا بعشرين ذراعاً. وتشير المصادر إلى ذلك بأنه كان "نيلاً شحيحاً من أوله إلى آخره" (سامي، ٢٠٠٢م، ٨).

الأزمات الاقتصادية:

وعانت مصر من الأزمات في القرن السابع عشر الميلادي، وتأتي هذه الأزمات عنيفة أحياناً، ولكن تعقبها فترات رخاء تفصل بينها، حدثت من تأثيرها الكبير على المجتمع؛ ففي بداية القرن نجد حالة غلاء شديد في عهد علي باشا (شلي، ١٩٧٨م، ١٢٧، ١٢٨)؛ فعلى أثر أزمة فيضان النيل ارتفعت أسعار القمح إلى ٣٦ نصفاً للويرة الواحدة، وكانت المجاعة شديدة جداً لدرجة أن أمين الحسبة (عراقي، ١٩٨٥م، ١٤٥) عيّن أفراداً لتأمين الأفران، ويقومون بمنع الناس من خطف العجين من المواجير - الأواني التي يعجن فيها الدقيق - والخبز من الأسواق. ثم بدأ ببيع القمح للإفرنج في الجلود على هيئة البهار، فقامت الفرق العسكرية عليه رافضين قيامه ببيع القمح للإفرنج بستين نصف فضة في ظل وقوع المجاعة في مصر، وأبطلوا بيعه للإفرنج (شلي، ١٩٧٨م، ١٢٨).

ازدادت المجاعة شدة لدرجة أن المصادر أشارت لحالات أكل لحوم البشر، وتحولت المجاعة إلى طاعون كاسح راح ضحيته في اليوم نحو ٣٠٠ إنسان (أندريه، ٢٠٠٥م، ١٩٣). وأعقب تلك الأزمة سنوات من الرخاء وانخفضت أسعار السلع الغذائية انخفاضاً كبيراً لم يضع حد له سوى حدوث غلاء معتدل في تلك الفترة؛ حيث وصل سعر القمح ٩٠ بارة. واستقرت الأسعار بعد ذلك خلال حكم أحمد باشا (١٦١٥-١٦١٨م) الذي قام بوضع تسعيرة للقمح وصلت ٤٠ بارة، وقام بالعديد من الإجراءات لإمداد الأسواق بحاجتها من الغلال وتخفيض الأسعار، وذلك بعد أن شهد عام ١٠١٨هـ/ ١٦٠٩م حالة من الغلاء جراء انخفاض فيضان النيل عن ١٦ ذراعاً (شلي، ١٩٧٨م، ١٣٣).

أ- المجاعة:

وفي عهد إبراهيم باشا السلحدار (١٠٣٢-١٠٤٣هـ/ ١٦٢٢-١٦٣٣م) حدثت أزمة عنيفة نتيجة انخفاض منسوب فيضان النيل، وكانت تلك الأزمة بداية سلسلة من الأزمات سجل فيها سعر أردب القمح ٢٧٢ بارة خلالها. وحدثت فترة رخاء من عام (١٠٤١-١٠٤٣هـ/ ١٦٣١-١٦٣٣م) في عهد خليل باشا. غير أن منسوب المياه عاد للانخفاض بشكل سريع، ليعود الغلاء من جديد. وسجل أردب القمح

٨٠ بارة. وازدادت الأزمة حدة لوقوع الطاعون الذي استمر حتى ولاية مقصود باشا (١٠٥٢-١٠٥٤هـ/ ١٦٤٢ - ١٦٤٤م)، ليستمر نحو سبعة أشهر، وسقط خلالها خلق كثير جراء هذا الطاعون لدرجة أن "الجنائز صارت تمر في الأسواق مثل قطارة الجمال" (كينيث، ٢٠٠٠م، ٢٥٢).
لقد عاد الرخاء في عهد أيوب باشا (١٠٥٤-١٠٥٦هـ/ ١٦٤٤-١٦٤٦م) ليعقبه غلاء معتدل في عام ١٦٤٧م زاد فيه سعر القمح عن ٨٠ بارة للأردب (أندريه، ٢٠٠٥م، ١٩٤). واستمرت فترة الرخاء المعتدل نحو ربع قرن من الزمان، ليعود الغلاء الشديد إلى الظهور ابتداء من عام ١٦٧٨م؛ حيث وصل سعر أردب القمح ٢٤٠ نصفًا. وعاد الرخاء خلال فترة حكم علي باشا الذي أطلق عليه لقب (أبو الرخاء)، لكن عاد الطاعون ليضرب البلاد في عهد إبراهيم باشا (١٠٨٠ - ١٠٨٣هـ/ ١٦٧٠ - ١٦٧٢م)، فحدث منه ضرر كبير (الملواني، ١٩٩٨م، ١٩٧).

ب- الطاعون:

وفي عام ١٠١٨هـ/ ١٦٠٨م وجد في القاهرة طاعون (سليمان، ٢٠٠٠م، ٣٣) حصد الناس حصداً، حتى قيل إنه قضى على ستة آلاف خلال أسبوعين، مما جعل الرحالة جوزيف بتس يسارع مع من معه بمغادرة القاهرة إلى رشيد، ومنها إلى الإسكندرية التي وجد فيها الطاعون مستقرًا لدرجة أنهم ألقوا في البحر عشرين جثة ممن ماتوا بسببه (بتس، ١٩٩٠م، ٧٥). وفي زيارته لمصر في مطلع القرن السادس عشر أشار ليو الأفريقي إلى أن الطاعون يأتي أحيانًا، فيذهب بعدد لا يحصى من الناس لا سيما في القاهرة؛ حيث يموت أحيانًا اثنا عشر ألف شخص في اليوم (الوزان، ١٩٨٣م، ١٩٤). وقد تعرضت مصر لطاعون كبير في عهد مصطفى باشا ١٠٢٨هـ/ ١٦١٨م، واستمر نحو ثلاثة أشهر (مرعي، نزهة الناظرين في تاريخ من ولي مصر من الخلفاء والسلطين، مخطوط، دار الكتب، ميكروفيلم رقم: ١٣٢٠.٢٢، تاريخ تيمور).

ج- ارتفاع الأسعار:

ومن أهم الأزمات التي تعرضت لها مصر في العصر العثماني (١١٠٦ - ١١٠٨هـ/ ١٦٩٤ - ١٦٩٦م)، وتعد من أشد الأزمات التي ضربت مصر منذ العصور الوسطى، وأصبحت تلك الأزمة معلماً بارزاً تقارن به أزمات "الشرقي" التي عصفت بمصر خلال القرن التالي - الثامن عشر - فلم يوف النيل عدة ثلاث سنوات متعاقبة، فسجل ١٦ ذراعًا في عام ١١٠٥هـ/ ١٦٩٣م، وهو ما روى الأراضي الزراعية بالكاد. وفي العام التالي ١١٠٦هـ/ ١٦٩٤م سجل نفس المنسوب، ثم العام الذي يليه، لكن كانت المياه تنحسر سريعاً، مما أدى إلى تفاقم الكارثة؛ حيث ضرب "الشرقي" أرض مصر باستثناء بعض مساحات قليلة في أراضي الغربية والمنوفية التي أمكن ردها بالتحايل الشديد على الري باستخدام الشواذيف وغيرها (ابن الحاج، ٢٠٠٢م، ٨٤).

لقد تفاقمَت الأزمة بشكل كبير؛ فعندما فتح الخليج لم تنسب المياه محرم ١١٠٦هـ/ ١٦٩٤م، وكان معنى ذلك حدوث جفاف غير عادي؛ حيث تأثرت أسعار الغلال في الأسواق، فبيع أردب القمح بـ ٦٠ نصفًا، وندر وجود الخبز، فما كان من كوجك محمد باشا أوداباشي الإنكشارية إلا أن اتخذ إجراءات حازمة لإيقاف المضاربات في أسعار القمح في الأسواق، ما أدى إلى ضبط الأمور. لكن ما إن تم اغتياله

في صفر / سبتمبر من نفس العام حتى ازدادت الأسعار، ووصلت إلى ١٨٠ بارة للأردب بنهاية العام (أندريه، ١٩٧٨م، ١٩٧).

واستمر ارتفاع الأسعار هذا ووصل سعر أردب القمح ٣٦٠ بارة، ثم وصل إلى ٤٨٠ بارة، مما أدى إلى اتجاه الفقراء والشحاذين وغيرهم إلى رفع شكواهم إلى الديوان جراء غلاء المعيشة، ولكن لم يستجب لهم أحد، فاتجهوا إلى رجم أهل الديوان بالحجارة، ثم اتجهوا إلى الرميطة، ونهبوا مخازن وحوانيت تجار الغلال، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل نزح أهل الريف إلى المدن، وبخاصة القاهرة؛ عليهم يجدون ما يسد رمقهم. لقد امتلأت القاهرة وأزقتها بهؤلاء الناس، ومات الكثير منهم جراء الجوع، وانتشرت السرقة في الأسواق؛ حيث كان الجوعى يخطفون الخبز من الأسواق، بل من على رؤوس الخبازين الذين لجأوا إلى حيلة لمنع تلك السرقات؛ حيث صنعوا أقفاصاً خشبية، وعملوا على تأمين حاملها برجال مسلحين (محمود، ٢٠١٦م، ٨٣).

لقد تفاقمت الأوضاع، واضطر الجوعى إلى أكل قشر البطيخ من الطرقات، وأكلوا رؤوس الماشية والخيول بل والحمير والبغال والقطط والكلاب، ووصل الأمر لأن أكلوا الجيفة والرمم، ولما لم يجدوا اتجهوا لأكل لحوم البشر، وعلى حد تعبير المصادر: "وقشا أكل بني آدم واشتهر" (إبراهيم، ١٩٩٨م، ٦٢). وازداد الوضع سوءاً في الريف؛ حيث مات الكثير من الفلاحين الذين لم يتمكنوا من النزوح إلى القاهرة، واجتهد الناس في دفن موتاهم في الجبانات التي تصاعدت منها الروائح الكريهة، مما أدى إلى ظهور الطاعون، وعلى حد تعبير المصادر: "لم يزل الأمر يزداد، وتغلو الأسعار إلى تمام سنتين حتى دابت الخلق" (شلي، ١٩٧٨م، ١٩٠). وقد استمر هذا الوباء قرابة أربعة أشهر، وازداد الأمر سوءاً، خاصة بين أبريل ومايو بسبب هبوب رياح الخماسين (شلي، ١٩٧٨م، ١٩١).

لقد تتابعت حالات الموت، وكثرت الجنازات حتى خرجت مواكبها متتابعة متلاحقة، وكان الموتى يتساقطون في الطرقات والأزقة، وكانت المساجد لا تخلو من صلاة على الجنازات التي تتم بشكل جماعي طوال هذه الأزمة. وكان المشيعون يتساقطون أثناء تشييعها، فازدادت أعداد الجثث في الطرقات والشوارع ممن لا يعرف لهم أهل ولا مسكن. وتفاقمت العدوى لعدم قدرة الأحياء على ملاحقة دفن الموتى، وخاصة حين تتعذر عملية الدفن ذاتها بسبب موت القائمين على تجهيز الموتى (إبراهيم، ١٩٩٨م، ٦٣).

لقد أدت كثرة الموتى إلى انخفاض الطلب على الغلال، مما أدى إلى انخفاض سعرها، فتدنى السعر حتى وصل إلى ٦٠ بارة للأردب القمح بعد نحو خمسة عشر يوماً من انتشار الطاعون في رجب ١٠١٦هـ/ فبراير ١٦٩٦م (إبراهيم، ١٩٩٨م، ٦٤). ولم تتوقف الأزمة عند انخفاض منسوب مياه النيل فحسب، بل أحياناً يزيد الفيضان ليسجل ٢٤ ذراعاً حتى وصف بأنه كالطوفان، وهو ما ضاعف من الأزمة، فسجل أردب القمح ١٥٠ بارة، فضلاً عن موت الفلاحين إلى جانب الثيران والأبقار التي كانت القوى المحركة لإدارة السواقي والشواذيف لري الأراضي، وترتب على ذلك ارتفاع سعر أردب القمح حتى وصل إلى ٣٦٠ بارة للأردب (الدمرداشي، ١٩٨٩م، ٣٠).

وإذا كانت الأزمة ما بين ١١.٦-١١.٨هـ/ ١٦٩٤-١٦٩٦م بمثابة مجاعة كبرى فإن أزمة غلاء ١١١٧-١١١٨هـ/ ١٧٠٥-١٧٠٦م لم تكن أقل مأساوية؛ فقد جاء الفيضان الشحيح الذي لم يؤدّ إلى زراعة مساحات كبيرة، فأدى إلى بوارها كلها، ولذلك حدث الغلاء في صيف ١١١٧هـ/ ١٧٠٥م، وارتفع سعر أردب القمح إلى ٢٤٠ بارة، ما أدى إلى خروج الفقراء والشحاذين - كالعادة في مثل هذه الأزمات - أفواجا إلى القاهرة. غير أن الأزمة عادت تتفجر في صيف ١١١٨هـ/ ١٧٠٦م؛ حيث عادت الأمور سريعا إلى وضعها الطبيعي، خصوصا أن فترة الجفاف نفسها كانت قصيرة، كما أنها وقعت في سنوات من الرخاء الزراعي (أندريه، ٢٠٠٥م، ٢٠٢).

وجاء انخفاض منسوب مياه النيل في شعبان ١١٢٥هـ/ أغسطس ١٧١٣م، ليؤدي إلى اضطرابات في كل من رشيد ودمياط والقاهرة ومصر القديمة؛ حيث نهب الأهالي حواصل القمح، لكن لم يرتفع سعر القمح بشكل كبير، فوصل إلى ٧٠ بارة للأردب، ولفترة قصيرة جدا؛ لأن محصول عام ١١٢٥هـ/ ١٧١٣م جاء وفيرا، فعادت الأسعار إلى الانخفاض في سريعا (أندريه، ٢٠٠٥م، ٢٠٢).

وأعقب ذلك فيضانا ١١٢٩-١١٣٠هـ/ ١٧١٦م - ١٧١٧م اللذان كانا سيئين، فقل محصول هذين العامين، وأدى ذلك إلى ارتفاع أسعار المواد الغذائية الرئيسية، خاصة القمح الذي وصل إلى ٢١٤ بارة للأردب، مما أثار العامة الذين حقدوا على الأغنياء الذين كدسوا القمح في حواصلهم. وقد شهدت منطقة الرميطة تجمع نحو عشرة آلاف شخص أو يزيد، محتجين على تكريس القمح واحتكاره، مما دفع الباشا لإصدار أوامر للعامة لنهب حواصل التجار المحتكرين. وفي الوقت ذاته بدأ الطاعون في الإسكندرية ورشيد، وامتد إلى القاهرة وضواحيها، ليقتضي على ٥٠٠٠ إلى ٦٠٠٠ شخص يوميا، لدرجة أن البعض قدر أن الضحايا بنحو ٣٠٠,٠٠٠ شخص، كان من بينهم عدد كبير من كبار الأمراء أمثال إبراهيم بك الكبير (محمود، ٢٠٢٠م، ٨٥).

وارتفعت أسعار القمح ارتفاعا حادا في عهد محمد باشا (١١٣٤-١١٣٨هـ/ ١٧٢١ - ١٧٢٥م) نتيجة انخفاض منسوب فيضان النيل الذي كان انخفاضا سيئا في عام ١١٣٤هـ/ ١٧٢١م، وأدى ذلك لندرة المعروض من القمح، وهاج الشعب في الإسكندرية، وبدوره في القاهرة على أثر ارتفاع سعر أردب القمح في القاهرة إلى ١٨٠ بارة، وثارت الرعية، ورجم المتظاهرون السناجق - القادة العسكريين - والمتوجهين إلى عقد اجتماع في الديوان بالحجارة. وبتبع المجاعة انتشار الطاعون في ١١٣٦هـ/ ١٧٢٣م، واستمرت الأزمة في العام التالي ١١٣٦هـ/ ١٧٢٤م، وفاقم من الأزمة تدهور قيمة البارة الذي ساعد على ارتفاع الأسعار، وكان منسوب المياه منخفضا، فارتفع سعر أردب القمح إلى ٤٨٠ بارة (أندريه، ١٩٧٨م، ٢٠٦). وقد ثار العامة، ونهبوا الأسواق، وهاجموا الجامع الأزهر أثناء إلقاء العلماء دروسهم، وتوجهوا بعد ذلك إلى الرميطة وبيت جركس بك، وقام عسكر جركس بمهاجمة الرعية، لإخماد تمردهم (محمود، ٢٠٢٠م، ٨٦).

وشهد عاما ١١٥٤-١١٥٥هـ/ ١٧٤١-١٧٤٢م أزمة غلاء كبيرة بسبب انخفاض منسوب الفيضان، مما أدى إلى ضعف الإنتاج، وارتفع سعر أردب القمح إلى ٢٢٠ و ٢٤٠ بارة. وجاء فيضان ١١٧٢هـ/ ١٧٥٨م منخفضا، مما أدى إلى حدوث مجاعة في عام ١١٧٣هـ/ ١٧٥٩م، ووصل سعر أردب القمح إلى ٢٥٥

بارة، وتزامن معه طاعون شديد نتج عنه وفاة نحو ٥٠٠٠ نفس في القاهرة وحدها (أندريه، ١٩٧٨م، ٢٠٧).

ويأتي الربع الأخير من القرن الثامن عشر بسلسلة أزمات اقتصادية؛ ففي عامي ١١٩٨-١١٩٩هـ/ ١٧٨٣-١٧٨٤م جاء منسوب الفيضان ضعيفاً، وانحسرت المياه سريعاً قبل أن تروي أراضي الدلتا والصعيد، وسرعان ما نتج عن ذلك غلاء فاحش، فوصل سعر أردب القمح إلى نحو ٩٠٠ بارة. وفي ذلك يقول الجبرتي: "قصر مد النيل، وانهبط قبل الصليب بسرعة، فشرقت الأراضي القبلية والبحرية، وعزت الغلال بسبب ذلك، وبسبب نهب الأمراء وانقطاع الوارد من الجهة القبلية، وشطح سعر القمح إلى عشرة ريالاً للأردب، واشتد جوع الفقراء" (الجبرتي، ٢٠٠٣م، ١٠٧).

وتسبب استمرار انخفاض منسوب الفيضان إلى قفز سعر أردب القمح من ١١٨ بارة إلى ٥٤٠ بارة في عام ١٢٠٧هـ/ ١٧٩٢م، فضج الأمراء، وخشي مراد بك وإبراهيم بك اللذان اجتهدا في العمل على تخفيض الأسعار وصار الأغا يضرب المتسببين في الغلة، ويسمرهم على أبواب حوانيتهم، لكن دون جدوى. ومما زاد الأمر سوءاً تكرار انخفاض منسوب الفيضان، فاستمر سعر القمح في الارتفاع حتى بلغ حداً لم يسجله على الإطلاق من قبل؛ إذ بيع ب ١٦٢٠ بارة للأردب (الجبرتي، ٢٠٠٣م، ٣٤٤).

لقد ساءت الأوضاع الاقتصادية بشكل بالغ، ويسجل ذلك الجبرتي بعبارات تقطر ألماً؛ ففي تأريخه لشهر المحرم ١٢٠٧هـ / ١٧٩٢م يقول: "والأمر في شدة من الغلاء، وتتابع المظالم، وخراب البلاد وشتات أهلها وانتشارهم بالمدن ممن ملأوا الأسواق والأزقة رجالاً ونساءً وأطفالاً ليكون ويصيحون ليلاً ونهاراً من الجوع، ويموت من الناس في كل يوم جملة كثيرة من الجوع"، ويستطرد فيقول: "هبط النيل قبل الصليب بعشرة أيام، وكان ناقصاً عن ميعاد الري نحو ذراعين، فارتجت الأحوال، وانقطعت الآمال"، وكان الناس ينتظرون زيادة النيل، فلما نقص "انقطع أملهم، واشتد كربهم، وارتفعت الغلال من السواحل والعرصات"، وارتفع سعر كافة الحبوب، فوصل القمح إلى ١٦٢٠ بارة مرة أخرى، ثم اشتد الغلاء إلى أن صار الناس يفتشون على الغلة فلا يجدونها، ولم يبق للناس "شغل ولا حكاية ولا سمر بالليل والنهار في مجالس الأعيان وغيرهم إلا مذاكرة القمح والفلول والأكل ونحو ذلك"، ويضيف قائلاً: "وشحت النفوس، واحتجت المساتير، وكثر الصباح والعويل ليلاً ونهاراً، فلا تكاد تقع الأرجل إلا على خلائق مطروحين بالأزقة، وإذا وقع حمار أو فرس تراحموا عليه، وأكلوه نيئاً، ولو كان منتناً، حتى صاروا يأكلون الأطفال". لقد اشتد الحال حتى إن الدودة أكلت الغلة التي زرعها الفلاحون بعد انكشاف الماء، فحراثوها مرة أخرى، وزرعوها، فأكله الدود أيضاً، ولم ينزل من السماء قطرة ولا ندية ولا صقيع، بل كان في أوائل كيهك (شرودات وأهوية حارة ثقيلة، ولم يبق بالأرياف إلا القليل من الفلاحين، وعمهم الموت والغلاء" (الجبرتي، ٢٠٠٣م، ٣٦١).

وفي عام ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٣م ارتفع سعر أردب القمح إلى ٧٢٠ بارة، ولم تتحسن الأوضاع إلا في أغسطس من نفس العام، عندما جاء الفيضان وافراً، وجاء المحصول جيداً، واستمرت الأزمة نحو عشر سنوات (أندريه، ١٩٧٨م، ٢١٩).

ومهما يكن من أمر فقد استمر مسلسل انخفاض منسوب مياه النيل طوال العصر العثماني، وإن شهد فترات وفاء للنيل، وإن كان نادراً وكان للسلطة الحاكمة موقف من الأزمات الناتجة عن انخفاض منسوب النيل، وكذلك الرعاية.

موقف السلطة الحاكمة من انخفاض منسوب النيل:

كان للسلطة الحاكمة - متمثلة في الباشا ومعاونيه وكذلك السلطان العثماني والإدارة العثمانية في إستانبول - دور في التخفيف من حدة هذه الأزمات، فكانت الإدارة العثمانية ترسل غلالاً من ولايات أخرى، وخاصة الشام التي كانت تقوم بإمداد مصر بالغلل خلال هذه الأزمات في حالة خلو بلاد الشام منها.

ولعب كبار التجار وملاك السفن وكذلك الشخصيات الثرية في كل من مصر والشام دوراً بارزاً في هذه الأزمات؛ فقد كانوا يشترون القمح بأسعار منخفضة، ويقومون بتخزينه أو عندما تتفاقم الأزمة يبيعونه بأسعار عالية تجعلهم يحققون أرباحاً طائلة تصل إلى أضعاف مضاعفة للسعر في الظروف العادية، بمعنى احتكار السلعة (مانتران، ١٩٩٣م، ٣٨٢).

ويتضح من ذلك أن دور الدولة كان ضعيفاً، فكانت تكتفي بإصدار فرمانات إلى الأجهزة الإدارية بالموانئ أو الثغور تحت التجار على عدم المغالاة في رفع الأسعار. وحين كان حكام الثغور يتحرشون بالتجار كانت الإدارة لا تتوانى عن إصدار البيورلدات - الأوامر - بإطلاق الحرية لهم في بيع قمحهم في الأماكن التي يريدونها ولا يعارضونهم، وعلى حد تعبير المصادر فإن "جل قصدنا الرفق على المسلمين وراحتهم" (إبراهيم، ١٩٩٨م، ١٥٣). وإزاء استمرار الأزمة الاقتصادية كانت الدولة العثمانية ترسل سفناً محملة بالغلل من ذلك وصول عدة سفن محملة بالغلل من إستانبول إلى دمياط في عام ١٠٥٣هـ / ١٦٤٣م، وذلك بعد أن استحكمت الأزمة الاقتصادية التي انتهت بطاعون انتهى في ذات العام (الجبرتي، ٢٠٠٣م، ٣٦٢). وضربت مصر أزمة مماثلة في نهايات القرن الثامن عشر، وعندما استفحلت الأزمة أرسلت الدولة العثمانية غلالاً كثيرة، فحصل للناس اطمئنان وسكون، ورافق ذلك حصاد الذرة، فنزل السعر (الجبرتي، ٢٠٠٣م، ٣٦٣).

وكانت فرمانات العثمانية التي يحملها الولاة تؤكد الاهتمام بتسعير البضائع وغيرها مثلما حدث مع الأمير علي العثماني الذي جاء فيه أن السلطان سليمان فوض لـ "خير الدين" التكلم على مصر وأعمالها؛ يعزل من يختار، ويولي من يختار، وأن ينظر في تسعير البضائع كالقمح وغيره، وقد أظهر غاية في العدل في ذلك المرسوم، وأكد فيه النظر في أحوال الرعاية (سامي، ٢٠٠٢م، ١٢).

ويذكر المؤرخ أحمد شلي بن عبد الغني أن موقف بعض الباشوات الضعاف يساعد "أحياناً" على تفاقم الأزمة، وذلك "لعجز الباشا وضعف أحكامه"، وكان بعض الباشوات يطالبون الأهالي بالابتهاال إلى الله بالدعاء لحل الأزمة (شلي، ١٩٧٨م، ١٣٨). وقام أحمد باشا بتسعير القمح بـ ٤٠ بارة للأردب، وأرسل إلى مخازن القمح وكسرها، وسار إلى الخانكة وإلى بلبس، وصحبه الوالي والمحاسب خفية، وأخرج القمح المخزون، وأمر بحمله إلى القاهرة، وقام بقتل بعض أصحاب هذه المخازن، فنزل سعر أردب القمح عن ثلاثين بارة؛ أي أقل من التسعيرة التي حددها الباشا نفسه (شلي، ١٩٧٨م، ١٣٦).

ونجد أحد الباشوات يرتب خبزاً وشربة وعلوفة للفقراء تصرف لهم شهرياً (شلي، ١٩٧٨م، ١٥٤). وقام إسماعيل باشا بتوزيع الفقراء والشحاتين على الصناجق والملمزمين بمصر كل على قدر إمكانياته، وأخذ لنفسه ولأعيان دولته ألف إنسان، وعيّن لهم من الخبز والطعام ما يكفيهم صباحاً ومساءً إلى أن انقضى الغلاء (شلي، ١٩٧٨م، ١٥٧).

ويذكر فانسلبيو موقفاً سلبياً لـ "إبراهيم باشا" والي مصر عام ١٠٨٢هـ / ١٦٧١م الذي اختلس سبعين ألف أردب من القمح في مصر، مما أدى إلى حدوث مجاعة كبيرة (فانسلبيو، ٢٠٠٦م، ١٠٠)، وأباح أحد الباشوات في عام ١١٣١هـ / ١٧١٨م للناس نهب حواصل الغلال التي يكسدها فيها التجار بضائعهم، وكانت تلك المجاعة قد اقترنت بالطاعون الذي بدأ في الإسكندرية ورشيد، وامتدت عدواه إلى القاهرة وضواحيها بدءاً من أبريل "ومات فيه خلق كثير" (أندريه، ١٩٧٨م، ٢٠٥).

ولعب بعض الأمراء دوراً مهماً في مواجهة أزمة انخفاض منسوب مياه النيل وما يترتب عليه من أزمات، فيها هو الأمير إبراهيم بك أبو شنب عندما عاد من سفره إلى جزيرة كريت قابله شحاذو مصر بحصان كهديّة اشتروه بأربعة آلاف نصف جمعوها من بعضهم البعض، وقدموه له قائلين له: "يا أبا الفقراء، ما أحد افتركنا وأنت غايب أبداً". وقام الأمير بعمل سمّاط، وأغدق عليهم، ولم يركب إلا الجواد الذي أهده له " (شلي، ١٩٧٨م، ١٨٨). وكان إبراهيم باشا يعرفهم - أي الفقراء والشحاذين - بالواحد (الدمرداشي، ١٩٨٩م، ١٥٠).

وإزاء اشتداد أزمة فيضان النيل في ١١٠٦هـ / ١٦٩٤م ركب كوجك محمد إلى بولاق، وصعد إلى التكية، وأحضر الأمناء والكيالين والرؤساء، وتوعدهم بأنه إذا زاد القمح عن ستين نصفاً للأردب شتقهم جميعاً، وحاول المحتكرون استمالته برشوة قدرها خمسة آلاف دينار حتى يبيعوا القمح بأربعة قروش للأردب، فأقسم لهم إن زاد عن الستين ليقتلن الجميع والمحامين لهم، وقام بقتل ثلاثة "رؤساء" للمراكب واثنين من الأمناء، وأكد على السعر الذي حدده. لكن قُتل كوجك محمد، وارتفعت الأسعار، وأدرك الناس قيمته بعد موته " (الدمرداشي، ١٩٨٩م، ٢١). وقام سليم أغا بمهاجمة المخازن، وأخرج الغلال، وضرب القماحين والمتسببين ومنعهم من زيادة الأسعار، فظهر القمح بالأسواق، "وراج الحال، وسكنت الأقوال" (الجبرتي، ٢٠٠٣م، ١٥).

موقف الرعية من انخفاض منسوب نهر النيل:

كان للرعية موقف واضح من هذه القضية، وكان في الصدارة العلماء الذين لم يكونوا بعيدين عن المشهد؛ فعندما اشتكى الناس من غلاء الأسعار في ربيع الأول ١٢٠١هـ / ديسمبر ١٧٨٦م تكلم الشيخ العروسي مع حسن باشا بسبب ذلك، وقال له: "في زمن العصاة كان الأمراء ينهبون، ويأخذون الأشياء من غير ثمن، والحمد لله هذا الأمر ارتفع من مصر بوجودكم، وما عرفنا موجباً لغلاء أي شيء، فتشاور الباشا مع كبار العسكر، وعقد اجتماعاً، واتفقوا على تسعيرة للخبز والمواد الغذائية الأخرى، فكان "سعر الخبز كل عشر أواق بنصف فضة" (الجبرتي، ٢٠٠٣م، ١٥).

وتشير المصادر لعدم بيع الحبوب للإفرنج: "ولا يباع شيء من جنس الحبوب إلى جماعة الإفرنج" (شلي، ١٩٧٨م، ٢١٩). ويذكر ابن عبد الغني أمراً شريعياً قُرئ بالديوان مفاده: "إنّا أرسلنا لكم مراراً

نحذركم من إرسال غلة إلى النصارى (أي نصارى أوروبا)، فلم تمتثلوا، فاستمرىتم على المخالفة، وارتكبتهم ما يوجب العصيان، لا يعطى شيء للنصارى لا من حنطة ولا أرز ولا بن " (شلي، ١٩٧٨م، ٢٦٧). وأشارت الوثائق لمنع بيع الحبوب للإفرنج؛ حيث سجلت حجة لأحد الفرنسيين يشتري كتناً وأقمشة وسمكاً وغيرها مع التشديد على منع تصدير الحبوب " خارجاً عن الممنوعات من القهوة والأرز والقمح لم "يوسق من ذلك شيء" (محكمة الإسكندرية: سجل ٦٤، ص ٣١، م ٥١، ٢٩ ذو القعدة ١١٢١هـ/ ٣١ يناير ١٧١٠م؛ نفسه: م ٥٢، ٣٠ ذو القعدة ١١٢١هـ/ ١ فبراير ١٧١٠م).

ويمنع تصدير الحبوب كذلك للولايات العربية التابعة للدولة العثمانية؛ من ذلك منع تصديرها لبلاد الشام إلا إذا حدث في أزمة اقتصادية شديدة أو زيادة كميات الحبوب في مصر عن الاحتياجات الفعلية للسكان (حنفي، ٢٠٠٠م، ١٦٦). وذلك لخشية الإدارة في مصر من حدوث هبات شعبية في أزمدة الأزمات الاقتصادية؛ ففي عام ١٢٠١هـ/ ١٧٨٦م، حين احتج الناس على كثرة تصدير الغلال إلى بلاد الشام، أصدرت الإدارة بيورلدي - أمراً - منعت فيه جميع من كان يتاجر بالحبوب وينقلها إلى الشام، وأمر بإرسال جميع الغلال المخزونة للبيع في بولاق، وذلك " شفقة على أهل مصر لاشتداد الأسعار ". وشدد الأمر على ذلك، ومن يخالفه يتعرض للضرر (حنفي، ٢٠٠٠م، ١٦٥). لقد دفعت الأرباح التي يجنيها التجار من وراء بيع القمح المصري وتصديره لبلاد الشام على أنه أرز (Savary، 1998. 313).

ويتضح من ذلك الدور السلبي أحياناً للرعية خصوصاً من التجار في إشعال الأزمة الاقتصادية في مصر من خلال سحب كميات من الغلال وتصديرها إلى بلاد الشام؛ ليحققوا فائض ربح كبير على حساب بني جلدتهم من المصريين (محمود، ٢٠٢٠م، ١٥٦). وظهر التكافل الاجتماعي بين المصريين في بعض الأحيان إبان الأزمات الاقتصادية، بمعنى أن بعض الأهالي كانوا يحاولون تخفيف الأزمة، فنجدهم يظهرون الحب للخير والعطف على الفقراء والمحتاجين، فيشترون الغلال من بلاد الشام إبان الأزمات؛ كما حدث في ٩٧٨هـ/ ١٥٧٠م، وبيعونه بسعر معتدل في الإسكندرية ورشيد (هريدي، ٢٠٠٤م، ٣٩). ولعب العسكر - أحياناً - دوراً إيجابياً في الأزمات الاقتصادية التي كانت تمر بها مصر؛ فعندما أقبل أحد الباشوات على بيع القمح للإفرنج قام العسكر عليه، وقالوا له: " كيف تبيع القمح للإفرنج بستان نصفاً. وقد أكلت الناس بعضها بعضاً من الغلاء ... فبطل بيع القمح للإفرنج " (شلي، ١٩٧٨م، ١٢٧). وقام العامة بنهب مخازن الحبوب بالرميلة، وارتفع سعر القمح نتيجة لذلك إلى ٢٤٠ بارة في ذات اليوم، ونهب العامة مخازن الغلال والحوانيت المجاورة لها، فاضطر الباشا إلى إرسال مجموعة من العسكر لتفريق المتظاهرين، وانخفضت الأسعار، وعاد الهدوء، ولكن راح ضحية هذا الحدث ثلاثة عشر قتيلاً " (أندريه، ٢٠٠٥م، ١٠٧).

وتفاقت الأزمة في نهاية عام ١١٠٦هـ/ ١٦٩٤م، ووصل سعر أردب القمح إلى ٥٠٠ بارة في عام ١١٠٧هـ/ ١٦٩٥م، وارتفعت أسعار السلع الغذائية الأخرى ارتفاعاً حاداً، واستمر الموقف متأزماً، الأمر الذي اضطر جموع الفقراء والشحاذين إلى رفع شكواهم إلى الديوان من جراء غلاء المعيشة،

وعندما لم يجهم أحد قاموا برجم أهل الديوان بالحجارة، ثم توجهوا إلى الرميطة؛ حيث نهبوا مخازن وحوانيت تجار الغلال (أندريه، ٢٠٠٥م، ١٩٨).

وعندما اشتد الغلاء في ربيع الأول ١١٣٧هـ/ نوفمبر ١٧٢٤م ثار الأهالي، وأغلقوا الحوانيت، ونهبوا الأسواق، وهاجموا الجامع الأزهر أثناء إلقاء بعض الدروس، ثم توجهوا إلى الرميطة، وعندما حاول العسكر إخماد التمرد صعد الفقراء فوق المآذن، وأمضوا الليل يدعون الله بالعفو والمغفرة، ويدعون على العسكر وأمراءهم (أندريه، ٢٠٠٥م، ٢٠٧).

وفي بعض الأزمت كان موقف الأهالي أكثر إيجابية؛ فقد هاجموا الصناق وهم صاعدون إلى الديوان، وقذفوهم بالحجارة، بل وصعدوا إلى الديوان، واشتكوا إلى الباشا الذي قام بتسعير القمح بسبعين بارة للأردب بعدما قارب المائتين، ولكن نهب الأهالي جميع مخازن الغلال حتى عز وجود القمح تمامًا، وعلى حد تعبير المصادر "وبانت الناس تلك الليلة بالجوع" إلى أن ألغوا التسعيرة، فوجد القمح (شلي، ١٩٧٨م، ٣٤٧). وفي ذات السياق صعد الفقراء إلى القلعة؛ حيث اجتمع الفقراء والشحاذون رجالاً ونساءً يستغيثون من شدة الجوع، فلما لم يجهم أحد نزلوا إلى الرميطة، ونهبوا مخازن القمح الموجودة بها وكالة القمح، وحاصل كتحدا الباشا، ومات الكثير من الجوع، وخلت القرى من سكانها (أمين، ٢٠٠٢م، ٦٧).

وكان الناس يحتجون بالدعاء؛ فعلى أثر انخفاض منسوب فيضان النيل "ضج الناس، وابتهلوا بالدعاء وطلب الاستسقاء، واجتمعوا على جبل الجيوشي وغيره، فاستجاب الله لدعائهم، فروى بعض البلاد، ثم هبط سريعاً، فحدث الغلاء (الجبرتي، ٢٠٠٣م، ٥٨). وتضطر الإدارة للتحرك لعلاج الأزمة في حالة تحرك الأهالي؛ ففي عام ١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م حدثت أزمة، وارتفعت فيها الغلال من الأسواق، وضح الناس، وأيقنوا القحط، وارتفع سعر الحبوب، فاشتكى الناس للإدارة، فاضطر الأغا إلى الخروج، وضرب المتسببين المحتكرين للغلة، "وسمر آذانهم"، واضطر كبار الأمراء إلى الخروج؛ كإبراهيم بك ومراد بك، وشددوا على عدم زيادة الأسعار (الجبرتي، ٢٠٠٣م، ٣٤٤). وفي بعض الأحيان كان العامة يهبون الخبز، بل ويضربون الخبازين، ويهبون خبزهم (محافظ الدشت : محفظة ٥٠، ص ٨١، ١٥ صفر ٩٦٥هـ/ ٧ ديسمبر ١٥٥٧م).

وثمة عامل آخر يؤثر على استسقاء الأزمة، ألا وهو التدهور النقدي. وكان يعد أحد أهم أسبابها؛ فقد شهدت الأسعار تذبذباً خلال القرن السابع عشر بالارتفاع حيناً والانخفاض أحياناً، وكان أقصى ارتفاع في قيمة الفضة للبارة ١٨٨ عام ١٠٢٦هـ/ ١٦١٧م، ولكن لم تتمكن من الاستقرار، فأخذت قيمتها في الانحدار حتى استقرت عام ١١١٥هـ/ ١٧٠٣م على ٤٧" (صمويل، ١٩٨٠م، ٨٦).

وارتفعت قيمة البارة إلى ٩٣، ثم تراجعت بالنقصان والزيادة حتى وصلت إلى الانحدار إلى ٤٧ عام ١١٣٩هـ/ ١٧٢٦م، كما كانت عام ١١١٥هـ/ ١٧٠٣م، ثم تعاود الارتفاع لتستقر على ٦٩ عام ١١٤٧هـ/ ١٧٣٤م، وتعود لتنخفض انخفاضاً طفيفاً، ويتوالى الانخفاض التدريجي للبارة حتى تصل إلى ٣٠ في قيمة الفضة بها عام ١٢١١هـ/ ١٧٩٦م (شلي، ١٩٧٨م، ٨٧). وقد أسهمت الصراعات العسكرية بدورها في احتدام الأزمت الاقتصادية؛ كالصراع بين الفرق العسكرية من ناحية والأمراء المماليك

من ناحية أخرى، أو بين الأمراء المماليك وبعضهم البعض، والتي كانت من أهم سمات العصر العثماني. (HOLT, 1966, 80- 83).

أهم نتائج البحث:

من خلال العرض السابق نخلص إلى أن أثر انخفاض منسوب نهر النيل على الزراعة وندرة الغذاء كان كبيراً، ولذلك اهتمت الحكومات المتعاقبة بقياس منسوب مياه النيل منذ العصور القديمة، مروراً بالعصور الوسطى، وحتى العصر العثماني الذي شهد انخفاض منسوب مياه النيل في فترات متعددة، مما دفع الإدارة في مصر إلى الاهتمام بإنشاء العديد من المقاييس على نهر النيل لمعرفة وفاء النيل من عدمه؛ لتقدير الضرائب على الأراضي الزراعية في مصر.

وكان وصول منسوب المياه إلى ١٦ ذراعاً فأعلى معناه ري أغلب أراضي مصر الزراعية إذا سار الفيضان بشكل طبيعي ولم يحدث له انخفاض سريع كما حدث في بعض السنوات، أو زيادة مفرطة فوق الـ ٢١ ذراعاً، واستمرت المياه، ولم تنحسر لفترة، ولم تزرع مساحات من الأراضي لعدم انحسار المياه عنها.

وقد عانت مصر كثيراً من أزمات انخفاض منسوب مياه النيل، والتي كانت تؤدي - في غالب الأحيان - إلى مجاعات تنتهي - أحياناً - بأوبئة وطواعين حصدت أعداداً غفيرة من السكان، سواء في الريف أو المدينة، ولم تفرق بين أمير وغفير، أو غني وفقير مخلفة وراءها آلاف الجثث يومياً. وكانت هذه الأزمات أشبه بمسلسل تتشابه حلقاته ونهاياتها مع اختلاف الأشخاص والفترات طيلة العصر العثماني.

واتضح أن الإدارة المركزية في إستانبول - وكذلك الإدارة المحلية في مصر - قد حاولت التخفيف من حدة هذه الأزمات - ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً - وذلك بتحديد الأسعار والتشديد عليها وعدم تجاوزها، ولجأت أحياناً لإجراءات عنيفة تصل لدرجة قتل البعض؛ حفاظاً على السلام الاجتماعي وعدم تطور الأوضاع إلى هبات شعبية قد تأتي على الأخضر واليابس، أو حفظاً لماء الوجه أمام أمراءها. وأحياناً تصدر الفرمانات والأوامر بمنع تصدير الحبوب إلى أوروبا، وأحياناً إلى بلاد الشام مع أنها ولاية من الولايات العربية التابعة للدولة العثمانية.

وأثبتت الدراسة قيام الأهالي أحياناً بالتصدي لهذه الأزمات برفع الشكاوى أحياناً إلى ولاية الأمور، وأحياناً أخرى تضغط لوضع حل لهذه الأزمات بشكل سلمي، وتأتي هذه السياسات بنتائج إيجابية، وتحل الأزمة أحياناً، وفي أحيان أخرى يكون الرد عنيفاً، خاصة إذا لم تستجب السلطات لمطالبهم، ويتحول الوضع إلى حالة سيئة أكثر من المتوقع، فيصل إلى الهياج الشعبي أو حتى ثورة يهيب فيها العامة مخازن الغلال العامة والخاصة، بل حوانيت البضائع الأخرى، مما يكون له عواقب وخيمة على الجميع، وكان هذا يحدث بشكل متكرر يكاد يكون دورياً خلال فترات العصر العثماني.

التوصيات:

- ١ - ضرورة الاهتمام بدراسة دقيقة تخص مقياس النيل وتطوره عبر التاريخ.
- ٢ - رصد سنوات المناسيب المنخفضة بدقة وتتبعه طيلة العصر العثماني.

- ٣- الاهتمام بالدراسات البيئية والقريبة من هذا الموضوع كالعلوم الزراعية وعلوم الأغذية والإحصاء وغيرها.
- ٤- تتبع سنوات الرخاء مقارنة بسنوات الجفاف والقحط وعمل رسوم بيانية وإحصائية وتحليلية لها.
- ٥- توجيه بعض طلاب الدراسات العليا في تاريخ مصر الحديث للاهتمام بدراسة العصر العثماني باعتباره حلقة مهمة من حلقات التاريخ المصري، ولا نزال بحاجة إلى دراسة علمية لإجلاء بعض نواحي الغموض الذي يكتنفها.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً- الوثائق غير المنشورة:

أ- وثائق الروزنامة:

• دفاتر الترايع:

- ١- دفتر ترايع ولاية الأشمونين رقم ٢٢٦٤، ٢٢٧٧.
 - ٢- دفتر ترايع ولاية جرجا رقم ٢٢٦٧، ٢٢٦٨، ٢٢٨١.
 - ٣- دفتر ترايع ولاية الينساوية رقم ٢٢٧٩.
 - ب- سجلات الديوان العالي: س رقم ٢.
 - ج- سجلات المحاكم الشرعية:
 - محكمة الإسكندرية: ٦٤.
 - محكمة مصر القديمة: ٩٦.
 - د- محافظ الدشت: محفظة رقم ٥٠.
- ثانياً- المخطوطات:
١. مجهول. (بدون تاريخ). مفتاح الراحة في علم الفلاحة. مخطوط، دار الكتب، ميكروفيلم ١٨٦٤٣، زراعة، ٨٥.
 ٢. يوسف، م. (بدون تاريخ). ترجمة الناظرين في تاريخ من ولي مصر من الخلفاء والسلاطين. مخطوط، دار الكتب، ميكروفيلم رقم: ٢٣٠ ٢٣، تاريخ تيمور.

ثالثاً: المصادر العربية:

١. إبراهيم، ن. أ. (١٩٩٨). الأزمات الاجتماعية في مصر في القرن السابع عشر. دار الآفاق العربية.
٢. الأنسي، م. ع. (١٩٠٠). قاموس الدراري اللامعات في منتخبات اللغات. بيروت.
٣. أونال، أ. وآخرون. (٢٠١٢). مصر في الوثائق العثمانية. ترجمة: غالب ياوز، إستانبول.
٤. جب، و. وبوون. (١٩٧٠). المجتمع الإسلامي والغرب. ترجمة: د. أحمد عبد الرحيم مصطفى. دار المعارف.

٥. حنفي، س. (٢٠٠٠). العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الشام الكبرى في القرن الثامن عشر. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
 ٦. ذهني، إ. م. (١٩٩١). مصر في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرن السادس عشر والسابع عشر. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
 ٧. رافقي، ع. ك. (١٩٦٨). بلاد الشام ومصر منذ الفتح العثماني إلى حملة بونابرت (ط٢). دمشق.
 ٨. ريمون، أ. (١٩٧٤). فصول من التاريخ الاجتماعي للقاهرة العثمانية. ترجمة: زهير الشايب.
 ٩. سامي، أ. (٢٠٠٢). تقويم النيل. دار الكتب والوثائق القومية.
 ١٠. سليمان، ع. ح. (٢٠٠٣). الملاحاة النيلية في مصر العثمانية. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
 ١١. طرخان، إ. ع. (١٩٦٠). مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة.
 ١٢. كونو، ك. (٢٠٠٠). فلاحو الباشا، الأمن والمجتمع والاقتصاد في الوجه البحري ١٧٤٠-١٨٥٨م. ترجمة: سحر توفيق، مراجعة: د. عاصم الدسوقي. المجلس الأعلى للثقافة.
 ١٣. مانتران، ر. (١٩٩٣). الدولة العثمانية في القرن الثامن عشر. ضمن كتاب (تاريخ الدولة العثمانية).
 ١٤. محمود، ج. ك. (٢٠١٠). الأرض والفلاح في عهد مصر في العصر العثماني. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
 ١٥. هريدي، س. (٢٠٠٤). فصول من تاريخ المدن المصرية خلال العصر العثماني (ط١). عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.
 ١٦. يوسف، ع. (١٩٨٥). الوجود العثماني المملوكي في مصر في القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر. دار المعارف.
- رابعًا: المصادر الأجنبية:

1. Holt, P. M. (1966). Egypt and the Fertile Crescent, 1516-1922. London.
2. Shaw, S. (1968). Land holding and Land-TAX Revenues in Ottoman Egypt in political and social change in Modern Egypt, P. M. Holt, (ed). London.

خامسًا: المصادر الأجنبية العربية:

١. أنتيس، ج. (١٩٩٧). مذكرات رحالة عن المصريين وعاداتهم في الربع الأخير من القرن الثامن عشر، (١٧٧٠ - ١٧٨٢). ترجمة وتعليق: سيد الناصري. المجلس الأعلى للثقافة.
٢. بتس، ج. (١٩٩٠). رحلة جوزيف بتس (الحاج يوسف) إلى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة. ترجمة ودراسة: د. عبد الرحمن الشيخ. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٣. برنارد، ص. (١٩٨٠). الحياة الاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر، الموازين والنقود، وصف مصر. ترجمة: زهير الشايب.
٤. جلي، أ. (٢٠٠٩). سياحتنامه مصر. ترجمة: محمد علي عوني، تحقيق: د. عبد الوهاب عزام وأحمد السعيد. دار الكتب والوثائق القومية.

٥. فانسليو، ج. م. (٢٠٠٦). تقرير الحالة الحاضرة لمصر في سنة ١٦٧١م. ترجمة: وديع عوض. المجلس الأعلى للثقافة.
٦. مارسيل، السيد. (٢٠٠٢). دراسة حول مقياس الروضة والنقوش التي يحويها، وصف مصر. ترجمة: منى زهير الشايب. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- سادساً- المراجع العربية والمعرية:
١. إبراهيم، ن. أ. (١٩٩٨). الأزمات الاجتماعية في مصر في القرن السابع عشر. دار الآفاق العربية.
٢. الأنسي، م. ع. (١٩٠٠). قاموس الدراري اللامعات في منتخبات اللغات. بيروت.
٣. أونال، أ. وآخرون. (٢٠١٢). مصر في الوثائق العثمانية. ترجمة: غالب ياوز، إستانبول.
٤. جب، و. وبوون. (١٩٧٠). المجتمع الإسلامي والغرب. ترجمة: د. أحمد عبد الرحيم مصطفى. دار المعارف.
٥. حنفي، س. (٢٠٠٠). العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الشام الكبرى في القرن الثامن عشر. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٦. ذهني، إ. م. (١٩٩١). مصر في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرن السادس عشر والسابع عشر. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٧. رافق، ع. ك. (١٩٦٨). بلاد الشام ومصر منذ الفتح العثماني إلى حملة بونابرت (ط٢). دمشق.
٨. ريمون، أ. (١٩٧٤). فصول من التاريخ الاجتماعي للقاهرة العثمانية. ترجمة: زهير الشايب.
٩. سامي، أ. (٢٠٠٢). تقويم النيل. دار الكتب والوثائق القومية.
١٠. سليمان، ع. ح. (٢٠٠٣). الملاحاة النيلية في مصر العثمانية. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
١١. طرخان، إ. ع. (١٩٦٠). مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة.
١٢. كونو، ك. (٢٠٠٠). فلاحو الباشا، الأمن والمجتمع والاقتصاد في الوجه البحري ١٧٤٠-١٨٥٨م. ترجمة: سحر توفيق، مراجعة: د. عاصم الدسوقي. المجلس الأعلى للثقافة.
١٣. مانتران، ر. (١٩٩٣). الدولة العثمانية في القرن الثامن عشر. ضمن كتاب (تاريخ الدولة العثمانية).
١٤. محمود، ج. ك. (٢٠١٠). الأرض والفلاح في عهد مصر في العصر العثماني. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
١٥. هريدي، س. (٢٠٠٤). فصول من تاريخ المدن المصرية خلال العصر العثماني (ط١). عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.
١٦. يوسف، ع. (١٩٨٥). الوجود العثماني المملوكي في مصر في القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر (ط١). دار المعارف.

مستوى تطبيق معايير هيئة تقويم التعليم والتدريب في الإشراف التربوي بمحافظة الأحساء

د. نجلاء بنت مطيع بن مبارك الدوسري^(*)

المستخلص:

يهدف هذا البحث لتحديد مستوى تطبيق معايير هيئة تقويم التعليم والتدريب في الإشراف التربوي، والكشف عن الفروق في مستوى التطبيق وفقاً لمتغيري المسمى الوظيفي والرتبة الوظيفية. تنبع أهمية البحث في أنها تسليط الضوء على مواطن القوة والضعف في مهام المشرفين التربويين، وإبراز أهمية المعايير المهنية في تطوير الأداء الإشرافي، وتعميم النتائج على إدارات التعليم لتحقيق الجودة. وتكمن مشكلة البحث في ظهور فجوة بين التنظير والتطبيق لمعايير هيئة تقويم التعليم والتدريب في الإشراف التربوي، مما استدعى دراسة مستوى تطبيق هذه المعايير في الميدان التعليمي بمحافظة الأحساء. اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي المسحي، وطُبقت استبانة على عينة عشوائية بلغت (١٠٨) مديراً ومديرة من مدارس المرحلة الثانوية بمحافظة الأحساء، وتم استخدام الأساليب الإحصائية المناسبة (SPSS). أظهرت النتائج أن مستوى تطبيق معايير هيئة تقويم التعليم والتدريب جاء بدرجة "موافق" بمتوسط حسابي (٣,٩٩). كما توجد فروق ذات دلالة إحصائية في بعض المؤشرات تعزى للمسمى الوظيفي والرتبة الوظيفية لصالح المديرات والحاصلين على رتب (خبير، متقدم).

الكلمات المفتاحية: معايير - تقويم - تعليم - إشراف - تدريب - تربوي.

المقدمة

تولي المملكة العربية السعودية اهتمامها بالغاً بالتعليم لما له من دور في دفع عجلة الاقتصاد حيث ركزت رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠) على تطوير المعايير الوظيفية سعياً منها لإحداث نقلة نوعية في قطاع التعليم، ففي عام (٢٠١٧) أعدت هيئة تقويم التعليم والتدريب وثيقة المعايير والمسارات المهنية لتسهم في تحقيق تلك الرؤية واستجابة سريعة لمتطلبات العصر من أجل التطور والتنافس نحو الريادة والتميز العالمي..

ولما للمشرف التربوي من دور كبير في العملية التربوية نجده دائماً يركز على الأهداف ومدى ارتباطها بالواقع العملي التربوي، ويمتد اهتمامه نحو الوسائل والطرق التي يمارسها المعلم في أدائه وأنشطته التعليمية، ومدى وملاءمتها للأغراض التربوية، فضلاً عن مسؤوليته عن تقويم كفاءة وفاعلية هذه العناصر وعائدها التربوي. (الشهري، ٢٠١٧، ٢٤١).

وجاءت العديد من الدراسات التربوية لتؤكد على أهمية الإشراف التربوي في تقويم وتطوير العملية التعليمية كدراسة الزهراني (٢٠٢٢) ودراسة الديحاني وكندري وعبد الجليل (٢٠١٨) والمالكي والألفي (٢٠١٨).

(*) أستاذ مساعد قسم المناهج وطرق التدريس كلية التربية جامعة الملك فيصل

ولإن الإشراف التربوي ينتظر منه دور كبير في العملية التعليمية وذلك من خلال المشرف التربوي، وكذلك أدوار واضحة في تحديد الوسائل والطرق التي يمارسها المعلم ومن هذا المنطلق أقرت وزارة التعليم اختبار الرخصة المهنية واعتبرته شرطاً للترشح في الإشراف التربوي ويهدف ذلك الاختبار لقياس إمكانية المشرف للقيام بدوره الإشرافي، وقامت هيئة تقويم التعليم والتدريب ١٤٤١هـ بتطوير المعايير المهنية للمشرفين التربويين بهدف رفع جودة أدائهم وتحسين قدراتهم ومهاراتهم والتأكد من أنهم يمتلكون الكفاءة المطلوبة للالتحاق بالإشراف التربوي، وتركز المعايير المهنية للمشرفين التربويين على أربع مجالات وهي: القيادة والإشراف، التطوير المهني، دعم التعليم والتعلم، أخلاقيات المهنة ومهارات الاتصال. (هيئة تقويم التعليم والتدريب، ٢٠٢٠).

ومما سبق نخلص لنتيجة أن هناك حاجة لدراسة تحدد مستوى تطبيق معايير هيئة تقويم التعليم والتدريب في الإشراف التربوي من خلال المعايير التالية (القيادة والإشراف، التطوير المهني، دعم التعليم والتعلم القيم، وأخلاق المهنة ومهارات الاتصال) في محافظة الأحساء مشكلة البحث:

تطور التعليم في المملكة العربية السعودية في السنوات الأخيرة مواكباً لتطلعات القيادة والمشاريع التنموية الداخلية وصاحب ذلك سلسلة من التغيرات وتحول في الدوار حيث أصبحت هيئة تقويم التعليم والتدريب جهة رقابية وتمارس التصحيح والتقويم الخارجي لمسار التعليم، لذا كان لزاماً وضع معايير لتجويد العمل.

ولأن مهام الإشراف التربوي متابعة تطبيق هذه المعايير ومحاولة مواءمتها مع الميدان التعليمي ظهرت فجوة بين التنظير والتطبيق لهذه المعايير.

ومن هنا تمثلت المشكلة لدى الباحثة بالأسئلة التالية:

١. ما مستوى تطبيق معايير هيئة تقويم التعليم والتدريب في الإشراف التربوي بمحافظة الأحساء؟
٢. هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى تطبيق معايير هيئة تقويم التعليم والتدريب في الإشراف التربوي بمحافظة الأحساء وفق متغير (المسمى الوظيفي_ الرتبة الوظيفية)؟

أهداف البحث:

١. تحديد مستوى تطبيق معايير هيئة تقويم التعليم والتدريب في الإشراف التربوي بمحافظة الأحساء.
٢. التعرف على الفروق في مستوى تطبيق معايير هيئة تقويم التعليم والتدريب في الإشراف التربوي بمحافظة الأحساء تعزى لمتغير (المسمى الوظيفي_ الرتبة الوظيفية).

أهمية البحث:

١. العمل على استدامة مواطن القوة وتطوير مواطن الضعف في مهام لدى المشرفين والمشرفات في المدارس.
٢. إضفاء أهمية على معايير الإشراف التربوي في القيادة والإشراف والتطوير المهني ودعم التعليم والتعلم القيم، أخلاق المهنة ومهارات الاتصال والتي تزيد من فاعلية أدوار المعنيين بهذه الدراسة.

٣. لما نشهده اليوم من المستجدات في مجال التربية وما ينبغي عليه الإشراف التربوي من تجدد وتطور لتحسين المخرجات على المستوى التعليمي والإداري والعملي.

٤. تعميم نتائج الدراسة على إدارات التعليم لتحقيق جودة التعليم.

مصطلحات البحث:

المعايير: عرف (شحاته، والنجار، ٢٠٠٣) المعايير بأنها "الأطر المرجعية أو الشروط التي يقيس عليها سلوكيات الأفراد أو الجماعات والأعمال وأنماط التفكير والإجراءات" (ص ٢٨٥).

المعيار "كلمة ذات أصل لاتيني يقصد بها القاعدة أي أن المعيار يكتب كقاعدة متفق عليها بين الجمع ومقياس لوصولهم إلى معرفة شيء ما وتحديد ميزانه بدقة، وهو النمط الذي يتضمن القواعد والسياسات الملائمة للتطبيق والحكم والمقارنة" (الغرياني، ٢٠١٩، ٤٣)

وتُعرف المعايير إجرائياً بأنها: مجموعة من الأسس يتم من خلالها الحكم على الأداء لمعرفة جوانب القوة وتعزيزها وجوانب الضعف لمعالجتها.

هيئة تقويم التعليم والتدريب: وتُعرف (هيئة تقويم التعليم والتدريب، ٢٠٢٤) هيئة تقويم التعليم والتدريب أنها "الجهة المختصة في المملكة العربية السعودية بالتقويم والقياس واعتماد المؤهلات، في التعليم والتدريب في القطاعين العام والخاص لرفع جودتهما وكفايتهما ومساهمتهما في خدمة الاقتصاد والتنمية الوطنية". <https://www.eteq.gov.sa>.

وتُعرف هيئة تقويم التعليم والتدريب إجرائياً بأنها: هيئة مختصة بقياس ومتابعة عمليات التعليم والتعلم والتقويم في مدارس التعليم العام كجهة تقويم خارجي.

الإشراف التربوي: عرف (السخني، الخزاعلة، ٢٠١٢) الإشراف التربوي أنه "عملية قيادية ديمقراطية تعاونية منظمة، تعني بالموقف التعليمي، بجميع عناصره من مناهج ووسائل وأساليب وبيئة ومعلم وطالب، وتهدف إلى دراسة العوامل المؤثرة في ذلك الموقف وتقييمها للعمل على تحسينها وتنظيمها، من أجل تحقيق أفضل أهداف التعلم والتعليم" (ص ٢٣).

ويُعرف الإشراف التربوي إجرائياً أنه: عملية تحسين وتطوير وتوجيه عمليات التعليم والتعلم والتقويم داخل مدارس التعليم العام من خلال فرق إشرافية تسعى فرق الدعم والتميز.

حدود البحث:

اقتصر البحث على الحدود التالية:

حدود الموضوع: الكشف عن مستوى تطبيق معايير هيئة تقويم التعليم والتدريب في الإشراف التربوي بمحافظة الأحساء.

الحدود البشرية: مديرين ومديرات المرحلة الثانوية بمحافظة الأحساء

الحدود المكانية: مدارس المرحلة الثانوية بمحافظة الأحساء.

الحدود الزمنية: العام الدراسي الفصل الدراسي الثاني ١٤٤٦هـ/١٤٤٧هـ

الإطار النظري والدراسات السابقة:

هيئة تقويم التعليم والتدريب:

تأسست هيئة تقويم التعليم والتدريب عام ١٤٣٨هـ، وفق قرار مجلس الوزراء رقم (٩٤)، بوصفها جهة ذات شخصية اعتبارية ومستقلة مالياً وإدارياً، وترتبط تنظيمياً برئيس مجلس الوزراء، كما صدر تنظيم الهيئة في كيانها الجديد عام ١٤٤٠هـ، وفق قرار مجلس الوزراء رقم (١٠٨) بما يعزز دورها في التقويم والقياس واعتماد المؤهلات في التعليم والتدريب في القطاعين العام والخاص؛ ورفع جودة تلك المؤهلات وكفاءتها، وجعلها مساهمة في خدمة الاقتصاد والتنمية الوطنية، حيث تعمل الهيئة مع كافة الجهات الوطنية ذات العلاقة لضمان وضبط جودة مؤسسات وبرامج التعليم والتدريب في المملكة وضبط جودة مخرجاتها ومواءمتها مع سوق العمل، وبما يسهم في تحقيق مستهدفات رؤية السعودية ٢٠٣٠ وبرنامج تنمية القدرات البشرية وبناء على قرار المجلس اسند إلى هيئة تقويم التعليم والتدريب المهام التالية: (هيئة تقويم التعليم والتدريب، ٢٠٢٠):

١. وضع المعايير الوطنية لتقويم مناهج التعليم العام والتعليم والتدريب.
 ٢. القيام بأعمال وخدمات القياس والاختبارات في نظام التعليم والتدريب.
 ٣. الوقوف على أعمال التقويم البرامجي والمؤسسي.
 ٤. منح التراخيص للمهنيين والعاملين في التعليم والتدريب.
 ٥. تدوين المؤهلات والجهات المانحة لها.
 ٦. تقويم أداء مؤسسات التعليم والتدريب والبرامج المهنية.
 ٧. التركيز على نتائج تقويم التعليم والتدريب وتوظيفها في رفع الجودة.
 ٨. وضع مؤشرات والتحقق من القدرة على قياسها والعمل على تطويرها ودعم الابتكار بمشاركة الاستشارات والبحوث والمعرفة.
- وتسهم هيئة تقويم التعليم والتدريب بالدراسات التي تخدم مجال القياس والتقويم والاختبارات الدولية، وعرض تقارير متتالية عن نتائج الاختبارات والتقويم، فضلاً عن طرحها سلسلة من المؤتمرات والندوات والورش والتدريبية في نفس المجال (الزهراني، ٢٠٢٢، ٦٠).

معايير الإشراف التربوي:

انبثق من رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠) محور الاقتصاد المزهر والذي ينص على " تطوير المعايير الوظيفية الخاصة بكل مسار تعليمي" وبناء عليه صدر مشروع لائحة الوظائف التعليمية بقرار مجلس الوزراء رقم (٦٠١) ٢٢/١٠/١٤٤٠ والذي يمكن اعتباره بداية التحول في تمهين الوظائف التعليمية لتعزيز كفاءة الأداء وتحسين نواتج التعلم، والتي من شروطه حول شاغلي الوظائف التعليمية على رخصة مهنية بعد اجتيازه الاختبار المهني القائم على المعايير المهنية لكل تخصص، وتجديدها كل خمس سنوات.

ولقد أولت هيئة تقويم التعليم والتدريب اهتمام بالمعايير، حيث تناولت المعايير المهنية للمشرف التربوي (تخطيطاً وتنفيذاً وتقويماً) حيث تركزت في (القيادة والإشراف التطوير المهني دعم التعليم والتعلم وقيم وأخلاق المهنة ومهارات الاتصال) وهي:

المعيار ١ الإسهام في تمكين الرؤية الاستراتيجية الوزارية للإشراف ورسائله وأهدافه ونشرها في الميدان التعليمي.

المعيار ٢ توظيف المفاهيم والمهارات القيادية في الميدان التربوي.

المعيار ٣ التخطيط لعمليات التغيير (التطوير) وتشجيعها.

المعيار ٤ ممارسة الأساليب الإشرافية بفاعلية وتوظيفها في تطوير أداء المعلمين.

المعيار ٥ الإلمام بمتطلبات تقويم أداء المعلم وكيفية توظيفه لتطوير أدائه.

المعيار ٦ مراجعة ممارساته الإشرافية على نحو بناء.

المعيار ٧ تطور أدائه المهني على نحو مستمر.

المعيار ٨ تحديد الاحتياجات التدريبية للمعلمين، وتوظيف نتائجها لتدريبهم وتطوير أدائهم.

المعيار ٩ تفعيل استراتيجيات التعليم، والتعلم، وأساليب التقويم، وأدواته.

المعيار ١٠ الإسهام في عمليات تطوير المناهج التعليمية في ضوء التوجهات العامة للتعليم.

المعيار ١١ الإسهام في إعداد البحوث الإجرائية حسب حاجة الميدان التربوي، ودعم التجارب والمشروعات ذات العلاقة.

المعيار ١٢ توظيف المهارات والوسائل التقنية الحديثة لدعم عمليات التعلم والتعليم.

المعيار ١٣ تجسيد أخلاقيات مهنة التعليم في ممارساته المهنية.

المعيار ١٤ دعم مبدأ الشراكة المجتمعية بين جهة عمله ومؤسسات المجتمع ذات العلاقة.

المعيار ١٥ استخدام مهارات الاتصال في العمل الإشرافي. (هيئة تقويم التعليم والتدريب، ٢٠٢٠، ٨)

وأورد (السعيد وعبد الحميد، ٢٠٢٠، ٣٤) أهمية المعايير في أنها:

١. تصف محددات الوضع العام للنظام التربوي.

٢. مدخل تطبيقي لتأكيد الجودة المؤسسية.

٣. تحدد الثوابت ومستويات الأداء.

٤. توضح حد الأداء الأعلى للفرد والبرنامج والمؤسسة.

٥. تسهم في تصميم أدوات التقويم.

٦. تجمع البيانات حول المنتج النهائي.

٧. تلخص التحديات والصعوبات التي تواجه النظام التربوي.

الدراسات السابقة:

ونظراً لندرة الدراسات العربية المتعلقة بمعايير المشرفين التربويين في المملكة العربية السعودية، فقد تم الاطلاع على بعض الدراسات في مجال المعايير التربوية المهنية بشكل عام كالتالي:

هدفت دراسة السناني (٢٠٢٤) الكشف عن مستوى تطبيق معايير هيئة تقويم التعليم والتدريب في الإشراف التربوي ومعوقاتهما من وجهة نظر مشرفي الإدارة المدرسية بالرياض. واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي المسحي. وكانت أداة البحث استبانة طبقت على (٥٣) مشرف إدارة مدرسية. وأظهرت النتائج أن تطبيق المعايير كان مرتفعاً، وجود معوقات في تطبيق المعايير أولها المعوقات الاقتصادية، ثم الإدارية ثم الفنية، يلها المعوقات التنظيمية والمعوقات الشخصية في المرتبة الأخيرة.

هدفت دراسة الصايغ (٢٠٢٤) الكشف عن الاحتياجات التدريبية اللازمة للمشرفات التربويات في الطفولة المبكرة في ضوء معايير الرخصة المهنية بمدينة مكة المكرمة، اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وتكونت العينة من (٢٤) مشرفة بمدينة مكة المكرمة، واعتمدت الدراسة على الاستبانة، وتوصلت الدراسة إلى: أبرز الاحتياجات التدريبية في المهارات الأساسية للقيادة التربوية في مجال التطوير المهني لمشرفات رياض الأطفال، وفي مجال تحسين البرامج والمشاريع والمناهج وبدرجة موافق مرتفعة للمعايير الرخصة المهنية.

هدفت دراسة الزهراني (٢٠٢٢) التعرف على دور الرخصة المهنية في تطوير أداء المعلم من وجهة نظر معلمات العلوم بمكة المكرمة، استخدمت الدراسة المنهج الوصفي المسحي واعتمدت على الاستبانة وقد طبقت على (٢٣٧) معلم. وتوصلت النتائج إلى أن أدور الرخصة المهنية جميعها حصلت على درجة متوسطة، وتوجد فروق ذات دلالة إحصائية تعزى للمؤهل، ولا توجد فروق ذات دلالة إحصائية تعزى للمرحلة الدراسية.

هدفت دراسة الأمير وعسيري (٢٠٢١) التعرف على درجة تطبيق المعايير التربوية الخاصة بالرخصة المهنية (القيم والمسؤوليات المهنية، المعرفة المهنية، الممارسة المهنية) لدى المعلمين والمعلمات من وجهة نظر الإدارة المدرسية في المدارس الثانوية بمدينة جدة، اتبعت الدراسة المنهج الوصفي، وتكونت العينة من (٢١٨) مديراً ووكيلاً. واعتمدت الدراسة على الاستبانة، وتوصلت الدراسة إلى درجات تطبيق معيار القيم والمسؤوليات المهنية جاءت بدرجة موافقة كبيرة جداً، وأن درجات تطبيق معيار المعرفة المهنية جاء بدرجة موافقة كبيرة، وأن درجات تطبيق معيار الممارسة المهنية جاءت بدرجة موافقة كبيرة، ولا توجد فروق دالة إحصائية في تطبيق المعايير التربوية الخاصة بمتغيري الجنس والمسمى الوظيفي.

هدف دراسة بعطوط (٢٠٢٠) الكشف عن درجة تحقق المعايير المهنية الوطنية للتربية الفنية من وجهة نظر المعلمات أنفسهن والمشرفات التربويات. وتكونت العينة من (٨٨) معلمة ومشرفة تربوية، اعتمدت الدراسة استبانة. استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي. وتوصلت الدراسة إلى أن درجة تحقق المعايير المهنية الوطنية للتربية الفنية من وجهة نظر المعلمات والمشرفات التربويات ما بين عالٍ جداً وعالٍ، وعدم وجود فرق ذو دلالة إحصائية بين المعلمات والمشرفات التربويات يعزى لمتغير المؤهل الدراسي، الخبرة، وأوصت الدراسة بضرورة الاهتمام بتطبيق المعايير المهنية في الفنية في التدريس وتدريب المعلمات عليهن.

هدفت دراسة الزهراني، الزهراني (٢٠٢٠) التعرف على مدى تحقق معايير هيئة تقويم التعليم والتدريب عند معلم الحاسب الآلي في المملكة العربية السعودية، اتبعت الدراسة المنهج الوصفي، وكانت عينة البحث (١١٧) مشرفاً و(٧٢) مشرفة. واعتمدت على الاستبانة. وتوصلت إلى أن مجال الممارسة المهنية متحقق بدرجة متوسطة، وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين آراء المشرفين والمشرفات تعزى للجنس لصالح المشرفات، وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير عدد سنوات الخدمة في الإشراف، نوع المؤهل العلمي، والمنطقة التعليمية. وأهم توصيات البحث التأكيد على الكليات التي تقدم برامج لإعداد المعلمين بالأخذ بمعايير هيئة تقويم التعليم والتدريب، ضرورة التعاون بين هيئة تقويم التعليم والتدريب وإدارة الإشراف التربوي بوزارة التعليم لنشر ثقافة المعايير المهنية لدى المعلمين والتأكيد على المشرفين التربويين بأهمية اعتمادها في التقييم.

هدفت دراسة الدهيمان (٢٠٢٠) التعرف على مستوى تطبيق معلمات العلوم الشرعية للمرحلة المتوسطة للمعايير المهنية للمعلمين في المملكة العربية السعودية. وتكونت عينة الدراسة من (١٨٤) معلمة. واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، واستخدمت بطاقة الملاحظة لقياس مستوى تطبيق المعلمات المعايير المهنية للمعلمين، وتوصلت الدراسة إلى أن تطبيق المعايير جاءت بمستوى متوسط، وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى تطبيق معلمات العلوم الشرعية للمرحلة المتوسطة معايير المهنية، وفقاً لمتغيرات (المؤهل العلمي، وعدد سنوات الخبرة)، وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى تطبيق معلمات العلوم الشرعية للمرحلة المتوسطة وفقاً لمتغير (عدد الدورات التدريبية). وقد أوصت الدراسة بتوعية المعلمات بالمعايير المهنية للمعلمين للاسترشاد بها في أدائهن التعليمي.

هدفت دراسة العمود وآخرون (٢٠٢٠) التعرف على الاحتياجات التدريبية للمشرفات التربويات في ضوء المعايير المهنية للمشرفين التربويين. استخدمت المنهج الوصفي المسحي واعتمدت على الاستبانة وتكونت العينة من (٢٣٤) مشرفة تربوية من مكاتب التعليم في الإشراف التربوي بمدينة الرياض، وأسفرت الدراسة موافقة بدرجة عالية بين أفراد الدراسة على الاحتياجات التدريبية للمشرفات التربويات في ضوء المعايير المهنية للمشرفين التربويين. حيث تأتي الاحتياجات التدريبية في مجال القيادة والإشراف يليها مجال التطوير المهني وفي المرتبة الثالثة في مجال دعم التعليم والتعلم، يليها مجال تحسين البرامج والمشاريع والمناهج وأخيراً في مجال أخلاقيات المهنة والاتصال كأقل الاحتياجات التدريبية.

هدفت دراسة الديحاني وكندري وعبد الجليل (٢٠١٨) التعرف على مدى توافر معايير وتطبيق تمهين الإشراف التربوي ومعايير التنمية المهنية من وجهة نظر المشرفين التربويين بدولة الكويت. واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي الارتباطي، والاستبانة كأداة للدراسة، وتمثلت العينة بـ(٧١٢) من العاملين في الإشراف التربوي بمدارس التعليم العام. وأظهرت النتائج توافر معايير وتطبيق تمهين الإشراف التربوي ومعايير التنمية المهنية جاءت بدرجة كبيرة جداً. ووجود فروق دالة إحصائية تعزى لمتغير النوع لصالح الإناث.

هدفت دراسة المالكي والألفي (٢٠١٨) الكشف عن درجة ممارسة قادة مدارس محافظة الليث لدورهم في تحقيق المعايير المهنية للمعلمين وعلاقتها بمستوى أدائهم، وقد تم استخدام المنهج الوصفي الارتباطي، وتم تطبيق استبانة على (٣٥٠) معلماً ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة: أن درجة ممارسة قادة مدارس محافظة الليث لدورهم في تحقيق المعايير المهنية للمعلمين جاءت بدرجة كبيرة، وأن مجال المسؤولية المهنية جاء في مقدمة المجالات، يليه مجال تعزيز التعلم، ثم مجال دعم التعلم، ثم مجال المعرفة المهنية، وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لاختلاف المرحلة التعليمية، لصالح المعلمين بالمرحلة الابتدائية، كما وجدت فروق تعزى إلى متغير الخبرة في التعليم لصالح المعلمين ذوي خبرة (أقل من ١٠ سنوات). وفروق تعزى إلى متغير المؤهل العلمي، وكانت الفروق في لصالح الحاصلين على مؤهل جامعي، كما أسفرت النتائج عن وجود علاقة ارتباطية بين درجة ممارسة قادة مدارس محافظة الليث لدورهم في تحقيق المعايير المهنية للمعلمين، ومستوى أدائهم.

التعقيب على الدراسات السابقة:

من خلال العرض السابق للدراسات نرى أنها ركزت على معايير هيئة التقويم والتعليم في تخصصات متعددة من حيث مدى توافرها والمعوقات التي تواجهها والكشف عن الاحتياجات التدريبية اللازمة لتطبيقها في ضوء تلك المعايير، اتفقت معظم الدراسات في استخدام المنهج الوصفي ماعدا دراسة الديحاني وكندري وعبد الجليل ودارسة الألفي والمالكي (٢٠١٨) اعتمدت المنهج الارتباطي ودراسة الصايغ وبعطوط والدهيمان المنهج التحليلي، وفي الاستبانة كأداة للدراسة عدا دراسة الدهيمان (٢٠٢٠) اعتمدت على بطاقة الملاحظة، وتختلف الدراسة الدراس الحالية عن جميع الدراسات السابقة في هدف الدراسة فهي تسعى للكشف عن مستوى تطبيق معايير هيئة تقويم التعليم والتدريب في الإشراف التربوي بمحافظة الأحساء وفي عينة الدراسة حيث اعتمدت على المديرين والمشرفين، واستفادت من الدراسات السابقة في تحديد المشكلة وتدعيم محاور الاطار النظري، وتصميم أداة الدراسة والأساليب الإحصائية.

منهجية الدراسة وإجراءاتها: منهج الدراسة: اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي المسحي لملائمته طبيعة الدراسة من خلال وصف الظاهرة وجمع البيانات بواسطة الاستبيان وتمت معالجتها بالبرنامج الإحصائي SPSS، حيث تهدف الدراسة إلى تحديد مستوى تطبيق معايير هيئة تقويم التعليم والتدريب في الإشراف التربوي بمحافظة الأحساء، والكشف عن الفروق في استجابات أفراد العينة والتي تعزى للمسمى الوظيفي والرتبة الوظيفية حيث نصت لائحة الوظائف التعليمية على وجود وظيفة لشاغلي الوظائف التعليمية (خير/متقدم/ممارس) كما يوجد مسميات وظيفية وفق الأدلة التنظيمية (مدير مدرسة/معلم/محاضر مختبر).

مجتمع وعينة الدراسة: يتكون مجتمع الدراسة من جميع مديرين ومديرات المرحلة الثانوية بمحافظة الأحساء في الفصل الدراسي الثاني، والبالغ عددهم (١٥٠) أما عينة الدراسة فقد بلغت (١٠٨) مدير ومديرة. وتم اختيارها بالطريقة العشوائية.

جدول (١) توزيع أفراد العينة وفقا للمسمى الوظيفي والرتبة الوظيفية:

المتغير	المسمى الوظيفي	العدد	التكرار	النسبة المئوية
المسمى الوظيفي	مدير مدرسة	١٠٨	٥٧	52.77
	مديرة مدرسة		٥١	47.22
الرتبة الوظيفية	خبير		١٥	١٣,٩
	متقدم		٣٦	33.3
	ممارس		٥٧	52.8

يتضح من الجدول السابق أن ٥٢٪ من أفراد العينة ذكور، بينما ٤٧٪ إناث، ١٣٪ خبير، ٣٣٪ متقدم، ٥٢٪ ممارس.

أدوات الدراسة:

بعد عمل سؤال استطلاعي عن أفضل المعايير التي تتقاطع مع الإشراف التربوي بصورته الجديدة تم الاتفاق على المعايير الخمسة من أصل خمسة عشر معيار، والتي استند عليها البحث من خلال استبانة موجهة إلى المديرين والمديرين في المرحلة الثانوية بمحافظ الأحساء، وتكونت من المحاور التالية: (معيار التخطيط لعمليات التغيير، معيار ممارسة الأساليب الإشرافية بفاعلية وتوظيفها في تطوير أداء المعلمين، معيار تطور أداء المهني على نحو مستمر، معيار توظيف المهارات والوسائل التقنية الحديثة لدعم عمليات التعلم والتعليم، معيار استخدام مهارات الاتصال في العمل الإشرافي) بهدف تحديد مستوى تطبيق معايير هيئة تقويم التعليم والتدريب في الإشراف التربوي بمحافظة الأحساء، والكشف عن الفروق في استجابات أفراد العينة والتي تعزى للرتبة للمسمى الوظيفي والرتبة الوظيفية.

خطوات تصميم أداة البحث: تم تصميم استبانة لتحقيق ما يلي:

١. بناء الاستبانة في صورتها الأولية: تكونت من (٢٢) عبارة موزعة على المعايير الخمسة.
 ٢. صدق المحتوى: تم عرضها على (١٠) من المحكمين المختصين في مجال التربية وطرق التدريس وعلم النفس، لإبداء آرائهم وملاحظاتهم حول مدى ملائمة الفقرات وارتباطها بموضوع الدراسة، وسلامة صياغتها لغوياً، كذلك الاقتراح بالحذف أو الإضافة بما يروونه مناسباً، حيث قدموا ملاحظاتهم على الأداة وتم إجراء التعديلات في ضوء الملاحظات إلى أن وصلت للصورة النهائية (١٦) عبارة موزعة على المعايير الخمسة. رابط الاستبيان: <https://forms.gle/mH9tJz9tn9CTD3RP8>
 ٣. صدق الاتساق الداخلي: تم حساب ثبات فقرات كل معيار ومدى ارتباطها وتجانسها واتساقها الداخلي مع المعيار وذلك بحساب مستوى الارتباط بين الفقرات والمعيار بإيجاد معامل ارتباط بيرسون وحساب درجة المعنوية لكل معيار.
- جدول (٢) يوضح الاتساق الداخلي ومدى ارتباط الفقرات بكل محور باستخدام معامل بيرسون من خلال العينة الاستطلاعية (عدد ٣٠).

معايير الدراسة	العدد	الفقرات	معامل بيرسون	درجة المعنوية
المعيار الأول التخطيط لعمليات التغيير	٣٠	يشرح مفهوم التطوير	**٠,٩٢٦	٠,٠١٥
	٣٠	يضع خططاً تشاركية للتطوير مع المعنيين بالميدان التربوي	**٠,٩٥٤	٠,٠١٥
	٣٠	يتعرف على استراتيجيات التطوير المؤثرة في الميدان التعليمي	**٠,٩٢٥	٠,٠١٥
المعيار الثاني ممارسة الأساليب الإشرافية بفاعلية وتوظيفها في تطوير أداء المعلمين	٣٠	يميز بين الأساليب الإشرافية المختلفة	**٠,٨٩٢	٠,٠١٥
	٣٠	ينفذ الأساليب الإشرافية بفاعلية	**٠,٩٤٢	٠,٠١٥
	٣٠	يحدد الخطوات اللازمة لتطبيق الأسلوب الإشرافي	**٠,٩٦٤	٠,٠١٥
المعيار الثالث تطور أداءه المهني على نحو مستمر	٣٠	يواكب النظريات وتطبيقاتها عملياً	**٠,٨٨١	٠,٠١٥
	٣٠	يستفيد من فرص التدريب عن بعد	**٠,٨٨٠	٠,٠١٥
	٣٠	يحدد مجتمعات التعلم المهنية وفقاً للخبرات	**٠,٨٨٥	٠,٠١٥
المعيار الرابع توظيف المهارات والوسائل التقنية الحديثة لدعم عمليات التعلم والتعليم	٣٠	يوظف التقنية لمتابعة ونشر التجارب والمشروعات التربوية في الميدان التربوي	**٠,٩٢٠	٠,٠١٥
	٣٠	يلم بمهارات الإشراف الإلكتروني	**٠,٨٩٣	٠,٠١٥
	٣٠	يدعم المعلمين في استخدام التقنية المناسبة للموقف التعليمي	**٠,٨٨٦	٠,٠١٥
المعيار الخامس استخدام مهارات الاتصال في العمل الإشرافي	٣٠	يفسر عملية الاتصال لزيادة فاعلية تطبيقه	**٠,٩٣٤	٠,٠١٥
	٣٠	يشرح وظائف عملية الاتصال في الإشراف	**٠,٩٠٣	٠,٠١٥
	٣٠	يستخدم النماذج العلمية للاتصال في العمل الإشرافي	**٠,٩١٦	٠,٠١٥
	٣٠	يبني الثقة مع المعلمين لتطوير أدائهم	**٠,٨١٧	٠,٠١٥

** داله إحصائية عند مستوى دلالة $0.01 >$

يتضح من الجدول رقم (٢) أعلاه أن فقرات كل معيار في الدراسة مرتبط بدرجة معنوية عالية مع المعيار الخاص به > 0.01 يعني بدرجة ثقة ٩٩٪ مما يدعم صحة البيانات التي تم جمعها مع العينة لغرض البحث.

٤. ثبات الأداة: تم عمل دراسة استطلاعية على (٣٠) مفردة من المستهدفين بالدراسة خارج العينة. وذلك لمعرفة مدى ثبات وصدق معايير وفقرات الاستبانة الذي تم تصميمه. وتم استخدام معامل الفا كرو نباخ لحساب صدق وثبات أداة الدراسة.

جدول (٣)

يوضح صدق وثبات أداة الدراسة من خلال استخدام معامل الفا كرو نباخ من خلال العينة الاستطلاعية (عدد ٣٠).

محور الدراسة	المعايير	عدد الفقرات	ثبات المعيار معامل الفا كرونباخ	ثبات محور الدراسة معامل الفا كرونباخ
معايير هيئة التقويم والتدريب في الإشراف التربوي	التخطيط لعمليات التغيير	٣	0.925	٠,٩٦٤
	ممارسة الأساليب الإشرافية بفاعلية وتوظيفها في تطوير أداء المعلمين	٣	0.923	
	تطور أداءه المهني على نحو مستمر	٣	0.854	
	توظيف المهارات والوسائل التقنية الحديثة لدعم عمليات التعلم والتعليم	٣	0.871	
	استخدام مهارات الاتصال في العمل الإشرافي	٤	0.913	

يتضح من الجدول رقم (٣) أن قيمة ألفا كرونباخ لجميع الفقرات بلغت (٠,٩٦٤) وهذا يدل على ثبات عالي في بيانات البحث.

٦. تصحيح الأداة: تم حساب طول مقياس ليكرت الخماسي وحساب المدى وذلك بطرح اقل قيمة (١) من أكبر قيمة (٥) (٥-١=٤) ثم تقسيم النتيجة على أكبر قيمة (٥/٤=٠,٨) للحصول على طول المدى. ثم تضاف هذه القيمة الى كل قيمة في المقياس كما هو موضح في الجدول التالي:

جدول (٤)

فئات تقييم الاستجابة من جانب أفراد العينة وفقا لمقياس ليكرت الخماسي

مقياس ليكرت	الفترة	الفارق	الوصف
٥	٥,٠-٤,٢١	٠,٨٠	موافق بشدة
٤	٤,٢٠-٣,٤١	٠,٨٠	موافق
٣	٣,٤٠-٢,٦١	٠,٨٠	محايد
٢	٢,٦٠-١,٨١	٠,٨٠	غير موافق
١	١,٨٠-١	٠,٨٠	غير موافق بشدة

المعالجات الإحصائية: تم استخدام الأساليب الإحصائية التي تتناسب مع طبيعة أسئلة الدراسة باستخدام SPSS على النحو التالي:

- المتوسط الحسابي والوزن النسبي والانحراف المعياري.
- تم استخدام اختبار مان وتني (Mann-Whitney U) لمعرفة الفروقات في المسعى الوظيفي.
- استخدام اختبار كرسكال والس (Kruskal-Wallis H) لمعرفة الفروقات بين الرتب الوظيفية.
- نتائج الدراسة ومناقشتها: تعرض الباحثة النتائج التي توصلت لها الدراسة ومناقشتها:

السؤال الأول ينص على "ما مستوى تطبيق معايير هيئة تقويم التعليم والتدريب في الإشراف التربوي (معيار التخطيط لعمليات التغيير، معيار ممارسة الأساليب الإشرافية بفاعلية وتوظيفها في تطوير أداء المعلمين، معيار تطور أدائه المهني على نحو مستمر، معيار توظيف المهارات والوسائل التقنية الحديثة لدعم عمليات التعلم والتعليم، معيار استخدام مهارات الاتصال في العمل الإشرافي) لدى مديري ومديرات المرحلة الثانوية بمحافظه الأحساء؟

جدول رقم (٥) قامت الباحثة بحساب المتوسط الحسابي والوزن النسبي والانحراف المعياري والانحراف المعياري ومستوى الموافقة لكل مؤشرات المعايير.

المعايير	المؤشرات	العدد	المتوسط الحسابي	الوزن النسبي	الانحراف المعياري	درجة الموافقة
التخطيط لعمليات التغيير	يشرح مفهوم التطوير	108	3.8611	77.222	1.06304	موافق
	يضع خططاً تشاركية للتطوير مع المعنيين بالميدان بالتربوي	108	3.8333	76.666	1.14794	موافق
	يتعرف على استراتيجيات التطوير المؤثرة في الميدان التعليمي	108	3.8333	76.666	0.99061	موافق
	المعيار ككل	108	3.8426	٧٦,٨٥٢	0.96830	موافق
ممارسة الأساليب الإشرافية بفاعلية وتوظيفها في تطوير أداء المعلمين	يُميز بين الأساليب الإشرافية المختلفة	108	4.0278	80.556	0.76682	موافق
	ينفذ الأساليب الإشرافية بفاعلية	108	3.9722	79.444	0.93187	موافق
	يحدد الخطوات اللازمة لتطبيق الأسلوب الإشرافي	108	4.0000	80	0.88603	موافق
	المعيار ككل	108	4.0000	٨٠	0.80109	موافق
تطور أدائه المهني على نحو مستمر	يواكب النظريات وتطبيقاتها عملياً	108	3.9167	78.334	0.98707	موافق
	يستفيد من فرص التدريب عن بعد	108	3.9444	78.888	0.88427	موافق
	يحدد مجتمعات التعلم المهنية وفقاً للخبرات	108	4.0000	80	0.85380	موافق
	المعيار ككل	108	3.9537	٧٩,٠٧٤	0.80168	موافق
توظيف المهارات والوسائل التقنية الحديثة لدعم	يوظف التقنية لمتابعة ونشر التجارب والمشروعات التربوية في الميدان التربوي	108	4.0278	80.556	0.76682	موافق

المعايير	المؤشرات	العدد	المتوسط الحسابي	الوزن النسبي	الانحراف المعياري	درجة الموافقة
عمليات التعلم والتعليم	يلم بمهارات الإشراف الإلكتروني	108	3.9167	78.334	0.89782	موافق
	يدعم المعلمين في استخدام التقنية المناسبة للموقف التعليمي	108	4.1944	83.888	0.77891	موافق
	المعيار ككل	108	4.0463	٨٠,٩٢٦	0.72839	موافق
استخدام مهارات الاتصال في العمل الإشرافي	يفسر عملية الاتصال لزيادة فاعلية تطبيقه	108	4.1389	82.778	0.75453	موافق
	يشرح وظائف عملية الاتصال في الإشراف	108	4.1111	82.222	0.84647	موافق
	يستخدم النماذج العلمية للاتصال في العمل الإشرافي	108	4.0556	81.112	0.94556	موافق
	يبني الثقة مع المعلمين لتطوير أدائهم	108	4.0556	81.112	0.91543	موافق
	المعيار ككل	108	4.0903	٨١,٨٠٦	0.74450	موافق
جميع المعايير	جميع المؤشرات	١٠٨	٣,٩٩٣.٥٦	79.86112	٠,٩٠١٠٦٠١	موافق

يتضح من جدول رقم (٥) أن مستوى تطبيق معايير هيئة تقويم التعليم والتدريب في الإشراف التربوي (معيار القيادة والإشراف، معيار التطوير المهني، معيار دعم التعليم والتعلم القيم، ومعيار أخلاق المهنة ومهارات الاتصال) لدى مديري ومديرات المرحلة الثانوية بمحافظه الأحساء كان بدرجة موافق، وبمتوسط حسابي (٣,٩٩)، وانحراف معياري (٠,٩٠).

وتعزو الباحثة هذه النتائج على رعاية واهتمام وزارة التعليم وكذلك هيئة تقويم التعليم والتدريب بتطوير مستوى القائمين بالإشراف التربوي لاسيما من خلال اختبارات الرخصة المهنية والتي تسهم بشكل كبير في تأهيل المشرفين والمشرفات للقيام بالدور المنوط بهم في ظل التغيرات المنسجمة مع رؤية ٢٠٣٠ وتطبيق النموذج الإشرافي في ضوء تمكين المدرسة. واتفقت النتائج مع دراسة الزهراني (٢٠٢٤) ودراسة الصائغ (٢٠٢٤) والتي أظهرت أن تطبيق المعايير كان مرتفعاً، وكذلك دراسة الزهراني (٢٠٢٢) والتي أظهرت إلى أن أدور الرخصة المهنية جميعها حصلت على درجة متوسطة، ودراسة الأمير وعسيري (٢٠٢١) أظهرت أن درجات تطبيق المعيار المعرفة المهنية جاء بدرجة موافقة كبيرة، وأن درجات تطبيق معيار الممارسة المهنية جاءت بدرجة موافقة كبيرة، ودراسة بعطوط (٢٠٢٠) التي أظهرت نتائجها أن درجة تحقق المعايير المهنية الوطنية للتربية الفنية من وجهة نظر المعلمات والمشرفات التربويات ما بين عالٍ جداً وعالٍ، ودراسة الزهراني، والزهراني (٢٠٢٠) وتوصلت إلى أن مجال الممارسة المهنية متحقق بدرجة متوسطة، ودراسة الدهيمان (٢٠٢٠) أظهرت أن تطبيق المعايير جاءت بمستوى

متوسط، أما دراسة العمود وآخرون (٢٠٢٠) وأسفرت عن الموافقة بدرجة عالية بين أفراد الدراسة على الاحتياجات التدريبية للمشرفات التربويات في ضوء المعايير المهنية للمشرفين التربويين، وأظهرت النتائج توافر معايير وتطبيق تمهين الإشراف التربوي ومعايير التنمية المهنية جاءت بدرجة كبيرة جاءت دراسة الديحاني (٢٠١٨) وأظهرت نتائجها عن توافر معايير وتطبيق تمهين الإشراف التربوي ومعايير التنمية المهنية جاءت بدرجة كبيرة جداً، ودراسة الألفي والمالكي (٢٠١٨) أكدت أن درجة ممارسة قادة مدارس محافظة الليث لدورهم في تحقيق المعايير المهنية للمعلمين جاءت بدرجة كبيرة. وبلغت درجات تقدير أفراد العينة لمعيار التخطيط لعمليات التغيير، بين (٧٦٪-٧٧٪)، وبلغت الدرجة الكلية للاستجابات على هذا المعيار ٧٦,٨٪، مما يدل على درجة الموافقة (موافق) من أفراد العينة، وحصل مؤشر يشرح مفهوم التطوير على درجة موافقة بنسبة ٧٧,٢٪، وتعزو الباحثة هذه النتيجة إلى توافر الكفايات الإشرافية اللازمة، ووضوح الأدوار الموكلة للمديرين والمديرات فيما يتعلق بالتخطيط لعمليات التغيير بالمدارس، واستيعاب المفاهيم المرتبطة بالتطوير ومستوياته ومجالاته واستراتيجياته والمتواكبة مع التمكين المدرسي للقيام بالأدوار الإشرافية الجديدة في ظل التغيير. كما جاءت درجات تقدير أفراد العينة لمعيار ممارسة الأساليب الإشرافية بفاعلية وتوظيفها في تطوير أداء المعلمين، بين (٧٩٪-٨٠٪)، وبلغت الدرجة الكلية للاستجابات على هذا المعيار ٨٠٪، مما يدل على درجة الموافقة (موافق) من أفراد العينة، وحصل مؤشر يميز بين الأساليب الإشرافية المختلفة على درجة موافقة بنسبة ٨٠,٥٪، وتعزو الباحثة هذه النتيجة إلى أن الأساليب الإشرافية التي يمارسها المشرف مرتبطة بصميم العمل الإشرافي الذي يمارسه المشرف في الواقع وهي مستمرة ومتطورة وسعيه لاكتساب مزيد من الخبرات، والتي تشكل مخزون جيد من الأساليب والتي يراعي فيها الفروق الفردية بين المعلمين على اختلافهم ويلي احتياجاتهم ..

كما بلغت درجات تقدير أفراد العينة لمعيار تطور أداء المهني على نحو مستمر، بين (٧٨٪-٨٠٪)، وبلغت الدرجة الكلية للاستجابات على هذا المعيار ٧٩٪، مما يدل على درجة الموافقة من أفراد العينة، وحصل مؤشر يحدد مجتمعات التعلم المهنية وفقاً للخبرات على درجة موافقة بنسبة ٨٢,٧٪، وتعزو الباحثة هذه النتيجة إدراك المشرف بأهمية هذا الاتجاه الحديث في التطوير المهني وخلق بيئة إبداعية داعمة حيث تعزز مجتمعات التعلم ثقافة التعاون وهذا يساهم في إحداث نقلة نوعية في المنظومة التعليمية، وتعد استراتيجية فعالة لمواجهة تحديات العصر، وجاء الهدف السادس في النموذج الإشرافي في ضوء تمكين المدرسة والذي أكد على ضرورة تفعيل مجتمعات التعلم بأساليب وأدوات متقدمة.

كذلك درجات تقدير أفراد العينة لمعيار توظيف المهارات والوسائل التقنية الحديثة لدعم عمليات التعلم والتعليم، تراوحت ما بين (٧٨٪-٨٣٪)، وبلغت الدرجة الكلية للاستجابات على هذا المعيار ٨٠,٩٪، مما يدل على درجة الموافقة من أفراد العينة، وحصل مؤشر يدعم المعلمين في استخدام التقنية المناسبة للموقف التعليمي على درجة موافقة بنسبة ٨٣٪، وتعزو الباحثة هذه النتيجة إلى

إدراك المشرفين والمشرفات لأهمية توظيف المهارات والوسائل التقنية لجعل بيئات التعلم أكثر فعالية ولما لها من دور كبير في جذب انتباه وتفكير الطلبة وزيادة دافعيتهم وتحفيزهم للتعلم. وجاءت درجات تقدير أفراد العينة لمعيار استخدام مهارات الاتصال في العمل الإشرافي، ما بين (٨١٪- ٨٢٪)، كما بلغت الدرجة الكلية للاستجابات على هذا المعيار ٨١,٨٪، مما يدل على درجة الموافقة من أفراد العينة، وحصل مؤشر يفسر عملية الاتصال لزيادة فاعلية تطبيقه على درجة موافقة بنسبة ٨٢,٧٪، وتعزو الباحثة هذه النتيجة إلى وعي المشرفين والمشرفات بأهمية التواصل الإيجابي في بيئة العمل ولما له من تأثير ينعكس على إنتاجية العمل، وسلاسة أداء المهام وتحقيق الأهداف المرسومة في عملية الإشراف التربوي، وكذلك حضور المعنيين للورش التدريبية في مجال مهارات الاتصال وتطبيقها بصورة فعلية.

السؤال الثاني: والذي ينص "هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى تطبيق معايير هيئة تقويم التعليم والتدريب في الإشراف التربوي بمحافظة الأحساء وفق متغير (المسمى الوظيفي_ الرتبة الوظيفية)؟

جدول (٦) دراسة تأثير المسمى الوظيفي (مدير/مديرة) على تطبيق معايير الدراسة: تم استخدام اختبار مان وتي (Mann-Whitney U) لمعرفة الفروقات بين المدرء والمديرات في تطبيق المعايير وهل يوجد فروق ذات قيمة معنوية أو دلالة إحصائية بين المدرء والمديرين

المؤشرات	المسمى الوظيفية	متوسط الرتبة	اختبار Mann-Whitney U	اختبار Z	درجة المعنوية
يشرح مفهوم التطوير	مدير	51.74	1296.000	-1.112	0.266
	مديرة	57.59			
يضع خططاً تشاركية للتطوير مع المعنيين بالميدان التربوي	مدير	52.29	1327.500	-0.861	0.389
	مديرة	56.97			
يتعرف على استراتيجيات التطوير المؤثرة في الميدان التعليمي	مدير	47.08	1030.500	-2.845	0.004
	مديرة	62.79			
يميز بين الأساليب الإشرافية المختلفة	مدير	50.55	1228.500	-1.624	0.104
	مديرة	58.91			
ينفذ الأساليب الإشرافية بفاعلية	مدير	49.05	1143.000	-2.296	0.022
	مديرة	60.59			
يحدد الخطوات اللازمة لتطبيق الأسلوب الإشرافي	مدير	53.63	1404.000	-0.350	0.726
	مديرة	55.47			
يواكب النظريات وتطبيقاتها عملياً	مدير	45.58	945.000	-3.474	0.001
	مديرة	64.47			
يستفيد من فرص التدريب عن بعد	مدير	48.74	1125.000	-2.215	0.027
	مديرة	60.94			
يحدد مجتمعات التعلم المهنية وفقاً للخبرات	مدير	43.92	850.500	-4.190	0.000

المؤشرات	المسمى الوظيفية	متوسط الرتبة	اختبار Mann- Whitney U	اختبار Z	درجة المعنوية
	مديرة	66.32			
يوظف التقنية لمتابعة ونشر التجارب والمشروعات التربوية في الميدان التربوي	مدير	46.29	985.500	-3.378	0.001
	مديرة	63.68			
يلم بمهارات الإشراف الإلكتروني	مدير	52.37	1332.000	-0.810	0.418
	مديرة	56.88			
يدعم المعلمين في استخدام التقنية المناسبة للموقف التعليمي	مدير	50.95	1251.000	-1.425	0.154
	مديرة	58.47			
يفسر عملية الاتصال لزيادة فاعلية تطبيقه	مدير	47.63	1062.000	-2.844	0.004
	مديرة	62.18			
يشرح وظائف عملية الاتصال في الإشراف	مدير	45.74	954.000	-3.497	0.000
	مديرة	64.29			
يستخدم النماذج العلمية للاتصال في العمل الإشرافي	مدير	51.34	1273.500	-1.211	0.226
	مديرة	58.03			
يبني الثقة مع المعلمين لتطوير أدائهم	مدير	52.68	1350.000	-0.689	0.491
	مديرة	56.53			

يتضح من الجدول (٦) وجود فروق ذات دلالة معنوية بين استجابات عينة الدراسة والتي تعزى للمسمى الوظيفي (مدير/مديرة) حيث بلغت المعنوية في مؤشر يتعرف على استراتيجيات التطوير المؤثرة في الميدان التعليمي ٠,٠٠٤ ، فيما بلغ ينفذ الأساليب الإشرافية بفاعلية ٠,٠٢٢ ، وعند مؤشر يواكب النظريات وتطبيقاتها عملياً ٠,٠٠١ ، وبلغ عند مؤشر يستفيد من فرص التدريب عن بعد ٠,٠٢٧ ، ومؤشر يحدد مجتمعات التعلم المهنية وفقاً للخبرات ٠,٠٠٠ ، ومؤشر يوظف التقنية لمتابعة ونشر التجارب والمشروعات التربوية في الميدان التربوي ٠,٠٠١ ، ومؤشر يفسر عملية الاتصال لزيادة فاعلية تطبيقه ٠,٠٠٤ ، ومؤشر يشرح وظائف عملية الاتصال في الإشراف ٠,٠٠٠ . وتتفق هذه النتيجة مع دراسة الزهراني الزهراني (٢٠٢٠) ودراسة الديحاني وكندري وعبد الجليل (٢٠١٨) وباقي المؤشرات في الجدول أعلاه لا يوجد بها فروق ذات دلالة معنوية، وتختلف هذه النتيجة مع دراسة الأمير وعسيري (٢٠٢١).

جدول رقم (٧) دراسة تأثير الرتبة الوظيفية (خبير، متقدم، ممارس) على تطبيق معايير الدراسة: تم استخدام اختبار كرسكال والس (Kruskal-Wallis H) لمعرفة الفروقات بين الرتب الوظيفية في مستوى تطبيق المعايير وهل يوجد فروق ذات قيمة معنوية أو دلالة إحصائية بين هذه الرتب الوظيفية الثلاث.

المؤشرات	الرتبة الوظيفية	العدد	متوسط الرتبة	Kruskal- Wallis H	درجة المعنوية
يشرح مفهوم التطوير	ممارس	57	53.63	0.843	0.656

المؤشرات	الرتبة الوظيفية	العدد	متوسط الرتبة	Kruskal-Wallis H	درجة المعنوية
	متقدم	36	53.38		
	خبير	15	60.50		
يضع خططاً تشاركية للتطوير مع المعنيين بالميدان التربوي	ممارس	57	54.11	0.680	0.712
	متقدم	36	52.88		
	خبير	15	59.90		
يتعرف على استراتيجيات التطوير المؤثرة في الميدان التعليمي	ممارس	57	55.29	9.611	0.008
	متقدم	36	45.63		
	خبير	15	72.80		
يميز بين الأساليب الإشرافية المختلفة	ممارس	57	48.11	14.794	0.001
	متقدم	36	54.88		
	خبير	15	77.90		
ينفذ الأساليب الإشرافية بفاعلية	ممارس	57	49.05	5.383	0.068
	متقدم	36	61.38		
	خبير	15	58.70		
يحدد الخطوات اللازمة لتطبيق الأسلوب الإشرافي	ممارس	57	48.74	5.551	0.062
	متقدم	36	61.88		
	خبير	15	58.70		
يواكب النظريات وتطبيقاتها عملياً	ممارس	57	49.37	4.017	0.134
	متقدم	36	60.63		
	خبير	15	59.30		
يستفيد من فرص التدريب عن بعد	ممارس	57	44.08	16.431	0.000
	متقدم	36	67.75		
	خبير	15	62.30		
يحدد مجتمعات التعلم المهنية وفقاً للخبرات	ممارس	57	48.26	6.127	0.047
	متقدم	36	61.88		
	خبير	15	60.50		
يوظف التقنية لمتابعة ونشر التجارب والمشروعات التربوية في الميدان التربوي	ممارس	57	48.11	10.174	0.006
	متقدم	36	66.00		
	خبير	15	51.20		
يلم بمهارات الإشراف الإلكتروني	ممارس	57	48.26	7.573	0.023
	متقدم	36	65.13		
	خبير	15	52.70		
يدعم المعلمين في استخدام التقنية المناسبة للموقف	ممارس	57	47.55	9.786	0.007

المؤشرات	الرتبة الوظيفية	العدد	متوسط الرتبة	Kruskal-Wallis H	درجة المعنوية
التعليمي	متقدم	36	58.75		
	خبير	15	70.70		
يفسر عملية الاتصال لزيادة فاعلية تطبيقه	ممارس	57	52.84	0.471	0.790
	متقدم	36	56.38		
	خبير	15	56.30		
يشرح وظائف عملية الاتصال في الإشراف	ممارس	57	52.61	2.419	0.298
	متقدم	36	60.00		
	خبير	15	48.50		
يستخدم النماذج العلمية للاتصال في العمل الإشرافي	ممارس	57	53.00	2.210	0.331
	متقدم	36	52.63		
	خبير	15	64.70		
يبني الثقة مع المعلمين لتطوير أدائهم	ممارس	57	48.11	9.208	0.010
	متقدم	36	56.88		
	خبير	15	73.10		

يتضح من الجدول (٧) وجود فروق ذات دلالة معنوية بين استجابات عينة الدراسة والتي تعزى للرتبة الوظيفية (خبير، متقدم، ممارس) حيث بلغت المعنوية في مؤشر يتعرف على استراتيجيات التطوير المؤثرة في الميدان التعليمي ٠,٠٠٨، وفي مؤشر يميز بين الأساليب الإشرافية المختلفة ٠,٠٠١، لصالح الخبير، وعند مؤشر يستفيد من فرص التدريب عن بعد ٠,٠٠٠، ومؤشر يحدد مجتمعات التعلم المهنية وفقاً للخبرات ٠,٠٤٧، ومؤشر يوظف التقنية لمتابعة ونشر التجارب والمشروعات التربوية في الميدان التربوي ٠,٠٠٦، ومؤشر يلم بمهارات الإشراف الإلكتروني ٠,٠٢٣، لصالح المتقدم، ومؤشر يدعم المعلمين في استخدام التقنية المناسبة للموقف التعليمي ٠,٠٠٧، ومؤشر يبني الثقة مع المعلمين لتطوير أدائهم ٠,٠١٠، لصالح الخبير، وتتفق هذه النتيجة مع دراسة الألفي والمالكي (٢٠١٨)، وباقي المؤشرات في الجدول أعلاه لا يوجد بها فروق ذات دلالة معنوية، وتختلف هذه النتيجة مع دراسة وباقي المؤشرات في الجدول أعلاه لا يوجد بها فروق ذات دلالة معنوية، وتختلف هذه النتيجة مع دراسة كلاً من: بعطوط (٢٠٢٠)، الدهيمان (٢٠٢٠)، الزهراني، الزهراني (٢٠٢٠) وتعزو الباحثة هذه النتيجة إلى أن ما يتميز به الحاصل رتبة المتقدم بأنه ذو معرفة واسعة في مجال التدريس والممارسات التربوية، يوظف بفعالية للمعرفة والمهارة في بيئة التعلم لتحقيق النمو الشامل للطلاب. ومؤسس العلاقات المهنية بين الزملاء، ومطور وناشر لأساليب تدريسية جديدة وداعم لزملائه، ومعرّز للاتجاهات الإيجابية نحو التدريس، وملتزم بتقويم معرفته ومهاراته واتجاهاته وتطويرها ذاتياً. أما الخبير فهو لديه معرفة شاملة وعميقة وخبرة تربوية عالية في مجال التدريس ويحمل قيمة تربوية أصيلة. وله القدرة على إجراء البحوث الإجرائية، إنتاج المعرفة وتوظيفها بإبداع

في بيئة التعلم لتحقيق النمو الشامل للطالب. ويقود مبادرات تطويرية على مستوى البيئة المدرسية والمجتمع المحلي لتحسين البرامج التعليمية وتصميمها، داعماً ومحفزاً ومقوم زملاءه لقيادتهم نحو الإبداع التدريسي، وهذا ما نص عليه تعرف الرتب الوظيفية وفق دليل المعايير والمسارات المهنية للمعلمين في المملكة العربية السعودية.

التوصيات: في ضوء النتائج التي توصلت لها الدراسة أوصت بما يلي:

١. حث المديرين والمديرات لحضور الورش التدريبية التي تقدمها كليات التربية بتوجيه من الوزارة.
٢. إلقاء الضوء على اختبارات الرخصة المهنية خاصة في الإشراف التربوي للتأهيل وإعطاء رخصة مزاولة المهنة.
٣. أهمية التعاون بين هيئة تقويم التعليم والتدريب والمدارس لنشر ثقافة المعايير المهنية لدى العاملين فيها.

المقترحات تقترح الدراسة الحالية القيام بأبحاث تركز على التالي:

١. دور الرخصة المهنية في تطوير أداء المشرفين والمشرفات من وجهة نظر المعلمين والمعلمات.
٢. تصور مقترح لتطوير البرامج التدريبية للمشرفين والمشرفات في ضوء معايير الرخصة المهنية.
٣. تحديد الاحتياجات التدريبية اللازمة للمشرفين والمشرفات في ضوء النموذج الإشرافي في التمكين المدرسي.
٤. المعوقات التي تحد من التحاق المشرفين والمشرفات بالبرامج التدريبية والمؤتمرات فيما يخص الإشراف التربوي.

قائمة المصادر والمراجع

- الأمير، إيمان حسين، وعسيري، فاطمة يحيى. (٢٠٢١). درجة تطبيق المعايير التربوية الخاصة بالرخصة المهنية للمعلمين من وجهة نظر القائمين على الإدارة المدرسية بالمدارس الثانوية بمدينة جدة، مجلة جامعة الملك خالد للعلوم التربوية. ٨، (3).
- بعطوط، صفاء عبد الوهاب بلقاسم. (٢٠٢٠). الكشف عن درجة تحقق المعايير المهنية الوطنية للتربية الفنية من وجهة نظر المعلمات أنفسهن والمشرفات التربويات. دراسات عربية في التربية وعلم النفس. رابطة التربويين العرب. ٣٨٥، ١٢٦-٤٠٨.
- الدهيمان، هيلة خلف. (٢٠٢٠). التعرف على مستوى تطبيق معلمات العلوم الشرعية للمرحلة المتوسطة، المعايير المهنية للمعلمين في المملكة العربية السعودية. مجلة العلوم التربوية، جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز. ٤(٢)، ٢٢٣-٢٧٣.
- الديحاني، سلطان غالب عوض، عبد الجليل، هدى مساعد، والكندري، هدى أحمد. (٢٠١٨). مدى توافر معايير التنمية المهنية للإشراف التربوي من وجهة نظر المشرفين التربويين بدولة الكويت. المجلة العربية للتربية النوعية، (٣)، ١٠٥ - ١٣٤.

- الزهراني، سالم قصير، والزهراني، ماجد غرم الله. (٢٠٢٠). مدى تحقق معايير هيئة تقويم التعليم والتدريب عند معلم الحاسب الآلي في المملكة العربية السعودية. دراسات عربية في التربية وعلم النفس. رابطة التربويين العرب. ١٢٣، ١٧٣ - ٢٠٢.
- الزهراني، صالح. (٢٠٢٢). تطوير الأداء المهني لمُشرفي القيادة المدرسية في ضوء معايير هيئة تقويم التعليم والتدريب بالمملكة العربية السعودية: تصور مقترح [رسالة دكتوراه غير منشورة]. كلية التربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- السخني، حسين عبد الرحمن، ميسون، محمد الزعبي، الخزاعلة، محمد سلمان. (٢٠١٢). الإشراف التربوي قراءة معاصرة ومستقبلية. الأردن، عمان، دار صفاء للنشر.
- السعيد، رضا، وعبد الحميد، أحمد (٢٠١٠). معايير الجودة الشاملة في رياض الأطفال. الإسكندرية: دار التعليم الجامعي.
- السناني، مها فهد. (٢٠٢٤). مستوى تطبيق معايير هيئة تقويم التعليم والتدريب في الإشراف التربوي ومعوقات تطبيقها من وجهة نظر مشرفي الإدارة المدرسية بالرياض، مجلة العلوم التربوية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ٢(34).
- شحاته، حسن، والنجار، زينب. (٢٠٠٣). معجم المصطلحات التربوية والنفسية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.
- الشمrani، سعيد بن محمد عبد الله، والحري، فهد بن عوض. (٢٠١٧). مستوى توافر المعايير المهنية التخصصية لدى معلمي الأحياء في المملكة العربية السعودية من وجهة نظر مشرفيهم التربويين. مجلة الدراسات التربوية والنفسية. جامعة السلطان قابوس، ١١(٢)، ٣٧٠-٣٨٩.
- الشهري، محمد. (٢٠١٧). أثر تطبيق معايير الجودة في تطوير أداء المشرف التربوي: دراسة ميدانية بإدارة التعليم بمحافظة النماص. جمعية الثقافة من أجل التنمية بمصر، ١٨(121).
- الصائغ، عهود خالد. (٢٠٢٤). الاحتياجات التدريبية للمشرفات التربويات في الطفولة المبكرة في ضوء معايير الرخصة المهنية، مجلة جامعة الفيوم للعلوم التربوية والنفسية. ١٧(18).
- العمود، مها صالح إبراهيم، المهوس، رنا بنت ناصر، الغثير، نهي بنت سليمان حمد، والخويطر، خواطر محمد عبدالله. (٢٠٢٠). الاحتياجات التدريبية للمشرفات التربويات في ضوء المعايير المهنية للمشرفين التربويين. مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والنفسية، ١٢(٤) ٣١٦ - ٣٥٩.
- الغباوي، شهدان. (٢٠١٩). الشركات المساهمة في إطار الحوكمة والمعايير المحاسبية الدولية. الإسكندرية: دار الفكر الجامعي.
- المالكي، إبراهيم بن مهلهل عطية، والألفي، أشرف عبده حسن (٢٠١٨) درجة ممارسة قادة مدارس محافظة الليث لدورهم في تحقيق المعايير المهنية للمعلمين وعلاقتها بمستوى أدائهم. مجلة البحث العلمي في التربية بجامعة عين شمس. ١٩(١٤)، ٣٤٩-٤٠٠.
- هيئة تقويم التعليم والتدريب. (٢٠٢٠). معايير الإشراف التربوي. استرجع في ٢٦ يوليو، ٢٠٢٥ من

<https://etec.gov.sa/ar/etec/foundation>

جودة عسل النحل ومعايير التمييز بين الطبيعي والمغشوش في ضوء الفقه الإسلامي والاعتبارات العلمية المعاصرة

د. عبد الحليم إسماعيل عبد الرحيم^(*)

المستخلص

هدفت هذا البحث إلى تأسيس إطار متكامل لتقييم جودة عسل النحل وتوضيح المنظور الفقهي الإسلامي والمعايير العلمية الحديثة، كما هدف إلى التوعية بمخاطر انتشار ظاهرة الغش التجاري في العسل كظاهرة تهدد صحة المستهلك. تمثلت مشكلة البحث في التحدي الكبير أمام صعوبة كشف الفرق بين العسل الأصلي والمغشوش لدى المستهلك، وتأتي أهمية البحث في توعيتها للمستهلك بإيجابيات العسل الأصلي وسلبات المغشوش الذي يحتوي على مواد مضافة ضارة أو مسرطنة. ولتحقيق أهداف الدراسة تم اعتماد عدة منهجيات منها المنهج الاستقرائي، المنهج التحليلي، المنهج المقارن، والمنهج التكاملي، توصلت الدراسة إلى النتائج التالية: أن التمييز بين عسل النحل الطبيعي والمغشوش يعد ركيزة أساسية في الشريعة الإسلامية وضرورة حتمية في العلوم التطبيقية المعاصرة. تهدف هذه العملية إلى حماية النفس، والمال، والدين أوصت بضرورة تعميم توعية الباعة للحد من احتمالية الغش وتذكيرهم بالنواحي الفقهية والعلمية المعاصرة (طرق التمييز).

الكلمات المفتاحية: العسل - العملية - المغشوش - التمييز - الفقه - الاعتبارات.

المقدمة:

يشكل الغذاء في المنظور الإسلامي محط اهتمام شرعي بالغ، لا لكونه مجرد حاجة بيولوجية، بل لأنه أداة لحفظ النفس والبدن، وهما وسيلتان تحقيق العبادات وعمارة الأرض، ومن بين الأغذية التي خصها النص الشرعي بالذكر والتمييز، يأتي عسل النحل الذي اقترن ذكره في القرآن الكريم بالشفاء {يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ} [النحل: 69]، هذه الآية لم تكن مجرد إشارة إلى منفعة العسل، بل كانت تأسيساً لمركزية الجودة والأصالة فيه، إذ إن الشفاء المرتبط به مشروطٌ بتحقيق طبيعته التي خلقه الله عليها.

ومع تعقيد سلاسل الإمداد الغذائي واتساع نطاق التجارة العالمية في عصرنا الحديث، تعرضت جودة عسل النحل لتحديات غير مسبوقة، فلم يعد الغش مقتصرًا على الخلط المباشر بالسكريات الرخيصة، بل تطور ليصبح "صناعة موازية" تعتمد على تقنيات محكمة يصعب كشفها بالطرق التقليدية، وتشمل هذه الممارسات التغذوية الصناعية للنحل بمحاليل سكرية والتلاعب الحراري الذي يدمر الإنزيمات الحيوية، والتزوير الجغرافي والنباتي للمصدر، مما يجعل تمييز المنتج الطبيعي عن المغشوش يتطلب أدوات علمية متقدمة تتجاوز قدرة الحواس البشرية.

(*) أستاذ مساعد، تخصص العقيدة الإسلامية - كلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة البحر الأحمر - السودان

9346-9369. Zhang, X. H., et al. (2023), 63(28),

مشكلة البحث:

يعد التمييز بين العسل الأصلي والمغشوش تحدياً كبيراً لصعوبة كشف الفرق بينهما للمستهلك العادي، حيث يتم غش العسل بإضافة شراب السكر، الذرة، أو الدبس. العسل الأصلي يتميز برائحة الزهور ولا يذوب بسرعة في الماء، ولا يترك بقعاً على الأقمشة، بينما المغشوش خفيف ويحترق بصعوبة. يتبلور العسل الطبيعي، مما يجعله أكثر كثافة، على عكس المغشوش، ولا يكتشف هذه الفروق إلا شخص مختص في هذا المجال.

أهداف البحث:

تسعى هذه البحث إلى تأسيس إطار متكامل لتقييم جودة عسل النحل وتوضيح المنظور الفقهي الإسلامي والمعايير العلمية الحديثة، كما تهدف إلى التوعية بمخاطر انتشار ظاهرة الغش التجاري في العسل كظاهرة تهدد صحة المستهلك.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في إبانها للفرق بين العسل الأصلي والمغشوش لضمان الحصول على الفوائد العلاجية والغذائية للنحل وتجنب مخاطر السكريات المضافة والمواد الصناعية الضارة، البحث بمثابة توعية للمستهلك لتمييز المنتج النقي عبر الفحوصات الفيزيائية (الكثافة، التبلور، الرائحة) أو المخبرية، مما يضمن الجودة مقابل السعر ويحمي من الغش التجاري.

منهجية البحث:

لتحقيق أهداف الدراسة، تم اعتماد منهجية بحث متعددة الأبعاد تجمع بين الأصالة والمعاصرة:

١. المنهج الاستقرائي: استقراء النصوص الشرعية من القرآن والسنة المتعلقة بالعسل، والغش التجاري، وجودة السلع، لاستنباط المبادئ التأسيسية.
٢. المنهج التحليلي: تحليل المقاصد الشرعية الكامنة وراء تشريعات حفظ الجودة ومنع الغش، وتفكيك الأبعاد الفقهية لمسائل العيب والتدليس والغرر.
٣. المنهج المقارن: مقارنة آراء المذاهب الفقهية في مسائل الغش وأثره على العقود، مع ربطها بالتصنيفات العلمية الحديثة للعسل وأنواع الغش.
٤. المنهج التكاملي: بناء نموذج عملي يدمج الآليات الفقهية (كالحسبة) بالوسائل العلمية الحديثة (كالتحاليل المخبرية المتقدمة) والحلول التقنية (كالمنصات الرقمية)، لتقديم حلول معاصرة قابلة للتطبيق.

الأسس الشرعية والمقاصدية لجودة عسل النحل

يكتسب عسل النحل مكانة فريدة في المنظور الإسلامي، تتجاوز كونه مجرد مادة غذائية، لتصل إلى كونه أصلاً علاجياً ومنفعة مؤكدة بنص الوحي. هذا التأسيس الشرعي يضع إطاراً صارماً لجودته وأصالتها.

العسل في النصوص التأسيسية

النص القرآني المركزي في هذا الباب هو قوله تعالى: {يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ} [النحل 69] هذا النص يؤسس لثلاثة أبعاد رئيسية: ابن القيم، ١٩٩٤م، ٥٤
منفعة الشفاء المؤكدة: وصف العسل بأنه "شفاء" يرفعه من مجرد غذاء إلى مادة ذات قيمة علاجية
معتبرة شرعاً. هذا الوصف يجعل الحفاظ على خصائصه الطبيعية التي تحقق هذا الشفاء واجباً
مقاصدياً.

الإعجاز العلمي: سبق القرآن الكريم العلم الحديث في الإشارة إلى الفوائد العلاجية للعسل، مما
يضي على هذه المادة قدسية خاصة ويجعل العبث بها أشد حرمة.
التنوع الطبيعي المعتبر: الإشارة إلى "مختلف ألوانه" هي إقرار بأن الاختلافات الطبيعية في اللون أو
القوام أو الطعم، الناتجة عن تنوع المصادر النباتية والجغرافية، ليست عيوباً، بل هي من دلائل
قدرة الله، ولا يجوز اتخاذها ذريعة للغش أو التوحيد الصناعي للمواصفات.

المقاصد الشرعية من حفظ جودة العسل:

بناءً على النصوص، يمكن استخلاص مقاصد شرعية كلية وجزئية تهدف إلى حماية جودة العسل،
يمكن تبين أهمها في الجدول التالي: ابن تيمية، ١٩٩٥م، ٢٩.

المقصد	الوصف	الدليل والتوجيه
حفظ النفس	يتمثل في توفير غذاء ودواء آمن وفعال ، ومنع الضرر الذي قد ينتج عن استهلاك منتجات مغشوشة	(فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ) وقاعدة "لا ضرر وضرار"
حفظ المال	يتحقق بمنع أكل أموال الناس بالباطل عن طريق التدليس والغش، وضمان أن القيمة المدفوعة تقابل جودة حقيقية	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ)
تحقيق العدالة	ضمان التكافؤ في المعاملات التجارية، حيث أن العسل ذو قيمة اقتصادية عالية تستوجب الدقة في المواصفات	مبدأ "العدل" كقيمة عليا في المعاملات
بناء الثقة	تشجيع الصدق والبيان في التجارة، مما يؤدي إلى استقرار الأسواق وحماية المستهلكين والتجار على حد سواء	حديث " البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما"

الإطار الفقهي العام للغش وجودة السلع

يستند الموقف الفقهي من جودة العسل إلى قواعد فقهية كبرى تضبط المعاملات التجارية، ومنها:
يستند الموقف الفقهي من جودة العسل إلى قواعد فقهية كبرى تضبط المعاملات التجارية، ومنها:

- قاعدة الغش والتدليس: التي تحرم إخفاء عيب في السلعة أو إظهارها بصورة أفضل من حقيقتها، وتثبت للمشتري الخيار. وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من غشنا فليس منا" صحيح مسلم، كتاب الإيمان، رقم الحديث: ١٠١/١٠٢.
- قاعدة العيب الخفي: التي توجب الضمان على البائع إذا كان المنتج معيباً بعيب ينقص من قيمته أو منفعته، ولم يكن المشتري على علم به.
- قاعدة الغرر: التي تحرم بيع المجهول الذي قد يؤدي إلى النزاع، ويدخل في ذلك بيع منتج غير محدد المواصفات أو مجهول المصدر على أنه ذو مواصفات عالية.

مفهوم الغش وأبعاده في الفقه الإسلامي

يعتبر الغش (Adulteration/ Fraud) من المفاهيم المحورية في فقه المعاملات الإسلامي، حيث يمثل اعتداءً على حقوق المستهلكين وأمانة السوق، وقد جاءت النصوص الشرعية بتحريمه والتحذير منه بشكل قاطع، مما استدعى الفقهاء إلى وضع إطار نظري متكامل لتعريفه وتحديد أركانه وآثاره.

٢،١ تعريف الغش وأركانه:

لغةً:

الغش هو نقيض النصيحة، ويعني الخداع وإظهار الشيء على خلاف حقيقته.

اصطلاحاً:

عرّفه الفقهاء بتعريفات متقاربة، منها تعريف ابن عابدين بأنه: "كل ما يكون به الخداع في المعاملة، سواء كان في الثمن أو المثلن أو الصفة". (ابن عابدين، ١٩٩٢م، ٤٩)

وبتحليل هذه المفاهيم، يمكن تحديد أركان الغش الفقهي التي يجب توافرها لاعتبار الفعل محرماً أو موجباً للضمان:

١. الفعل المادي: ويتمثل في سلوك إيجابي (كالخلط أو الإضافة) أو سلبي (ككتمان العيب) وهو جوهر عملية الخداع. (الشاطبي، ٢٠٠٤م، ٧)
 ٢. قصد الخداع (النية): يجب أن يكون لدى الغاش نية تضليل المشتري، وهذا الركن يميز بين الغش المتعمد والخطأ غير المقصود، مع الأخذ في الاعتبار أن الإهمال الجسيم في التحري قد يلحق بالقصد.
 ٣. محل الغش: وهو السلعة أو الخدمة التي وقع عليها فعل الخداع، بحيث تغيرت صفاتها الجوهرية أو الوصفية.
 ٤. الأثر على القيمة أو المنفعة: من مساوئ الغش أنه يؤدي إلى نقص في قيمة السلعة أو منفعتها المرجوة، وهو ما يسبب الضرر للمشتري.
- مراتب الغش وتطبيقاتها على العسل:
- صنف الفقهاء الغش بناءً على مدى تأثيره على السلعة، ويمكن تطبيق هذا التصنيف على منتجات العسل

على النحو التالي: مجمع الفقه الإسلامي الدولي ٢٠١٢م، قرارات المجمع الدورة ١٩.

الغش الجوهري (Substantial Adulteration) وهو الذي يغير طبيعة السلعة وماهيتها، كخلط العسل بشراب الذرة عالي الفركتور (HFCS) أو أي محليات صناعية أخرى، هذا النوع هو أشد أنواع الغش حرمة، لأنه يغير جوهر المنفعة (الشفاء) المرتبط بالعسل.

الغش الوصفي (Descriptive Fraud): وهو الذي يتعلق بصفة ثانوية لكنها مؤثرة في القيمة، مثل الادعاء الكاذب بأن العسل من مصدر نباتي نادر (كسدر المانوكا) أو من منطقة جغرافية معينة ذات سمعة جيدة، بينما هو في الحقيقة من مصدر عادي.

الغش الكمي (Quantitative Fraud): ويتعلق بالوزن أو الحجم، كبيع عبوة على أنها تحتوي على كيلو غرام واحد، بينما هي أقل من ذلك.

الآثار المترتبة على الغش في العقد

إذا ثبت الغش، فإن الشريعة الإسلامية تمنح المشتري المتضرر حقوقاً تهدف إلى رفع الظلم عنه وإعادة التوازن إلى العقد، وتدرج هذه الحقوق بحسب طبيعة الغش وتوقيت اكتشافه في الخيارات التالية:

١. خيار العيب: وهو الحق الثابت للمشتري في رد السلعة واستعادة كامل الثمن إذا اكتشف فيها عيباً خفياً (كالخلط أو المعالجة الحرارية) لم يكن يُعلم به عند الشراء.
٢. خيار التدليس: إذا كان الغش في الوصف (كالمصدر الجغرافي) يكون للمشتري الحق في فسخ العقد أو توقيعه.
٣. الأرش: (التعويض عن نقص القيمة): في حال كان الغش يسيراً أو استهلك المشتري جزءاً من السلعة مما يمنع ردها، يحق له المطالبة بالفرق في القيمة بين السلعة السليمة والسلعة المعيبة.
٤. الفسخ مع الضمان: في حالات الغش الجوهري الذي يسبب ضرراً صحياً، يتجاوز الأمر مجرد الحقوق المالية إلى وجوب التعويض عن الضرر الذي لحق بالنفس.

صور الغش المعاصرة في عسل النحل وتكييفها الفقهي

لقد تجاوزت أساليب الغش في العصر الحديث الطرق التقليدية البسيطة، لتصبح عمليات معقدة تستخدم تقنيات متطورة تهدف إلى التحايل على طرق الكشف القياسية، ويمكن تقسيم هذه الصور إلى فئتين رئيسيتين: الغش التقليدي المتطور و"الغش الذكي" الذي يمثل التحدي الأكبر حالياً. (الناجي، لؤي كريم، ١٩٧٨، ١٧-٣١).

صور الغش التقليدية المتطورة

تشمل هذه الفئة الأساليب القديمة التي تم تحسينها لتجنب الكشف السهل:

- (أ) الخلط بالمواد السكرية: لم يعد الأمر مقتصرًا على إضافة سكر المائدة (السكروز) اليوم، حيث يتم استخدام بشارب الذرة عالي الفركتور (HFCS) وشراب الأرز، وشراب الشمندر السكري. هذه الأخيرة تشبه في تركيبها السكري تركيب العسل الطبيعي، مما يجعل كشفها صعباً بالطرق الكيميائية البسيطة.

Siddiqui, A. J., et al. (2017). 3427–3442

(ب) التلاعب الحراري (Pasteurization): يتم تسخين العسل إلى درجات حرارة عالية (أعلى من ٦٥ درجة مئوية) عملية التبلر الطبيعية وإطالة عمره على الرفوف، ومع ذلك، تؤدي هذه العملية إلى تدمير الإنزيمات الحيوية الهامة مثل الدياستاز والإنفرتاز، وزيادة تركيز مركب هيدروكسي ميثيل فورفورال (HMF)، مما يفقده الكثير من قيمته العلاجية والغذائية.

Bogdanov, S. (2008). 677–689.

(ت) التزوير الجغرافي والنباتي: يتم بيع عسل رخيص الثمن، مصدره نباتات شائعة، على أنه عسل فاخر من مصادر نادرة وذات قيمة عالية، مثل عسل السدر أو المانوكا، هذا النوع من الغش يعتمد على تزوير الملصقات وشهادات المنشأ، ويصعب كشفه دون تحاليل متقدمة لحبوب اللقاح أو الحمض النووي الـ (Metabarcoding DNA) للمصادر النباتية.

Zhu, X., et al. (2020)., 312, 126048.

Wirta, H., et al. (2021)., 11, 4798.

Soares, S., et al. (2023)., 28(5), 2106.

الغش الذكي: التغذية الصناعية للنحل

يمثل هذا النوع من الغش تحدياً فقهياً وعلمياً مركباً، حيث يتم فيه تقديم محاليل سكرية (سكروز، فركتوز) للنحل بشكل مباشر ومنتظم كبديل عن جمعه للرحيق من الأزهار، يخرج المنتج النهائي من بطون النحل، مما يجعله مطابقاً للتعريف الحرفي في النص القرآني، ولكنه يفتقر إلى جوهر العسل الطبيعي.

التحليل الفقهي المقاصدي:

من حيث الشكل (Form) المنتج يمر عبر الجهاز الهضمي للنحلة ويخضع لعملياتها الإنزيمية، وبالتالي فهو يخرج من بطونها"، من هذا المنظور الشكلي، قد يجادل البعض بأنه نوع من العسل. من حيث الجوهر (Substance) المنتج يفتقر بشكل شبه كامل إلى المكونات النباتية الثانوية (مثل الفينولات، الفلافونويدات، ومضادات الأكسدة) التي يجمعها النحل من رحيق الأزهار، هذه المكونات هي المسؤولة عن معظم الخصائص العلاجية والشفائية المذكورة في القرآن والسنة، والتي تؤكدتها الأبحاث العلمية الحديثة.

Fakhlai, R., et al. (2020)., 9(11), 1538.

الحكم التصنيفي:

بناءً على قاعدة "الحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً"، وبما أن علة التفضيل والشفاء في العسل هي مكوناته الطبيعية المستمدة من الرحيق، فإن غياب هذه المكونات يغير من الحكم، وعليه يمكن تصنيف هذا المنتج كالتالي:

إذا بيع على أنه "عسل طبيعي": فهو غش محرم وتدليس واضح، لأنه يخالف الحقيقة الجوهرية للمنتج ويخدع المستهلك.

إذا بيع مع البيان الكامل: كأن يكتب على الملصق "عسل تغذية النحل" أو "شراب سكري معالج بإنزيمات النحل"، مع تسعيره بسعر أقل بكثير من العسل الطبيعي، فإنه يخرج من دائرة الحرمة إلى دائرة المنتجات المباحة التي تخضع لتقدير المستهلك، ومع ذلك، يجب منعه من استخدام كلمة "عسل" دون تمييز واضح لتجنب اللبس.

إن إنتاج وبيع هذا المنتج على أنه عسل طبيعي، يصطدم مباشرة مع مقصد "حفظ منفعة الشفاء"، ويعد تحايلاً على النص الشرعي، مما يجعله أقرب إلى الحرام منه إلى الكراهة.

المعايير العلمية الحديثة وتوظيفها كقرائن فقهية

لمواجهة أساليب الغش المتطورة، تطورت بالتوازي تقنيات تحليلية متقدمة قادرة على كشف أدق أنواع التلاعب، هذه التقنيات لا توفر فقط أدوات للرقابة، بل يمكن توظيفها كـ "قرائن قوية" في الإثبات الفقهي والقضائي، مما يعزز من قدرة الأنظمة الشرعية على تحقيق العدالة.

التحاليل الكيميائية والفيزيائية الأساسية: تعتبر هذه التحاليل خط الدفاع الأول، وتعتمد معظم المواصفات القياسية الدولية مثل هيئة الدستور الغذائي (Codex Alimentarius)

Codex Alimentarius Commission. (2019). (CODEX STAN 12-1981).

المعيار العلمي	طريقة القياس	القيمة المرجعية في العسل الطبيعي	دلالة الانحراف (الغش المحتمل)
نسبة الرطوبة	مقياس الانكسار (Refractometer)	لا تزيد عن ٢٠٪	زيادة النسبة قد تدل على عدم نضج العسل أو خلطه بالماء
هيدروكسي ميثيل (HMF)	كروماتوغرافيا سائلة (HPLC)	أقل من ٤٠ ملغم/كغم	زيادة التركيز تدل على التسخين المفرط أو التخزين السيء
إنزيم الدياستاز	طريقة (Phadebas) أو (Schade)	لا يقل عن ٨ وحدات (Schade)	انخفاض النشاط يدل على المعالجة الحرارية التي تدمر الإنزيمات
نسبة السكر الزاوية الظاهرية	كروماتوغرافيا غازية أو سائلة	لا تزيد عن ٥٪	زيادة النسبة قد تدل على التغذية الصناعية المباشرة بسكر السكروز
التوصيل الكهربائي	مقياس التوصيل (Conduct meter)	يعتمد على المصدر النباتي	انحراف كبير عن المجال الطبيعي للمصدر النباتي المزعوم

التحاليل المتقدمة لكشف "الغش الذي"

عندما تفشل التحاليل الأساسية في كشف الغش، خاصة في حالة استخدام شرابات سكرية مطابقة في تركيبها للعسل (C3 sugars like rice syrup) يتم اللجوء إلى تقنيات أكثر تعقيداً.

١. تحليل نسبة النظائر المستقرة للكربون (SCIRA): تعتبر هذه التقنية المعيار الذهبي لكشف إضافة السكريات من مصادر نباتية مختلفة. تعتمد على قياس نسبة نظير الكربون (C^{13}) إلى الكربون (C^{12}) النباتات تصنف إلى نوعين: C4 (مثل قصب السكر والذرة) وC3 (مثل الأرز والشمندر ومعظم النباتات الزهرية)، العسل الطبيعي يأتي من نباتات C3 وله بصمة نظائرية مميزة إضافة إلى سكريات من نباتات C4، يغير هذه النسبة بشكل يمكن قياسه بدقة تصل إلى ٩٥٪.

Padovan, G. J., et al. (2003)., 82(4), 633-636.

Elflein, L., & Raezke, K. P. (2008). 39(5), 574-587.

Tosun, M. (2013)., 138(2-3), 1629-1632.

٢. التحليل الطيفي (Spectroscopy): تقنيات مثل التحليل الطيفي بالرنين المغناطيسي النووي (NMR) والأشعة تحت الحمراء (FTIR) يمكنها إنشاء "بصمة كيميائية" فريدة لكل نوع من العسل. من خلال مقارنة بصمة العينة المجهولة مع قاعدة بيانات للبصمات الأصلية، يمكن كشف أي انحراف أو إضافة مواد غريبة بدقة وسرعة.

Spiteri, M., et al. (2015). 189, 52-59.

١. تحليل الحمض (DNA Metabarcoding) تستخدم هذه التقنية لتحديد المصدر النباتي والجغرافي للعسل بدقة من خلال تحليل بقايا الحمض النووي لحبوب اللقاح الموجودة فيه، تعتبر هذه الطريقة حاسمة في كشف التزوير الجغرافي والنباتي. (صحيح البخاري:

كتاب البيوع، الكتاب (٣٤)، ٢-٣٩)

التوظيف الفقهي للنتائج العلمية:

لا يمكن التعامل مع كل نتيجة علمية بنفس الدرجة من اليقين، يجب على الفقيه أو القاضي تصنيف هذه النتائج قبل بناء الحكم عليها:

قرائن قطعية أو شبه قطعية: مثل نتائج تحليل (SCIRA) التي تثبت إضافة سكريات C4 أو وجود مواد كيميائية ضارة، هذه النتائج يمكن أن تكون أساساً لحكم بالتحريم والضمان والتعزير. قرائن ظنية قوية: مثل ارتفاع طفيف في الـ(HMF) أو انخفاض في نشاط الدياستاز، هذه النتائج توجب التحفظ والبيان، وقد تكون سبباً لثبوت خيار العيب أو المطالبة بالأرض، ولكنها قد لا تكفي وحدها للإدانة الجنائية دون أدلة أخرى داعمة.

قرائن احتمالية: مثل بعض مؤشرات التحليل الطيفي التي قد تحتاج إلى مقارنات أوسع، هذه النتائج تستخدم للاستئناس وتوجيه التحقيق، ولكن لا يبنى عليها حكم منفرد.

إن قبول المختبرات العلمية المعتمدة لحاصلة على شهادات مثل (ISO 17025) كـ "أهل خبرة" عدول في هذا العصر، هو تطبيق معاصر لمبدأ فقهي أصيل، ويجعل من نتائجها أدوات شرعية معتبرة لتحقيق العدالة وحماية الأسواق.

نحو تفعيل معاصر للحسبة: نموذج "الحسبة الرقمية"

إن تطبيق الأحكام الفقهية والمعايير العلمية في بيئة الأسواق المعاصرة يواجه تحديات عملية، مثل تعقد سلاسل التوريد العالمية وتطور تقنيات الغش واختلاف التشريعات بين الدول، ولمواجهة هذه التحديات، لا بد من الانتقال من مفهوم الحسبة التقليدي إلى نموذج معاصر يستفيد من التقنيات الرقمية، وهو ما يمكن تسميته بـ "الحسبة الرقمية (Digital Hisbah)"

نموذج الرقابة المتكاملة المقترح:

يقوم النموذج على إنشاء منظومة إلكترونية مركزية تهدف إلى تحقيق الشفافية الكاملة وإمكانية التتبع (Traceability) من المنتج إلى المستهلك.

يتضح أن النظام يعمل بشكل دائري متكامل، حيث يبدأ من المنتج أو المستورد الذي يسجل منتجه في المنصة الرقمية الوطنية، ثم يتم ربط بيانات التحليل من المختبرات المعتمدة، وتوليد رمز استجابة سريع (QR Code) فريد لكل دفعة إنتاج، وعند شراء المنتج، يستطيع المستهلك مسح الرمز والاطلاع على كامل التفاصيل، كما يمكنه تقديم بلاغ في حال وجود شكوك، فيتسنى للجهة الرقابية القيام بتحليل البلاغات وسحب عينات عشوائية وتطبيق العقوبات عند الحاجة مما يخلق دورة رقابية مستمرة.

المكونات التفصيلية للنموذج:

(أ) المنصة الرقمية الموحدة:

هي قاعدة بيانات وطنية إلزامية لجميع منتجي ومستوردي العسل، يتم فيها تسجيل بيانات المنتج، ورفع شهادات التحليل الدورية من مختبرات معتمدة، وتصنيف المنتج (طبيعي، تغذية صناعية... إلخ) بشكل واضح.

(ب) الباركود الذكي (QR Code)

يصبح هذا الرمز بمثابة "بطاقة هوية" للمنتج. عند مسحه بواسطة هاتف المستهلك، يعرض صفحة ويب تحتوي على معلومات إلزامية، منها: (الفاصي، لؤي كريم، ١٩٧٨، ٣١)

- بيانات المنتج والمورد ورقم الترخيص.
- تاريخ الإنتاج والانتها.
- رابط مباشر لشهادة التحليل المخبري الكاملة.
- بيان صريح لطريقة الإنتاج (رحيق أزهار طبيعي / تغذية صناعية).
- المصدر النباتي والجغرافي (إذا تم التحقق منه).

(ت) نظام العقوبات المتدرج:

لضمان الالتزام، يتم تطبيق نظام عقوبات رادع ومتدرج يبدأ بالإنذار وتصحيح البيانات، ثم ينتقل إلى الغرامات المالية والسحب المؤقت من السوق، وصولاً إلى سحب الترخيص نهائياً وإحالة المخالفات الجسيمة إلى القضاء.

معالجة إشكالية "تبلور العسل" فقهياً وعلمياً:

من أكبر التحديات التي تواجه المستهلك والتاجر على حد سواء هي ظاهرة تبلر (أو تجمد) العسل، والتي يظنها الكثيرون دليلاً على الغش، بينما هي في الحقيقة عكس ذلك تماماً.

التفسير العلمي:

التبلر هو عملية فيزيائية طبيعية تحدث نتيجة لتبلور سكر الجلوكوز (أحد المكونين الرئيسيين للعسل مع الفركتوز)، سرعة التبلر تعتمد على نسبة الجلوكوز إلى الفركتوز والمصدر النباتي. والعسل غير المعالج حرارياً والذي يحتوي على حبوب لقاح وشمع دقيق يتبلر بشكل أسرع، مما يجعله في الواقع علامة على الجودة والنقاوة.

Bogdanov, S. (2008). 27(6), 677–689.

المعالجة الفقهية والتوعوية:

يجب على الجهات الرقابية والشرعية القيام بدور توعوي فعال لتصحيح هذا المفهوم الخاطئ. يمكن تحقيق ذلك من خلال الآتي:

١. التثقيف العام:

إطلاق حملات إعلامية لتوضيح أن التبلور ظاهرة طبيعية ودليل جودة.

٢. الإلزام بالبيان:

إلزام المنتجين بوضع ملصق توضيحي على العبوة، مثل: "شرح أن ظاهرة التبلر ظاهرة طبيعية في العسل الأصلي ولا تؤثر على جودته".

٣. التوجيه الفقهي:

إصدار فتاوى وبيانات توضح أن رد العسل المتبلر بحجة أنه "عيب" هو أمر مخالف للحقيقة العلمية والواقع، وتطبيق قاعدة "رفع الجهل مقدمة لرفع المنكر".

الخاتمة:

تؤكد هذه الدراسة على أن قضية جودة عسل النحل تمثل نموذجاً حياً لتكامل الشريعة الإسلامية مع متطلبات العصر العلمية والتقنية. فمن خلال تحليل عميق للنصوص الشرعية والأحكام الفقهية، يتضح أن مبدأ منع الغش وحفظ الجودة ليس مجرد حكم فرعي، بل هو تجسيد لمقاصد كبرى في حفظ النفس والمال وتحقيق العدل في الأسواق.

لقد أظهر البحث أن التحديات المعاصرة في غش العسل، خاصة مع ظهور تقنيات "الغش الذي"، تحتاج إلى استجابة فقهية مرنة لكنها حازمة. فالمنتج الناتج عن هذه الممارسات، وإن خرج من بطون النحل شكلاً، يفتقد إلى الجوهر العلاجي الذي وصفه القرآن، مما يستوجب تصنيفه بشكل خاص ومنع تدليسه على المستهلكين.

كما أثبتت الدراسة أن الوسائل العلمية الحديثة، من التحاليل الكيميائية إلى تحليل النظائر المستقرة، ليست فقط متوافقة مع الشريعة، بل هي مطلوبة شرعاً كقرائن معتبرة لتحقيق العدالة في زمن تعقدت فيه أساليب الخداع.

إن النموذج المقترح لـ "الحسبة الرقمية" ليس مجرد تصور نظري، بل هو خطة عمل قابلة للتطبيق تجمع بين المنظور الفقهي والأدوات العلمية والآليات التنفيذية الرقمية. ومن خلال أنظمة التتبع والشفافية، يمكن تحقيق مبدأ "البيان" الشرعي بأعلى درجات الدقة، وتمكين كل من المستهلك والجهات الرقابية من التحقق من جودة المنتج.

التوصيات:

بناء على ما سبق، توصي الدراسة بما يلي:

١. على المستوى العام: ضرورة تعميم توعية الباعة للحد من احتمالية الغش وتذكيرهم بالنواحي الفقهية والعلمية المعاصرة (طرق التمييز).
 ٢. على المستوى التشريعي: تبني إطار قانوني موحد ومُلزم لجميع منتجي ومستوردي العسل، يفرض التسجيل في منصة رقمية وطنية، ويُلزم بوضع رمز الاستجابة السريعة (QR Code) على كل عبوة مع ربطه بشهادة تحليل من مختبر معتمد.
 ٣. على المستوى التنفيذي: إنشاء هيئة رقابية متخصصة أو تمكين الهيئات القائمة (مثل هيئات الغذاء والدواء) لتطبيق نظام "الحسبة الرقمية" مع تزويدها بالصلاحيات اللازمة لسحب العينات وتطبيق العقوبات الرادعة.
 ٤. على المستوى العلمي والبحثي: تشجيع الأبحاث المشتركة بين الفقهاء وعلماء الأغذية لإنشاء قواعد بيانات وطنية للبصمة الكيميائية والنظائرية للأعسال المحلية، وتطوير طرق كشف سريعة وميدانية.
 ٥. على المستوى المجتمعي: إطلاق حملات توعية واسعة لتثقيف المستهلكين حول ظاهرة التبلر الطبيعية، وكيفية قراءة الملصقات واستخدام الأدوات الرقمية للتحقق من الجودة.
- إن ضمان جودة عسل النحل في الأسواق المعاصرة يتطلب تعاوناً ثلاثي الأبعاد:
- بعد فقهي يرسم المبادئ والأحكام.
 - بعد علمي يوفر أدوات الكشف والتحقق.
 - بعد تنفيذي يضمن التطبيق والرقابة، وهذا التعاون هو بالضبط ما تحققه مقاصد الشريعة الإسلامية الغراء من خلال مرونتها وشموليتهما، مؤكدةً أنها شريعة صالحة لكل زمان ومكان، وقادرة على مواجهة أدق التحديات المعاصرة في سبيل تحقيق مصالح العباد.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

أولاً- المراجع العربية

١. ابن القيم، محمد بن أبي بكر (١٩٩٤م) زاد المعاد في هدي خير العباد، بيروت، مؤسسة الرسالة.
٢. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم (١٩٩٥م) الحسبة في الإسلام. القاهرة: دار الكتب العلمية.
٣. ابن عابدين، محمد أمين (١٩٩٢م) رد المحتار على الدر المختار، بيروت، دار الفكر.
٤. الخياط، عبد الله (٢٠١٩م) حماية المستهلك في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي، الإسكندرية: دار الجامعة الجديدة.
٥. الشاطبي، إبراهيم بن موسى (٢٠٠٤م) الموافقات، بيروت، دار المعرفة.
٦. صحيح البخاري: كتاب البيوع، باب إذا بين البيعان ولم يكتما ونصحا، المكتبة الشاملة (أكمل التوثيق)
٧. صحيح مسلم: المؤلف أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ - ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (ت ١٣٨٨هـ)، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: من غشنا فليس منا حديث رقم (١٠١)
٨. عبد الرحمن، أحمد (٢٠١٨م) فقه الرقابة على الأسواق في الإسلام، القاهرة: دار السلام.
٩. الناجي، لؤي كريم (١٩٧٨). دراسات كيميائية وفيزيائية للعسل المنتج في المنطقة الشمالية في العراق وعلاقته بالعوامل النباتية والظروف التي أنتج فيها. مجلة جامعة تشرين، مجلد ٦، عدد ٢، ص ٣١-١٧
١٠. القره داغي، علي محيي الدين (٢٠١٦م) الاقتصاد الإسلامي مقاصد وأحكام، بيروت، دار البشائر الإسلامية.
١١. مجمع الفقه الإسلامي الدولي (٢٠١٢م) قرارات المجمع الدورة (١٩) جدة: منظمة التعاون الإسلامي.
١٢. النووي، يحيى بن شرف (٢٠٠٥م) شرح صحيح مسلم، القاهرة، دار إحياء التراث العربي.
١٣. الهيئة الشرعية العالمية (٢٠٢٠م) الضوابط الشرعية لسلامة الغذاء. الرياض، البنك الإسلامي للتنمية.

ثانياً- المراجع الأجنبية

- [14] Zhang, X. H., et al. (2023). "A comprehensive review of the current trends and recent advances in honey authenticity". Critical Reviews in Food Science and Nutrition, 63(28), 9346-9369.
- [15] Siddiqui, A. J., et al. (2017). "Honey Adulteration: A Review on the Detection Techniques". Journal of Food Science and Technology, 54(11), 3427-3442.
- [16] Bogdanov, S. (2008). "Honey for Nutrition and Health: A Review". Journal of the American College of Nutrition, 27(6), 677-689.
- [17] Zhu, X., et al. (2020). "Detection of Syrup Adulteration in Honey Using Advanced Spectroscopy". Food Chemistry, 312, 126048.

- [18] Fakhlaei, R., et al. (2020). "The toxic impact of honey adulteration: A review". *Foods*, 9(11), 1538.
- [19] Codex Alimentarius Commission. (2019). Revised Codex Standard for Honey (CODEX STAN 12-1981). Rome: FAO/WHO.
- [20] Padovan, G. J., et al. (2003). "Detection of adulteration of commercial honey samples by the $^{13}\text{C}/^{12}\text{C}$ isotope ratio". *Food Chemistry*, 82(4), 633-636.
- [21] Elflein, L., & Raezke, K. P. (2008). "Improved detection of honey adulteration by measuring differences between $^{13}\text{C}/^{12}\text{C}$ stable carbon isotope ratios of protein and sugar compounds". *Apidologie*, 39(5), 574-587.
- [22] Spiteri, M., et al. (2015). "A novel approach for the authentication of the botanical origin of honey by NMR spectroscopy". *Food Chemistry*, 189, 52-59.
- [23] Wirta, H., et al. (2021). "DNA traces the origin of honey by identifying plants, bacteria and fungi". *Scientific Reports*, 11, 4798.
- [24] Soares, S., et al. (2023). "Towards DNA-based methods analysis for honey: an update". *Molecules*, 28(5), 2106.
- [25] Tosun, M. (2013). "Detection of adulteration in honey samples added various sugar syrups with $^{13}\text{C}/^{12}\text{C}$ isotope ratio analysis method". *Food Chemistry*, 138(2-3), 1629-1632.

الملاحق

ملحق رقم (١)

نموذج مقترح للمصق العسل المتوافق مع الشريعة والمعايير الدولية

Plain Text
عسل سدر جبلي (طبيعي ١٠٠٪)
العنوان: وادي دوعن ، حضرموت XYZ ، ترخيص هيئة الغذاء والدواء: ١٢٣٤٥
تاريخ الإنتاج: ٢٠٢٥/٠١/٠١ م تاريخ الانتهاء: ٢٠٢٧/٠١/٠١ م رقم الدفعة: BATCH-SDR-251001
(QR Code).
مسح الرمز للاطلاع على شهادة التحليل الكاملة ونتائج تتبع المصدر النباتي
طريقة الإنتاج: رحيق أزهار طبيعي (غير مبستر) (Ziziphus spina-christi) المصدر النباتي: السدر البري المنطقة الجغرافية: جبال السروات، المملكة العربية السعودية
أبرز نتائج التحليل (مطابق للمواصفات) الرطوبة: ١٧,٥٪ (≥ ٢٠٪) ملغم / كغم (HMF: 15 (40 ≥) نشاط الدياستاز: ١٢,١ (≤ ٨) نسبة السكروز: ٢,٨٪ (≥ ٥٪) تحليل النظائر: (C4 لا يوجد غش بسكريات) أصيل: (SCIRA)
تنبيه هام: تبلر العسل ظاهرة طبيعية ودليل على جودته ** لحفظ الجودة: يحفظ في مكان جاف وبارد بعيداً عن ضوء الشمس المباشر

ملحق رقم (٢)

خطة تنفيذ مرحلية مقترحة لتطبيق نظام "الحسبة الرقمية"

المرحلة	المدة الزمنية	الإجراءات الرئيسية	مؤشرات الأداء الرئيسية (KPIs)
التأسيس	٦ أشهر	١. تشكيل لجنة فنية- شرعية مشتركة. ٢. إعداد وإقرار المواصفة الوطنية المحدثة للعسل. ٣. بناء المنصة الرقمية وتسجيل المختبرات المعتمدة.	— إصدار المواصفة المعتمدة. — تسجيل ما لا يقل عن 10 مختبرات معتمدة على مستوى الدولة.

التجريب	١٢ شهر	١. تطبيق النظام بشكل تجريبي على 20 % من كبار المنتجين والمستوردين. ٢. تدريب المفتشين والرقابيين. ٣. إطلاق حملات توعوية أولية.	- نسبة التزام 80 % من الشريحة المستهدفة. - تدريب 50 مفتشاً. - وصول الحملة للمليون مستهلك.
التعميم	١٨ شهراً	١. إلزام جميع المنتجين والمستوردين في السوق بالنظام. ٢. تفعيل المنصة الرقمية بشكل كامل. ٣. تطبيق نظام العقوبات المتدرج.	- تحقيق تغطية بنسبة 95% من المنتجات في السوق. - تسجيل 1000 منتج ومنتج على المنصة.

مسارات، وقضايا الشعر السوداني الحديث:

د. أبوهداية محمد إسماعيل^(*)

المستخلص

تناولت هذه الدراسة مسارات وقضايا الشعر السوداني الحديث، وهدفت إلى التعرف على مدى تأثير الأدب السوداني بمسارات الأدب العربي، والوقوف على القضايا التي تمخضت عن الصراع بين القديم والجديد، وبين العربية والأفريقية. وتعود أهمية البحث إلى أهمية مسارات الأدب السوداني الحديث وتحولاته، وقضاياها التي عالجها الشعراء، ومكانته بين الآداب العربية في العصر الحديث، وتكمن مشكلة البحث في مدى تأثير الأدب العربي في الأدب السوداني؟ وهل استطاع الأدب السوداني أن يعبر عن خصوصية الأمة السودانية؟. واتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي. حيث خلصت إلى عدة نتائج من أهمها: أن تأثير مسار الشعر العربي على الشعر السوداني كان كبيراً في مختلف مراحل، وعلى جميع تحولاته، وكان ظهور قصيدة النثر كنتاج للصراع بين القديم، وأن الشعر السوداني شارك المجتمع المحلي والإقليمي أحداثه، وتحولاته الثقافية والسياسية والفكرية؛ فاستمد منها موضوعاته، واستقي منها مادته، وأن الشعر عبر عن القيم الإنسانية والكونية بعمق وصدق عن فكر ومعتقد الشاعر.

الكلمات المفتاحية: مسارات - النزعة - الأفريقية - العربية، الوطنية - الشعر.

مقدمة:

يشكل الأدب السوداني الحديث نموذجاً فريداً، ورافداً أساسياً وحيوياً في الواقع الثقافي العربي والأفريقي معاً، حيث استطاع عبر مساراته المتعددة أن يكون سجلاً حافلات بالتحويلات الثقافية والسياسية والاجتماعية في البلاد؛ انطلاقاً من محاولات تحرره من النماذج التقليدية في مطلع القرن العشرين، مروراً بفتترات الازدهار والحداثة، وصولاً إلى استشراف آفاق تجريبية جديدة في ظل وضع راهن معقد.

فالنهضة الحضارية والفكرية التي طالت البلاد العربية في عصرنا الحديث في مجالات العلوم والفكر والفنون؛ تبعتها نهضة مماثلة في الأدب والشعر الذي ظل متمسكاً بالتقليد، حيث استفاد الشعراء من تلك التحويلات العالمية التي طرأت على النص الشعري في الشكل والمضمون.

فُتّن العرب منذ الوهلة الأولى لاتصالهم بالحضارة الغربية بقوة مخرجتها العقلية والفكرية، وُهِرُوا بالمنجز والنموذج الحضاري والثقافي الغربي حتى اتخذوه معياراً للتحضر والثقافة؛ بوصفه مثالا للحياة المتجددة. فكان لابد إذاً من الثورة على المسارات القديمة التي كانت تقييد محاولات التغيير، وتعيق حركة التقدم الثقافي، والتطور الحضاري، لذا فقد جاءت الثورة على القديم من هذا الباب. وقد أكدت هذه المقولة د. غراء مهنّا، حيث قالت: إثبات الوجود إذن يتجدد من خلال الأخذ بأسباب القوة التي ابتدعها العقل البشري في أي مكان في العالم، وبامتلاك لغة العلم والتكنولوجيا والتقدم، التي لا يعرف العالم الحديث لغة غيرها (مجلة قضايا فكرية، ١٩٩٩م، ٢٢٣). فهي دعوة إلى كسر قيد

(*) أستاذ الأدب والنقد المشارك - جامعة كردفان

الموروث وتخطي الشكل القديم في الموضوع والقالب والأسلوب والأفكار؛ لتشمل قضايا الحياة اليومية المعاصرة.

عرف الأدب العربي في رحلته الطويلة ومسيرته منذ الجاهلية إلى العصر الحديث ثورات ثقافية وفكرية عديدة مناهضة للقديم، ومناذية بالتجديد، واستمرت الدعوة إلى التجديد في العصر الحديث، حيث قامت عدة ثورات منها ما دعت إلى رفض القديم جملة، ومنها ما نادى بالأخذ بطرائق الغربيين في شكل ومضمون القصيدة.

المحور الأول: مسارات الشعر السوداني الحديث:

منذ بذوغ فجر عصرنا الحديث ظهرت مدرستان شعريتان مثلتا المرحلة الأولى من الصراع بين دعاة التقليد والمنادون بالتجديد، ثم توالى الدعوات والانقسامات بين المجددين أنفسهم، حيث نشأت المدرسة التجديدية التقليدية، ثم تلتها مدارس الديوان وأبوللو، ومدرسة الشعر الحر، والمدرسة الواقعية، والشعر المنثور. فأول أسباب ذلك الصراع هي دعوة المجددين إلى ترك قوالب الشعر العربية القديمة المتمثلة في الوزن والقافية، وتلى ذلك محاولات متعددة في الابتعاد عن معاني مفردات اللغة المعروفة والمألوفة بغرض هدم القديم جملة، وبهجة عجز القديم عن التعبير عن الجانب الوجداني، وعدم قدرته على مواكبة روح العصر، ولكن هذه الدعوة وجدت معارضة قوية من دعاة الشعر القديم بوصفه رمزاً للقومية العربية، وحامي الفصحى، والمحافظ على صحتها ونقاها. فزاد اهتمام التقليديين باللغة العربية؛ لكونها رمز الهوية العربية، كقول عبد الله عبد الرحمن مخاطباً علي الجارم عند زيارته للسودان سنة ١٩٣٧م (عبد الرحمن: ١٩٩٨م، ٥٩):

أنا لا أقولُ دَعَا اللُّغَاتِ وَإِنَّمَا أَخَشَى عَلَى الْفُصْحَى تَمَوُّتُ هُزَالاً
لُغَةُ الْبَنِينَ غَدًا وَسِرَّ حَيَاتِهِمْ أَرَأَيْتَ شَرَعًا يَقْتُلُ الْأَطْفَالَ

ثم اختط المجددون تراكيباً جديدة مقتفين فيها أثر الغربيين، اتسمت بالغموض والغربة، لم يراعوا فيها البعدين الثقافي والاجتماعي للأمة العربية، "تلك التراكيب التي تأثروا فيها بالتيارات الأجنبية الوافدة" (قاسم: ٢٠٠٦م، ١٣)، حتى صار أدهم صورة للأدب الغربي.

لم يقف الشعراء السودانيون مكتوفي الأيدي ينتظرون نتيجة منتصر الصراع بين القديم والجديد، ولم يكونوا في معزل من الأحداث الثقافية التي تحيط بالعالم، بل أسهموا في كل التحولات التي طرأت على الحياة العربية، وشاركوا في كل مراحل تطوير الأدب العربي، بل تبني بعضهم دعوى قيام أدب سوداني قومي، يتميز بالطابع السوداني، أن يكون صورة صادقة للبيئة السودانية، متميزاً عن كل شعر سواه قيل في بلاد أخرى (الحارديلو: ١٩٧٧م، ١٤٣)، وأضاف محمد أحمد محجوب قائلاً: من الضروري أن يكون لنا أدبنا القومي الخاص بنا، والذي يحمل طابعنا ويميزه عن بقية الأمم (مجلة الخرطوم: ١٩٨٠م، ١٧). وفي مقال آخر حدد المجذوب معالم ذلك الأدب وهي: أن يتخذ مادته الشعرية والقصصية من حوادث وقيم وأخلاق وتقاليد أهل السودان، وأن يعتمد في فنه التصوري على مظاهر غابات وصحارى ووديان ربوع السودان، وأن يقوم بإيقاعه الموسيقي على مشاعر وإحساس وحركات وسكنات أهل السودان. بوصف أن الشعر يستمد موضوعاته من موضوعات

المجتمع الحياتية اليومية، ويخضع لأحداثه ومتغيراته الثقافية، ويعبر عن ما يطرأ فيه من تحولات سياسية واجتماعية وفكرية فيه.

فالأدب السوداني لعب دوراً بارزاً في تثبيت قواعد تيارات الأدب العربي، وظل مشاركاً في جميع مراحل التجديد، وكان حاضراً وفاعلاً فيه؛ لكونه جزءاً من محيطه العربي الذي صار مرتبطاً ومتأثراً بما استجد فيه، وقد مثل الشعر السوداني مراحل تطور الأدب العربي حتى صار كالظل للأدب العربي في المحاكاة والاتباع. وبخاصة النموذج المصري الذي وجد مكانة عظيمة في نفوس الشعراء السودانيين بوصفه المثال المحتذى، والقذوة المتبعة.

المسار التقليدي:

استطاع الشعر التقليدي الوقوف والصمود أمام حملات دعاة التجديد، حيث تعهده عدد من الشعراء المجيدين. فأسسوا مدرسة تقليدية، تمكنت برغم التضاد والتنافر بينها وبين المدارس التجديدية من الاستمرار والتعايش معاً؛ لأسباب ذكرها منها محمد مندور: أنه كان يرمز إلى القيم القومية، وأنه يدافع عن اللغة الفصحى، ويحافظ على صحتها ونقاها، وأنه القاسم المشترك بين الشعوب العربية على اختلاف لهجاتها (مندور: ٢٠٠٣م، ٩٣). فبذلك صار الشعر التقليدي هو المدافع الأول عن اللغة العربية، والحامي لظهورها ضد حملات المجددين المسعورة على مبنى القصيدة القديمة في لغتها وإيقاعها.

فالشعر التقليدي في السودان من الوجهة الفنية، سار في طريق مضاد لاتجاه الشعر التقليدي في الأدب العربي عامة في بادئ الأمر، ثم أخذ يرتقي ويتطلع إلى النماذج القديمة كلما تقدم نحو القرن العشرين، حتى بلغ أوجه على يد محمد سعيد العباسي بوجه خاص (إسماعيل: ٢٠٢٢م، ٢٩٢).

فالتيار التقليدي ظل مسجلاً لحضوره الدائم في ساحة الصراع - بين دعاة المبنى ودعاة المعنى - ومشاركاً بقوة في كل مناحي الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية، ومحافظاً على طريقة نظمه، حيث كتب التقليديون في كل الفنون الشعرية، وانفعلوا بقضايا الوطن، وتفاعلوا مع مشاكل المواطن، مركزين في أشعارهم على نصاعة اللغة وقوتها، مع التزام جانب الإيقاع، والوزن. ومن أولئك نجد الشاعر عبد الله الطيب الذي يقول في قصيدته الدَمَنُ الخوالي (الطيب: ١٩٩٣م، ٣٨):

أِنْ أَلَمْتُ بِالْدَمَنِ الْخَوَالِي طَرِبَتْ وَهَمَّ دَمْعُكَ بَانِهْمَالِ
فَجَادَ جِبَالُ مَرَّةٍ كَوُكْبِي كَثِيرُ الْمَاءِ مُنْهَمِرُ الْعِزَالِي
تَهِيلُ مَوَاكِبُ الْمَهْوَاةِ مِنْهُ عِجَالُ الْهَيْلِ فِي حُبْلِكِ عِجَالِ
تَحْدَرُ ثُمَّ أَفْعَمَ كُلَّ وَادٍ قَدَرُ الْخَفْضِ فِي عَوْرِ الرِّمَالِ
بَدِينَاتُ الْحَرَازِ بِجَانِبِهِ نَبِيلَاتُ الدَّوَائِبِ وَالظَّلَالِ
إِذَا جَنَحَ الْأَصِيلُ نَثَرْنَ هَبُو الشُّعَاعِ عَلَى الظُّعِينَةِ وَالْجَمَالِ

استعان الشاعر في نصه الشعري بقاموس لغوي قديم، وهذا هو الخط الذي رسمه لنفسه، ومعظم دعاة التقليد حيث اعتمدوا قاموساً لغوياً قديماً وبعيداً عن روح عصرهم، ولغته.

قد شارك الشعر التقليدي في كل أحداث محيطية العربي والأفريقي، مثل العدوان الثلاثي على بورسعيد عام ١٩٥٦م، الذي لم يكن مجرد حادث سياسي عابر بل توحدت فيه رؤى الشعراء العرب، ومن السودانيين من كتبوا فيه أشعارا كقول أحمد محمد صالح (صالح: ١٩٩٨م، ١٠٦):

يابني العُزْبِ بدأ الغربُ مَسْعُوراً فهِبُوا وحطّموا الأغلالا
أشعلوها على العدو جحيماً وسعيراً وخسرةً ونكالا
وأزبلوا من الوجود اغتصاباً دولة الوهم وتركوها خيالا

فالمناسبات السياسية والوطنية والقومية، والدينية من الموضوعات التي شغلت نفوس الشعراء في تلك الفترة، فعبّروا عنها وكتبوا فيها، كالمطالبة بالاستقلال من الحكم الثنائي، الدعوة إلى قيام دولة سودانية، كقول مهدي محمد سعيد (سعيد: ٢٠٠٧م، ٣٧):

بني السودان أصبحتم صحابا ولستُ بقائل إلا صوابا
غدا سودانكم حرّاً طليفاً وكيد الكائدين غدا سرابا
وأصبحتم بحمد الله شعباً عزيزاً مستقلاً لن يهابا

وقول الهادي آدم في قصيدته تحية العلم (آدم: ٢٠٠٢م، ٣٨):

هذي سماؤك فاخفّق أيها العلم وارقص مع النور لا تعلّق بك الظلم
اليوم يُسلمك التاريخ راحته وتشربُ إلى عليائك الأمم
واليوم ألقاك تيّهاً براية أذاب جدّتها التاريخ والقِدَم

فالنصوص لم تخرج عن طرق النظم التقليدية، ذات اللغة الخطابية التقريرية المباشرة، وضعف الخيال، ووضوح المعاني.

اهتم التقليديون في أشعارهم بأمريين: الأول تجويد اللغة، والثاني النظم على طريقة الأقدمين، وظلت أغراضهم وفنونهم الشعرية مكرورة تملها عليهم المناسبات الوطنية والدينية. ويقول مصطفى هدارة صلب التقليديون في منابرهم الشعرية جل اهتمامهم (بجزالة الألفاظ، ومتانة النسج، وبراعة الشكل بصورة عامة دون الاهتمام بالمضمون) (هدارة: ١٩٧٢م، ١٧٩). فخلا شعرهم من العاطفة لكونه لم يصدر من معاناة حقيقية صادقة، ولم يصور واقعا حياتيا معيشا.

من الناحية الموضوعية "ظل الشعراء التقليديون في السودان غير منفعلين ولا متفاعلين مع أحداث الحياة من حولهم، ولا مشاركين بشعرهم في القضايا الأفريقية، والحركة الوطنية إلا بنصيب قليل، حيث حصروا أنفسهم في الموضوعات القديمة من رثاء، ومدح، ووصف خمر، وغزل (إسماعيل: ٢٠٢٢م، ٢٩٣).

لم تستطع القصيدة التقليدية الصمود طويلاً أمام حملات دعاة التجديد المستمرة، ولا المحافظة على طريقة نظمها، حيث استجابت في نهاية الأمر لروح التجديد التي طالت الفنون والأغراض والموضوعات، ثم تأثرت في المرحلة التالية بوجدانية الشعر الغربي، حين عبر التقليديون عن وجدانهم في صدق مع المحافظة على النمط القديم من جزالة، وفصاحة، ووزن، وقافية.

المسار التجديدي:

عاصفة التجديد التي اجتاحت البلاد العربية لم يسلم منها الشعر السوداني الذي خطى نحو العالمية بعد عودة المبعوثين الذين جمعوا بين الثقافتين العربية والغربية من خريجي كلية غردون؛ حاملي شعلة التغيير، والداعيين إلى أدب يفعل ويلتصق بالحياة، ويعبر عنها، ويشارك في بنائها، فهذه الدعوات للتجديد "مهّدت لنجاح هذه الحركة، ونفثت فيه روحاً جديدة أنقذته من برائن الركود والجمود" (الشوش: ١٩٧١م، ١٧١). إذا ما أضفنا أسباباً أخرى أججت الصراع مثل: "التعليم المدني، وظهور الخريجين المتأثرين بالحركات الأدبية والثقافية في العالم العربي، ثم الصحافة المصرية، والأساتذة المصريين والسوريين في كلية غردون، وظهور الصحف والمجلات السودانية واهتمامها بالأدب" (الشوش: ١٩٧١م، ٤٠). فهبت رياح التجديد على الأدب السوداني، وأخذ الشعراء يجددون في طرق نظمهم، والتنوع في فنونهم وأغراضهم الشعرية؛ مستندين في ذلك على التغيير الذي طرأ على مفهوم الشعر، وتحديث دوره في الحياة العامة، وربطه قضايا المجتمع. برغم من أن هذه الدعوة إلى التجديد لم تجد الأرض ممهدة، ولا النفوس مهينة، ولا الطريق معبد، إذ وُجّهت في بادئ الأمر برفض شديد وبمعارضة قوية من قبل التقليديين، ولكنها استطاعت بفضل مجهودات بعض الكتاب أن تغرس بذرة المفاهيم الجديدة في أرض الشعر السوداني، وأصلحت مساره.

تبني المجددون دعوة الرجوع إلى الطبيعة التي نادى بها عدد منهم، وذلك من خلال وصف مفاتها، والتغني بجمالها، فجاء شعرهم فيها ممتزج بها، ومعبر عن أحاسيسهم، ووجدانهم في صدق، ورقة، ولطف، وشكوى، وتمرد، مع بعض التشاؤم. فوصفوا جمال طبيعة الريف، والبادية. كقول عبد الله عبد الرحمن (عبد الرحمن: ١٩٩٨م، ٦٧).

كم للطبيعة في السودان من فتنٍ وكم لأطياريها من سحرٍ ألحانٍ
ما أكثر الملهمات الشعر فيه وما أمدّها للأديب الهادم الباني
الرمل في ضفاف النيل تحسبه حمر الشفاه حلاها بيض أسنان

كذلك قد نالت المدن السودانية نصيبها من الشعر، وتفنن الشعراء في وصفها مثل: مليط، ورشاد، وسنكات، والأبيض، والخرطوم التي كتب فيها شعراء كثير من تلك الأشعار قصيدة الخرطوم مدينة النور لهاشم اليأس عوض الكريم (طيب الأسماء: ١٩٩٤م، ٧١):

ألقيت أعباء الدُّنا برباك ونفضت دنيا الهم فوق ثراك
وعجبت للماضي وكيف تصرّمت فيه المنى عبثاً بغير لقاك
ما كنت احسب أن اعيش بغبطة من بعد ما ذقت الأسى لولاك

بلغت القصيدة الرومانسية مرحلة النضج، وتحقق لها الكمال، وتعددت موضوعاتها، وتنوعت أغراضها ما بين الشعر السياسي والاجتماعي، وشعر التجارب الذاتية؛ وذلك بفضل التحولات التي طرأت على المجتمع فأجبرت الشعراء على المواكبة. فحقق الشعر وحدته العضوية، وصار أكثر قدرة على التعبير، وأصدق في التصوير.

اتخذ معظم الرومانتيكيين طريق الفكر، والفلسفة، والتصوف، والشك، والحيرة، والتأمل. فسادت تلك الظواهر معظم أشعارهم، وخاصة ظاهرة الشك التي ردها بعضهم إلى (الصراع الذي كان يعتمد في النفوس، فقد كانت تلك المرحلة تعج بالمتناقضات، وكان لابد أن ينعكس هذا الصراع على ما آمنوا به من قيم فنهزها" (عبد الله: ١٩٩١م، ٧٦). كقول توفيق فهبي (مدني: ٢٠١٠م، ١٨٧):

تحلّثني نفسي ببؤس وشقوة وعيش بغيض في الشباب يُشيبُ
تحلّثني نفسي بكأس مريرة وشرُّ أحاديث النفوس تُصيبُ
تحلّثني نفسي بما لا أطيقه وأنّ سهامي في المنى ستخيّبُ
تحلّثني نفسي بخلّ يخونني وليس إذا هاب الوشاة هيؤبُ

فالشك ظاهرة أرجعها بعضهم إلى أثر الأدب المهجري، الذي شاع فيه الإيمان، والإلحاد، والشك، والحزن، والألم، والحيرة ((مدني: ٢٠١٠م، ١٨٤). فالشعر صار عندهم هو الروح وهمسها، والقلب وخفقانه، والمشاعر وزوبانها، حيث يفضلون الألفاظ الرقيقة البعيدة عن الفخامة التي تهمس للفؤاد فلا يحتاج القارئ إلى أذن.

المسار التقليدي التجديدي:

تعددت ثقافة الشعراء، ونهلوا من الثقافتين العربية والغربية، فكان لابد أن يترجم هؤلاء الشعراء مزيج الثقافتين فناً، وأن يكتبوا الشعر بالطريقتين، فولد اتجاه جديد مزج بين سمات التقليد والتجديد، عُرف بالاتجاه التقليدي التجديدي حيث نظم شعراؤه الشعر بالطريقتين، حافظوا على شكل الخارجي لقصيدتهم من وزن وقافية، جددوا في مضمونها الداخلي، فأصبحت القصيدة عندهم تقليدية في جانب الشكل، وتجديدية في جانب المضمون. فمنهم: محمد المهدي المجذوب، ومحي الدين فارس الذي يعدّ من أوائل من نظموا في الشعر الحر، وله قصائد صاغها على النمط التقليدي كقوله في انتفاضة رجب بعنوان: الرّجل القدوة (آدم: ٢٠٠٢م، ١٦):

قُمْ تقدّم فالقنا مشرعة والزّماح السّمر ضدّ القُضْب
والسيوف البيض في لمعتها هندواني وسيف عربي

فقد أورد فيها مفردات مثل: (القنا، الرّماح، القضب، السيوف، هندواني) وهي مفردات يمكن ردّها إلى عصور الشعر الأولى. وكقول مهدي محمد سعيد في قصيدته "نغم ورؤى" (سعيد: ١٩٨٨م، ٨٤):

ولى في الرّافدين دم تحدّى أباطرة الطغاة به اقتديتُ
هم التاريخ رواد المعاني فخرتُ بهم وأشياخي عنيتُ
دم الأجداد صنّاع المعالي حماة الضّاد ما فهم سكيّتُ

احتفى هؤلاء الشعراء بالتاريخ العربي واستلهموه، وحيث كانت نزعتهم العقلية عربية، وعاطفتهم إسلامية تربية أخلاقية جيّاشة.

د- مسار الشعر الحر:

وصل شعر المذاهب الفكرية العالمية كالواقعية إلى بعض الشعراء السودانيين، فتأثروا بها، وأثروها على غيرها، فأتى ذلك في طريقة نظمهم، وازدهر شعر التفعيلة عبرهم بوصفه، فمصطلح التفعيلة

بحسب رأي حسن التوم ينسب إلى شيخ نقاد السودان، د. عز الدين الأمين إذ لم يسبقه أحد إلى ذلك، حيث يقول: "ومما يحسب له أيضاً إطلاق اسم شعر التفعيلة على هذا النمط الحديث من الشعر" (التوم: ٢٠٥م، ٢٢). فقد مهد هذا الاتجاه إلى انفتاح الشعر السوداني على قضايا العالم وأفريقيا والإنسانية، فحاول شعراء الواقعية تصوير الواقع السوداني، والأفريقي والعربي، "فقد توافق ظهور التفعيلة مع استعار الوطنية، والسعي إلى نشر الحرية في نفوس العرب" (جريدة الصحافة، ٢٠٠٨م، ٨) وهناك من يرجح أن أول من نظم الشعر بطريقة التفعيلة هو محمد أحمد محجوب في قصيدته آدم الصغير التي يقول فيها (محجوب: ١٩٨٨م، ١٣٠):

ذلك الطفل الغريب

في صعود وهبوط، وضجيج وهدوء

يحكم الكون ويبني ويعيد

يزعج القط ويلوى ذيله

ويخاف النمل في الأرض يسير

فقد سار المجددون في طريقة نظم قصائدهم مع تيارات الشعر الحديثة، والتي وجدوا فيها متنسحاً مكّهم من الانطلاق في عوالم منفتحة تنادي بالحرية المطلقة في كل مناحي الحياة، وتدعوا إلى التعبير الحر، فاختروا شعر التفعيلة منهجاً منحهم القدرة على التعبير بلا قيود تقيدهم، وتعيق تحركهم، وتكبل حرياتهم.

مسار شعر الحداثة وقصيدة النثر:

الحداثة هي في أغلب معانيها تغيير، وتحديث لما كان قائماً، وتجاوز لكل ما هو القديم، وتخطي للبديهي، والمألوف من الأفكار الموروثة. وهي: "ضرورة تاريخية لا تقبل الكلمات النهائية، وهي دينامية حياتية ضد التجمّد والتكسّس هدفها تلبية متطلبات الحياة" (جريدة الصحافة، ٢٠٠٦م، ٩). رصد النقاد مظاهر التجديد والتحديث والتغيير الذي حدث في شكل القصيدة، وفي مفهوم ولغة الشعر؛ حيث اتخذوا من ذلك مدخلاً للوقوف على ظاهرة التحديث التي عجزوا عن أن يحدّدوا تاريخاً لبدايتها الزمانية. فتبار الحداثة كان انقلاباً كاملاً على القصيدة التقليدية، وثورة على كل مظاهر القديم، وقد سار بخطى سريعة جداً فبعد شعر الحداثة، جاء شعر ما بعد الحداثة، لكن الحداثة أضاعت أحياناً النص وأضاعت المعنى، وهدمت الماضي حتى أصبحت تعني الغموض والإبهام. الذي وقف حاجزاً بين القارئ والقصيدة.

ظل الأدب السوداني مرآة تعكس ما يحدث في محيطه العربي، الذي مثل حلقة الوصل بين شعراء السودان وشعراء الغرب. فتخلّى الأدب عن دوره الذي يقوم به في وصف وتصوير حال المجتمع فحسب، بل فصار مشاركاً في بنائه، مساهماً لحركته؛ "لأنّ الأدب الحق، هو الأدب الذي يوازن بين ذاتية الأديب، وبين ما للمجتمع من حقوق... الإسهام في تكوين مجتمع سليم" (الجندي: ١٩٨٥م، ٤٤). فهذا النوع من الشعر الأيديولوجي ظهر بعد أن خفتت، وهذأت الأصوات التي كانت تنادي بالهوية الثقافية والانتماء للشخصية السودانية، فالحداثة السودانية جاءت مقتفية أثر الحداثة العربية،

حيث "مثل الأدب المصري وسيطاً ناقلاً لمجربان الأدب العالمي فانتقل ذلك إلى الأدب السوداني سواء عن طريق القراءة أو الدراسة" (إسماعيل: ٢٠٢٦م، ٢٥٨)، وبرز شعر الحداثة بوصفه وجهاً آخر من الشعر الحر، وتلاه شعر قصيدة النثر. تقول د. سميرة الغالي في ندوة الشعر السوداني والحداثة: "إن رواد شعر الحداثة في السودان قد تناولوا معظم الموضوعات والأشكال الشعرية التي أتبعها الرواد الأوائل من شعراء الحداثة بالشام" (مجلة كتابات سودانية، ٢٠٠٠م، ٩٦). كقول الشاعر في قصيدة العودة إلى سنار (عبد الحي: د.ت، ٩):

افتحوا الليلة أبواب المدينة

بدوي أنت؟

لا

من بلاد الزنج؟

لا

فقد "جاءت آدابهم غريبة ينبو بها السمع قبل أن تنبو بها المشاعر والوجدان" (مرزوق: ٢٠٠٤ م، ٩). نلاحظ أن شعراء الحداثة قد خرجوا من نظامي الوزن والقافية، فالقصيدة صارت لديهم فلسفةً ورؤيةً في الحياة، وباتت مشاركةً في بناء أركان المجتمع. حيث كانت أدائهم في ذلك استخدام الصورة الموحية والتي يذهب فيها الشاعر إلى الغرابة في رسمها، حين يعتمد إلى إفراغ الكلمات من معانيها المتعارف عليها، ومنح مفرداته دلالات جديدة تغاير معناها، ومن تم تحميلها وشحنها بمعان حديثة.

المحور الثاني: قضايا الشعر السوداني الحديث؟

أ- قضية العروبة والإسلام في الشعر السوداني:

بدأ الشعر في السودان تقليدياً غنائياً متأثراً بما كان سائداً في الوطن العربي، فقد اتبع شعراء السودان مسار تقليد شعراء النهضة العربية، حيث وساروا على خطاهم؛ فقد فتنوا بكل ما هو عربي وإسلامي بوصفهما النموذج والقُدوة، فالتزموا جانب عمود الشعر القديم؛ المحكوم بنظم البلاغة العربية، وطريقة صياغتها. لذلك نادى أولئك الشعراء بالعودة إلى الجذور العربية والإسلامية. اتخذ هؤلاء الشعراء من المناسبات الدينية ميداناً للتعبير في شكوى وحسرة عما أصاب الأمة المسلمة من خوار وضعف وعجز، فجاءت قصائدهم باعثة للتمسك بالأخلاق الفاضلة، وبأثة لروح التجديد، وشاحذةً للهمم، وموقظة الضمائر، فقد "كانت تستحوذ على الشعر العربي فكرة الرجعة، والعودة إلى مجد العرب الغابر والإسلام" (الشوش: ١٩٧١م، ٤٢). كقول العباسي (العباسي: ١٩٦٨م، ١٦١):

قم ذكر القوم بالماضين ما فعلوا واذكر لهم كيف كانت دولة العرب

واذكر أمية واذكر مجد هاشمها والمنعمين بني حمدان من حلب

كانت بهم دولة الإسلام في دعة وفي عزائمهم في معقل أشب

كان هم الشعراء إيقاظ الشعور القومي وتأكيد انتمائهم العربي والإسلامي، وهو شعور عند غالب أهل السودان الذين يعتزُّون بالتراث الإسلامي "واتخذ بعض الشعراء وسيلة لإثارة حماس المواطنين وتبصيرهم بما كان عليه أسلافهم في الماضي" (المليك: د.ت، ٢٥٦).

نهج الشعراء في تقعيد قصائدهم نهجُ الأقدمين من حيث البناء الفني للقصيدة المعتمد على الجزالة والفصاحة، وحسن النظم، وجودة الصياغة، ووحدة البيت. وقد هدفوا إلى إيقاظ الشعور القومي وتأكيد انتمائهم العربي والإسلامي. وركزوا على الحديث عن الشخصيات الإسلامية.

ب- قضية الوطنية في الشعر السوداني الحديث:

لم تكن الوطنية في السودان وليدة الصدفة، بل هي نتاج جهد قام بها مجموعة كبيرة من شعراء المناسبات الدينية في بادئ الأمر، ثم تحولت المواسم الدينية عند بعضهم إلى متنفس للمشاعر المكبوتة، والأفكار المحبوسة؛ فعبّر الشعراء بحبهم وهيامهم للوطن، ونددوا بالخائن المارق، وهاجموا المستعمر في حيطة وحذر وخشية نتيجة للضغط والقهر من المستعمر، وبذلك كانت المواسم الدينية هي التي مهدت الطريق للشعر الوطني، فقد انفعل الشعراء بالأحداث الوطنية، والقضايا الاجتماعية. لعب شعر المناسبات الدينية دوره العظيم والكبير في أثبتت أركان الحركة الوطنية، "في حدود إمكاناته، وما تسمح به الظروف، وما يتقبله الوعي الوطني" (الشوش: ١٩٧١م، ٥٧). يقول حسن نجيلة: "فقد كان شعراً مطابقاً للواقع، ومعبراً عنه... فتحوّلت المدحة النبوية إلى قصيدة سياسية دينية" (نجيلة: ١٩٧٢م، ١٠). في لغة جزلة، في خطاب وجداني بغرض إثارة حماس المخاطب من الجمهور.

تضافرت عوامل عديدة ساعدت على نمو الوعي، إزكاء شعلة الروح الوطنية، منها: قيام مؤتمر الخريجين، وصدور الصحف والمجلات التي ناصرت قضايا الوطن، وعمقت مفهوم الوطنية في نفوس قارئها. ومنها الدعوة إلى الاهتمام بالتعليم، والجمعيات الأدبية والثقافية، "ولم يكن النشاط الأدبي قد قصد منه التثقيف الذاتي فحسب، بل إعداد العدة للمرحلة القادمة" (نور: ٢٠٠٤م، ٣٨). وبذلك ظهر جيل جديد مسلح بالمعرفة، والوعي، وبتعدد الثقافات، فأسهّم ذلك في انتشار الوعي، وزيادة المشاعر الوطنية. فالعباسي يقول (العباسي: ١٩٦٨م، ٢٧):

أصلحوا من أموركم وأعدّوا	إن خلف الأكام أمراً أعيداً
وابذلوا المال للعلوم فما حاز	بخيل بالمال والجاه مجداً
لا وقد يخطي الذي عُدَّ في الآباء	عليّاً وهاشمياً ومعداً
لم ينله إلا فتى عشق الفضل	فأبلى في الصالحات مجداً

ج- قضية الإفريقية في الشعر السوداني:

كان لظهور الأدب الأفريقي في المهاجر الغربية، دوره الفاعل وأثره الكبير في ظهور الأدب الأفريقي عند شعراء السودان، إثر دعوة الشعراء الأفارقة عبر أشعارهم إلى التحرر من الاستعمار والمطالبة بالحرية والعدالة، حركت تلك الدعاوى العرق الأفريقي لدى بعض شعراء الذين أدركوا أنهم ليسوا عرباً خُلصاً وإنما يجري في دمايهم أثر أفريقي واضح، وأصبحت تتجاذبهم الانتماءات والأهواء فلغتهم عربية وسحناتهم أفريقية مشوبة؛ دفع ذلك إلى تناول الجانب الأفريقي في أشعارهم، "فالانجاء الأفريقي في الأدب السوداني هو كل ما يمت بصلة لأفريقيا جنوب الصحراء، أو أفريقيا الغابة، وشق

هذا الاتجاه مجرّ موازٍ لاتجاهات أخرى، كاتجاه العروبة، والاتجاه الصوفي في الأدب السوداني" (إسماعيل: ٢٠٢٢، م، ٤٤). فبدأ الشعر السوداني يتجه نحو الأفريقية، داعماً لفضايا النضال والثورة ضد المستعمر، ورافضاً للظلم، وداعياً إلى الحرية، ومطالباً بتغيير واقع إنسان أفريقيا المريض؛ وكانت قصائدهم "عبارة عن صراخ من المعاناة وفي شكل أنات شعرية تمثل التوجه الأفريقي في الشعر السوداني" (صديق: ١٩٩٥، م، ٢٨) فنظم الشعراء قصائد لأفريقيا، يقول الهادي آدم في قصيدته حرية أفريقيا (بشارة: د.ت، ١٤٤):

هي في أحراش كينيا أملٌ ألبسَ النيلَ جلالاً ومهياء
وهي في الكنفو أيدٌ فراسة تُشبعُ الأعداء ذلاً وبلاء
وهي في الصّحراء غولٌ كلّمَا طافَ بالصحراء جبارٌ تراءى
وهي في السّلم حَمَامٌ طالما أفعَمَ الليلَ هديلاً وغناء

ركز الشعراء على الشعر الواقعي القائم على المضامين السياسية والاجتماعية، فأصبحت إفريقيا رمزاً للنضال؛ واتصل أصحاب هذا الاتجاه الواقعي بالأحداث التي كانت تدور داخل الوطن وخارجه في محيطه العربي والأفريقي والعالمي. ويأتي الفيتوري في طليعة الشعراء العرب الذين تغنوا بأفريقيا، ألف فيها ثلاثة دواوين، جمعت كلها في ديوان واحد أسماه أغاني أفريقيا. والذي "كرس أشعار ديوان أغاني أفريقيا في قضية تحرير أفريقيا" (إسماعيل: ٢٠٢٢، م، ٤٨).

وقد ظهر أدب سوداني الموضوعات، أفريقي الملامح، فلغته الدارجة تؤكد سودانيته، ورموزه الأفريقية تؤكد أفريقيته، وبذلك تأكد الوعي بالبعد والعمق الأفريقي. وكان مضمون ذلك الأدب هو التغيي لأفريقيا ومستقبلها وتمجيد ثوارها، وتعظيم إنسانها الذي كان يناضل من أجل كرامته، وحفز همته، وتنويره بحقوقه المهضومة، وواجباته المرجوة. وهو غالباً ما كان أدباً ثوري هتافي تقريري، رفع شعارات الكفاح والنضال.

أصبح الشعر معبراً عن الجماعة والجماهير، ومرتبطة بها، ومتفاعلاً مع المتغيرات الدولية والعالمية، ومتخذاً من تفاصيل الحياة اليومية والهواجس الأفريقية أهدافاً سياسية واجتماعية عظيمة له. لعل هذا الاتجاه الأفريقي كان البداية للبحث الفكري الجاد عن جذور ثقافة وهوية الشخصية السودانية، وعن الانتماء العرقي لهذه الأمة، فقد جهد الشعراء أنفسهم في تحديد منابع الهوية السودانية من خلال نتاجهم الأدبي، وتحسسوا جذور الثقافة السودانية، وبحثوا من أصول تلك الشخصية التي تنتمي إلى العرقين العربي والزنجي، حيث لخصت بوضوح وفهم ووعي فكرة مدرسة الغابة والصحراء الأبعاد التاريخية، والثقافية، والحضارية لهذه الثنائية العرقية، والتمازج بين الغابة رمز الزنجية أو الصحراء رمز العربية. ويقول د. بلة عبد الله: "اتجاه الغابة والصحراء كان إجابة منطقية لسؤال سألوه هو: من أين تنبع أصالتنا؟ أمن الغابة الزنجية، أم من الصحراء العربية؟" (مجلة دراسات أفريقية، ٢٠٠٠، م، ٢٩). فقد اعترفت الغابة والصحراء بثنائية الأشكال الأدبية في الثقافة السودانية والتي لها الفضل في جمع شتات الأمة السودانية، وحافظت على كيانهما،

وأمنت بمصالحها. عليه "فإن الغابة والصحراء تدين بوجودها للثقافة السودانية" (إبراهيم: ٢٠٠٦م، ٨٠).

فكانت قصيدة العودة إلى سنار لمحمد عبد الحي التي مثلت محاولة العودة إلى الجذور؛ بوصف مملكة سنار كانت نقطة انطلاق الشخصية السودانية التي "أخذت من العرب دينها وثقافتها، ومن الزنج سحنتها وجذورها، وفيها تعايش الكتاب مع الرَّمح، والجواد العربي الأصيل مع الفهد الأفريقي" (عبد الحي: د.ت، ٣٦) فهو يقول؟:

سنار
تسفر في
بلاد الصَّحو جرحاً أزرقاً
قوساً حصاناً
أسود الأعراف – فهداً قافراً في عتمة الدَّم
معدنا في الشمس
مئذنة

وقد هدفت مدرسة الغابة والصحراء في سعيها وبحثها الدائم عن أصول الثقافة السودانية الحقة، وفي تأكيد الانتماء والهوية إلى تقريب الشقة بين الشمال الصحراوي العربي وبين الجنوب الغابي الزنجي من تمييز الجذور الثقافية للهوية السودانية. يقول كجراي (حسين: ٢٠٠٧م، ٢٣٢):

فلنعد للغابة الشَّجَرَاء
للرَّمْل الذي يمتد في إغفاء الصحراء
للبحر الذي تعبر في أجوائه كل الطيور
للضياء يومض في كل مساحات الحقول

ظل شعراء مدرسة الغابة والصحراء يبحثون في نفوسهم، ويجهدون عقولهم من أجل الإجابة على ذلك التساؤل حول أصل جذور الهوية السودانية، الذي حارت فيه النفوس، وأرهق العقول، حيث توصلوا إلى أهم نتيجة: أن الهوية السودانية هي نتاج تلاقح وتمازج العرقين العربي والزنجي، والتقاء ثقافتي الصحراء العربية والغابة الزنجية. فجاءوا بشعر معبرٍ عن البيئة السودانية الخالصة، وعبروا بصدق عن ثقافته المميزة، والمتفردة.

الخاتمة:

فقد توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

- كان تأثير الشعر العربي على الشعر السوداني كبيراً في مختلف مساراته، وعلى جميع تحولاته.
- كان من نتائج الصراع بين القديم والحديث ظهور قصيدة النثر؛ ذات الأسطر المتباينة، واللغة الغامضة إلى حدٍ ما، والتراكيب الغريبة البعيدة الدلالات.

- شارك الشعر السوداني المجتمع المحلي والإقليمي أحداثه، فكان يستمد موضوعاته منه، ويستقي مادته من أحداثه الحياتية اليومية؛ وقد سجل الشعر حضوراً في جميع تحولات المجتمع الثقافية والسياسية والفكرية.
- عبر الشعر عن القيم الإنسانية والكونية بصدق، وبنظرة عميقة عن فكر ومعتقد الشاعر.
- حافظ الشعر التقليدي طوال مسيرته على خصائصه، وتمسك بقيمه مع الأخذ بروح العصر في مضمون القصيدة.
- جاء الشعراء في معظم نظمهم بلغة فصيحة سليمة، وتراكيب صحيحة، ومفردات بسيطة، مع حرصهم على سلامة الوزن، اهتمامهم الظاهر بالمضمون.

المصادر والمراجع:

١. إبراهيم، محمد المكي: ٢٠٠٦م، في ذكرى الغابة والصحراء، مركز عبد الكريم ميرغني، ط١، الخرطوم.
٢. آدم، الهادي: ٢٠٠٢م، الأعمال الكاملة، ط١، دمشق.
٣. إسماعيل، أبو هداية محمد: ٢٠٢٢م، "بنية القصيدة التقليدية في الشعر السوداني الحديث، محمد سعيد العباسي (أنموذجاً)"، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد: ٢٤، برلين، ص: ٢٩٣، ٢٩٢.
٤. إسماعيل، أبو هداية محمد: ٢٠٢٢م، "ملاح شعر التحرر الأفريقي عند الفيتوري"، مجلة جامعة أم درمان الأهلية، العدد: ٣، ص: ٤٤، ٤٨.
٥. بشارة، مصطفى عوض الله: د.ت، مواقف ورؤى في الشعر السوداني المعاصر، ط١، مطابع العملة.
٦. النوم، حسن حامد: ٢٠٠٥م، عز الدين الأمين عميد النقد الأدبي في السودان، ط١، مطابع العملة، الخرطوم.
٧. جريدة الصحافة: أكتوبر ٢٠٠٦م، عبد الرحيم محمد خير، مفهوم الحداثة، الملف الثقافي، الخرطوم..
٨. جريدة الصحافة: ١٦/٠٨/٢٠٠٨م، د. سعد عبد القادر العاقب، الشعر الحر، العدد: ٥٤٧، الخرطوم.
٩. الجندي، درويش: ١٩٨٥م، الرمزية في الأدب العربي، ط١، مكتبة نهضة مصر.
١٠. الحارثي، إبراهيم: ١٩٧٧م، الرباط الثقافي بين مصر والسودان، ط١، دار جامعة الخرطوم.
١١. حسين، جابر: ٢٠٠٧م، كجراي عاشق الحرية والقول الفصيح، ط١، الشركة العالمية للطباعة.
١٢. سعيد، مهدي محمد: ١٩٨٨م، ديوان مرائي الرؤى، مطبعة وزارة الثقافة، الخرطوم.
١٣. الشوش، محمد إبراهيم: ١٩٧١م، الشعر الحديث في السودان، ج١، ط٢، دار النشر والتأليف، الخرطوم.
١٤. صالح، أحمد محمد: ١٩٩٨م، ديوان مع الأحرار، ط٢، دار البلد، الخرطوم.
١٥. صالح، أحمد محمد: ٢٠٠٧م، ديوان هتاف الصمت، ط٢، أروقة للطباعة، الخرطوم.
١٦. الصديق، عبد الهادي: ١٩٩٥م، اتجاهات الشعر السوداني المعاصر، ط١، دار النشر الخرطوم.
١٧. طيب الأسماء، مصطفى: ١٩٩٤م، ديوان الخرطوم، ط١، الهيئة القومية للثقافة والفنون، الخرطوم.
١٨. الطيب، عبد الله: ١٩٩٣، بانات راما، الدار السودانية للكتب، ط٢، الخرطوم.

١٩. العباسي، محمد سعيد: ١٩٦٨م، ديوان العباسي، ط٣، الدار السودانية للكتب، الخرطوم.
٢٠. عبد الحي، محمد: د.ت، ديوان العودة إلى سنار، دار جامعة الخرطوم للنشر.
٢١. عبد الرحمن، عبد الله: ١٩٩٨م، ديوان الفجر الصادق، ط٢، دار البلد، الخرطوم.
٢٢. عبد الله، عواطف عمر: ١٩٩١م، صالح عبد القادر حياته وشعره، ط١، بيروت.
٢٣. قاسم، عدنان حسين: ٢٠٠٦م، لغة الشعر العربي، ط١، الكويت.
٢٤. مجلة الخرطوم: ١٩٨٠م، محمد أحمد محبوب، الدعوة إلى أدب سوداني وطني، العدد الأول.
٢٥. مجلة دراسات أفريقية: د. بلة عبد الله، اتجاه مدرسة الغابة والصحراء، يوليو ٢٠٠٠م، العدد ٢٣.
٢٦. مجلة قضايا فكرية: أكتوبر ١٩٩٩م، غراء مهنا، الثورة على المسارات القديمة، العدد ٢٩.
٢٧. مجلة كتابات سودانية: د. سميرة الغالي، الشعر السوداني والحداثة، يونيو ٢٠٠٠م، العدد ١٢.
٢٨. محبوب، محمد أحمد: ١٩٩٩م، نحو الغد، ط٢، دار البلد للطباعة، الخرطوم.
٢٩. محبوب، محمد أحمد: ١٩٨٨م، ديوان قلب وتجارب، ط٢، دار البلد، الخرطوم.
٣٠. مدني، بلة عبد الله: ٢٠١٠م، تطور الشعر العربي في السودان، ط١، مطابع العملة السودانية، الخرطوم.
٣١. مرزوق، حلي مراد: ٢٠٠٤م، الرومانسية الواقعية- الواقعية الاشتراكية، ط١، الاسكندرية.
٣٢. المليك، صلاح الدين: د.ت، شعراء الوطنية في السودان، ط١، دار جامعة الخرطوم.
٣٣. مندور، محمد: ٢٠٠٣م، الشعر المصري بعد شوقي، ط١، نهضة مصر.
٣٤. نجيلة، حسن: ١٩٧٢م، ملامح من المجتمع السوداني، ج ١، ط٤، الدار السودانية للكتب، الخرطوم.
٣٥. نور، قاسم عثمان: ٢٠٠٤م، أضواء على الحركة الوطنية السودانية، مركز قاسم للخدمات، الخرطوم.
٣٦. هدارة، محمد مصطفى: ١٩٧٢م، تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان، دار الثقافة، ط٢، بيروت.

رقابة القضاء على إجراءات سير التحكيم وأحكامه

د. الطيب موسى إبراهيم الحاج (٩)

المستخلص

تناول البحث الموسوم بـ (رقابة القضاء على إجراءات سير التحكيم وأحكامه)، تظهر أهمية البحث من أهمية تبيان الحدود القانونية للعلاقة بين القضاء والتحكيم لضمان استقرار المراكز القانونية وجذب الاستثمارات، وهدف إلى توضيح الإطار المفاهيمي لهما في الفقه والقانون السوداني وتحليل آليات الرقابة القضائية خلال مراحل العملية التحكيمية. تكمن مشكلة البحث في التساؤل حول كيفية ممارسة القضاء لسلطته الرقابية والمعاونة على اتفاق التحكيم وضوابط تنفيذ أحكامه، وقد اعتمدت الدراسة على المناهج الاستقرائي والوصفي والتحليلي. توصل البحث إلى نتائج أبرزها أن التحكيم وسيلة اختيارية تستمد قوتها من اعتراف المشرع، وأن القانون السوداني قصر مراجعة الأحكام على دعوى البطلان تحقيقاً للسرعة. واختتمت الدراسة بتوصيات أهمها ضرورة إنشاء مراكز تحكيم مؤسسية متخصصة، وتدريب القضاة على آليات الرقابة الحديثة، وتكثيف المناهج الدراسية حول الوسائل البديلة لفض المنازعات.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد

يعد العدل الركيزة الأساسية التي تقوم عليها المجتمعات المستقرة، وقد عرفت البشرية منذ القدم نظاماً قانونية وقضائية تهدف إلى فض النزاعات وإعادة الحقوق إلى أصحابها. وفي ظل التطور المتسارع في المعاملات المدنية والتجارية، برزت الحاجة إلى وجود وسائل بديلة تتسم بالمرونة والسرعة، فكان التحكيم هو الرديف الأمثل للقضاء العام. إن العلاقة بين القضاء والتحكيم ليست علاقة تضاد، بل هي علاقة تكاملية تهدف في مجملها إلى تحقيق العدالة الناجزة. ويستمد التحكيم مشروعيته وقوته من النظام القانوني الذي تضعه الدولة، حيث يتدخل القضاء الوطني في مراحل مختلفة من العملية التحكيمية لضمان سلامة الإجراءات وحماية حقوق الأطراف، بدءاً من الرقابة على اتفاق التحكيم وتشكيل الهيئات، وصولاً إلى الرقابة اللاحقة المتمثلة في دعاوى البطلان وإصدار أوامر التنفيذ. إن البحث في هذه العلاقة يستوجب فهم الأطر المفاهيمية لكل منهما، واستعراض الضمانات التي يوفرها استقلال القضاء وحياده كركيزة أساسية لرقابة عادلة وفاعلة على أحكام المحكمين، بما يضمن عدم المساس بالنظام العام.

(٩) أستاذ مساعد - كلية الإمام الهادي

أهمية البحث:

- ١- نظراً لكثرة اللجوء للتحكيم في المنازعات العصرية، تبرز أهمية تبيان حدوده القانونية وعلاقته بالقضاء لضمان استقرار المراكز المالية والقانونية.
- ٢- تكمن الأهمية في حماية المجتمع من أي أحكام تحكيمية قد تخالف الثوابت القانونية والدستورية، وذلك عبر تفعيل الرقابة القضائية الواعية.
- ٣- إن إبراز دور القضاء السوداني في دعم وتنفيذ أحكام التحكيم يساهم في جذب الاستثمارات عبر توفير بيئة قانونية آمنة تتسم بالسرعة والعدالة.

أهداف البحث:

- ١- توضيح الإطار المفاهيمي للقضاء والتحكيم في الفقه الإسلامي والقانون السوداني، وإبراز نقاط التلاقي والافتراق بينهما.
- ٢- تحليل آليات الرقابة القضائية خلال مراحل العملية التحكيمية، بدءاً من تشكيل الهيئة وصولاً إلى إجراءات الفصل في الدفوع والتدابير الوقائية.
- ٣- استعراض طرق الطعن في أحكام التحكيم وضوابط تنفيذها.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في الإجابة على التساؤلات التالية:

- ١- ما هي ماهية القضاء والتحكيم، وكيف تتجلى علاقة التكامل والارتباط الوثيق بينهما في النظامين الإسلامي والقانوني؟
- ٢- كيف يمارس القضاء سلطته الرقابية والمعاونة على اتفاق التحكيم وإجراءات الخصومة التحكيمية وفقاً للقانون السوداني؟
- ٣- ما هي الأطر القانونية المنظمة للرقابة اللاحقة على أحكام التحكيم من حيث الطعن بالبطالان وضوابط التنفيذ؟

منهج البحث:

اعتمدت في البحث على المنهج الاستقرائي، والمنهج الوصفي والمنهج.

ماهية القضاء والتحكيم وعلاقة التكامل بينهما

الإطار المفاهيمي للقضاء والتحكيم:

تعريف القضاء مشروعيته:

تعريف القضاء في اللغة:

القضاء لغة هو الحكم، والقاضي: معناه في اللغة القاطع للأمور المحكم لها وأصله القطع والفصل يقال: قضى يقضي قضاء فهو قاض إذا حكم وفصل يأتي في اللغة على وجوه مرجعها إلى انقضاء الشيء وتمامه (الفيروزبادي، ٢٠٠٥م، ١٠٦٧).

تعريف القضاء في الفقه الإسلامي:

عرفه القضاء عند الحنفية بأنه: فصل الخصومات وقطع المنازعات وزاد ابن عابدين على وجه خاص، حتى لا يدخل فيه نحو الصلح بين الخصمين (ابن عابدين، ٢٠٠٠م، ٣٥٢). وعرفه المالكية بأنه: الأخبار عن حكم شرعي على سبيل الالتزام (ابن فرحون، ١٩٨٦م، ١٢). وعرفه الشافعية بأنه: إلزام من له إلزام بحكم الشرع (الجمال، ١٩٩٠م، ٣٣٤). وعرفه الحنابلة بأنه: تبين الحكم الشرعي والالتزام به وفصل الخصومات (البهوتي، ١٩٨٣م، ٢٨٥).

تعريف القضاء في القانون:

عرف القضاء بأنه: "الولاية التي تمنحها الدولة لجهة معينة للفصل في الخصومات والمنازعات التي تثور بين الأفراد، أو بينهم وبين الدولة، وذلك بتطبيق حكم القانون على الواقعة المعروضة لإحقاق الحق. (المرصفاوي، ١٩٨٢، ١٥). كما يُعرف القضاء بأنه "مجموعة المحاكم والمؤسسات القضائية التي تشكل إحدى سلطات الدولة الثلاث، وتختص دون غيرها بمهمة إقامة العدل وتفسير القوانين وحماية الحريات العامة (الكيلاي، ١٩٩٩م، ٢٦)

مشروعية القضاء

القضاء مشروع وتبين مشروعيته بالكتاب والسنة والإجماع.

أما الكتاب: فقولته تعالى: (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) (سورة ص: ٢٦) وقوله تعالى: (وَأَن احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ) (المائدة: ٤٩). وأما السنة: فما روى عمرو بن العاص رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: "إذا حكم الحاكم فأجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم وأجتهد ثم أخطأ فله أجر (النيسابوري، ١٩٥٥م، ١٣٤٣). وأما الاجماع: فقد أجمع المسلمون على مشروعية نصب القضاة والحكم بين الناس والاصل في القضاء أنه فروض الكفاية فإذا قام به الصالح له سقط الفرض فيه عن الباقيين وأن امتنع كل الصالحين له أثموا أما كونه فرضاً فلقولته تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ) (النساء: ١٣٥) (جبرة، ١٤٠٩هـ، ٩).

تعريف التحكيم وأنواعه وخصائصه:

تعريف التحكيم:

أ- تعريف التحكيم في اللغة:

التحكيم عند أهل اللغة هو المنع (ابن زكريا، ١٩٩١م، ٩١). يقال حكمت عليه بكذا إذا منعته (الأنصاري، ١٤١٤هـ، ١٨٦-١٨٧). وتحكم: جاز فيه حكمه (الفيروزابادي، ٢٠٠٥م، ٣٩). ومن هذا قيل للحاكم بين الناس حاكم لأنه يمنع الظالم من الظلم وحكموه بينهم أي أمره أن يحكم (الفيومي، ١٩٨٧م، ١٤٥). والتحكيم يعني التفويض في الحكم يقال حكمه في الشيء أي جعله حكماً وفوض إليه فيه وحكمه في الأمر أن يحكم (الفيروزابادي، ٢٠٠٥م، ٩٨).

ب- تعريف التحكيم في الفقه الإسلامي:

عرف الحنفية التحكيم بأنه تولية الخصمين أي الفريقين المتخاصمين غيرهما ليفصل في نزاعهما (ابن عابدين، ٢٠٠٠م، ٤٢٨). وعرفه المالكية بأنه هو رضا الخصمين بتحكيم رجل للحكم بينهما (ابن فرحون، ١٩٨٦م، ٥٥). وعرفه الشافعية بأنه تحتاج المتخاصمين إلى رجل من الرعية ليقضي بينهما أو يكون حكاماً ليحكم بينهما في بلد فيه قاضي أو ليس فيه قاضي (النووي، ١٩٩٧م، ٧٩). وعرفه الحنابلة بأنه تحاكم رجلان إلى رجل حكماء بينهما ورضياه وكان من يصلح للقضاء (ابن قدامة، ١٣٢٧هـ، ١٠٧).

ج- تعريف التحكيم في القانون:

عرفه قانون التحكيم السوداني لسنة ٢٠١٦م في المادة (٤) التحكيم يقصد به اتفاق طرفي النزاع في النزاعات ذات الطبيعة المدنية على إحالة ما ينشأ بينهما من نزاع بخصوص تنفيذ عقد معين أو على إحالة أي نزاع قائم بينهم ليحل من طريق هيئة أو أفراد يتم اختيارهم بإرادتهم واتفاقهم (قانون التحكيم السوداني، ٢٠١٦م، المادة ٤).

وعرف أيضاً بأنه هو نوع من العدالة ينظمه القانون ويسمح بمقتضاه إخراج بعض المنازعات عن ولاية القضاء العام في حالات معينة كي تحل بواسطة أفراد عاديين يختارهم الخصوم كقاعدة وتسند إليهم مهمة القضاء بالنسبة لهذه النزاعات (سليمان، ٢٠٠٧م، ٩). وعرف أيضاً بأنه تداعي خصمين أو أكثر بموجب اتفاق رضائي أمام محكم أو أكثر، للفصل فيما ينشأ بينهما من نزاع إلا ما انيط بالولاية العامة والحدود ذات العقوبات الجبرية المقدرة شرعاً (شحاتة، ٢٠٠١م، ١٦). وعرف أيضاً بأنه هو النظر في نزاع بمعرفة شخص أو هيئة يلجأ إليه أو إليها المتنازعون مع التزامهم بتنفيذ القرار الذي يصدر في النزاع (أبو هيف، ٢٠٠١م، ٦٤٧).

أنواع التحكيم:

تعدد أنواع التحكيم بتعدد معاييرها ووظائفها:

أ- التحكيم بالقضاء:

وهو الذي يمارس فيه المحكم عمله بموجب أحكام القانون وأصول المرافعة ما لم يُعَفَ منها صراحة (النمر، ١٩٨٨م، ٣٥٩). ويُعد المحكم هنا بمنزلة القاضي (الناصر، ٢٠١٠م، ٥٩)، حيث يلتزم بقواعد القانون الموضوعي والإجرائي (والي، ١٩٧٠م، ١٠٣).

ب- التحكيم بالصلح:

وفيه يُعَفَى المحكم من التقيد بأحكام القانون وأصول المرافعة ليحكم بموجب قواعد العدالة والإنصاف (النمر، ١٩٨٨م، ٣٥٩).

ويشترط في هذا النوع تفويض الأطراف للمحكمين صراحة بصفة "مصالحين" (المؤمن، ١٩٧٧م، ٤٠). والمحكم المصالح لا يرفض الطلبات بل يوازن بينها ليوفق بين الخصوم (المؤمن، ١٩٧٧م، ٤١).

ج- التحكيم الحر والمؤسسي:

فالتحكيم الحر ينظمه الأطراف بأنفسهم لاختيار المحكمين والإجراءات (صاوي، ٢٠٠٤م، ١٥).

أما التحكيم المؤسسي فيتم عبر مراكز متخصصة توفر الدقة والسرعة وتعتمد على محكمين ذوي خبرة دولية (الناصري، ٢٠١٠م، ٧٠).

د- أنواع أخرى:

مثل "المحكم المرجح" الذي يُختار للترجيح عند تساوي الآراء، و"المحكم الفيصل" الذي يفصل عند اختلاف المحكمين (مرسي، ١٩٥٢م، ٥٤٩).

خصائص التحكيم:

فتتجلى في تحقيق "العدالة السريعة والرخيصة" (عمران، ٢٠١٠م، ١٥). ومن أبرز مزاياه: الحرية في اختيار القاضي، حفظ أسرار المتنازعين، والسرعة في إنهاء النزاع مقارنة بالقضاء العام (عمران، ٢٠١٠م، ١٦). كما يقوم التحكيم على مبدأ "سلطان الإرادة"، حيث يمنح الأطراف مرونة كاملة في تنظيم إجراءاتهم (حسن، ٢٠٠١م، ٢٩). ويتميز أيضاً بقلّة التكاليف المالية نظراً لقصر مدة الفصل في الخصومة (دريج، ٢٠٠٤م، ٣٥).

يرى الباحث أن الفقه الإسلامي وضع لبنات متينة لمفهوم التحكيم والقضاء تسبق القوانين الوضعية، حيث جعل التراضي أساساً للتحكيم مع الحفاظ على هيبة القضاء العام، مما يثبت مرونة الشريعة في استيعاب الوسائل البديلة لفض النزاعات قبل تقنينها حديثاً.

استقلال القضاء وحياده كضمانة للرقابة على التحكيم:

مفهوم استقلال القضاء:

مفهوم استقلال القضاء وتطوره

يُقصد باستقلال القضاء ألا يخضع القضاء في ممارستهم لأعمالهم لسلطات أي جهة أخرى، وأن يكون عملهم خالصاً لإقرار الحق والعدل وفقاً للشرع والضمير (جبرة، ١٤٠٩هـ، ٥٠). ويتطلب هذا المبدأ الحيولة دون تدخل أي جهة في أعمال القضاء أو توجيهه أو الخوض في أحكامه، مع إحاطة القضاة بضمانات تمنع أي تجاوز يخلّ هذا المبدأ (بوضياف، ١٩٩٦م، ١٢٨).

وقد عرفه علماء الشريعة بأنه عدم وقوع القضاء تحت تأثير سلطة أو شخص ينحرف به عن هدفه الأسى وهو إقامة العدل (أبو فارس، ١٩٨٤م، ١٨٩). أما فقهاء القانون فيرون فيه مباشرة القضاة وأعضاء النيابة لمهامهم بحرية تامة دون سلطان سوى ضمايرهم، وهو ما يقتضي استقلال القضاء كسلطة منفصلة عن السلطين التشريعية والتنفيذية (أبو شقة، ٢٠٠٥م، ٤١).

وينقسم الاستقلال إلى أمرين: الأول هو استقلال القضاء بصفته سلطة تقف على قدم المساواة مع السلطات الأخرى، والثاني هو استقلال القضاة كأفراد وتحررهم من أي ترغيب أو تهيب يؤثر في أحكامهم (الكيلاي، ١٩٩٩م، ٢٦).

استقلال القضاء في النظام الإسلامي

بالرغم من أن مبدأ الفصل بين السلطات بمعناه التقليدي لم يعرفه النظام الإسلامي قديماً، إلا أن استقلال القاضي كان سمة بارزة فيه؛ ففي العهد النبوي وعهد أبي بكر رضي الله عنه لم تنفصل

ولاية القضاء بسبب صغر حجم الدولة وبساطة الحياة (الزحيلي، ١٩٩٥ م، ٨٥). ومع اتساع الدولة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، دعت الحاجة لفصل ولاية القضاء عن الولاية العامة، فولى القضاة في الأمصار كأبي الدرداء وشريح وأبي موسى الأشعري (زاده، ١٩٦٨ م، ١٣). ويعد استقلال القاضي في الإسلام ضماناً للمحاكمة العادلة، حيث لا يهاب القاضي سلطاناً ولا حاكماً، ومرجعه في الحكم هو الله ثم ضميره قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) (النساء: ٥٨). ومن السوابق الشهيرة ما روي عن قاضي البصرة سوار بن عبد الله، حين كتب إليه الخليفة المنصور في نزاع على أرض، فأبى القاضي إلا أن يحكم بالحق بناءً على البينة المقدمة، فما كان من الخليفة إلا أن أقر بعدل قضائه (السيوطي، ١٩٩٣ م، ٢٦٥). ولضمان هذا الاستقلال، يرى جمهور الفقهاء عدم جواز عزل القاضي إلا لسبب أو لفقدان شرط من شروط تولي القضاء، لأن القاضي وكيل عن الأمة وتعلق الحق بالغير يمنع فسخ وكالته دون وجه حق (فراعة، ١٩٥٠ م، ٣٣٤).

استقلال القضاء في القانون:

وفي العصر الحديث، أصبح استقلال القضاء معياراً حقيقياً للنظم الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان (فرحات، ١٩٩٢ م، ٦٩). وتوازن السلطات الثلاث (التشريعية، التنفيذية، القضائية) هو الضمانة الأكيدة للحرية؛ فإذا اجتمعت سلطة القضاء مع التشريع ضاعت الحريات، وإذا اجتمعت مع التنفيذ صار القاضي طاعياً. ونصت الدساتير في السودان على أن القضاء سلطة مستقلة وأن القضاة مستقلون في أداء واجباتهم (بكار، ١٩٩٧ م، ٧٨).

أهمية استقلال القضاء:

تجلى اهمية هذا المبدأ في كونه ضماناً هاماً، وفعاله للمتهم أثناء محاكمته، فكون يمثل امام قضاة مستقلين في عملهم لا رقيب عليهم سوى ضمائرهم ولا هدف لهم في احكامهم سوى خشية الله سبحانه وتعالى ولا غاية لهم سوى مرضاه الله من شأنه ذلك ان يورث في نفس المتهم طمأنينة الى قضائه، وثقه في اجراءات محاكمته اضافته الى ان القاضي الذي يجلس للحكم، وقد وقر في ضميره استقلاله يكون اكثر جراءة في الحق، واشد اصراراً في البحث عن الحقيقة، واقوى رغبة في تحقيق العدالة، فهو مباشر عمله بلا رهبة من رئيس يملأ عليه توجيهاً معيناً أو سلطه تلقى اليه تعليمات، فهو فرد مستقل داخل منظومه مستقلة (أبو شقة، ٢٠٠٥ م، ٤٦). اذ كيف يمكن للقاضي هنا ان يصدر حكماً عادلاً وهو يعلم ان هناك من يتدخل في مهام عمله، فيعاقب احداً حكم القاضي ببراءته، أو يعفي آخر حكم القاضي بعقوبته. إن الرمي لاستقلال القضاء، لا تعنى ان يكون القضاة اسبياداً على الامه، بل يجب ان يكونوا خدماً لها، لتحقيق العدل وانصاف المظلوم، ونشر الامن بين الناس فاستقلال القضاء لا يعنى ان تكون أيدي القضاة مطلقة، بل هو استقلال تصحبه المسؤولية، ويصحبه مبدأ المحاسبة لمن اخل بواجباته تجاه وظيفته القضائية (الحامد، ٢٠٠٤ م، ١١).

حياد القضاء كضمانة لمراقبة عدالة التحكيم:

حياد القضاء وضمانة الرقابة على التحكيم

يُعد مبدأ حياد القاضي من أسس المبادئ القضائية، حيث أجمع الفقهاء على ضرورة سلك القاضي سبل الحيادة والتجرد من الهوى عند نظر الخصومات (ابن فرحون، ١٩٨٦م، ٨٢). والحياد في جوهره يعني نأى القضاء بنفسه عن التحيز لأي طرف، ليكون ميزان العدالة مجرداً عن التأثير بالمصالح أو العواطف الشخصية (سرور، ١٩٩٣م، ٢٩٤).

هذا الحياد يكتسب أهمية قصوى حينما يمارس القضاء دوره الرقابي على "التحكيم"؛ فالمحاكم الوطنية هي الجهة المنوط بها مراقبة صحة إجراءات التحكيم وفصل دعاوى البطلان. ولكي تكون هذه الرقابة فاعلة وصائنة لحقوق أطراف التحكيم، يجب أن يتمتع القاضي بحيادة كاملة تجعله يقف على مسافة واحدة من الجميع، مطبقاً القانون ومحققاً للعدالة (الكيلاي، ١٩٩٩م، ٣٢).

موانع الحياد وتطبيقاتها القانونية

لكي يحافظ القاضي على حيده يجب أن يتجرد من ميوله الذاتية. لذا، حددت القوانين الوضعية حالات "عدم الصلاحية" التي تمنع القاضي من نظر النزاع، ومن أهمها:

١- وجود مصلحة خاصة أو خصومة: حيث نصت المادة (١٣١) من قانون الإجراءات الجنائية السوداني على منع القاضي من المحاكمة في دعوى يكون طرفاً فيها أو له مصلحة خاصة (العمروسي، ١٩٩٢م، ٨٢).

٢- سبق إبداء الرأي: يمتنع على القاضي نظر نزاع سبق أن تحرى فيه أو أفتى فيه، درءاً لتأثره بفكرة سابقة تتعارض مع وجوب خلو ذهنه عند نظر النزاع (المرصفاوي، ١٩٨٢م، ٥٣٧).

إن استقرار مبدأ الحياد يعني تجرد القاضي حيال النزاع المعروض عليه عن المصالح الذاتية ليتسنى له البت فيه بموضوعية (بكار، ١٩٩٧م، ١١٣). وهذا الحياد هو الضمانة الحقيقية التي تطمئن أطراف التحكيم بأن رقابة القضاء على أحكامهم لن تكون مشوبة بهوى، بل ستكون صيانة لمكانة القضاء وإحفاً للحق (عبيد، ٢٠٠٢م، ٦٤).

يرى الباحث أن حياد القاضي واستقلاله ليس مجرد مبدأ شكلي، بل هو صمام الأمان الوحيد لضمان عدالة الرقابة على التحكيم؛ فبدون قضاء مستقل لا يمكن تصور وجود رقابة نزيهة تصحح انحرافات المحكمين وتحمي حقوق الخصوم من الهوى.

الرقابة القضائية على تشكيل هيئة التحكيم وإجراءات سيره:

الرقابة القضائية على اتفاق التحكيم وتشكيل الهيئة

رقابة القضاء على الشروط الشكلية والموضوعية لاتفاق التحكيم:

الشروط الشكلية لاتفاق التحكيم:

يُعد اتفاق التحكيم عملاً إرادياً لا قيام له دون توافر شروط شكلية؛ وأولى هذه الشروط الشكلية هو شرط الكتابة، إذ لا تحكيم إلا باتفاق مكتوب، سواء كان ذلك في صورة شرط تحكيم وارد في العقد

الأصلي أو مشاركة تحكيم لاحقة (سلامة، ٢٠٠٧م، ١٣٢). وقد أجمع المشرعون في القوانين العربية على ضرورة الكتابة كشرط شكلي، وإن اختلفوا في اعتبارها شرطاً للانعقاد يترتب على إغفاله البطلان، أم مجرد شرط للإثبات (حداد، د.ت، ٨٤).

وفي التشريع السوداني، أوجبت المادة (٨) من قانون التحكيم أن يكون الاتفاق مكتوباً وإلا كان باطلاً، ويتحقق ذلك بتوقيع محرر من الطرفين أو عبر ما يتم تبادله من رسائل أو برقيات (محمود، ٢٠٠٤م، ١٤). كما أكدت اتفاقية نيويورك لعام ١٩٥٨م ذات المبدأ، معتبرة أن الاتفاق المكتوب يشمل شرط التحكيم في العقد أو المراسلات المتبادلة (اتفاقية نيويورك، ١٩٥٨م). والتوجه الحديث يوسع مفهوم الكتابة ليشمل الوسائل الإلكترونية كالبريد الإلكتروني والفاكس (حداد، د.ت، ٨٧). كما يجب على هيئة التحكيم التقيد بموضوع النزاع المحدد، وتحديد مكان التحكيم مع مراعاة ظروف الدعوى (القصبي، ٢٠١١م، ١١٩).

الشروط الموضوعية لاتفاق التحكيم:

أما من الناحية الموضوعية، فيجب لصحته توافر أركان العقد الأساسية؛ وأهمها الرضا، وهو تقابل إرادة الطرفين على اتخاذ التحكيم وسيلة لفض النزاع (أبو الوفا، ٢٠٠٧م، ٢٦). ويجب أن يقع التعبير عن هذه الإرادة صراحة عبر إبرام مشاركة أو النص على شرط التحكيم في العقد (الفهري، ٢٠٠٩م، ٩٨).

كذلك يُشترط توافر الأهلية في المتعاقدين (عبد الستار، ٢٠٠٦م، ٥٩)؛ حيث حدد قانون المعاملات المدنية السوداني سن الرشد بثمانية عشرة سنة، معتبراً كل شخص أهلاً للتعاقد ما لم تسلب أهليته (قانون المعاملات المدنية السوداني، ١٩٨٤م، المادة ٥٣).

سلطة القضاء في تعيين المحكمين وردّهم وعزلهم:

يُعرف المحكم في القانون السوداني بأنه الشخص الطبيعي الذي يتم اختياره عضواً في هيئة التحكيم أو الذي يختاره طرفا النزاع في حالة المحكم الواحد (قانون التحكيم السوداني، ٢٠١٦م، المادة ٢). ولكي يؤدي المحكم مهمته، اشترط قانون التحكيم السوداني لسنة ٢٠١٦م في مادته (١٣) ألا يكون قاصراً أو محجوراً عليه أو سبق الحكم عليه في جريمة مخلة بالشرف والأمانة (دريج، ٢٠١١م، ٤٧).

تعيين المحكمين وسلطة القضاء المعاونة

الأصل في تشكيل هيئة التحكيم هو اتفاق الطرفين، حيث نصت المادة (١٢) من قانون التحكيم السوداني لسنة ٢٠١٦م على أن تشكل الهيئة من محكم واحد أو أي عدد فردي، وإذا لم يتم الاتفاق يكون عددهم ثلاثة (قانون التحكيم السوداني، ٢٠١٦م، المادة ١٢). وتبرز سلطة القضاء كدور "معاون ومكمل" عند فشل الأطراف في التعيين؛ فإذا رفض أي من الطرفين أو فشل في اختيار المحكمين، أو فشل المحكمون في الاتفاق على اختيار الرئيس، يتم التعيين بقرار من المحكمة المختصة بناءً على طلب أحد الخصوم ويكون قرارها نهائياً (قانون التحكيم السوداني، ٢٠١٦م، المادة ١٤).

وتتولى المحكمة المختصة (وهي المحكمة التي تنظر النزاع أصلاً) التعيين في حالات محددة، منها تقاعس أحد الأطراف عن تعيين محكمه خلال ثلاثين يوماً، أو وجود سبب مانع كالعزل أو الرد أو الوفاة (شحاتة، ٢٠٠١م، ٧٠). وقد أكدت السوابق القضائية السودانية هذا الدور، حيث قضت محكمة الاستئناف بالخرطوم بأنه إذا رفض أحد الأطراف التعيين، فعلى المحكمة إجباره أو التعيين نيابة عنه (دريج، ٢٠١٣م، ١٢٢).

شروط الأهلية والقبول

يرتبط تعيين المحكم بمدى أهليته؛ ففي القانون السوداني تُحدد سن الرشد بثمانية عشر عاماً وفق قانون المعاملات المدنية (بشير، ٢٠٠٣م، ٤٥). كما يُشترط لصحة التعيين أن يقبل المحكم المهمة كتابةً، وهذا القبول ليس إجبارياً بل هو خيار للمحكم، ولا يصبح التعيين نهائياً إلا بهذا القبول (الكتابي (شهاب، ٢٠٠٥م، ٢١٣).

عزل المحكمين وردهم

على الرغم من أن الاختيار الأولي للمحكمين يقوم على الثقة، إلا أن القانون السوداني أتاح التدخل القضائي في حالات انعدام الحياد أو الاستقلال. فالمحكم يجب أن يفصح عن أي علاقات قد تؤثر على حيده قبل قبوله المهمة (شهاب، ٢٠٠٥م، ٢١٣). وتدخل القضاء في الرد أو العزل بهدف إلى الحيولة دون توقف التحكيم بسبب الخلاف حول تشكيل الهيئة، ويتم ذلك عبر طلب إداري يُقيد لإجراءات تحكيم أمام المحكمة المختصة (دريج، ٢٠١٣م، ١٢٢).

إن دور القضاء السوداني في هذا الصدد هو دور إجرائي بحث، يستهدف ضمان استمرارية العملية التحكيمية دون التطرق للنواحي الموضوعية للنزاع، ومناطه الضرورة وحدها عند عجز الأطراف عن إتمام تشكيل الهيئة (البطينة، ٢٠١٠م، ٨١-٨٢).

يرى الباحث أن إلزامية الكتابة في اتفاق التحكيم تعد ضماناً جوهرياً لقطع دابر النزاع حول الاختصاص، كما أن تدخل القضاء كجهة "معاونة" في تعيين المحكمين يمنع شلل العملية التحكيمية ويؤكد تبعية التحكيم للنظام القانوني العام للدولة.

الرقابة القضائية أثناء سير إجراءات الخصومة التحكيمية

دور القضاء في الفصل في الدفع بعدم اختصاص هيئة التحكيم:

يُعتبر اتفاق التحكيم شريعة المتعاقدين في الالتجاء للتحكيم أو الاستمرار فيه دون قضاء الدولة؛ فإذا لجأ أحد الأطراف للقضاء بالمخالفة لهذا الاتفاق، جاز للطرف الآخر الدفع بوجود اتفاق التحكيم، وهنا تتصدى المحكمة المختصة لنظر هذا الطلب والفصل فيه (عبد التواب، ٢٠٠٨م، ٣٢٥).

طبيعة الدفع بوجود اتفاق التحكيم

يُعد الدفع بالتحكيم دفعاً "بعدم القبول"؛ لأن الخصوم بنزولهم عن حق الالتجاء للقضاء تفقد الدعوى شرطاً من شروط قبولها (أبو الوفا، ٢٠٠٧م، ١٠٧). وهذا الدفع لا يتعلق بالنظام العام، فلا

يجوز للمحكمة أن تقضي به من تلقاء نفسها، وإذا لم يتمسك به صاحب المصلحة، يجب على المحكمة نظر الدعوى وإصدار حكم فيها (النيداني، ٢٠١١م، ٦٩).

استقلالية شرط التحكيم ومبدأ "الاختصاص بالاختصاص"

نص المشرع السوداني في المادة (٢/٦) من قانون التحكيم لعام ٢٠١٦م على أن شرط التحكيم يُعد اتفاقاً مستقلاً عن العقد، ولا يتأثر ببطلان العقد الأصلي أو فسخه. وبموجب مبدأ "الاختصاص بالاختصاص"، يحق لهيئة التحكيم البت في الدفوع المتعلقة بعدم اختصاصها أو بطلان اتفاق التحكيم، ويجب عليها الفصل في هذه الدفوع قبل سماع الدعوى (الناصري، ٢٠١٠م، ٩٠). وقد أوجبت المادة (١/٦) من القانون السوداني التمسك بهذه الدفوع في ميعاد لا يتجاوز تقديم دفاع المدعى عليه (الناصري، ٢٠١٠م، ٩٠).

مواعيد تقديم الدفع في القانون السوداني

قيد المشرع السوداني تقديم الدفع بشرط التحكيم بمواعيد محددة في المادة (٩) من قانون التحكيم لسنة ٢٠١٦م، والتي تنص على وجوب شطب الدعوى لعدم الاختصاص إذا دفع المدعى عليه بذلك "قبل أو مع الرد على عريضة الدعوى"، وإلا اعتبر متنازلاً عن حقه (مجلة الأحكام القضائية، ١٩٧٨م، ٢٤٥).

وقد استقرت المبادئ القضائية في السودان على تفسير "الجلسة الأولى" الواردة في المادة (٩) بأنها تعني تقديم الدفع قبل الدخول في الدفاع الموضوعي وقبل تحديد نقاط النزاع (دريج، ٢٠١٣م، ٢٢٣).

أثر قبول الدفع بالتحكيم

إذا قبلت المحكمة الدفع، فإنها تحكم بعدم قبول الدعوى لوجود اتفاق تحكيم، ويخضع هذا الحكم للطعن طبقاً للقواعد العامة (النيداني، ٢٠١١م، ٧٢). وفي حال إلغاء محكمة الاستئناف لهذا الحكم، وجب عليها إعادة الدعوى إلى محكمة الموضوع للفصل فيها لأنها لم تستنفد ولايتها (أبو الوفاء، ١٩٨٨م، ١٣٣).

الرقابة على الإجراءات الوقتية والتحفظية ومدد التحكيم:

مفهوم الإجراءات الوقتية والتحفظية وأهميتها

يُقصد بالإجراءات الوقتية والتحفظية تلك التدابير المؤقتة التي تتسم بصفة مستعجلة ولا تمس أصل الحق، وتكون في صورة طلب تحفظي للحفاظ على إمكانية تنفيذ الحق في المستقبل أو طلب مستعجل لتحقيق مصلحة آنية للطالب أو حمايتها (الناصري، ٢٠١٠م، ١٣٠).

وتبرز أهمية هذه الإجراءات في التحكيم نظراً لأن إجراءات نظر النزاع قد تستغرق وقتاً طويلاً، مما قد يعرض مصالح المدعي للمخاطر في حال تصرف المدين في أمواله قبل صدور الحكم النهائي (عمر، ٢٠٠٤م، ١٢١).

وفي القانون السوداني، لا يقتصر الحجز التحفظي على مال دون آخر، بل يمكن إعماله على جميع الأموال، منقولة كانت أم عقارية، وهو ما يميزه عن بعض القوانين الأخرى (عمر، ٢٠٠٤م، ١٢١-١٢٢).

وقد نظم قانون الإجراءات المدنية السوداني لسنة ١٩٨٣م (المعدل) هذه الإجراءات في المواد من (١٣٩-١٥٦)، حيث أعطت المادة (١٣٩) الحق للمدعي في طلب القبض على المدعى عليه ومنعه من السفر لضمان الوفاء بالحقوق، كما أجازت المادة (١٤٩) إصدار أوامر منع وقتي لمنع ضياع أو تلف المال المتنازع عليه، بالإضافة إلى سلطة تعيين حارس على الأموال (قانون الإجراءات المدنية السوداني، ١٩٨٣م، ١٥٤).

سلطة القضاء وهيئة التحكيم في اتخاذ التدابير

لم يتعد المشرع السوداني عن الاتجاهات الدولية التي تعتمد مبدأ الاختصاص المشترك؛ حيث تنص المادة (١/١١) من قانون التحكيم السوداني لسنة ٢٠١٦م على أنه يجوز لأي من طرفي التحكيم أن يطلب اتخاذ إجراءات تحفظية من المحكمة قبل تشكيل هيئة التحكيم، أو من هيئة التحكيم بعد تشكيلها (البطانية، ٢٠١٠م، ١٢٠). وهذا التدخل القضائي لا يُعد مناقضاً لاتفاق التحكيم ولا نزولاً عنه، لأن استبعاد قضاء الدولة ينصب على القضاء الموضوعي دون القضاء الوقفي (البطانية، ٢٠١٠م، ١١٨-١١٩).

وحسب المادة (١١) من قانون التحكيم السوداني لسنة ٢٠١٦م، فإن المحكمة أو هيئة التحكيم تصدر أوامرها في طلب الإجراءات التحفظية وفقاً لأحكام قانون الإجراءات المدنية لسنة ١٩٨٣م، ويكون الأمر الصادر في هذا الشأن نهائياً، ويشترط لتقديمه إرفاق صورة من اتفاق التحكيم (القاضي، ٢٠٠٢م، ٤٣٢).

مدة التحكيم ودور القضاء في تمديدتها

تعتبر مدة إصدار حكم التحكيم من المسائل الجوهرية لضمان سرعة الفصل في النزاع. وقد نصت المادة (٣٣) من قانون التحكيم السوداني لسنة ٢٠١٦م على أن يصدر الحكم خلال المدة المتفق عليها، وفي حال عدم وجود اتفاق، يجب أن يصدر خلال ستة أشهر من تاريخ بدء إجراءات التحكيم (قانون التحكيم السوداني، ٢٠١٦م، المادة ٣٣).

وفي حالة عدم صدور الحكم خلال هذه المدة، أجاز المشرع السوداني للطرفين الاتفاق على التمديد، وفي حال الخلاف يجوز لهيئة التحكيم تمديد المدة مناسبة بناءً على طلب أحد الأطراف، ويكون هذا التمديد نهائياً يجوز بعده اللجوء للمحكمة (قانون التحكيم السوداني، ٢٠١٦م، المادة ٣٣).

ويلاحظ أن القانون السوداني الحالي لسنة ٢٠١٦م قد قصر حق التمديد عند الخلاف على هيئة التحكيم فقط، ولم يمنح المحكمة المختصة سلطة التمديد، وهو ما اعتبره البعض نقصاً في مواكبة مبدأ الاختصاص المشترك الذي يتيح للمحكمة معونة هيئة التحكيم لسرعة البت في النزاع (القاضي، ٢٠٠٢م، ٤٢٧).

إن مد ميعاد إصدار حكم التحكيم في القانون السوداني لا يتصل بالنظام العام، فهو يتبع إرادة الخصوم وسلطة هيئة التحكيم التقديرية في التمديد عند الضرورة، ويظل دور المحكمة في هذا الجانب محصوراً فيما أجازته النص القانوني صراحة (القاضي، ٢٠٠٢م، ٤٢٧).

يرى الباحث أن منح هيئة التحكيم سلطة "الاختصاص بالاختصاص" مع بقاء الرقابة القضائية اللاحقة يمثل توازناً دقيقاً، يضمن سرعة الفصل في النزاع دون التضحية بحق الأطراف في اللجوء للقضاء الوطني عند تجاوز الهيئة لحدود تفويضها.

الرقابة القضائية اللاحقة لحكم التحكيم

رقابة القضاء على حكم التحكيم عن طريق الطعن بالبطلان

الطعن بالبطلان كأداة رقابية أساسية على إجراءات الحكم:

يعد الطعن بالبطلان الطريق الوحيد لمراجعة أحكام التحكيم في السودان وغالبية الدول العربية، حيث لا يجوز الطعن فيها بالطرق العادية أو غير العادية (عفيفي، ٢٠١٢م، ٣٧٦).

الأحكام القابلة للطعن بالبطلان

يشترط لقبول دعوى البطلان صدور حكم تحكيمي قطعي يفصل في الطلبات الموضوعية أو في مسألة إجرائية كالاختصاص (والي، ١٩٧٨م، ١٩٩). أما القرارات المتعلقة بسير الخصومة وتحقيقها فهي أحكام غير قطعية لا يقبل الطعن فيها استقلالاً (عبد العزيز، ١٩٩٥م، ١٢٨٢). ويجب الانتظار حتى صدور الحكم المنهي للخصومة كلها، لأن إجازة الطعن الفوري في الأحكام الجزئية قد يشغل المحاكم دون جدوى (والي، ٢٠٠٧م، ٥٦٠).

عوارض الأهلية وبطلان اتفاق التحكيم في القانون السوداني

يعتبر اتفاق التحكيم باطلاً إذا تخلف ركن من أركانه كالرضا أو الأهلية (بندق، ٢٠٠٩م، ١٧). وفي القانون السوداني، تنعدم أهلية الشخص بعوارض كالجنون والمجنون فاقد للعقل والمعتوه قليل الفهم مختلط الكلام (قانون الأحوال الشخصية السوداني، ١٩٩١م، المادة ٢٩٩ أ). وتعتبر تصرفات المجنون والمعتوه المالية باطلة إذا كانت حالة العته ثابتة وقت التعاقد (قانون الأحوال الشخصية السوداني، ١٩٩١م، المادة ٢٣٠). كما يقع باطلاً تصرف المحجور عليه للسفه أو الغفلة إذا صدر بعد تسجيل قرار الحجر (قانون المعاملات المدنية السوداني، ١٩٨٤م، المادة ٥٨). وبناءً عليه، فإن نقص أهلية أحد أطراف النزاع وقت إبرام الاتفاق يؤدي لبطلان التحكيم (حامد، ٢٠٠٨م، ٥٣).

عيوب الإرادة وشروط الكتابة

يفسد الرضا في اتفاق التحكيم إذا شابه عيب من عيوب الإرادة التي نظمها قانون المعاملات المدنية السوداني وهي: الغلط، التدليس، الإكراه، والضرر الذي ألحق به المشرع الغبن (حامد، ٢٠٠٨م، ٥٨). كما تشترط معظم القوانين "الكتابة" كشرط صحة لاتفاق التحكيم، ويبطل الاتفاق إذا كان محله غير مشروع كالانتجار بالمنوعات (شرف الدين، ١٩٩٥م، ٢٨٧).

مخالفة النظام العام كسبب للبطلان

يجب أن يحترم حكم التحكيم قواعد "النظام العام"، وهي القواعد التي تهدف لتحقيق مصلحة عامة تعلق على مصلحة الأفراد (الراعي، ٢٠٠٣م، ٣٢٦).

وإذا اصطدم الحكم بالقواعد الدستورية أو النظم الأساسية للمجتمع، فإنه يقع باطلاً (الأحدب، ٢٠٠٨م، ٥١٥).

شروط الصفة والمصلحة وقاعدة (منع التناقض المقصود منه الأضرار بالغير):

لا تقبل دعوى البطلان إلا من طرف في النزاع كان له مصلحة في رفعه (والي، ٢٠٠٧م، ٦١٢). ويجوز للخلف العام (كالشركة الدامجة) الطعن في الحكم الصادر ضد سلفه. كما يتمتع على الخصم التمسك بالبطلان أمام القضاء إذا كان قد سلك سلوكاً أمام هيئة التحكيم يوحي بقبوله للإجراءات، تطبيقاً لقاعدة (منع التناقض المقصود منه الأضرار بالغير) (حسن، ٢٠١٠م، ٥٦٩).

حالات الطعن الأخرى (الاستئناف والتماس إعادة النظر):

الطعن عن طريق التماس إعادة النظر

يُعرف التماس إعادة النظر بأنه طريق طعن غير عادي يهدف إلى تصحيح ما قد يشوب حكم محكمة الموضوع من خطأ في تقدير الواقع (عفيفي، ٢٠١٢م، ١١٢).

أ- موقف التشريع السوداني والمقارن من الالتماس: لم ينص المشرع السوداني صراحة على "التماس إعادة النظر" كطريق مستقل للطعن في أحكام التحكيم، متأثراً في ذلك بالقانون النموذجي (الأونسترال) الذي حصر مراجعة أحكام التحكيم في دعوى البطلان. ومع ذلك، فإن حالات الغش والفساد التي تُبنى عليها فكرة الالتماس تؤدي في القانون السوداني إلى اعتبار حكم التحكيم باطلاً لمخالفته النظام العام (عفيفي، ٢٠١٢م، ١١٩).

ب- مبررات الأخذ بالالتماس وحالاته: يرى الفقه ضرورة وجود هذا الطريق لمواجهة حالات استثنائية تعيب الحكم كالغش أو تزوير المستندات، حيث لا تغني دعوى البطلان أحياناً عن تصحيح الخطأ الواقعي. وتتمثل أبرز حالاته في:

١- التزوير:

ويقصد به تغيير حقيقة محرر موجود أو اصطناع محرر يخالف الثابت، ويشترط فيه أن يكون حكم التحكيم قد بُني على هذا الدليل المزور الذي ثبت تزويره بعد صدور الحكم (عفيفي، ٢٠١٢م، ١٣١).

٢- الغش:

هو العمل الاحتيالي الذي يضلل المحكم، ويشترط أن يكون الغش صادراً من الخصم أو وكيله، ومؤثراً في الحكم، مع عدم علم الطاعن به وقت النزاع (نوال، ٢٠١٥م، ٢٤٩).

٣- الأوراق القاطعة:

وهي المستندات الحاسمة التي لو علمت بها هيئة التحكيم لغيرت وجهة نظرها، ولكن تعذر تقديمها بسبب إخفاء الخصم لها (عفيفي، ٢٠١٢م، ١٥٧).

ثانياً: الطعن عن طريق الاستئناف

انقسم الفقه والتشريع حول إجازة استئناف حكم التحكيم؛ فالفريق المعارض يرى أن الاستئناف يتعارض مع طبيعة التحكيم القائمة على السرعة، ويمس حجية القرار التحكيمي، ويجعل من عمل المحكمين إجراءً عديم الجدوى إذا أعيد النزاع برمته أمام القضاء (عفيفي، ٢٠١٢م، ١٧٦).

أ- مبررات المؤيدين والموقف القضائي:

يذهب الاتجاه المؤيد إلى أن المحكم بشر غير معصوم، والعدالة تقتضي إتاحة الفرصة لتصحيح خطئه، خاصة إذا لم يكن المحكم من رجال القانون (عزمي، ١٩٩٠م، ٣٥٤).

ب- حالات عدم جواز الاستئناف:

هناك حالات يتمتع فيها الطعن بالاستئناف حتى في التشريعات التي تجيزه، وأبرزها:

١- التحكيم بالصلح:

عندما يُفوض الخصوم المحكم بالصلح (المحكم المطلق)، فإنه ينشد العدالة والإنصاف ولا يتقيد بالقواعد القانونية الجامدة، لذا تكون أحكامه غير قابلة للاستئناف (عفيفي، ٢٠١٢م، ٢١٢).

٢- التنازل عن الاستئناف:

يقصد به عدول من له حق الطعن عن إرادته في استخدام هذا الحق، وهو ما يعني قبول الحكم (القصاص، ١٩٩٥م، ٣٧).

وقد يكون التنازل صريحاً في الاتفاق، أو ضمناً كإحالة النزاع لمركز تحكيم تنص لائحته على أن أحكامه نهائية وملزمة (عفيفي، ٢٠١٢م، ٢٦٣).

٣- النصاب النهائي:

لا يجوز الاستئناف إذا كان موضوع النزاع مما يفصل فيه في حدود النصاب النهائي للمحكمة المختصة أصلاً بنظر النزاع (عفيفي، ٢٠١٢م، ٢٧٧).

يُستنتج أن النزعة الغالبة في التشريعات الحديثة، ومنها السوداني، تتجه نحو التضييق من طرق الطعن وحصرها في "البطلان"، وذلك لتجنب الإجراءات القضائية المطولة وضمان استقرار المراكز القانونية التي ينشدها أطراف التحكيم (سامي، ٢٠٠٦م، ٣٥٢).

يرى الباحث أن حصر الطعن في "دعوى البطلان" يخدم فلسفة التحكيم القائمة على السرعة، لكنه يتطلب دقة متناهية من المحكمين لتفادي الأخطاء الإجرائية التي قد تهدم الحكم بالكامل وتضيع جهود الأطراف بسبب مخالفة النظام العام.

الرقابة القضائية عند تنفيذ أحكام التحكيم

يعد تنفيذ حكم التحكيم الغاية الأساسية التي يسعى إليها الأطراف لفض منازعاتهم؛ فالقرار التحكيمي عند صدوره صحيحاً يترتب التزامات وحقوقاً قانونية، حيث يلزم المحكوم ضده بتنفيذ الالتزام لمصلحة خصمه.

والقاعدة العامة هي احترام القرار وتنفيذه اختيارياً، أما في حالة المماطلة أو الامتناع عن التنفيذ، فإن الطرف الصادر لصالح الحكم يلجأ إلى طلب التنفيذ الجبري من الجهات المختصة (سامي، ٢٠٠٦م، ٣٦٧).

القوة التنفيذية لحكم التحكيم في التشريع السوداني

أضف قانون التحكيم السوداني لسنة ٢٠١٦م قوة قانونية ملزمة على الحكم التحكيمي، حيث نص على أن تقوم المحكمة المختصة بالتنفيذ بناءً على طلب يقدمه صاحب المصلحة دون حاجة لإجراءات

تصديق مسبقاً ومعقدة من قبل المحكمة، مما يعزز من فاعلية التحكيم كوسيلة بديلة للقضاء (قانون التحكيم السوداني، ٢٠١٦م، المادة ٤١).

وتوصف هذه الأحكام بالوطنية عندما تنفذ في المكان الذي صدرت فيه وفقاً للمعيار الجغرافي الذي تتبناه أغلب التشريعات (سامي، ٢٠٠٦م، ٣٦٩-٣٧٠).

شروط وضوابط التنفيذ الجبري في السودان

وضع المشرع السوداني ضوابط صارمة للرقابة القضائية قبل منح صيغة التنفيذ، لضمان سلامة الإجراءات؛ فلا يجوز تنفيذ الحكم إلا بعد التحقق من استيفاء الوثائق المطلوبة وإرفاق صورة معتمدة من قرار التحكيم.

كما يشترط القانون فوات الميعاد المحدد لطلب إبطال الحكم، والتأكد من أن المدين قد أعلن بالقرار إعلاناً صحيحاً يضمن علمه بمضمونه (قانون التحكيم السوداني، ٢٠١٦م، المادة ٤٧).

إضافة إلى ذلك، يجب على المحكمة المختصة قبل إصدار أمر التنفيذ الجبري أن تتحقق من انقضاء المدة المحددة لرفع دعوى البطلان، وهي أسبوعان من تاريخ النطق بالحكم، إذ إن هذه المدة هي العائق الوحيد الذي يجعل القرار غير نافذ على الفور (دريج، ٢٠١٧م، ٨٣).

دور النظام العام في الرقابة على التنفيذ

تعد الرقابة المبنية على "النظام العام" أهم أداة قضائية في مواجهة أحكام التحكيم؛ حيث يجب على المحكمة السودانية التأكد من عدم مخالفة الحكم أو أي جزء منه للنظام العام في السودان. وفي حالة وجود مخالفة جزئية، فإن المحكمة تملك سلطة تجزئة الحكم، فتنفذ ما هو متسق مع النظام العام وتمتنع عن تنفيذ الجزء المخالف (قانون التحكيم السوداني، ٢٠١٦م، المادة ٤٧).

وهذا الدور الرقابي يهدف إلى حماية القيم القانونية والاجتماعية العليا للدولة من أي تجاوز قد يقع في العملية التحكيمية.

تنفيذ أحكام التحكيم في إطار اتفاقية نيويورك ١٩٥٨م

تعتبر اتفاقية نيويورك حجر الزاوية في تنفيذ الأحكام دولياً، حيث تهدف إلى تبسيط إجراءات الاعتراف بالأحكام الأجنبية وتجاوز العقبات الإجرائية التي قد توجد في القوانين المحلية (سامي، ٢٠٠٦م، ٣٧٦). وتلزم الاتفاقية الدول المتعاقدة بالاعتراف بقرارات التحكيم كقرارات ملزمة وتنفيذها وفق قواعد إجرائية لا تكون أكثر تشدداً من تلك المفروضة على الأحكام المحلية (الزين، ١٩٩٨م، ٢٠٦).

وتتطلب الاتفاقية لتقديم طلب التنفيذ مستندات محددة تشمل أصل القرار وأصل اتفاق التحكيم أو صوراً رسمية منهما، مع ضرورة تقديم ترجمة رسمية للغة الدولة المراد التنفيذ فيها إذا كان الحكم محرراً بلغة أعجمية (اتفاقية نيويورك، ١٩٥٨م، المادة ٤).

الرقابة القضائية وحالات رفض التنفيذ

وضعت الاتفاقيات الدولية والتشريعات الوطنية حالات محددة يحق فيها للمحكمة رفض تنفيذ الحكم، وهي تنقسم إلى نوعين:

أولاً: أسباب بناء على طلب الخصم:

وتشمل عدم أهلية الأطراف، أو عدم صحة اتفاق التحكيم، أو وقوع خلل في تبليغ الخصم بإجراءات التحكيم مما حرمه من تقديم دفاعه، أو إذا تجاوز المحكم نطاق اختصاصه وفصل في مسائل غير محالة إليه (الزين، ١٩٩٨ م، ٢٠٨).

ثانياً: أسباب تقضي بها المحكمة تلقائياً:

حيث ترفض المحكمة التنفيذ من تلقاء نفسها إذا تبين لها أن موضوع النزاع غير قابل للتحكيم أصلاً وفق قانونها الوطني، أو إذا كان التنفيذ يمثل خرقاً صارخاً للنظام العام (الزين، ١٩٩٨ م، ٢٠٩).

التعاون العربي في تنفيذ أحكام التحكيم

على مستوى الدول العربية، نظمت اتفاقيات مثل "اتفاقية الرياض للتعاون القضائي ١٩٨٣ م" مسألة الاعتراف بالأحكام، حيث منعت السلطة القضائية من إعادة فحص موضوع النزاع، واكتفت بالرقابة الشكلية والإجرائية للتأكد من نهائية الحكم وصحة إعلان الخصوم وعدم مخالفة عقد التحكيم (اتفاقية الرياض للتعاون القضائي، ١٩٨٣ م، المادة ٢). كما سعت اتفاقية عمان ١٩٨٧ م لوضع قانون عربي موحد يعزز من فاعلية المراكز التحكيمية العربية (الزين، ١٩٩٨ م، ٧٣).

إن الرقابة القضائية على تنفيذ أحكام التحكيم في القانون السوداني والاتفاقيات الدولية المرتبطة به، تسعى لتحقيق توازن دقيق؛ فهي من جهة تدعم نهائية أحكام التحكيم وتسهل تنفيذها، ومن جهة أخرى تضمن عدم المساس بالنظام العام أو حقوق الدفاع الأساسية، مما يمنح التحكيم الثقة والمصدقية اللازمة (دريج، ٢٠١٧ م، ٨٣).

يرى الباحث أن القوة التنفيذية التي منحها القانون السوداني لعام ٢٠١٦ م لأحكام التحكيم جعلتها بمثابة أحكام قضائية، مما يعزز الثقة في هذه الوسيلة، شريطة التزام المحاكم بالرقابة الشكلية دون الدخول في مراجعة موضوع النزاع مجدداً.

الخاتمة

الحمد لله الذي وفقني لإتمام هذا البحث العلمي الموسوم بـ (رقابة القضاء على إجراءات سير التحكيم وأحكامه)، والذي توصلت في خاتمته إلى عدد من النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج:

- ١- التحكيم وسيلة اختيارية لفض النزاعات، تستمد قوتها الإلزامية من اعتراف المشرع بها وقوة تنفيذها.
- ٢- استقلال السلطة القضائية وحيدتها هما الركيزة الأساسية لضمان رقابة موضوعية وفعالة على كافة مراحل العملية التحكيمية.
- ٣- يُعد الدفع بوجود اتفاق التحكيم دعواً بعدم القبول، ويجب التمسك به في المواعيد القانونية المحددة وإلا سقط الحق فيه.
- ٤- قصر القانون السوداني طرق مراجعة أحكام التحكيم على دعوى البطلان، مما ساهم في استقرار المراكز القانونية وسرعة حسم المنازعات.

ثانياً: التوصيات:

- ١- أوصي وزارة العدل السودانية بإنشاء مراكز تحكيم مؤسسية متخصصة تتبع أحدث المعايير الدولية لتقليل العبء عن كاهل القضاء العام.
- ٢- أوصي السلطة القضائية بتدريب القضاة على آليات الرقابة الحديثة في قضايا التحكيم الدولي والتعامل مع طلبات الحجز التحفظي المرتبطة بها.
- ٣- أوصي اتحاد المحامين العرب بالعمل على توحيد قواعد "النظام العام" إجرائياً لتسهيل تنفيذ أحكام التحكيم بين الدول العربية الأعضاء.
- ٤- أوصي مؤسسات التعليم العالي بتكثيف المناهج الدراسية حول الوسائل البديلة لفض المنازعات لنشر ثقافة التحكيم بين الأجيال القانونية الصاعدة.

المصادر والمراجع

١. ابن عابدين، محمد أمين، ٢٠٠٠م، حاشية رد المحتار على الدر المختار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.
٢. ابن قدامة، موفق الدين عبد الله، ١٣٢٧هـ، المغني على مختصر الخرقي، مطبعة المنار، القاهرة.
٣. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، ٢٠٠٤م، تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصفاء، القاهرة.
٤. ابن منظور، محمد بن مكرم، ١٤١٤هـ، لسان العرب، دار صادر، بيروت.
٥. أبو الوفا، أحمد، ١٩٨٨م، التحكيم الاختياري والإجباري، منشأة المعارف، الإسكندرية.
٦. أبو الوفا، أحمد، ٢٠٠٧م، التحكيم بالقضاء وبالصلح، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية.
٧. أبو الوفا، أحمد، ٢٠٠٧م، عقد التحكيم وإجراءاته، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية.
٨. أبو فارس، محمد عبد القادر، ١٩٨٤م، القضاء في الإسلام، دار الفرقان، عمان.
٩. أبو هيف، علي صادق، ٢٠٠١م، القانون الدولي العام، منشأة المعارف، الإسكندرية.
١٠. أبوشقة، محمد بهاء الدين، ٢٠٠٥م، ضمانات المتهم في مرحلة المحاكمة الجنائية، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة.
١١. الأحديب، عبد الحميد، ٢٠٠٨م، إجراءات التحكيم التجاري الدولي، جامعة الإمارات، أبو ظبي.
١٢. بشير، أبو ذر الغفاري، ٢٠٠٣م، العقد والإرادة المنفردة في القانون السوداني، مطبعة جامعة الخرطوم، الخرطوم.
١٣. البطاينة، عامر فتحي، ٢٠١٠م، دور القاضي في التحكيم التجاري الدولي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان.

١٤. بكار، حاتم، ١٩٩٧م، حماية حق المتهم في محاكمة عادلة، منشأة المعارف، الإسكندرية.
١٥. بندق، وائل، ٢٠٠٩م، نظرات في بطلان حكم التحكيم في القانون المصري والشريعة الإسلامية، مكتبة الوفاء القانونية، الإسكندرية.
١٦. البهوتي، منصور بن يونس، ١٩٨٣م، كشاف القناع عن متن الإقناع، دار عالم الكتب، بيروت.
١٧. بوضياف، عمار، ١٩٩٦م، معالم استقلال القضاء في الشريعة الإسلامية، الرياض.
١٨. جبرة، عبد المنعم عبد العظيم، ١٤٠٩هـ، نظام القضاء في المملكة العربية السعودية، مطبعة معهد الإدارة العامة، الرياض.
١٩. الجمل، سليمان بن عمر، ١٩٩٠م، فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.
٢٠. حامد، تاج السر محمد، ٢٠٠٨م، الوجيز في أحكام العقود والإرادة المنفردة، مركز شريح القاضي، الخرطوم.
٢١. الحامد، عبد الله، ٢٠٠٤م، المعايير الدولية لاستقلال القضاء في بوتقة الشريعة الإسلامية، الدار العربية للعلوم، بيروت.
٢٢. حسن، خالد أحمد، ٢٠١٠م، بطلان حكم التحكيم، دار النهضة العربية، القاهرة.
٢٣. حسن، علي عوض، ٢٠٠١م، التحكيم الإجباري في المنازعات المدنية والتجارية، دار النهضة العربية، القاهرة.
٢٤. دريج، إبراهيم محمد أحمد، ٢٠٠٤م، التحكيم الداخلي والدولي، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم.
٢٥. دريج، إبراهيم محمد أحمد، ٢٠١١م، شرح قانون التحكيم السوداني مع رؤية خاصة عن الإشكاليات العملية، شركة مطابع السودان للعملة، الخرطوم.
٢٦. دريج، إبراهيم محمد أحمد، ٢٠١٣م، مبادئ تحكيمية مستخلصة من خمس وسبعين قضية تحكيمية وسابقة، شركة مطابع السودان للعملة، الخرطوم.
٢٧. الراعي، أحمد مدحت، ٢٠٠٣م، الوسيط في شرح القانون المدني، منشأة المعارف، الإسكندرية.
٢٨. الزحيلي، محمد مصطفى، ١٩٩٥م، تاريخ القضاء في الإسلام، دار الفكر المعاصر، بيروت.
٢٩. الزين، عادل خضر، ١٩٩٨م، التحكيم التجاري الدولي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
٣٠. سامي، فوزي محمد، ٢٠٠٦م، التحكيم التجاري الدولي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان.
٣١. سرور، أحمد فتحي، ١٩٩٣م، الشرعية الدستورية وحقوق الإنسان، دار النهضة العربية، القاهرة.

٣٢. سليمان، هيثم مصطفى، ٢٠٠٧م، التحكيم الدولي والوطني في الفقه الإسلامي والقانون، شركة الجزيرة للطباعة والنشر، ود مدني.
٣٣. السيوطي، جلال الدين، ١٩٩٣م، تاريخ الخلفاء، دار العلم العربي، حلب.
٣٤. شحاتة، محمد أحمد، ٢٠٠١م، التحكيم في الفقه والقانون المقارن، دار النهضة العربية، القاهرة.
٣٥. شرف الدين، أحمد، ١٩٩٥م، "بطلان حكم التحكيم في منازعات عقد التشييد والبناء"، مجلة نقابة المحامين المصرية، القاهرة.
٣٦. شهاب، عاطف، ٢٠٠٥م، اتفاق التحكيم التجاري الدولي والاختصاص التحكيمي، دار النهضة العربية، القاهرة.
٣٧. صاوي، أحمد السيد، ٢٠٠٤م، التحكيم طبقاً رقم ٢٧ لسنة ١٩٩٤م وأنظمة التحكيم، مطبعة المؤسسة الفنية، القاهرة.
٣٨. طاش كبرى زاده، ١٩٦٨م، مفتاح السعادة ومصباح السيادة، دار الكتب الحديثة، القاهرة.
٣٩. عبد التواب، أحمد إبراهيم، ٢٠٠٨م، اتفاق التحكيم والدفع المتعلقة به، دار النهضة العربية، القاهرة.
٤٠. عبد العزيز، محمد كمال، ١٩٩٥م، تقنين المرافعات، دار الطبعة الحديثة، القاهرة.
٤١. عبيد، رؤوف، ٢٠٠٢م، مبادئ الإجراءات الجنائية، منشأة المعارف، الإسكندرية.
٤٢. عفيفي، معتز، ٢٠١٢م، نظام الطعن على حكم التحكيم، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية.
٤٣. عمر، محمد الشيخ، ٢٠٠٤م، قانون الإجراءات المدنية السوداني، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم.
٤٤. عمران، فارس محمد عمران، ٢٠١٠م، مؤسسة الفارس قوانين ونظم التحكيم، دار الفكر والقانون، المنصورة.
٤٥. العمروسي، أنور، ١٩٩٢م، القضاء في المواد الجنائية، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية.
٤٦. فارس، أحمد بن زكريا، ١٩٩١م، معجم مقاييس اللغة، دار الجيل، بيروت.
٤٧. الفتح، عزمي عبد الفتاح، ١٩٩٠م، قانون التحكيم الكويتي، جامعة الكويت، الكويت.
٤٨. فراغة، محمود علي، ١٩٥٠م، الأصول القضائية في المرافعات، دار مصر للطباعة، القاهرة.
٤٩. فرحات، محمد، ١٩٩٢م، نطاق تطبيق مبدأ استقلال القضاء وحق الإنسان في التقاضي، دار الثقافة، القاهرة.
٥٠. الفقهي، عاطف محمد، ٢٠٠٩م، التحكيم التجاري الدولي، دار النهضة العربية، القاهرة.
٥١. الفيروزآبادي، مجد الدين محمد، ٢٠٠٥م، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٥٢. الفيومي، أحمد بن علي، ١٩٨٧م، المصباح المنير، المكتبة العلمية، بيروت.

٥٣. القاضي، خالد محمد، ٢٠٠٢م، موسوعة التحكيم التجاري الدولي، دار النهضة العربية، القاهرة.
٥٤. القصاص، عبيد محمد، ١٩٩٥م، التنازل عن الحق في الطعن، دار النهضة العربية، بيروت.
٥٥. القصبي، صلاح أحمد، ٢٠١١م، عقد التحكيم وإجراءاته، دار النهضة العربية، القاهرة.
٥٦. الكيلاني، فاروق، ١٩٩٩م، استقلال القضاء، المركز العربي للمطبوعات، بيروت.
٥٧. محمود، أحمد صدقي، ٢٠٠٤م، مفهوم الكتابة في اتفاق التحكيم، دار النهضة العربية، القاهرة.
٥٨. مرسي، محمد كامل، ١٩٥٢م، العقود المسماة، مطبعة العالمية، القاهرة.
٥٩. المرصفاوي، حسن صادق، ١٩٨٢م، في أصول الإجراءات الجنائية، مطبعة النهضة المصرية، القاهرة.
٦٠. المؤمن، حسين، ١٩٧٧م، الوجيز في التحكيم، مطبعة الفجر، بيروت.
٦١. الناصري، مصطفى ناطق صالح، ٢٠١٠م، المحكم التجاري الدولي، دار الكتب القانونية، القاهرة.
٦٢. النمر، أمينة، ١٩٨٨م، أصول المحاكمات المدنية، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت.
٦٣. نوال، زروق، ٢٠١٥م، الرقابة على أعمال المحكمين، رسالة دكتوراه، جامعة محمد لين دباغين، الجزائر.
٦٤. النووي، محي الدين بن شرف، ١٩٩٧م، المجموع شرح المهذب، دار الفكر، بيروت.
٦٥. النيداني، الأنصاري حسن، ٢٠١١م، الأثر النسبي لاتفاق التحكيم، دار الجامعة الجديد، الإسكندرية.
٦٦. النيسابوري، مسلم بن الحجاج، ١٩٥٥م، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٦٧. والي، فتحي، ١٩٧٠م، قانون القضاء المدني اللبناني، دار النهضة العربية، بيروت.
٦٨. والي، فتحي، ١٩٧٨م، الوسيط في قانون القضاء المدني، دار النهضة العربية، القاهرة.
٦٩. والي، فتحي، ٢٠٠٧م، قانون التحكيم في النظرية والتطبيق، منشأة المعارف، الإسكندرية.
٧٠. اليعمري، إبراهيم بن علي، ١٩٨٦م، تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، مطبعة الكليات الأزهرية، القاهرة.
٧١. اتفاقية الرياض العربية للتعاون القضائي لسنة ١٩٨٣م.
٧٢. اتفاقية نيويورك بشأن الاعتراف بأحكام التحكيم وتنفيذها لسنة ١٩٥٨م.
٧٣. قانون الأحوال الشخصية السوداني لسنة ١٩٩١م.
٧٤. قانون التحكيم السوداني لسنة ٢٠١٦م.
٧٥. قانون المعاملات المدنية السوداني لسنة ١٩٨٤م.
٧٦. قانون الإجراءات المدنية السوداني لسنة ١٩٨٣م.
٧٧. مجلة الأحكام القضائية السودانية (لأعوام: ١٩٧٨م، ٢٠٠٥م، ٢٠٠٨م).

نظرة إسلامية إلى مشكلة البطالة وآليات الحد من تفاقمها

د. نجلاء عبد الرحمن وقيع الله بلاص^(*)

المستخلص:

هدفت الدراسة للتعرف على نظرة الإسلام إلى مشكلة البطالة، وكيفية الحد من تفاقمها. كما تهدف الدراسة إلى تبين الحلول التي شرعها الإسلام لحل مشكلة البطالة، وأن العمل المشروع له منزلة سامية في الإسلام أياً كان نوع هذا العمل، وأن هناك آيات عديدة في القرآن الكريم تدل على أن الأنبياء كانوا يعملون في العديد المهن والحرف اليدوية، إن موضوع البطالة موضوع اقتصادي اجتماعي متشعب تتدخل فيه عوامل يصعب فصل بعضها عن بعض، كما يصعب دراستها مجتمعة وذلك لتداخلها. تتبلور مشكلة الدراسة في أن البطالة من أخطر المشكلات التي تواجه السواد الأعظم من دول العالم، ولما يترتب عليها من آثار سلبية على جميع أفراد وقطاعات المجتمع. اعتمدت الدراسة على المنهج الاستقرائي والاستدلالي في تتبع الأدلة القرآنية والنبوية الشريفة، وذلك لتبيان مشكلة البطالة وآليات الحد من تفاقمها وكيفية علاجها من خلال نظرة الإسلام لها، ولاسيما أنها مشكلة اجتماعية، إنسانية واقتصادية متداخلة. وقد أظهرت نتائج الدراسة ما يلي: ان هناك علاقة عكسية جلية بين النمو الاقتصادي ومعدلات البطالة، حيث كلما ارتفعت معدلات النمو الاقتصادي، يزيد الطلب على اليد العاملة الإضافية، وبالتالي تنخفض معدلات البطالة تلقائياً. ويحث الإسلام على العمل بكل أنواعه ويرغب فيه، ويحذر من البطالة والكسل، حيث يقرر الفقهاء أن البطالة - حتى لو كانت للتفرغ للعبادات مع قدرة الانسان على العمل والحاجة إلى كسب قوته وقوت من يعوله - تكون حراماً. توظيف فريضة الزكاة لمواجهة البطالة، وذلك من خلال قيام الدولة بتحصيل الزكاة وصرفها وإدارتها كما جاء في الكتاب والسنة، لأن ذلك من شأنه أن يؤدي إلى تشغيل عدد كبيرة من العاطلين عن العمل، وبذلك تمتص جزءاً مقدراً من البطالة.

الكلمات المفتاحية: نظرة - الهيكلية - إسلامية - البطالة - الزكاة - الوقف.

مقدمة:

الإنسان هو أهم منظومة في التنمية الاقتصادية، فهو الذي يستخدم رؤوس الأموال والموارد الطبيعية بالعمل المنتج، ويقاس تقدم كل أمة بما لديها من العناصر البشرية القادرة على العمل والإنتاج، فاليابان على سبيل المثال لا تملك الكثير من الموارد الطبيعية، لكنها استطاعت بالقوة البشرية العاملة تحقيق التقدم الاقتصادي.. لذلك تعتبر البطالة هي أبرز وأكبر معوقات التنمية. قضية البطالة من القضايا التي تؤرق جل العالم من شرقه إلى غربه، وان توفير فرص العمل للملايين من العاطلين عن العمل ولا سيما بعد الأزمة العالمية الأخيرة التي اجتاحت العالم بآثره والتي كان من آثارها أن أضافت البلاءين من البشر إلى قائمة العاطلين عن العمل بعد أن فقدوا وظائفهم،

(*) استاذ مساعد-جامعة الجزيرة-كلية الدراسات التنموية - قسم دراسات المجتمع.

وتشير الإحصاءات إلى تزايد هذه النسبة عام بعد عام، وتقدر بعض الدراسات أن في العالم العربي أكثر من ١٥ مليون عاطل عن العمل.

مما لا شك فيه إن مشكلة البطالة مشكلة دولية، تكتوي بنارها دول العالم برمتها دون استثناء، لأن هذه المشكلة تجر وراءها أزمات عديدة ومشاكل جمة على الدولة، ومنها المشاكل الاجتماعية والأمنية والصحية والاقتصادية والسياسية الخ.

ولا شك أن وجود قوى وأيد عاملة أكثر من فرص العمل المتاحة والمتوفرة. ادي الي ان تصل بعض الدول إلى مرحلة الخطر، حيث تقول النظريات الاقتصادية إن نسبة بطالة ١٥٪ من الأيدي العاملة القادرة والباحثة عن العمل، يعني وجود أزمة اقتصادية، ووجود فرصة للقلق الاجتماعي وعدم الاستقرار السياسي والاجتماعي.

وتعد البطالة إحدى الخصائص الهيكلية التي تميز الاقتصادات المعاصرة في البلدان المتقدمة والنامية على حد سواء، فالانكماش الاقتصادي الذي شهدته البلدان الغربية عقب أزمة النفط الأولى (١٩٧٣)، والسياسات النقدية التقييدية التي انتهجتها الحكومات رغبة في كبح جماح التضخم أنهت كلها عقوداً من التشغيل الكامل للعمالة الذي شهدته هذه البلدان خلال "الثلاثين سنة المجيدة" (١٩٤٥-١٩٧٥). وقد أصبحت البطالة منذ ١٩٧٥ جزءاً لا يتجزأ من المشهد الاقتصادي العام في كل بلد، وبدأ الحديث في أوساط أكاديمية عن "معدل بطالة طبيعي" لا يمكن النزول عنه من دون التسبب في التضخم.

تتأثر البطالة والعمالة بعوامل عديدة مثل الأوضاع الاقتصادية، والمنافسة العالمية، والتعليم، والديموغرافيا، واستبدال البشر بالآلات. يمكن لهذه العوامل أن تؤثر على عدد العاملين، ومدة البطالة، ومستويات الأجور.

وتعتبر البطالة قضية جوهرية ذات أهمية قصوى سواء من الناحية الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية، لما لها من جوانب وآثار كبيرة على المجتمع اقتصادياً وأمنياً وسلوكياً واستقراراً. وعطفاً على ما سبق ذكره تعطي الدول قضية البطالة قدراً وفيراً من اهتماماتها وبرامجها.

كان رسول الله صل الله عليه وسلم مثلاً يحتذى به للعاملين المخلصين، حيث عمل في رعي الأغنام، ومارس التجارة والمضاربة بأموال السيدة خديجة رضي الله عنها، والصحابة الكرام كانوا يعملون في أمر معاشهم، ولم يعرفوا البطالة قط، بل كانوا أصحاب حرف ومهنة متعددة، وقد سار كثير من العلماء والفقهاء القدامى على نهج الجمع بين العلم والعمل الحرفي والمهني على حد سواء.

إن الناظر الي معنى كلمة البطالة سواء في اللغة العربية أو الاصطلاح او اللغات الأخرى، سيصل الي يقين أن البطالة أمر منكر يرفضه الدين، ويلفظه الواقع، ويهدم المصلحة العامة، ويهدم اقتصادات المجتمعات... فلا يتوقع من القران الذي اهتم بالإنسان ومعاشه، إلا أن يدعو الجميع للمساهمة في استئصال هذا الداء العضال من جسم المجتمعات، بل وي طرح الحلول ويصف العلاج بشكل دقيق لا يدع مجالاً للشك في أن تعاليم الإسلام مناهضة للبطالة، وأن البطالة مناقضة لتعاليم الدين الاسلامي.

اهداف الدراسة:

- هدفت الدراسة للتعرف على نظرة الإسلام إلى مشكلة البطالة، وكيفية الحد من تفاقمها.
- تهدف الدراسة إلى تبيان الحلول التي شرعها الإسلام لحل مشكلة البطالة، إذا أن العمل المشروع له منزلة سامية في الإسلام أياً كان نوع هذا العمل، وأن هناك آيات عديدة في القرآن الكريم تدل على أن الأنبياء كانوا يعملون في العديد المهن والحرف اليدوية.
- تهدف الدراسة إلى التعرف على الأسس والسياسات الاقتصادية الإسلامية المتبعة لحل مشكلة البطالة من حيث تقوية الباعث على العمل، وتطبيق الصيغ الإسلامية لتمويل المشروعات الصغيرة والمتوسطة للحد من تفاقم مشكلة البطالة، والتي تقوم على المشاركة وليس الفائدة والربح.
- اقتراح جملة من التوصيات من أجل الوصول لاستراتيجية فعالة للحد من البطالة أو على الأقل التقليل من ازديادها.

اهمية الدراسة:

- تأتي أهمية دراسة موضوع البطالة من حيث ارتباطها وتأثيرها في البناء الاجتماعي للمجتمع، والمتمثل في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية مما يؤدي الى عدم استقرار المجتمع.
- إن موضوع البطالة موضوع اقتصادي اجتماعي متشعب تندخل فيه عوامل يصعب فصل بعضها عن بعض، كما يصعب دراستها مجتمعة وذلك لتداخلها.
- لأن البطالة آثار جمة على الفرد والمجتمع على حد سواء، ولاسيما بعد ان تفاقمت فيه، وعمت كثيرا من المجتمعات التي ابتعدت عن الوسائل والسبل التي وضعها الإسلام لعلاج البطالة.
- إن البطالة ظاهرة واقع معقد ومترابط في طياتها عدة أسباب مختلفة ومستقلة عن بعضها البعض رغم ترابطها وتداخلها.
- إن البطالة ظاهرة نسبية وغير متجانسة وبالتالي تمس عدة فئات من فئات المجتمع، لذا أن السياسات المتخذة حيالها تختلف حسب طبيعته.

مشكلة الدراسة:

- إن مشكلة البطالة من أخطر المشكلات التي تواجه السواد الأعظم من دول العالم، ولما يترتب عليها من آثار سلبية على جميع افراد وقطاعات المجتمع.
- تعتبر البطالة آفة العصر الحديث، وتعاني منها بعض الدول الإسلامية أكثر من غيرها من دول العالم، وتعتبر علامة خطر يجب التنبه لها ومعالجتها حتى لا تتفاقم، وتؤدي الى مشكلات اجتماعية واقتصادية جمة.

المنهج الدراسة:

- اعتمدت الدراسة على المنهج الاستقرائي والاستدلالي في تتبع الأدلة القرآنية والسنة النبوية الشريفة، وذلك لتبيان مشكلة البطالة، وآليات الحد من تفاقمها، وكيفية علاجها من خلال نظرة الإسلام لها، ولاسيما انها مشكلة اجتماعية، إنسانية واقتصادية متداخلة.

تعريف العطالة:

تعتبر العطالة من المصطلحات الشائع استخدامها منذ الأزل وعلى الرغم من الاعتقاد بأنها أصبحت من المواضيع العلمية التي استهلكت وقتلت بحثاً ودراسة وتحليلاً عميقاً، حيث تحتل رقعة شاسعة على النطاق المحلي والعالمي. فهناك من ينظر إلى العطالة على أنها ظاهرة اجتماعية، وهناك من يصنفها ضمن الظواهر الاقتصادية، وأخرى دمجها ضمن الظواهر السياسية.

وليس من السهولة بما كان إعطاء تعريف جامع مانع للعطالة، التي انتشرت تسميتها بالبطالة. حتى أصبح خطأ شائع استخدامه، لكن مسمى عطالة أنسب، لأن الذي لا يعمل يقال له عاطل، هناك اختلافات بين الاقتصاديين والاجتماعيين وغيرهم ممن يعنهم الأمر، في تعريف العطالة، أو تحديد معني يكون فيصّل بين التعاريف المختلفة.

وهناك من يعتبر ان مفهوم العطالة من المفاهيم التي أخذت حيزاً كبيراً في المجتمعات المعاصرة، من حيث البحث والدراسة والتحليل، لذا استحوذ موضوع العطالة على اهتمام الباحثين الاجتماعيين والاقتصاديين، وحتى على صانعي القرار بوصفه موضوع يفرض نفسه بشكل دائم وملح على الساحة الدولية، لذا لا تكاد تصدر دورية علمية متخصصة ذات علاقة بعلم الاقتصاد والاجتماع والسياسة إلا وتتعرض لموضوع العطالة بالتحليل والنقاش وابداء الحلول.

تعريف العطالة في اللغة: وترجع كلمة البطالة في اللغة العربية بكسر الباء إلى الفعل بَطَلَ أو بَطَّلَ، أما البطالة بفتح الباء فهي مصدر بَطَّلَ، وفي الحالتين فإنها تعني التعطّل عن العمل والقعود عنه، أو عدم توافر العمل للراغبين فيه والقادرين عليه، أو الحالة التي لا يوجد فيها وظائف يبحث عنها الناس، ويُقال يوم بطالة أيّ يوم عطلة. (رحيمي، قرقاد، العايب، ٢٠١٨، ٣٠).

ورد في معجم اللغة العربية، أن البطالة مشتقة من " بطل، "بمعني لم يعد صالحاً أو أنه فقد حقه، والبطال (الشخص العاطل عن العمل) يعني أنه فقد حقه وصلاحيته. فكلمة بطالة ترجع في تأصيلها لغوياً إلى مصدرها "بَطَّلَ" أي بطل عمله وفسد وتعطل وذهب ضياعاً، وفي ذلك قوله تعالى "فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ ما كانوا يَعْمَلُونَ" (الأعراف آية ١٨) وهي توافق بكل ما للكلمة من معنى يشمل مجالات الحياة المختلفة الاجتماعية منها والاقتصادية والثقافية.

بَطَّلَ عقدًا وغيره: أَلْغَاه، فَسَخَّه، أَوْقَفَه، عَطَّلَ العملَ به-: بَطَّلَ القرارَ، - صدر قانون جديد بَطَّلَ أحكامَ القانون السابق، بَطَّلَ العملَ: قطعهُ. بَطَّلَ العادة السيئة: تركها. ورد في مختار الصحاح، معنى البطالة من (بطل الأجير - يبطل - بطالة) أي تعطل فهو بطل أي أن البطالة تعني التعطيل عن العمل (الرازي، ٥٦، ١٩٩٥م).

وبطل الأجير من العمل فهو بطل بين البطالة بالفتح، بطل يبطل من باب قتل فهو بين البطالة بالفتح والكسر، سمي بذلك لبطلان الحياة عن ملاقاته. (الفيومي د، ت، ٣٧، ٣٦).

على أي حال، البطالة لفظ مقابل للعمالة ومضاد له، والعامل والعاطل يكونان على نقيض، فإن اللفظ لغةً، كما ورد عن ابن منظور قد أتى من الفعل بطل وبَطَّلَ، وله معان كثيرة ومنها أنه يعني

التعطل، وأنه يقال بطل الأجير) بالفتح (يبطل بطالة وبطالة / أي تعطل، فهو بطل. (ابن منظور، ١٩٨٨م، ٢٢).

تعريف البطالة في الاصطلاح: ويشير بعض الباحثين إلى أن مصطلح "العطالة" ربما يكون أفضل من مصطلح البطالة"، إذ أن البطالة كلمة تحمل في طياتها مضمونا قيميا أو أخلاقيا حيث أنها مستمدة من الباطل عكس الحق. خاصة إذا كان العاطل ذلك الشخص الموجود داخل قوة العمل وعمره بين ١٦ و 60 سنة لا يعمل بأجر ولو مدة محددة، وقادر على العمل وراغب فيه ولا يجده رغم جديته في البحث عنه، ولا يفضل استخدام صفة العاطل- ليعبر عن موقفه العلمي خاصة وأنه ليس عاطلا بمحض إرادته إنما هو "معطل". هذا المعطل يتحمل مسؤوليته المجتمع الذي لم يوفر له فرصة عمل باعتبار أنه، يريد العمل ويبحث عنه بجدية ولا يجده لظروف قهرية، أي أنه ليس عاطلا بمحض إرادة. ولو كان كذلك لما إدراج ضمن مفهوم العاطل أو المتعطل بصفة أدق. (رحيمي، قرقاد، العايب، ٢٠١٨، ٣٠).

فالبطالة مصطلح يُستخدم للإشارة إلى عدد الأشخاص الباحثين عن عمل ولكنهم غير قادرين على العثور على وظيفة، ولا تؤثر البطالة على الأفراد فحسب، بل تؤثر أيضاً على المجتمعات والمناطق والاقتصاد الكلي للدول. (نصير، ٢٠٢٣-١)

تعرف البطالة في الاقتصاد الإسلامي: هي كل انسان لا يستطيع العمل بتاتا، اما لأمر خارج عن إرادته كالعجز المرض المزمن او العته او الجنون، او لأمر تحت سيطرته كطلب العلم، او شعوره بعدم القدرة على الانسجام بين علمه وعملة، اوانه سيؤثر سلبا على أحدهما، فلا يستطيع الجمع بينهما واتقائهما، فهذا يصنف ضمن البطالة. (ذبيح، ٢٠٠٨م، ١٦)

على ضوء التعريف الشائع عن البطالة الذي أوصت به منظمة العمل الدولية (ILO) والذي ينص على أن العاطل هو ذلك الفرد الذي يكون فوق سن معينة بلا عمل وقادرا على العمل وراغباً فيه ويبحث عنه عند مستوى الأجر السائد ولكنه لا يجده. (زكي، ١٩٩٨، ٣٤).

يعرف أحمد زكي بدوي البطالة بأنها الحالة التي يكون فيها الشخص قادرا على العمل وراغباً فيه وباحثاً عنه ولكنه لا يجده. (أحمد، ١٩٧٨م، ١١).

عرّف قاموس كامبريدج البطالة بأنها: ظاهرة اقتصادية تتمثل بعدم توفر وظيفة تتيح دخلاً مالياً للفرد، كما عرّفها بلغة الأعمال بأنها عدد السكان أو النسبة المئوية منهم ممن لا يمتلكون أي وظيفة بالرغم من قدرتهم على العمل، وبحيثهم المنتظم عن فرصه في دولة أو منطقة معينة. (الهوامله، ٢٠٢٤، ٢).

البطالة أنواعها وأسبابها في الإسلام:

١: أنواع البطالة في الإسلام:

إذا كانت كتلة العطالة تتفاوت من حيث الجنس والعمر والعرق، وكذلك من حيث مدة العطالة التي تعانيها الفئات المتعطلة، فإن ذلك كله يتفاوت أيضا بحسب نوع العطالة السائدة، فهناك عدة أنواع

للعطالات لذا يمكن تقسيم العطالة إلى أنواع كثير، وتختلف أسباب العطالة لكل نوع علي حسب المسبب، هنا سنذكر أبرز أنواع البطالات:

النوع الأول: تقسيم العطالة حسب انماط التشغيل إلى ثلاثة أنماط هي:

أ- العطالة السافرة: ويقصد بها حالة التعطل الظاهرة التي يعاني منها جزء من قوة العمل المتاحة، أي وجود عدد من الأفراد القادرين على العمل والراغبين فيه والباحثين عنه عند مستوى الأجر السائد دون جدوى، ولذا فهم في حالة تعطل كامل لا يمارسون أي عمل لفترة قد تطول أو تقصر حسب ظروف الاقتصاد القومي، مثل بطالة الخريجين).

ب- العطالة الجزئية أو نقص التشغيل: وتعني الحالة التي يمارس فيها الشخص عملاً، ولكن لوقت أقل من وقت العمل المعتاد أو المرغوب. ومن ثم فهي تتضمن في معناها الواسع وجود جماعة من الناس يعملون لساعات عمل أو أيام أقل من المرغوب، ويعملون من خلال أوضاع تختلف عما هو مرغوب، ويعملون في أماكن غير مناسبة للتشغيل، كما يكون إنتاجهم عادة أقل من الأعمال الأخرى.

ت- العطالة المقنعة أو المستترة: هي اشتغال العمال بأعمال أقل من قدراتهم بحيث تكون الإنتاجية الحدية للعمل منخفضة للغاية أو منعدمة.

النوع الثاني: تقسيم العطالة حسب طبيعة النشاط الاقتصادي السائد إلى ثلاثة أنماط هي:

أ- البطالة الاحتكاكية (الفنية): وهي الحالة التي تحدث عندما يتعطل بعض الأشخاص مع ما قد يكون من طلب على العمال لم يتم إشباعه بعد، لأن هؤلاء العمال المتعطلين غير مؤهلين لسد حاجة هذا الطلب. وينشأ عادة هذا النوع من البطالة بسبب إحلال الآلات محل العمال في بعض الصناعات، أو لصعوبة تدريبهم على الأعمال التي لم يسبق لهم التدريب عليها، والتي يتزايد الطلب عليها في سوق العمل. (رحيمي، قرقاد، العايب، ٢٠١٨، ٣٠).

وتسعى أيضاً بالبطالة الانكماشية أو الاحتكاكية وهي حيث يكون الراغبون في العمل أكثر من فرص العمل المتاحة، ويرى (زيد بن محمد الرماني) على الأغنياء أن يتدخلوا لفتح فرص العمل وعدم اكتناز الأموال، فالله يطرح في هذه الأموال البركة في حالة استخدامها واستثمارها. (الرماني، ٢٠٠١، ١٠)

ب- العطالة الدورية: وهي التي تنشأ نتيجة للدورات التجارية المعروفة جيداً في النشاط الاقتصادي المتكامل فعندما يكثر انخفاض عابر في الطلب على البضائع، يرغم أصحاب المصانع على تخفيض عدد العمال أو تخفيض ساعات عملهم.

تنتج البطالة الدورية نتيجة حدوث انكماش في دورة الأعمال وذلك عند انخفاض الطلب على بعض الخدمات والسلع بشكل كبير؛ مما يؤدي إلى اضطراب بعض الشركات إلى تسريح عدد كبير من الموظفين؛ من أجل خفض التكاليف المترتبة عليهم، بالإضافة إلى كون البطالة الدورية تزيد من معدلات البطالة حيث العمل على تسريح عدد كبير من الموظفين يؤدي إلى تقليل كمية المال في الأسواق وبالتالي كساد في البضائع وقلة في الشراء. (بكير، ٢٠٢٣، ٢).

ت- العطالة الهيكلية (البنائية): تعرف العطالة الهيكلية بأنها: نوع من أنواع البطالة طويلة الأمد، والتي تحدث نتيجة إلى الاختلاف وعدم التوافق بين الوظائف المتاحة ومهارات أو مؤهلات الباحثين

عن العمل، وتعد العوامل الخارجية مثل التطور التكنولوجي والمنافسة والسياسات الحكومية من أسباب عدم التوافق، كما يمكن أن تستمر البطالة الهيكلية إلى فترة طويلة من الزمن قد تصل إلى عدة عقود وتحتاج إلى تغيير جذري لمعالجتها. (Structural, 2022, 3)

٣- النوع الثالث: تقسيم العطالة حسب طبيعتها الخاصة إلى:

أ- العطالة الموسمية: سميت بذلك لأن العمل فيها مرتبط بموسم محدد، يتوقف العمل أو بعض الأعمال، مما يؤدي ذلك توقف الوظيفة وتوقف نشاطها تماما.

والبطالة الموسمية هي البطالة المرتبطة بهيكل الاقتصاد وهي ناتجة عن تغير في هيكل الطلب على المنتجات أو التقدم التكنولوجي، أو انتقال الصناعات إلى بلدان أخرى بحثاً عن شروط استغلال أفضل ومن أجل ربح أعلى (كير، ٢٠٢٣، ١).

ب- العطالة الإجبارية أو القسرية: فالبطالة الإجبارية تحدث حيث لا اختيار للإنسان فيها، وهذه الحالات تنطبق على من لا يجيد مهنة أو لاندثار مهنته لعدم الحاجة إليها. ويرى (زيد بن محمد الرماني) أن يتدخل الشرع ويطلب من ولي الأمر تدبير وسيلة لاحتراف وعمل لهؤلاء العاطلين، بمنحهم ما يحترفون به، كأن يعطى الشخص أرضاً يزرع فيها، أو أن يعلم مهنة جديدة. (الرماني، ٢٠٠١، ٥).

ت- العطالة الاختيارية: وهي الحالة التي يتعطل فيها الفرد بمحض إرادته واختياره حينما يقدم استقالته عن العمل، إما لعزوفه عنه أو تفضيله لوقت الفراغ، وإما لأنه يبحث عن عمل أفضل يوفر لو أجراً أعلى وظروف عمل أحسن، أو للانسحاب من سوق العمل بإرادته.

أما البطالة الاختيارية والتعبدية، فالإسلام يحاربها ويمنعها، بل يمنع الزكاة والمساعدة عن العاطلين باختيارهم، لكيلا يشجعهم على الاستمرار فيها.

ث- العطالة الصناعية أو التكنولوجية: تحدث البطالة الصناعية عندما تحل الآليات والمكنات الحديثة محل الإنسان في العملية الإنتاجية، مما يؤدي إلى اختفاء واندثار بعض المهن، مثل مهنة ساعي البريد التي اندثرت نتيجة لتكنولوجيا الاتصالات، كما أدى التوجه لاستخدام الروبوتات إلى ارتفاع معدل البطالة.

تعني أيضاً استخدام التقنيات الحديثة والتكنولوجيا مثل الآلات وروبوتات الذكاء الاصطناعي للتعويض عن العمال في عملية الإنتاج.

٢: أسباب العطالة في الإسلام:

تعتبر البطالة من أهم الأزمات التي تهدد استقرار المجتمعات، ومن الأسباب التي تؤدي إلى ظهورها ولازدياد نسبتها، والتي تختلف من مجتمع إلى آخر، هي أسباب عديدة وتشمل الأسباب السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، ولكل منها مؤثرات ونتائج سلبية تؤثر على المجتمع. ومن أهم هذه الأسباب:

- الانفجار السكاني والتعداد السكاني: يمثل الحجم والتركيب النوعي (إناث وذكور) والعمر (شباب وشباب) للسكان المصدر الطبيعي لقوة العمل في ظل الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي يعيشها المجتمع. فلا شك أن النمو العددي المتزايد لحجم السكان ينعكس أثره على حجم

الداخلين الجدد لسوق العمل سنويا، ويتمثل الانفجار السكاني والتعداد السكاني العالي في زيادة عدد الافراد القادرين على العمل بصوره سريعة جدا، في مقابل ثبات عدد الوظائف تقريبا أو ازديادها بصوره بطيئة جدا. (رحيمي، قرقاد، العايب، ٢٠١٨، ٣٠).

ان معدل النمو السكاني العالي يؤثر على البطالة، أي كلما زاد عدد السكان، كلما زادت مشكلة البطالة، وقلت فرص العمل واقامة مشاريع التنمية، كما يحدث في بعض البلدان.

-الاتجاهات والقيم السائدة في المجتمع: رفض العمل في القطاع الخاص أملاً في الحصول على وظيفة في القطاع الحكومي مما يؤدي ذلك إلى ارتفاع في معدلات البطالة، لأن الفرد يبحث عن الوظيفة الدائمة والاستقرار والضمان الاجتماعي والراتب المرتفع الذي تفقده بعض الوظائف في القطاع الخاص. او قد يحدث العكس.

-انتشار ثقافة العيب: وتؤدي ثقافة العيب إلى رفض العمل في قطاعات يشعر فيها العامل بتدني طبقته الاجتماعية أو أن العمل لا يناسبه لأنه يمتلك قدرات ومهارات أعلى من مستوى الوظيفة. (الخرزاعلة، ٢٠٢٣، ٢).

-الخلل القائم بين سياسات التعليم واحتياجات التنمية وسوق العمل: - من بين الأسباب التي تؤدي الي بطالة المتعلمين عامة، الخلل القائم الآن بين سياسة التعليم وسوق العمل، ولا يرجع ذلك الي عدم التطابق بين هيكل التعليم وهيكل الاقتصاد فحسب، وانما يرجع أيضا الي الاختلاف في سرعة نمو القطاعين، بمعنى ان ينتج التعليم خريجين أكثر من قدرة الاقتصاد على استغلالهم برغم حاجة المجتمع إليهم.

-عدم التوافق بين الوظائف المتاحة ومؤهلات الباحثين عن العمل: يعد عدم التوافق بين الباحثين عن العمل ومتطلبات التوظيف سبباً من أسباب البطالة، حيث يمكن أن تؤثر بشكل كبير على الأشخاص الذين يدخلون سوق العمل لأول مرة، ويرجع ذلك بشكل عام إلى افتقار الباحثين عن العمل إلى الكفاءة والمؤهلات الوظيفية اللازمة. كما أنها تؤثر أيضاً على الباحثين عن عمل جديد والذين لا يجدون ما يناسب مهاراتهم وخبراتهم. (الأحمد، ٢٠٢٣، ٣).

ثالثاً: تأثير العطالة على الفرد والمجتمع:

تعد مشكلة البطالة من أخطر المشكلات التي تواجه المجتمع لما لها من آثار خلقية ونفسية، واقتصادية، واجتماعية وسياسية على مستوى الفرد والمجتمع.

١: تأثير البطالة على الفرد:

ارتفاع معدل الجريمة: ظاهرة البطالة من أقوى العوامل المهيئة لمناخ الجريمة والانحراف (ويربط علماء الاقتصاد بين الجريمة والدورات الاقتصادية: ففي فترات الكساد تزداد البطالة والفقر وبالتالي تكثر الجرائم، وفي دراسة اتضح أن ٢٥٪ من أطفال المناطق الفقيرة يجنحون للجريمة، بينما لا تتجاوز هذه النسبة ١٪ في المناطق الغنية. كما بينت دراسة أخرى أن الحاجة إلى المال كانت الدافع وراء ٦٨,٩٪ من جرائم العاطلين) [٣].

التفكك الأسري: لا شك أن الفراغ يصيب نفس العاطل بضرر نفسي، فيتجه نحو العنف تجاه الأبناء والزوجات، بسبب التكاليف المادية الملقاة على عاتقه، فتكثر الخلافات مما يؤدي إلى الطلاق، وتفكك الأسرة ومن ثم تفكك المجتمع.

عمالة الأطفال: الأزمات الاقتصادية تتسبب في تسرب عدد كبير من التعليم مما يدفع بالأطفال إلى سوق العمل في سن مبكرة لاسيما إذا كانت الأسرة فقيرة، بدعوى عدم جدوى التعليم، أو بدعوى زيادة دخل الأسرة.

الإصابة بالأمراض النفسية والجسمية: إذ أن العاطلين عن العمل عرضة للإصابة بكثير من الأمراض النفسية والجسدية والإعياء الدائم أو المؤقت، كارتفاع ضغط الدم، وارتفاع الكوليسترول، الذي من الممكن أن يؤدي إلى أمراض مستعصية ومزمنة يصعب علاجها، إضافة إلى معاناة سيئة وغير صحية، إضافة إلى قسوة قلوبهم وامتلائها بالحقد والحسد، فعن عبد الله بن عمر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن، والرغبة فيها تكثر الهم والحزن والبطالة تقسي القلب (السيوطي، ٢٠٠٨، ٥٥)، وقسوة القلب ينجم عن العاطل عن العمل يشعر بمشاعر سلبية تجاه بيئته ومجتمعه فيقسو قلبه عليهم فلا يتعامل معهم بأخلاق المسلم وربما يؤدي إلى الحقد والضغينة تجاه شرائح المجتمع الحيطه به (مجدوبة، البركي، 2021، ٤٦).

٢: تأثير البطالة على المجتمع:

تمثل البطالة خطراً حقيقياً على صحة المجتمع في حالة انتشارها بشكل واسع بين صفوف الفئات العمرية القادرة على العطاء والتي تملك مخزوناً من الطاقة الإنتاجية: الأمر الذي قد يعيق المجتمع على النمو والارتقاء إلى مصاف المجتمعات المتقدمة فنيا وعلمياً واقتصادياً. وللعطالة آثار سيئة على المجتمع منها:

- اتساع دائرة الفقر والمعاناة: بما يؤدي إلى الإحباط والاكتئاب لدى العاطلين، فيدفعهم ذلك للجوء إلى مفاسد كثيرة منها المخدرات بأنواعها.. ونظراً لعدم وجود مال لديهم فإنهم يحاولون الحصول عليه بطرق غير مشروعة مثل البلطجة والدعارة والسرقة.

- تجنيد العاطلون عن العمل في منظمات الإرهاب أو التطرف، التي تمثل خطراً على المجتمع.

- الهجرة خارج البلاد: نظراً لضيق أبواب الهجرة الشرعية فإنهم يلجؤون إلى سمسرة الهجرة غير الشرعية الذين يقودونهم إلى رحلات غير مضمونة، كان من نتائجها غرق الكثيرين منهم في البحار دون الوصول إلى غايتهم، وإذا وصل البعض منهم فإنهم يقيمون في بلاد الهجرة إقامة غير شرعية بما يعرضهم للمهانة والعقوبات. (مجدوبة، البركي، ٢٠٢١، ٤٦).

وتعمل الهجرة على خلق حالة خلل في هيكل القوى العاملة، من خلال هجرة الكفاءات، والعمالة المدربة اللازمة عملية التنمية الاقتصادية في الدول المصدرة. (ذبيح، ٢٠٠٨، ٤).

- تشعر البطالة الشباب العاطل عن العمل بالفراغ وعدم تقدير المجتمع لهم فتنشأ لديهم العدوانية والإحباط، ويؤثر الأمراض الاجتماعية الخطيرة كالزيلة والسرقة والنصب والاحتيال. كما تحرم البطالة المجتمع من الاستفادة من طاقة أبنائه حيث أن الأسر التي يفقد فيها الزوج وظيفته فإن

التأثير يمتد بدوره إلى بقية أفراد الأسرة سلباً، مما ينعكس بدوره على العلاقات الأسرية ومعاملة الأبناء داخل أهم مكون من مكونات المجتمع العام.

- فقدان الاستقرار السياسي: إذ يمكن أن تسبب البطالة فقدان الثقة بالجهات الحكومية التي من وظيفتها توفير فرص عمل لمواطنيها.

- التأثير على اقتصاد الدولة: إن ارتفاع معدلات البطالة يعني أنّ الحكومات ستُصبح مسؤولة عن تقديم المزيد من إعانات البطالة والمساعدات الغذائية والمساعدات الطبية وغيرها، مما سيؤثر على اقتصاد الدولة. (سالم، ٢٠٢١، ٢).

هذا وتمثل الصدمات الاقتصادية أو حالات الركود أو انهيار إحدى القطاعات المهمة في الاقتصاد الوطني جانبا من العوامل الهيكلية المسببة للبطالة، كما أن سوء إدارة الحكومة للنشاط الاقتصادي في بلد ما قد تكون من الأسباب الرئيسة لانتشار البطالة. (غيدنز، ٢٠٠٥م، ٤٦٢).

ولأنّ المشكلات الاجتماعية التي تنشأ عن البطالة هي مشكلات متشابكة ومُركّبة؛ أي يمكن أن تكون كلّ مشكلة سبباً لمشكلة أخرى، وليست نتيجة مباشرة فقط للبطالة، فقد يؤثر الفقر الناتج من البطالة على العديد من النواحي الاجتماعية، فيؤدّي إلى زيادة العنف الأسري والطلاق، إضافةً إلى تدنيّ المستوى الصحيّ والغذائي للأسر؛ لصعوبة تلبية احتياجاتهم الأساسية، بما في ذلك السكن والغذاء والرعاية الصحية، وبالتالي التأثير سلباً على جودة حياتهم وفُرصهم، وزيادة التحديّات التي يوجهها المجتمع بشكلٍ عامّ. (الهواملة، ٢٠٠٤، ٣).

رابعا: نظرة الإسلام للعطالة وكيفية معالجتها:

١- نظرة الإسلام للعطالة:

يحث القرآن على العمل، ورد ذكر العمل في القرآن الكريم أكثر من ثلاثمائة مرة، وهذا الكم يدل على مدى عناية القرآن بأن يكون الإنسان في عمل دائم. ويحذّر الإسلام من البطالة، حيث يقرر الفقهاء أن البطالة - حتى لو كانت للتفرغ للعبادة مع القدرة على العمل والحاجة إلى كسب قوته وقوت من يعوله - تكون حراماً.

وقد قرنه القرآن الكريم بالعمل بالإيمان أي أن الإسلام يشترط دائماً ترجمة إيمان المسلم إلى عمل. قال تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (النحل: ٩٧) وقد بينت الآية الكريمة أن جزاء العمل الصالح، هو الحياة الطيبة الكريمة في الدنيا، والأجر الجزيل في الآخرة، وقد قال ابن عباس عن الحياة الطيبة أنها الرزق الحلال الطيب في الحياة الدنيا وأهل العمل مأجورون من الله تعالى.

حث الإسلام على العمل والكسب وطلب المعيشة والرزق، والاستغناء عن الناس، وجاء ذلك جلياً في نصوص الكتاب والسنة، وما نقل عن سلف هذه الأمة: قال الله تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} [الملك: ١٥]، جعل الأرض ذلولاً أي: سهلة ممهدة تستقرون عليها، فامشوا في نواحيها وجوانبها، وفي الآية إيماء إلى طلب الرزق والمكاسب. وقال عز وجل:

{قَابَتُغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [العنكبوت: ١٧]، وقال سبحانه: {وَجَعَلْنَا
النَّهَارَ مَعَاشًا} [النبا: ١١]، أي سخره لطلب.

قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوقِيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (الأحقاف: ١٩) فهذا حافزا
وتشجيعا للمؤمنين على العمل، وترغيبهم فيه، وفتح أبواب العمل الصالح على مصراعيه، ليختار كل
إنسان ما يناسب قدراته وإمكاناته ومهاراته من عمل حلال وطيب. وأن الناس مختلفون في الأجر
حسب أعمالهم كما بينته الآية الكريمة. (البركاني، ٢٠١٠، ٨).

الأنبياء صفوة البشر، وأفضل الناس، ولذا اختارهم الله رسلا مبلغين دينه، وجعلهم قدوة للناس،
وقد كانوا أصحاب كسب وعمل مع تمام التوكل على الله تعالى، فهذا نوح عليه السلام امتن النجارة،
وعمل في صناعة الفلك، قال تعالى {وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرْ عَلَى مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ
تَسَخَرُوا مِنِّي فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ} [هود: ٣٨] وداود عليه السلام كان حدادا، قال الله عنه
{وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِيُخْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ} [الأنبياء: ٨٠] وهي صناعة
الدروع، وقد أشاد به النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: (ما أكل أحد طعاما خيرا من أن يأكل من عمل
يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده) (البخاري: ٢٠٧٢).

وكان زكريا عليه السلام نجارا (مسلم، ٢٣٧٩)، وعمل يوسف عليه السلام واليا على خزائن مصر،
واشتغل موسى (عليه السلام) في رعي الماشية عشر سنين، وأما محمد [صلى الله عليه وسلم] فقد كان
له نصيب وافر، فقد كان يشتغل بالتجارة في أول الأمر، وعمل في رعي الغنم، كما أخبر عن نفسه
فقال: (ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم) فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: (نعم، كنت أرهاها على قراريط
لأهل مكة. (البخاري: ٢٢٦٢). فالعمل والكسب وإصلاح المعيشة سنة الأنبياء، وهو مطلب شرعي لما

فيه من تحصيل المصالح ودرء المفاسد عن النفس، وليس فيه عيب أو غضاضة

وفي السنة النبوية العديد من الأحاديث التي تحت على العمل والكسب وذم الكسل وإضاعة العمر
والجهد والوقت في مغريات الدنيا وملذاتها. ومن هذه الأدلة: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - قال: "لا يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره فيتصدق به ويستغني به من الناس
خييرا له من أن يسأل رجلا أعطاه أو منعه ذلك فإن اليد العليا أفضل من اليد السفلى وابدأ بمن
تعمل. (البخاري، ٢٠٠٣، ٣٤١). ففي هذا الحديث دلالة واضحة على الحرص على العمل والكسب
والتعب وإن كان متعبا وشاقا، فهو أفضل من أن يمد يده للناس، وحفظا لكرامته. وفيه إشارة أن
العمل يحفظ صاحبه من سؤال الناس، وإذلال نفسه لهم، وأن العمل مهما كان ليس عيب فهو
عبادة، ولكن العيب هو التقاعس عن العمل وحاجة الناس.

ونظرا لأهمية العمل في الإسلام وحثه على الكسب لآخر لحظه في حياته ولو قامت الساعة مما يدل
على تكريم العمل والحرص عليه، فقال عليه السلام: "إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن
استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها (ابن حنبل، ١٤٢٢هـ، ١٩١).

وذكروا أن عيسى ابن مريم عليه السلام لقي رجلا فقال له: ما تصنع؟ قال: أتعبد، قال: من يعولك؟
قال: أخي، قال: أخوك أعبد منك.

فكل ما سبق من النقول وغيرها مما يضيق عنه المقام، يؤكد بما لا يدع مجال للشك أهمية الكسب والعمل والسعي في الأرض طلباً للرزق والاستغناء عن الناس، والسلامة من ذل سؤالهم.

٢- علاج مشكلة البطالة في الإسلام:

من خصائص شريعة الإسلام أنها استوعبت كافة قضايا الحياة، وسائر جوانبها، وهي امتداد شمل قضايا الزمن المتجدد، فليست مقصورة على فترة زمنية أو رقعة مكانية، يحتاجها الناس على اختلاف أنواعهم؛ لأنهم يجدون فيها الدواء النافع، والعلاج الناجع، فلا يوجد داء إلا وله في شريعة الإسلام دواء. ومن هذه المشكلات التي تعترض حياة الناس، وتؤثر عليها سلباً من الناحية الاقتصادية، والاجتماعية، والنفسية مشكلة البطالة. وتم علاجها وفق الآتي:

١- الزكاة:

تعريف الزكاة في اللغة: مصدر زكا الشيء إذا نما وزاد، وزكا فلان إذا صلح فالزكاة هي البركة والنماء والطهارة والصلاح.

والزكاة في الرع: تطلق على الحصة المقدرة من المال التي فرضها الله للمستحقين كما تطلق على نفس إخراج هذه الحصة، وسميت هذه الحصة المخرجة من المال زكاة لأنها تزيد في المال الذي أخرجت منه وتوفره في المعنى، وتقيه الآفات.

تعريف الزكاة في الاصطلاح: هي حق مالي واجب لطائفة مخصوصة لزمن مخصوص (الطريقي، ٢٠٠٠، ٤٢).

لا شك أن الهدف الأسمى للزكاة أن يتمكن الفقير من إغناء نفسه بنفسه، حيث يكون له مصدر دخل ثابت يعينه عن طلب المساعدة. فالزكاة هي حق للفقراء في أموال الأغنياء ولا تعتبر تبرعاً أو تكوماً من الأغنياء على الفقراء. لذلك يكمن دور الزكاة في معالجة البطالة، حيث يعطي القادر العاقل ما يمكنه من العمل حرفته من أدوات أو رأس مال، أو يدرب على عمل مهني يحترفه ويعيش منه، أو تقام مشروعات جماعية من مصانع أو متاجر أو مزارع ونحوها، ليستغل فيها العاطلون وتكون ملك لهم بالاشتراك كلها أو بعضها (العسال، عبد الكريم، ٢٠١٠، ٥٦).

والزكاة تعمل على منع البطالة الاختيارية، فلا تعطى الزكاة للفقير القادر على الكسب لكنه لا يعمل تهاوناً أو كسلاً، كما جاء في الحديث الشريف في قوله - صلى الله عليه وسلم - «لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي» أي قادر على العمل. وبالنسبة للعاطلين عن العمل إجبارياً، أي أنهم يبحثون عن عمل ولا يجدونه فإنه يصرف لهم من الزكاة ما يعينهم على العمل في صورة رأسمال مناسب للبدء في مشروع صغير. وبهذا يمكن للزكاة أن تعالج مشكلة البطالة في إطار ما يعرف الآن بتمويل المشروعات الصغيرة التي بدأ الاتجاه إليها في جميع الاقتصادات. (عمر، ٢٠١٧، ٢٣).

قال الشافعية: فإن كان عادته الاحتراف أعطي ما يشتري به حرفته أو آلات حرفته قلت قيمة ذلك أم كثرت، ويكون قدره بحيث يحصل له من ربحه ما يفي بكفايته غالباً، ويختلف ذلك باختلاف الحرف والبلاد والأزمان والأشخاص. (لعويجي، ٢٠١١، ٤٧).

تعمل الزكاة دوراً أساسياً ومهماً في تحقيق الاستقرار الاقتصادي، ووضع حلاً دائماً للفقراء والمحتاجين دون أن ينقموا على مجتمعهم، بل دون أن يفكروا مجرد تفكير في أن لهم حقوقاً على المجتمع يجب أن تؤدي إليهم، وذلك من خلال توزيع الزكاة على المستحقين لها من غير تفرقة ومحسوبيات. حيث تعمل الزكاة على إحداث توازن بين الإنتاج والاستهلاك، حيث توفر المال في يد الفقير وتمكينه من سد احتياجاته، وبالتالي تستمر دورة الإنتاج ولا تتكدس السلع في المخازن، نتيجة لضعف الطلب، وبالتالي يستمر الطلب على الأيدي العاملة (السراحنة، ٢٠٠٠، ١٧٧).

كما تعتبر الزكاة مصدراً أساسياً للتمويل في الاقتصاد الإسلامي، ودعامة من دعامة المالية والاقتصادية ومورد من موارد الدول الإسلامية، وذلك عن طريق توجيه جزء من حصيلة الزكاة إلى إقامة المشروعات الاستثمارية التي يحتاج إليها الفقراء (ذبيح، ٢٠٠٨، ١٠٢).

٢- الوقف:

– تعريف الوقف في اللغة: الوقف هو الحبس، من وقفت الأرض على المساكين وقفا حبستها، و الواقف هو خادم البيعة لأنه وقف نفسه على خدمتها (الدردير، دت، ١٠). أي أن الوقف في اللغة هو إعطاء الممتلك لجهة معينة لصرفه في أعمال خيرية متعددة، وهو بذلك يعتبر صدقة جارية، بل هو أفضل أنواع الصدقة.

– تعريف الوقف في الاصطلاح: يعرف الوقف في الاصطلاح بأنه حبس العين وتسبيل ثمرتها، أو حبس عين للتصدق بمنفعتها (لدالية، مسدور، ١٩٩٩، ٢). أي أن الوقف في الاصطلاح هو إعطاء عين لمن يستوفي منافعتها والانتفاع بها، أو على وجه من وجوه الخير والبر على سبيل التقرب إلى الله سبحانه وتعالى.

ويعرف الوقف في الاقتصاد بأنه تحويل الأموال على الاستهلاك واستثمارها في أصول رأسمالية إنتاجية تنتج المنافع والإيرادات التي تستهلك جماعياً أو فردياً (ذبيح، ٢٠١٠، ٨). فالوقف في الاقتصاد يعني تحويل جزء من الدخول والثروات إلى موارد تكافلية تنعكس إيجاباً على الفرد والمجتمع معاً. وبالرجوع إلى الأصول الشرعية للوقف نجد أن الفقهاء قد استندوا في تأصيلهم له إلى أدلة كثيرة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وهذه الأدلة وإن كانت لا تدل على موضوع الوقف بصفة مباشرة فإنها تحت أعمال البر والخير، فالقرآن الكريم لم يذكر الوقف صراحة في آياته إلا أن هذا النظام يجد أساسه فيما حض عليه الكتاب الحكيم على مدار سوره من وجوب الإنفاق في سبيل الله، والبر بالفقراء وإجراء الصدقة عليهم والمصارعة إلى الخيرات، من ذلك قوله تعالى {لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفق من شيء فإن الله به عليم}. (الزحيلي، ١٩٨٧، ٦). فهذه الآية تدل على فضل البر، ومما لا شك فيه أن الوقف باب من أبواب البر.

ذكر الوقف في كثير من النصوص الشرعية في القرآن والسنة، قال تعالى: "إنا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم" (يس، ١٢).

أما السنة النبوية الشريفة فقد روي عنه صلى الله عليه وسلم "إذا مات ابن آدم انقطع عمله من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له" (شعبان، الغندور، ١٩٨٤، ١٣). ففي

الحديث ذكر للصدقة الجارية، وهي تعني الوقف بعينه لأنه منفعة دائمة. كما في الحديث حث على الإنفاق واستمراره بعد الموت.

إن الهدف الاقتصادي المباشر لاستثمار أموال الوقف، هو توليد دخل نقدي مرتفع بقدر الإمكان يسمح للأوقاف بتقديم خدماتها للمجتمع في أفضل صورة ممكنة، قصد تحقيق الغرض من عملية الوقف. (محمود، ٢٠٠٥، ١٨٥).

ولعل من أهم أغراض الوقف تقديم إعانات مباشرة للعاطلين عن العمل، كعملية سابقة لإدماجهم في سوق العمل، فالفقه الإسلامي وهو يتحدث عن مصارف الوقف لم يحدد مصرفاً معيناً له، وترك للواقف حرية تحديد هذا المصرف طالما أنه لم يكن معصية، وبالتالي يمكن للواقف أن يشترط في وقفه الصرف على العاطلين من أبناء بلده وفقاً للضوابط التي يحددها لذلك، وهذا يحقق لنا عدة مزايا منها واقعية المصرف لأن الواقف أدري بأهل بلده وأعرف بحاجة كل من، وبناء عليه يصرف عائد الوقف لهؤلاء في ظل رقابة اجتماعية على اعتبار أن الواقف أعرف بحاجتهم.

والوقف يقوم بهذا الدور من خلال عائد متجدد ناتج عن استثمار أموال الوقف، ومن ثم فهناك فائدة عظيمة جداً ألا وهي وجود مصدر حقيقي لتمويل إعانات البطالة يضمن دوام هذه الإعانات لكل عاطل. كما أن الوقف في حد ذاته يوفر فرص عمل من خلال حاجته إلى من يقوم عليه ويرعاه ويتولى استثماره وصرفه في مصارفه (مغازي، ٢٠٠٥، ٩٠).

٣- القرض الحسن:

تعريف القرض الحسن في اللغة: القرض: ما لقطع، قرضت الشيء أقرضه، بالكسر قرضاً قطعته، والقرض: ما تعطيه من المال. لتقضاه، واستقرضت من فلان، أي طلبت منه القرض. فأقرضني. والقرض أيضاً ما سلفت من إحسان ومن إساءة وهو على التشبيه.

والقرض اسم لكل ما يلتمس عليه الجزاء، تقول العرب: لك عندي قرض حسن وقرض سيء، وأصل القرض ما يُعطيه الرجل أو يفعله.

يقول الإمام ابن حزم في القرض: هو أن تعطي إنساناً شيئاً بعينه من مالك، تدفعه إليه، ليرد عليك مثله إما حالاً في ذمته، وإما إلى أجل مسمى هذا مجمع عليهم.

وردت الكثير من النصوص الشرعية تؤكد ضرورة تقديم القرض الحسن، يقول الله تعالى "من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً (الحديد، ١١) قال عمر بن الخطاب هو الإنفاق في سبيل الله، وقيل: هو النفقة على العيال، والصحيح أنه أعم من ذلك، فكل من أنفق في سبيل الله بنية خالصة، وعزيمة صادقة دخل في عموم هذه الآية الكريمة. كما أباح الإسلام حرية التصرف في الوقف كما شاء صاحبه، فمن حقه أن يوقف على القريب والضعيف، والدليل على ذلك، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجد مالا بخير، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال إن شئت تصدقت بها فتصدق بها على الفقراء والمساكين وذوي القربى والضعيف.

ينقسم القرض الحسن حسب تعريفه عند الاقتصاديين إلى القرض الإنتاجي وهي القروض الحسنة التي يطلبها أصحابها لتمويل عمل يقصد به الربح في عمل تجارة أو صناعة أو زراعة، وهذا القسم

يسد المصرف الإسلامي الحاجة إليه بواسطة المساهمة فيها بالربح، وهو استثماري من قبل البنك المصرف، ولكنه يقدم خدمة إضافية تشغيل اليد العاملة التي تحتاج رأس المال للعمل وبالتالي التخفيف من البطالة .

٤-الاستثمار:

تعريف الاستثمار في اللغة: هو مصدر استثمار يستثمر وهو للطلب بمعنى طلب الاستثمار، وأصله من الثمر وهو له عدة معان منها ما يحمله الشجر وما ينتجه، ومنها الولد حيث قال: الولد ثمرة القلب، ومنها أنواع المال. (ابن منظور، ١٩٦٥، ٥٠٣).

ويقال: ثمر. بفتح الميم. الشجر ثموراً أي أظهر ثمره، وثمر الشيء أي نضج وكمل، ويقال: ثمر ماله أي كثر، وأثمر الشجر أي بلغ أوان الإثمار، وأثمر الشيء أي أتى نتيجه، وأثمر القوم: أطعمهم الثمر، ويقال: استثمار المال وثمره. بتشديد الميم. أي استخدمه في الإنتاج، وأما الثمرة فهي واحدة الثمر فإذا أضيفت إلى الشجر فيقصد بها حمل الشجر، وإلى الشيء فيراد بها فائدته، وإلى القلب فيراد بها مودته وجمع الثمرة: ثمر. بفتح الثاء والميم. وثمر. بضمهما. ثمار وأثمار. (الفوي، ٧٧٠ هـ، ٢٢).

وقد وردت كلمة: أثمر، وثمر، وثمرات، أربعاً وعشرين مرة في القرآن الكريم منها قوله تعالى: (انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون)، أي انظروا إلى ثمار تلك الأشجار والنباتات، ونضجها للوصول إلى الإيمان الكامل بالله تعالى حيث يحمل ذلك عجائب قدرته (القرداغي، ٢٠٠١، ٤). ويلاحظ أن القرآن الكريم أطلق (في الغالب) الثمر أو الثمرة، أو الثمرات على ما تنتجه الأشجار والنباتات مثل قوله تعالى: (ونقص من الأموال والأنفس والثمرات)، ولم يطلق على ما تنتجه التجارة من أرباح إلا إذا عَمَّمْنَا المراد بقوله تعالى: (أو لم نمكّن لهم حرماً آمناً يُجبي إليه ثمرات كل شيء).

وقد وردت هذه الكلمة أيضاً في السنة كثيراً وهي لا تعدو معانيها عن ثمار الأشجار والنباتات، منها قوله. صلى الله عليه وسلم. (نبى عن بيع الثمر حتى يزهو)، وقوله. صلى الله عليه وسلم. (اللهم ارزقنا من ثمرات الأرض)، وغير ذلك.

تعريف الاستثمار في الاصطلاح: ورد لفظ "التثمين" في عرف الفقهاء عندما تحدثوا عن السفية والرشد فقالوا: الرشد هو القادر على تمييز أمواله وإصلاحه، والسفيه هو غير ذلك، قال الإمام مالك: (الرشد: تمييز المال، وإصلاحه فقط)، وأرادوا بالتثمين ما نعني بالاستثمار اليوم. وأما لفظ الاستثمار فلم يرد في كتب اللغة بمعناه الاقتصادي، ولذلك في معجم الوسيط: الاستثمار: استخدام الأموال في الإنتاج إما مباشرة بشراء الآلات، وإما بطريقة غير مباشرة ك شراء الأسهم (مجمع اللغة، النت، ٢٠٢٠م)

الاستثمار هو إنفاق المال في وجه من الوجوه بقصد الحصول على دخل، وعلى ذلك يدخل فيه: إنشاء مصنع أو شراؤه، كما يدخل فيه شراء أسهم أو سندات، وغير ذلك من وجوه الاستغلال. (غريبال، ١٩٦٥، ٥)

الاستثمار هو: عملية تخصيص موارد مالية أو أصول في الوقت الحالي، بهدف تحقيق عوائد ومنافع مستقبلية أكبر، بدلاً من استهلاكها فوراً.

يهدف الاستثمار إلى تنمية رأس المال، حمايته من التضخم، أو الحصول على دخل إضافي، وينطوي عادة على درجة من المخاطرة مقابل توقع عوائد مرتفعة على المدى المتوسط أو الطويل. الاستثمار هو عملية استخدام الأموال أو الموارد الأخرى في الأصول مثل الأسهم، والسندات، والعقارات، بغرض كسب العائد عليها في المستقبل. يهدف الاستثمار إلى زيادة قيمة رأس المال أو توليد دخل مستمر عبر الزمن. يعتبر الاستثمار جزءاً أساسياً في التخطيط المالي الشخصي والتجاري، حيث يمكن أن يساعد في تحقيق الأهداف المالية للأفراد والشركات، مثل بناء الثروة، وتوفير التقاعد المبكر، وتحقيق الأرباح.

تلجأ جميع الدول والمؤسسات وحتى الأفراد إلى الاستثمار كونه من أهم الأنشطة التي تساهم في تنمية الأموال وتوسيع نطاق العمليات التجارية للشركة، وهو أيضاً من العلامات الدالة على النمو الاقتصادي في البلدان، وتستثمر الحكومات والكيانات التجارية لتعزيز المعاملات وزيادة فرص العمل.

تتعدد أنواع فئات الاستثمار والتي يختار منها المستثمر ما يناسب أهدافه المالية، وأنواع الاستثمار تشمل الأسهم، السندات، السلع الأساسية، العقارات، الصناديق المشتركة والمتداولة، العملات المشفرة، والمقننات. ينبغي اختيار الخيارات التي لا تنطوي على معاملات ربوية محرمة وفقاً للشريعة الإسلامية.

حث الإسلام على الاستثمار في الوجوه النافعة وعدم تكديس الأموال، لأن تكديسها يخالف تعاليم الإسلام السمحة، حيث قال الله تعالى "هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً" (البقرة: ٢٩) فكان في هذا دلالة واضحة على ضرورة إعمارها واستثمار ما فيها من موارد ضمن المنهج الرباني الذي شرعه الله للإنسان، ولما كان حفظ المال من ضروريات الحياة، كان على الإنسان حفظه وصيانته واستثماره وهذا المقصد الذي يتناسب مع فطرة الإنسان. (نائل، ٢٠٠٦م، ٤٩٨).

أما في السنة النبوية، فقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثنى على من استثمر ماله بالطريق المشروع في حديث عروة بن أبي الجعد البارق قال "أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم ديناراً يشتري به أضحية، أو شاة فاشترى شاتين فباع إحداهما بدينار فأتاه بشاة ودينار فدعا له بالبركة في بيعة فكان لو اشترى تراباً لربح به". (البخاري، ٧٣٣، ١٢٩).

دور الاستثمار في الحد من البطال يسهم الاستثمار في بناء قاعدة إنتاجية مباشرة قوية فضلاً عن توفير فرص عمل مناسبة ومتنوعة، ويسهم أيضاً في التخفيف من وطأة البطالة إن لم يكن القضاء عليها والعلاقة قوية بين الاستثمار والتشغيل، ولذلك كان الاستثمار أداة مهمة من الأدوات المستخدمة في القضاء على البطالة ولتحفيز المستثمرين، حيث اعتبر الإسلام الاستثمار عبادة فهي معاملة مالية، والإسلام دين شامل لجميع مناحي الحياة سواء كان الأمر متعلق بالعبادات أو المعاملات، والإنسان سيسأل أمام الله عن كل تصرفاته وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ومن هنا فالمسلم ينظر إلى الدنيا على أنها مزرعة الآخرة بإعمارها. (السراحنة، ٢٠٠٠، ١٨٧).

كما أن الإسلام لم يحدد للمستثمر نسبة من الربح ما لم يلحق الضرر بالمسلمين والربحية في الإسلام ليست مادية بل قد تكون أخروية وهي الأفضل وبالتالي تنمية المال وتحقيق الحياة. (ذبيح، ٢٠٠٨، ٥٦).

النتائج:

- هناك علاقة عكسية جلية بين النمو الاقتصادي ومعدلات البطالة، حيث كلما ارتفعت معدلات النمو الاقتصادي، يزيد الطلب على اليد العاملة الإضافية، وبالتالي تنخفض معدلات البطالة تلقائياً. - يحث الإسلام على العمل بكل أنواعه ويرغب فيه، ويحذر من البطالة والكسل، حيث يقرر الفقهاء أن البطالة - حتى لو كانت للتفرغ للعبادات مع قدرة الإنسان على العمل والحاجة إلى كسب قوته وقوت من يعوله - تكون حراماً.

-توظيف فريضة الزكاة لمواجهة البطالة، وذلك من خلال قيام الدولة بتحصيل الزكاة وصرفها وإدارتها كما جاء في الكتاب والسنة، لأن ذلك من شأنه أن يؤدي إلى تشغيل عدد كبير من العاطلين عن العمل، وبذلك تمتص جزءاً مقدراً من البطالة.

-نشر التوعية بأهمية العمل بكافة أشكاله، لما للبطالة من آثار سلبية خطيرة على الفرد ومن ثم على المجتمع.

- أهمية الوقف كونه من الصدقات المحببة في الإسلام، مع حث وتشجيع أفراد المجتمع عليه، مما ينعكس ذلك بالإيجاب على الحد من انتشاره البطالة بين شرائح المجتمع مما يقلل من الأمراض الاجتماعية بين أفراد المجتمع.

التوصيات:

-توفير الدعم من قبل الحكومة والمنظمات للمشروعات الصغيرة باعتبارها عنصر مهم في تشغيل العاطلين، بالإضافة إلى توعية الشباب وتحفيزهم على القيام بهذه المشروعات الصغيرة.

-العمل على تعزيز مفهوم قيمة العمل لحماية المجتمع من الآفات السلبية لظاهرة البطالة، مع توفير فرص عمل مؤقتة وأخرى دائمة لمواجهة أثر البطالة على الفرد والمجتمع.

-إنشاء مراكز التدريب المهني تحت رعاية المنظمات والمؤسسات غير الربحية، مما يُساعد على كسر الجمود المهني وبالتالي الحد من البطالة، مع دعم الشباب المتفوقين، لتمويل مشروعاتهم الخاصة بنظام القرض الحسن.

-استثمار الثروة البشرية توجيه الطاقات المعطلة وإيجاد فرص عمل للقادرين على العمل، وتأهيل العاطلين، وإعدادهم لسوق العمل بالصورة المطلوبة.

-إلزام الشركات الأجنبية الاستثمارية على تشغيل العمال الوطنيين بدلا من جلب العمالة الأجنبية.

المصادر والمراجع:

القران الكريم.

١. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، ١٩٨٨م، لسان العرب، المجلد الأول، بيروت.

٢. أبو زيد، نايل، ٢٠٠٦م، "استثمار الأموال في القرآن والسنة، مفهوم، مجالاته، سبل محاربه"، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، العدد ٢٢، سوريا.
٣. أبو عاصم البركاني، ٢٠١٠م، المنهجية الإسلامية في مكافحة البطالة، مجلة الوعي الإسلامي ٢، دار طوبق للنشر، الكويت.
٤. البخاري، محمد بن إسماعيل صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي صلى الله عليه وسلم آية فأراهم انشقاق القمر، مكتبة الإيمان، المنصورة.
٥. البخاري، محمد بن إسماعيل، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب قوله (لا يسألون الناس إلحافاً)، ج ٣، رقم الحديث ٣٤١، مكتبة الإيمان، المنصورة.
٦. بدوي، أحمد زكي، ١٩٧٨م، معجم العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان.
٧. بن حنبل، الإمام احمد، ١٤٢٢هـ، المسند، أبو عبد الله أحمد بن محمد، تحقيق شعيب الأرنؤوط، دار طوق نجا بيروت.
٨. الدردير أحمد بن محمد، د.ت، أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك، مكتبة رحاب، الجزائر.
٩. ذبيح، محمد دمان، ٢٠٠٨م، الآليات الشرعية لمعالجة البطالة، رسالة ماجستير في الاقتصاد الإسلامي، منشورة جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، الجزائر.
١٠. الرازي، محمد بن ابي بكر، ١٤١٥هـ. ١٩٩٥م، مختار الصحاح تحقيق، محمد خاطر، دار الرسالة - بيروت.
١١. رحيمي، عيسى - قرقاد، عادل - العايب نصر، الدين، ٢٠١٨م، "ظاهرة البطالة: مفهومها، أسبابها وآثارها" مجلة ارتقاء للبحوث والدراسات الاقتصادية - العدد الأول. الجزائر.
١٢. الرماني، زيد بن محمد، ٢٠٠١م، (البطالة - العمالة - العمارة) من منظور إسلامي، دار طوبق، الرياض.
١٣. الزحيلي وهبة، ١٩٨٧م، الوصايا والوقف في الفقه الإسلامي، دار الفكر، دمشق سوريا.
١٤. زكي الدين، شعبان احمد، الغندور، ١٩٨٤م، أحكام الوصية والميراث والوقف في الشريعة الإسلامية، مكتبة الفلاح، مصر.
١٥. زكي، رمزي، ١٩٩٨م، الاقتصاد السياسي للبطالة، تحليل لأخطر مشكلات الرأسمالية المعاصرة، العدد ٢٢٦، عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت.
١٦. السراحنة، جمال، ٢٠٠٠م، مشكلة البطالة وعلاجها، دراسة مقارنة بين الفقه والقانون، اليمامة للطباعة والنشر، بيروت.
١٧. السيوطي، جلال الدين، د.ت، الجامع الصغير، في أحاديث البشير والنذير، دار الفكر، بيروت.
١٨. الطريقي، عبد الله عبد المحسن، ٢٠٠٠م، الاقتصاد الإسلامي أسس ومبادئ واهداف ط٦، الرياض.

١٩. العسال، أحمد وفتحي عبد الكريم، ٢٠١٠م، خصائص النظام الاقتصادي في الإسلام، مكتبة وهبه، القاهرة.
٢٠. غريال، محمد شفيق، وآخرون، ١٩٦٥م، الموسوعة العربية الميسرة (مادة: استثمار)، دار الشعب، القاهرة.
٢١. غيدنز، أنطوني، ٢٠٠٥م، علم الاجتماع، ترجمة: فايز الصباغ، مركز دراسات الوحدة العربية.
٢٢. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، ٢٠٠٨م، المصباح المنير مطبعة مصطفى الحلبي، مصر.
٢٣. قاسمي، السعيد و لعويجي، عبد الله، ٢٠١١م، "دور الزكاة في الحد من مشكلة البطالة- دراسة حالة صندوق الزكاة لولاية المسيلة-الفترة ٢٠٠٤-٢٠١٠"، الملتقى الدولي حول استراتيجية الحكومة في القضاء على البطالة وتحقيق التنمية الشاملة"، جامعة المسيلة، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير مخبر الاستراتيجيات والسياسات الاقتصادية، الجزائر.
٢٤. لدالية سارة، فارس مسدور ١٩٩٩م، "أهمية الاستثمار الوقفي ودوره في التخفيف من مشكلة البطالة"، مجلة الاقتصاد الجديد، مجلة علمية دولية متخصصة محكمة دورية، تصدر عن جامعة خميس مليانة، العدد ١٩، الجزائر.
٢٥. مجدوبة، سميرة أحمد مصطفى، البركي، مصطفى فرج علي عبد الله، ٢٠٢١م "أزمة البطالة وسبل علاجها من منظور إسلامي"، المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، مجلة إدارة المخاطر والأزمات، المجلد الثالث، العدد الثاني، الكويت.
٢٦. محمود عبد الراضي إبراهيم، ٢٠٠٥م، حلول إسلامية فعالة لمشكلة البطالة، المكتب الجامعي الحديث مصر.
٢٧. مغازي، محمد عبد الله، ٢٠٠٥م، البطالة ودور الوقف والزكاة في مواجهتها، دار الجامعة، الإسكندرية، مصر.

المواقع الإلكترونية

- الأحمد، ميس، مفهوم البطالة الاحتكاكية، ٢٠٢٣ م > <https://sharjah24.ae/articles>
- تعريف ومعنى البطالة في معجم المعاني الجامع، > dict > ar-ar > <https://www.almaany.com>
- بكبر، ميس، ما الفرق بين البطالة الدورية والبطالة الموسمية؟ ٢٠٢٣ م > <https://sharjah24.ae/articles>
- ذبيح، محمد دمان ذبيح، الإسهامات الوقفية المعاصرة في القضاء على ظاهرة البطالة-كلية الشريعة والاقتصاد-جامعة الأمير عبد القادر-قسنطينة، نادي الاقتصاد الإسلامي الدولي > <https://shariaa.org>

سالم، نور الشيخ، البطالة، ٢٠٢١ > articles > <https://sharjah24.ae>

عمر، محمد عبد الحليم، ٢٠١٧م، العلاج الإسلامي لمشكلة البطالة، صحيفة الخليج
> <https://www.alkhaleej.ae>

القرداغي، علي محي الدين، ٢٠٠٩م، التعريف بالاستثمار في اللغة والاصطلاح،
> <https://alqaradaghi.com>

نصير، ضحى نصير، علاقة البطالة بالتضخم، ٢٠٢٣ > articles > <https://sharjah24.ae>

الهواملة، روان، تعريف البطالة وآثارها على المجتمع - الشارقة، 2024 م،
> <https://sharjah24.ae> > articles >

منهج الإمام البخاري في تصحيح حديث الإفك من رواية مسروق عن أم رومان، دراسة تتبعية تحليلية

د. نوف بنت مسفر الودعاني^(٩)

المستخلص:

يتناول البحث الموسوم بـ "منهج الإمام البخاري في تصحيح حديث الإفك من رواية مسروق عن أم رومان" دراسة تتبعية تحليلية لهذا الحديث، لاستخراج القواعد التي اعتمد عليها البخاري في إثبات سماع مسروق من أم رومان، التي حُفِيَتْ على بعض العلماء النقاد الذين اعترضوا عليه في إيراد هذا الحديث في صحيحه، كعلي بن السكن والخطيب البغدادي، واقتضت طبيعة البحث أن أجعله في مقدمة وقسمين وخاتمة، القسم الأول: التعريف بالبخاري وكتابه الجامع وشرطه في تأليف الجامع، ويحتوي على مبحثين، والقسم الثاني: الأسس التي قام عليها منهج الإمام البخاري رحمه الله في إيراد حديث الإفك من رواية مسروق عن أم رومان. ويحتوي على خمسة مباحث، واتبعت في الدراسة على المنهج الاستقرائي، ثم التحليلي المقارن، وبعد هذه الدراسة خلصت إلى عدة نتائج، منها أنها: أن البخاري أول من حكم بصحة رواية مسروق عن أم رومان، وأن الوسائل التي اعتمد عليها البخاري في ترجيح صحة السماع وإثبات اللقاء في هذا الحديث هما: الترجيح بالقرائن وأسلوب الانتقاء، وأن قضية الاختلاط ليست قاعدة مطردة في تضعيف الراوي.

الكلمات الافتتاحية: البخاري، الجامع، الإفك، القرائن، الانتقاء، الاختلاط.

المُقَدِّمَة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد.

الدين الإسلامي آخر الرسائل وخاتمها، فكان من لوازم هذه الرسالة الخاتمة وصولها نصاً سليماً وبياناً صحيحاً، لذا خصه الله سبحانه وتعالى دون غيره من الأديان بحفظ مصادر تشريعه (الكتاب والسنة)، مصداقاً لقوله تعالى: **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** { [الحجر: ٩] } والذكر في الآية: القرآن الكريم، باتفاق المفسرين^(١)، فقد تعهد الله جل علاه بحفظه من أن يُزَاد فيه أو يُنْقَص منه، أو يَضَيع منه شيء، فقيض الله له من يدفع عنه الشبه ويجلي الحقيقة، وينقله بسند متصل على هذا النحو من السلامة والدقة^(٢)

(٩) الأستاذ المساعد بقسم أصول الدين بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الملك فيصل بالأحساء

(١) ينظر: الواحدي، «التفسير البسيط» (١٢/ ٥٤٧) ابن الجوزي. «زاد المسير» (٢/ ٥٢٥).

(٢) - ينظر: الدينوري، «تأويل مختلف الحديث» (ص: ٩).

وبحفظ القرآن الكريم حفظ لنا سنة نبيه ﷺ التي جاءت شارحة وموضحة لما في القرآن الكريم من إجمال وأحكام، فبينت مجمله وقيدت عامه وخصصت مطلقه. فلم يختلف جمهور علماء الأمة على وجوب الأخذ بالسنة والاستدلال بها عملاً بقوله تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [سورة الحشر: ٧]. ولا يعتد برأي بعضهم ممن جنت به الأهواء وأضلته الفتن (١)

فشمر العلماء عن سواعدهم، واشحدوا همهم، وضاعفوا جهدهم في تدوين السنة والحفاظ عليها - بعد حفظ الله لها- من أن تندرس، أو تبدل، أو تحرف. فنشأ علم الحديث بقسميه (الرواية والدراية)، الذي كان بداياته سؤال الصحابة رضي الله عنهم، ثم تطور إلى التدوين والتصنيف في مختلف معارفه وعلومه. فوضعوا لذلك منهجاً علمياً متميزاً، وفريداً، كان هو المعيار الذي توزن به الأخبار، وكان هذا المنهج نتاجاً لجهود عظيمة بذلها أئمة الحديث وحفاظه من لدن الصحابة إلى أن استقر قواعده، ورست أركانه، واتضحت معالمه، وأينعت ثماره في القرن الثالث الهجري. (٢)

وممن خاض غماره، وغاص بحاره، واستخرج دانه، الأمام الكبير، أمير المحدثين، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل البخاري -رحمه الله تعالى- حيث شهد له علماء عصره بتفرد في علم الحديث وعلمه، حتى أصبحت أقواله وأحكامه وآرائه المتفرقة في ثنانيا كتبه والمستنبطة منها، قواعد سار عليها العلماء في حكمهم على الحديث بالصحة أو الضعف، فكان من نتاج علمه -إرضاً لله جل علاه، ثم خدمة لدينه الحنيف- أن ألف أول كتاب في الحديث الصحيح، الذي تلقاه الناس بالقبول، وعدّه العلماء قديماً وحديثاً أنه اصح كتاب بعد القرآن الكريم. وما أعظمها من حجة حين قال البخاري: صنفت كتابي الصحيح في ست عشرة سنة خرجته من ستمائة ألف حديث وجعلته حجة بيني وبين الله عز وجل. (٣)

ولم يسلم صحيح البخاري من الانتقاد- شأنه شأن أي كتاب بشري- فانتقد قديماً وحديثاً، وقد تصدى لهذا الانتقاد قديماً ابن حجر العسقلاني شارح الصحيح، فرد على كل الأحاديث التي انتقدت على صحيح البخاري في مقدمته لفتح الباري، المسماة بهدي الساري. (٤)

وفي الوقت الحالي قامت دراسات وبحوث علمية ومؤتمرات عالمية خاصة بالبخاري ومؤلفاته لإظهار مكانته العلمية والرد على الشبهات المثارة حوله، وبيان وجه الحقيقة في ذلك.

(١) ينظر: ابن قتيبة، «تأويل مختلف الحديث» (ص: ٩).

(٢) - ينظر: أبو بكر الكافي، «منهج الامام البخاري في تصحيح الأحاديث وتعليقها» (ص: ١٠).

(٣) ينظر: ابن الجوزي، «تلقيح فهوم أهل الأثر» (ص: ٢٦٢).

(٤) نقد الأحاديث: فن جليل يحتاج إلى عمق النظر، وتقصي الأسانيد والروايات وذلك لا يتم إلا بالمجالسة والمدارسة، ولقاء أساتذة هذا الفن وأساطينه. قال الخطيب البغدادي: ولو كان حكم المتصل والمرسل واحداً، لما ارتحل كتبة الحديث، وتكلفوا مشاق الأسفار إلى ما بعد من الأقطار للقاء العلماء والسماع منهم في سائر الآفاق. ينظر كتابه: «الكفاية في علم الرواية» (ص: ٤٠٢).

ومن هذه الأحاديث التي انتقدت على البخاري قديماً، وما زالت مثار تساؤل في الوقت الحالي: إخراج حديث الإفك من رواية مسروق عن أم رومان في صحيحه، وحجتهم وقوع وهمين في هذا الحديث لم ينتبه له البخاري، أحدهما: أن هذه الرواية مرسلة، فخالف شرطه في اتصال السند، وثانيهما: الاختلاف الواقع في تحديد المرأة التي أخبرت السيدة عائشة رضي الله عنها بحادثة الإفك. فاخترت أن يكون موضوع بحثي هو دراسة هذا الحديث من هذا الطريق، وتحقيق المسألة في اتصاله وانقطاعه، وتحديد المرأة، من خلال تخريج الحديث وجمع طرقه، والموازنة بينها سنداً ومتناً، مع ذكر أقوال العلماء فيها وحكمهم عليها، لإبراز أحد الأسس التي قام عليها منهج الإمام البخاري رحمه الله في إثبات اتصال السند، لتصحيح الحديث.

وعنونت له بـ منهج الإمام البخاري في تصحيح حديث الإفك من رواية مسروق عن أم رومان، دراسة تتبعية تحليلية.

أهمية البحث، وأسباب اختياره:

١. مكانة الإمام البخاري، وقيمة كتابه العلمية.
٢. خدمة السنة النبوية من خلال الاسهام في الدفاع عن الشبه المثارة حول مصادرها، والنقد الموجه لها، ومن أهمها صحيح البخاري.
٣. قلة الدراسات الأكاديمية حول هذا الموضوع بخصوصه، فقد قامت عليه دراسة علمية سابقة، خصصت له مبحثاً، لكن يعتريه بعض النقص والقصور.

أهداف البحث:

١. التعريف بالبخاري، وكتابه الصحيح.
٢. استنباط منهج الإمام البخاري وأراءه التي لم يصحح بها في كتبه.
٣. الوقوف على أحد الأسس التي يقوم عليها منهج الإمام البخاري رحمه الله في تصحيح الحديث، من خلال إثبات اتصال السند.
٤. إبراز موقف الإمام البخاري رحمه الله في الأوهام الواقعة في متن الحديث.
٥. توجيه أو فهم كلام الأئمة المؤيدين والمعارضين لصنيع البخاري.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة هذه الدراسة في محاولة للكشف عن منهج الإمام البخاري في موضوع (النقد الحديثي) من خلال إيراده لحديث الإفك من رواية مسروق عن أم رومان في صحيحه، لاستخراج ما يكمن فيه من قواعد، ومقارنة هذه النتائج مع مواقف الأئمة النقاد الحفاظ، لمعرفة مدى توافق هذا المنهج أو اختلافه من إمام إلى آخر.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتقصي في قواعد البيانات في شبكة الانترنت، والمكتبات الرقمية، وسؤال أهل الاختصاص، لم أقف على من تناول هذا الجزء بدراسة علمية شاملة لحديث الإفك من طريق

مسروق عن أم رومان، غير ما ذكر في ثنانيا كتب التراجم وشروح صحيح البخاري وبعض التعليقات في كتب أخرى، مؤيده أو معارضه لصنيع البخاري.

ولكن وقفتُ على دراسة علمية وعنوانها: "مرويات غزوة بني المصطلق وهي غزوة المريسيع"، للمؤلف: إبراهيم بن إبراهيم قريبي.

وقد خصص لحديث الإفك من رواية الزهري مبحثاً خاصاً له، وكذلك مبحثاً خاصاً للتحقيق في صحة رواية مسروق عن أم رومان. وحققها تحقيقاً جيداً، معتمداً على تحرير ردّ ابن القيم في زاد "المعاد"، وابن حجر في "فتح الباري"، لكن اعترافها القصور في بعض الجوانب، فلم يتطرق لجمع جميع الطرق، والصيغ التي رُوِي بها هذا الحديث، والمقارنة بين الفاظ الروايات، والتوسع في جمع أقوال العلماء وتفنيدها والرد عليها، كما لم يتطرق للوهم الواقع في تحديد المرأة التي أخبرت السيدة عائشة بحديث الإفك، وغيرها من المفارقات.

منهج الدراسة المتبع في البحث:

اتبعت في الدراسة على المنهج الاستقرائي، ثم التحليلي المقارن.

بيان منهج الدراسة:

١. عزو الآيات القرآنية الواردة في الدراسة إلى مواضعها من الكتاب العزيز، بذكر اسم السورة ورقم الآية.
٢. تخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية، بذكر رقم الجزء والصفحة ورقم الحديث إن وجد، إلا ما كان في الصحيحين بزيادة ذكر اسم الكتاب والباب.
٣. جمع أقوال النقاد المتفرقة في ثنانيا كتب علوم الحديث، والشروح والعلل والتراجم، التي تكلمت عن سماع مسروق من أم رومان، والموازنة بينها، للتوصل إلى القول الراجح.
٤. الاستفادة من كتابات بعض المعاصرين وتحقيقاتهم وتعليقاتهم، على هذا الحديث، والاستشهاد ببعضها في مواضعها من البحث.
٥. عزو كل قول إلى قائله، وتوثيقه، بذكر مصادره.
٦. ترجمة للدواة والاعلام المذكورين في روايات هذه الدراسة، عدا زوجات النبي ﷺ، وأصحاب الكتب الستة.
٧. شرح غريب اللغة والحديث.
٨. التعريف بالأماكن.

التعريف بالإمام البخاري وكتابه الجامع الصحيح:

هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَزْدَجَة، يُكنى أبا عبد الله وَبَزْدَجَة مَجُوسِي، مات عليها، والمغيرة أَسْلَمَ على يدي يمان البُخَّاري والي بخاري، وُلِدَ البُخَّاري سنة أربع وتسعين ومئة، وتوفي سنة ست وخمسين ومئتين، عاش اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوماً، رَحَلَ في طلب الحديث إلى سائر مُحَدِّثِي الأمصار، من أهل السنة والجماعة، قال البخاري في عدد شيوخه: كتبتُ عن ألف نفرٍ

من العلماء وزيادة، ولم أكتب إلا عما قال: الإيمان قول وعمل. من أكابر علماء الحديث وخاصة علم الرجال، ومن القلائل الذين خاضوا مضمار علل الحديث، وبرعوا فيه، حتى قال فيه مسلم مقولته الشهيرة: (طبيب الحديث في علله) (١)، كما ذكر أحمد بن حمدون الأعمشي أنه رأى محمد بن يحيى يسأل البخاري عن الأسامي والكنى، وعلل الحديث، ويمر فيه البخاري مثل السهم، كأنه يقرأ قل هو الله أحد. قال أبو عيسى الترمذي: (لم أر أعلم بالعلل والأسانيد من محمد بن إسماعيل البخاري). (٢) قال عنه الإمام أحمد: (ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل البخاري). (٣) ألف كتابه الصحيح، وهو أعظم مصنفاته في ستة عشر سنة بين الحرمين الشريفين، ونُقل عنه أنه قال: ما وضعت في كتاب الصحيح حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين. وروي عن عبد القدوس بن همام أنه قال: (سمعت عدة من المشايخ يقولون: حول البخاري تراجم جامعته بين قبر النبي ﷺ ومنبره، وكان يصلى لكل ترجمة ركعتين). (٤) وهذا من حسن تصنيفه وغاية توقيره وتعظيمه لحديث النبي ﷺ.

قال أبو أحمد الحاكم: (كان أحد الأئمة في معرفة الحديث وجمعه، ولو قلت: إني لم أر تصنيفاً يفوق تصنيفه في المبالغة والحسن، أو لم أسمع بأدَميٍّ يتروّل (٥) في باب الحديث بمثله، رجوت أن أكون صادقاً في قولي) (٦)

والكلام في البخاري وثناء العلماء عليه وعلى كتابه يطول سرده، فقد صنّف الأئمة والحفاظ في سيرته ومناقبه مصنفات متنوعة، منهم ابن حجر في آخر كتاب "هدي الساري مقدمة فتح الباري" ونقل شيئاً من ثناء مشائخه وأقرانه عليه، ثم قال بعد ذكر قول أبو أحمد الحاكم في "الكنى": (ولو فتحت باب ثناء الأئمة عليه ممن تأخر عن عصره، لفنى القرطاس، ونفدت الأنفاس، فذاك بحر لا ساحل له) (٧)

شرط البخاري في صحيحه

شروط الحديث الصحيح

اتفق العلماء على أن شروط الحديث الصحيح خمسة وهي:

١. عدالة الرواة.

(١) ينظر: ابن عساكر، «تاريخ دمشق» (٦٨/٥٢).

(٢) ينظر: ابن حجر، «هدي الساري، مقدمة فتح الباري» (٤٨٥/١).

(٣) ينظر: الخطيب البغدادي، «تاريخ بغداد» (٣٤٢/٢).

(٤) ينظر: المزي، «تهذيب الكمال» ترجمة البخاري (٤٣١/٢٤) النووي، «تهذيب الأسماء واللغات» (٧٤/١).

(٥) يقال: ترول: سال لعبه، قال الفارابي: والروال على فعال بالضم: اللعب. يقال: فلان يسيل زواله. ينظر: «الصحيح تاج اللغة وصحاح العربية» (١٧١٤/٤).

(٦) ينظر: أبو أحمد الحاكم، «الأسامي والكنى» (١٦٦/٥).

(٧) ينظر: ابن حجر، «هدي الساري، مقدمة فتح الباري» (٤٨٥/١).

٢. ضبط الرواة.

٣. اتصال السند.

٤. سلامته من الشذوذ.

٥. سلامته من العلة القادحة في السند أو المتن.

هذه الشروط ذكرها جمع من العلماء منهم ابن الصلاح في مقدمته فقال: (الحديث الصحيح: هو الحديث المسند الذي يتصل إسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه، ولا يكون شاذاً، ولا معللاً، وفي هذه الأوصاف احتراز عن المرسل، والمنقطع، والمعضل، والشاذ، وما فيه علة قادحة، وما في راويه نوع جرح).^(١)

فمن شروط الحديث الصحيح: اتصال السند، بإحدى طرق التحمل الصحيحة. وهو ضد الانقطاع. قال الطيبي في تعليقه على تعريف ابن الصلاح: (فقله ما أتصل سنده احتراز عن المنقطع، وهو الذي لم يتصل إسناده على أي وجه كان). (٢) والسند لغة: السند بفتحين أصلها (س ن د) وجاء بعده معان، منها معتمد الإنسان، والمرتفع من الأرض، وما استندت إليه من حائط أو غيره أيضاً. (٣)

وفي الاصطلاح: هو الطريق الموصلة إلى المتن. (٤)

والمتن لغة: ما ارتفع من الأرض واستوى. (٥)

والمتن في الاصطلاح: هو غاية ما ينتهي إليه الإسناد من الكلام. (٦)

فالمراد باتصال السند: ألا يكون هناك انقطاع في سلسلة الإسناد بسقوط راو أو أكثر عمداً من بعض الرواة أو من غير عمد، من أول السند أو من آخره أو من أثنائه سقوطاً ظاهراً أو خفياً. (٧)

وقد حفظ الله سبحانه وتعالى أسانيد أمة محمد ﷺ، وجعلها خصيصة من خصائص أمته، تنفيذاً لوعده الكريم في قوله: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [سورة الحجر، آية: ٩].

فبالإسناد وصلتنا السنة النبوية مدونة صحيحة سليمة من الكذب والتزييف.

يقول عبد الله بن المبارك: (الإسناد عندي من الدين، لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء، ولكن إذا قيل له: من حدثك بقي). (٨)

(١) - ينظر: ابن الصلاح، «مقدمة ابن الصلاح» (ص: ١١).

(٢) - ينظر: الطيبي، «الخلاصة في معرفة الحديث» (ص: ٣٥).

(٣) - ينظر: ابن منظور «لسان العرب»، (٣/ ٢٢٠) الحموي «المصباح المنير» (١/ ٢٩١) الفيروز أبادي «القاموس المحيط» (ص: ٢٩٠).

(٤) - ينظر: ابن حجر، «نزهة النظر» (ص: ١٨٠).

(٥) - ينظر: ابن منظور، «لسان العرب» (١٣/ ٣٩٨).

(٦) - ينظر: ابن حجر، «نزهة النظر» (ص: ١٨٠).

(٧) - ينظر: أبو بكر الكافي، «منهج الإمام البخاري في تصحيح الأحاديث وتعليقها» (ص: ١٦٠).

(٨) - ينظر: الخطيب، «الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي» (ص: ٣٩٣).

وقال يزيد بن زريع: (لكل دين فُرسان، وفرسان هذا الدين أصحاب الإسناد). (١)
ولعلماء الحديث قواعد وضعوها لإثبات اتصال السند، لينتقوا بها مرويات الرواة، ويميزوا بها الصحيح من غيره، كطرق التحمل والمعاصرة وثبوت اللقاء وغيرها.
ومن هذه القواعد ما ذكره العراقي في معرفة اتصال السند وانقطاعه، حيث قال: (والقاعدة أن الراوي إذا روى حديثاً في قصة أو واقعة، فإن كان أدرك ما رواه بأن حكى قصة وقعت بين النبي ﷺ وبين بعض الصحابة، والراوي لذلك صحابي أدرك تلك الواقعة، فهي محكوم لها بالاتصال، وإن لم يعلم أنه شاهدها، وإن لم يدرك تلك الواقعة، فهو مرسل صحابي، وإن كان الراوي تابعياً فهو منقطع، وإن روى التابعي، عن الصحابي قصة أدرك وقوعها، فمتصل، وكذا إن لم يدرك وقوعها، ولكن أسندها له وإلا فمقطعة). (٢)

فانقطاع السند من العلل التي تقدر في صحة الحديث.
وعلم علل الحديث من أجل علوم الحديث، وأكثر فنونه دقة وخفاءً، ولم يخض غماره إلا القلة من الجهابذة النقاد كالبخاري وأبو حاتم وأبو زرعة وغيرهم. يقول ابن حجر: (وهذا الفن أغمض أنواع الحديث وأدقها مسلماً، ولا يقوم به إلا من منحه الله تعالى فهماً غايصاً، وإطلاعاً حاوياً وإدراكاً لمراتب الرواة ومعرفة ثاقبة، ولهذا لم يتكلم فيه إلا أفراد أئمة هذا الشأن وحذاقهم). (٣)
شرط البخاري في إثبات اتصال السند:

اشترط البخاري ألا يروي في صحيحه إلا الأحاديث الصحيحة فقد ثبت عنه أنه قال: (ما أدخلت في كتابي "الجامع" إلا ما صح، وتركت من الصحاح لحال الطول). (٤)
وتتبع العلماء صنيع البخاري في حكمه على الأحاديث بالصحة، فظهر لهم أنه اشترط توفر شروط الحديث الصحيح المعتبرة عند العلماء ومن بينها اتصال السند، وذلك باعتبار أحد أمرين: إما التصريح بالسماع أو بثبوت اللقاء ولو مرة واحدة، وهذا شرطه في أصل الصحة وفي صحيحه على الصحيح، وقد قرر ذلك عدد من العلماء منهم السخاوي وابن حجر. يقول السخاوي: (وممن صرح باشتراط ثبوت اللقاء علي بن المديني والبخاري وجعلاه شرطاً في أصل الصحة). (٥)
وقال ابن حجر: (ادعى بعضهم أن البخاري إنما التزم ذلك في جامع لا في أصل الصحة، وأخطأ في هذه الدعوى، بل هذا شرط في أصل الصحة عند البخاري فقد أكثر من تعليل الأحاديث في تاريخه بمجرد ذلك). (٦)

(١) - ينظر: ابن الأثير، «جامع الأصول» (١/١٠٩).

(٢) - ينظر: النووي، «تدريب الراوي» (١/٢٤٩).

(٣) - ينظر: ابن حجر، «النكت على كتاب ابن الصلاح» (٢/٧١١).

(٤) - ابن الصلاح، «مقدمة ابن الصلاح» (ص: ١٩).

(٥) - ينظر: السخاوي، «فتح المغيبي» (١/٢٠٥).

(٦) - ينظر: ابن حجر، «النكت على كتاب ابن الصلاح» (٢/٥٩٥).

وكان البخاري رحمه الله يُعمل القرائن في تقوية إمكانية السماع وثبوت اللقاء بين رواة لبعض الأسانيد لم يثبت لهم لقاء أو سماع من بعضهم البعض، كما ذكر الدكتور خالد الدريس في أطروحته العلمية أن البخاري لم يهمل القرائن الدالة على قوة احتمال اللقاء فقد قوى أحاديث لم يثبت في سندها اللقاء لوجود قرائن تدل على أن اللقاء قوي الاحتمال. (١)

فلا يلتفت البخاري إلى رأي المخالفين من النقاد إذا ترجح لديه بالقرائن احتمالية ثبوت اللقاء، فقد أثبت البخاري السماع لبعض الرواة، أنكره غيره من العلماء النقاد كشعبة وابن معين. ومن جملة هذه الأحاديث التي طعنوا فيها على البخاري؛ حديث الإفك من رواية مسروق عن أم رومان، المروي في صحيحه، أعله جماعة من الحفاظ النقاد بالانقطاع، وعارضوه لأنه خالف شرطه في الصحيح، والقول فيه قول البخاري رحمه الله.

التعريف بحديث الإفك.

الإفك لغة:

الإفك: الكذب، يقال: أَفَكَ الشيء. وَأَفَكَ الرجل: إذا كَذَبَ، وهو مأخوذ من مادّة: (أفك) الهمزة والفاء والكاف أصل واحد، يدل على قلب الشيء وصرفه عن جهته، ومنه قوله تعالى: {أَجِئْنَا لِتُفَكِّكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا} [الأحقاف: ٢٢]. (٢)

الإفك اصطلاحاً:

لا يتعدى معناه في اللغة: فهو بمعنى الكذب والبهتان والافتراء والقلب، وصرف الشيء عن وجهه. قال النيسابوري: (الإفك أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء، وقيل هو: البهتان). (٣) وقال الراغب الأصفهاني: (الإفك: كل مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه). (٤) قال المظهري: (أن عائشة كانت تستحق الثناء والدعاء، لما كانت عليه من الحصانة والشرف، ولما كانت بنتاً للصدیق، زوجاً للرسول ﷺ، أمّا للمؤمنين، واجبة الإكرام والاحترام، فمن رماها بسوء، قلب الأمر عن وجهه غاية القلب). (٥).

حادثة الإفك:

وهي أصعب حادثة في حياة رسول الله ﷺ، عندما رُميت زوجته السيدة عائشة رضي الله عنها بصفوان بن المعطل السلمي، في غزوة المريسيع في شهر شعبان سنة ست من الهجرة، عندما خرج سهمها رضي الله عنها - كان من عادة النبي ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه ثلاثاً فمن أصابتها القرعة خرج بها -،

(١) - ينظر: خالد الدريس، كتاب موقف الإمامين البخاري ومسلم من اشتراط اللقيا والسماع في السند المعنعن بين المتعاصرين (ص: ٤٨٠).

(٢) - ينظر: أبو الحسين الرازي، «مقاييس اللغة» (١/ ١١٨) الرازي، «مختار الصحاح» (ص: ١٩).

(٣) - ينظر: النسابوري، «تفسيره غرائب القرآن» (٥/ ١٦٧).

(٤) - ينظر: الراغب الأصفهاني، «المفردات في غريب القرآن» (ص: ٧٩).

(٥) - ينظر: المظهري، «تفسيره» (٦/ ٤٧٣).

فذهبت مع النبي ﷺ نحو بني المصطلق، بعد أن بلغه أن الحارث بن أبي ضرار يحشد له يريد غزو المدينة، وكانت معركة قصيرة هرب فيها المشركون وانتصر المسلمون، وفي هذه الغزوة حدثت حادثة الإفك. (١)

فقال أهل الإفك ما قالوا في السيدة عائشة رضي الله عنها، وما زُمت به من الكذب عليها مع صفوان بن المعطل السلمي. فحدثت السيدة عائشة رضي الله عنها بهذه الحادثة، عُرف حديثها بعد ذلك بحديث الإفك. (٢) فأنزل الله تعالى في شأنها خمسة عشر آية في سورة النور، تشريفا لعائشة رضوان الله عليهما، وتبرئتها بالوحي، وتهويل الوعيد لمن تكلم فيها، والثناء على من ظن بها خيرا، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١١ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ} [النور: ١١-١٢].

نص حديث الإفك من رواية أم رومان

طرق حديث الإفك متعددة عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها وعن ابن الزبير وأم رومان وابن عباس وأبي هريرة وأبي اليسر، ورواه من التابعين عشرة كما في "فتح الباري" وذلك في المسانيد والصحاح والسنن وغيرها، ما بين مطول وموجز. (٣)

ورواية أم رومان موجزة مقتصرة على موقف السيدة عائشة رضي الله عنها عندما سمعت الخبر من المرأة الأنصارية حين دخلت عليها وهي عند أمها أم رومان، وما جاء في عُذرها، وفي بعض الطرق ذُكر موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه من مسطح بن أثاثه وما نزل في شأنه من آيات في ذلك.

النص الأكمل للحديث في مسند أحمد، من طريق حصين، عن أبي وائل، عن مسروق عن أم رومان قالت: بينا أنا عند عائشة إذ دخلت علينا امرأة من الأنصار، فقالت فعل الله بابتها، وفعل قالت عائشة ولم قالت: إنه كان فيمن حدث الحديث، قالت السيدة عائشة وأي حديث قالت كذا، وكذا قالت: وقد بلغ ذاك رسول الله ﷺ، قالت: نعم وبلغ أبا بكر قالت: نعم، قالت فخرت عائشة مغشياً عليها فما أفأقت، إلا وعليها حى بنافض (٤)، قالت فقامت فدفرتها قالت: ودخل رسول الله ﷺ، فقال: ما شأن هذه؟ قالت: قلت يا رسول الله أخذتها حى بنافض قال: "فلعله في حديث تحدث به، قالت فاستوت له عائشة قاعدة، فقالت والله لئن حلفت لكم لا تصدقوني، ولئن اعتذرت إليكم لا تعذروني، فمثلي ومثلكم كمثلي يعقوب وبنه {والله المستعان على ما تصفون} [يوسف: ١٨] قالت وخرج رسول الله ﷺ قال: وأنزل الله عليه عذرها فرجع رسول الله ﷺ، معه أبو بكر فدخل فقال: يا

(١) - ينظر: سعيد حوى، «الأساس في السنة وفقهها - السيرة النبوية» (٢/ ٧٢٢).

(٢) - ينظر: ابن منظور، «لسان العرب» (١٠ / ٣٩٠).

(٣) - ينظر: القاسمي، «تفسير القاسمي محاسن التأويل» (٧ / ٣٤٦).

(٤) - حُي بنافض: أي برعدة شديدة، كأنها نفضتها: أي حركتها. ينظر: ابن الأثير، «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٥ / ٩٧).

(٩٧) ابن منظور، «لسان العرب» (٧ / ٢٤٠).

عائشة إن الله عز وجل قد أنزل عذرك، قالت: بحمد الله لا بحمدك، قالت قال لها أبو بكر، تقولين هذا لرسول الله ﷺ، قالت: نعم، قالت: فكان فيمن حدث الحديث رجل (١) كان يعوله أبو بكر، فحلف أبو بكر أن لا يصله فأنزل الله عز وجل: {ولا يَأْتِلْ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ} [سورة النور، آية: ٢٢] إلى آخر الآية قال أبو بكر: بلى، فوصله.

ترجمه لرجال الإسناد:

ترجمة أم رومان الكنانية:

يقال بفتح الراء وضمها، وهي زوج أبي بكر الصديق وأم السيدة عائشة وعبد الرحمن، كانت قبل ذلك امرأة الحارث بن سخرية بن جرثومة الأزدي، وقيل عبد الله بن الحارث، اختلفوا في اسمه، فولدت له الطفيل، وقدم من السراة ومعه امرأته وولده، فحالف أبا بكر ومات بمكة فتزوجها أبو بكر، وولدت له السيدة عائشة وعبد الرحمن، فالطفيل أخو السيدة عائشة وعبد الرحمن لأمه، اختلفوا في اسمها واسم أبيها وفي زمن وفاتها، قيل اسمها زينب، وقيل: دعد، ذكرها الذهبي في التجريد في موضعين، مرة باسم زينب وقال: نسبها مصعب بن عمير ومرة باسم أم رومان وقال في كلا الموضعين بنت عامر بن عويمر الكنانية وذكر أبو نعيم أنها بنت سُبَيْع بن دُهمان، وذكر ابن حجر أن اسمها زينب بنت عبد بن دهمان، أحد بني فراس بن غنم، وأجمعوا أنها من بني غنم بن مالك بن كنانة، أسلمت قديماً وبابعت وهاجرت، وكانت أم رومان امرأة صالحة كما وصفها ابن سعد وابن الجوزي، ويشهد لذلك ما ذكره البلاذري في قصة إسلامها حين دعاها أبي بكر إلى شهادة الحق، ورفض الأوثان، فأسلمت، وقالت: لقد كنت أعلم أن محمداً خليف بكل خير، وقال عنها الحاكم: أسلمت، أم رومان وحسن إسلامها. (٢)

اختلفوا في سنة وفاتها، وسيأتي تفصيله بإذن الله عند الحكم على الحديث.

ترجمة مسروق بن الأجدع:

مسروق بن عبد الرحمن الهمداني، من أهل الكوفة، كنيته أبو عائشة، وهو الذي يقال له مسروق بن الأجدع، سُرِقَ وهو صغير، ثم وجد قَسِي مسروقاً، (تابعي، مشهور، مخضرم) من افاضل التابعين

(١) - هو مسطح بن أثانة كما في رواية الزهري عند البخاري وهو مسطح بن أثانة بن عباد القرشي المطلبي. يكنى أبا عباد. وقيل: أبا عبد الله، كان اسمه عوفاً، وأما مسطح فهو لقبه، وأمه بنت خالة أبي بكر، ولقربته كان أبو بكر ينفق عليه، شهد بدرًا، ثم خاض في الإفك على السيدة عائشة رضي الله عنها، فجلده رسول الله ﷺ فيمن جلد في ذلك، وأقسم أبو بكر ألا ينفق عليه، فتزلت: {ولا يَأْتِلْ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ} [سورة النور، آية: ٢٢] توفي سنة أربع وثلاثين، وقيل غير ذلك. ينظر: ابن عبد البر، «الاستيعاب» (١٤٧٢/٤) ابن الأثير، «أسد الغابة» (١٥٠/٥) ابن حجر، «الإصابة في تمييز الصحابة» (٧٤/٦).

(٢) - ينظر: البلاذري «أنساب الأشراف» (١٠٠/١٠) ابن سعد، «الطبقات الكبير» (٢٦٢/١٠) ابن الجوزي «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٢٩١/٣) الحاكم «المستدرک على الصحيحين» (٥٣٨/٣) ح (٦٠٠٠) أبو نعيم. «معرفة الصحابة» (٣٤٩٨/٦) ابن عبد البر، «الاستيعاب» (١٩٣٥/٤) الذهبي، «تجريد أسماء الصحابة» (٨٧٦/٢) ابن الأثير، «أسد الغابة» (٣٢٠/٧) ابن حجر، «الإصابة في تمييز الصحابة» (٣٩١/٨).

وخيارهم، وعداده في كبار التابعين، وفي المخضرمين الذين أسلموا في حياة النبي ﷺ وحديثه مشهور، رأى أباً بكر وعمر ويروي عن عبد الله وعائشة، وكانت السيدة عائشة قد تبنته، فسعى بنته عائشة، يقال إن عمر بن الخطاب غير اسم أبيه، وقال له: الأجدع شيطان، فسماه عبد الرحمن، قال ابن حبان: كَانَ من عباد أهل الكوفة روى عنه أهلها ولاء زياد على السلسلة ومات بها سنة اثنتين أو ثلاث وستين، قال الذهبي: أحد الاعلام، قال ابن حجر: ثقة فقيه عابد مخضرم. (١)

ترجمة أبو وائل السهمي:

واسمه شقيق بن سلمة الأسدي صاحب عبد الله بن مسعود، مخضرم، أدرك النبي ﷺ وما رآه، يقول: أدركت سبع سنين من سني الجاهلية، كانت أمه نصرانية، سكن الكوفة، وكان من عبادها، (أحد الاعلام الثقات). قال ابن عبد البر اجمعوا على أنه ثقة، وثقه ابن سعد وابن معين ووكيع والعجلي وابن حجر، وزاد ابن معين: لا يسأل عن مثله، وزاد ابن سعد: كثير الحديث. وزاد العجلي: من أصحاب عبد الله، رجل صالح جاهلي، وزاد ابن حجر: مخضرم، ذكره أبو نعيم في معرفة الصحابة وقال: أدرك زمان النبي ﷺ، ولم يره، ولم يسمع منه، قال الذهبي: مخضرم من العلماء العاملين، مات بعد الجماجم، وقال الواقدي مات في خلافة عمر بن عبد العزيز. (٢)

ترجمة حصين بن عبد الرحمن السلمي الذي عليه مدار الحديث:

حصين بن عبد الرحمن السلمي، أبو الهذيل، الكوفي، (ثقة، حجة، احتج به الأئمة وأصحاب الصحاح)، وثقه غير واحد من العلماء كأحمد وابن معين والعجلي وأبو زرعة والذهبي، وابن حجر، وزاد أحمد: من كبار أصحاب الحديث، وزاد العجلي: والواسطيون أروى الناس عنه لأنه سكن المبارك (٣) بأخذه، فسمع منه الواسطيون بالمبارك، وزاد الذهبي: حجة، حافظ عالي الإسناد، قال ابن عدي: أَرْجُو أَنَّهُ لَا بَأْسَ بِهِ، قال الذهبي: والعجب من أبي عبد الله البخاري، ومن العقيلي، وابن عدي، كيف تسرعوا إلى ذكر حصين في كتب الجرح، مات سنة ثلاث وستين ومائة. (٤)

(١) - ينظر: ابن سعد، «الطبقات الكبير» (١٩٧/٨) ابن حبان، «الثقات» (٤٥٦/٥) ابن عساكر «تاريخ دمشق» (٥٧/٤٠٠) الذهبي، «سير أعلام النبلاء» (٦٣/٤) «الكاشف» (٢٥٦/٢) ابن حجر، «تهذيب التهذيب» (١١٠/١٠) «تقريب التهذيب» (ص: ٥٢٨).

(٢) - ينظر: العجلي، «الثقات» (٤٥٩/١) أبو نعيم «معرفة الصحابة» (١٤٩٤/٣) الذهبي، «سير أعلام النبلاء» (٤/١٦١) «الكاشف» (٤٨٩/١) ابن حجر «تهذيب التهذيب» (٣٦١/٤) «تقريب التهذيب» (ص: ٢٦٨).

(٣) - المبارك: هي قَرْيَة على الدجلة، قاله ابن حبان في «الثقات» (٢١٠/٦). وقال ياقوت الحموي: نهر وقرية فوق واسط بينهما ثلاثة فراسخ، وقيل: هو النهر الذي احتفزه خالد بن عبد الله القسري أمير العراقيين لهشام بن عبد الملك. ينظر: ياقوت الحموي «معجم البلدان» (٥٠/٥).

(٤) - ينظر: العجلي، «الثقات» (٣٠٥/١) ابن أبي حاتم «الجرح والتعديل» (١٩٣/٣) ابن عدي «الكامل في ضعفاء الرجال» (٣٠٢/٣) الذهبي: «سير أعلام النبلاء» (٤٢٣/٥) «المغني في الضعفاء» (١٧٧/١) ابن حجر، «تهذيب التهذيب» (٣٨١/٢) «تقريب التهذيب» (ص: ١٧٠).

اختلف العلماء في قضية اختلاطه، بين مؤيد ومنكر، وسيأتي تفصيله بإذن الله عند الحكم على الحديث.

تخريج الحديث

حديث الإفك زوي من طريق اثنتين من النساء الصحابات:

الطريق الأول: من رواية السيدة عائشة رضي الله عنها، رواه الزهري -وعليه مدار الحديث- عن جماعة من الرواة عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها. وهو الطريق المعتمد في حديث الإفك، وهو حديث طويل، اتفق على روايته البخاري ومسلم وخرجاه في الصحيحين. الطريق الثاني: من رواية أم رومان - أم السيدة عائشة رضي الله عنها-، وهو حديث مختصر، وجاءت روايتها من ثلاثة طرق:

الرواية الأولى: من رواية حُصَيْن بن عبد الرحمن السُّلَبي الواسطي، عن أبي وائل، شقيق بن سلمة، عن مسروق، عن أم رومان، رواه عنه سبعة، وهم: أبو عوانه، محمد بن فضيل، سليمان بن كثير، علي بن عاصم، أبو جعفر الرازي (الفزاري)، أبو سعيد الأشج، سويد بن عبد العزيز.

الرواية الثانية: من رواية مسروق عن عبد الله بن مسعود، عن أم رومان.

الرواية الثالثة: من رواية حصين بن عبد الرحمن السُّلَبي الواسطي، عن أبي وائل شقيق بن سلمة، عن أم رومان، بدون ذكر مسروق، رواه عنه حُصَيْن بن نُمَيْر.

تخريج رواية حُصَيْن بن عبد الرحمن السُّلَبي الواسطي، عن أبي وائل شقيق بن سلمة عن مسروق، عن أم رومان

وردت هذه الرواية بعدة صيغ من صيغ الأداء في تحمل مسروق الخبر عن أم رومان، وهذا الاختلاف أدى إلى اضطراب العلماء في حمله على الوصل أو الإرسال مما عاب بعضهم على البخاري روايته لهذا الحديث في صحيحه، حيث تفرد البخاري دون مسلم بهذه الرواية، وقد أورده بثلاث صيغ وهي: التحديث (حدثني)، السؤال (سألتُ)، العنونة (عن).

وجاءت بلفظ: (سُئِلْتُ أم رومان)، وجاءت بلفظ: (سألتُ أم رومان فحدثني)، وجاءت بلفظ: (قال: قالت أم رومان)، وجاءت بلفظ: (سألتُ أمي أم رومان).

وبعد تتبعي لطرق الحديث، وقفت على من رواه بهذه الصيغ:

١- صيغة التحديث، بلفظ: (حدثني، وحدثهم).

وقفت على صيغة (حدثني) من رواية أبي عوانه وعلي بن عاصم كلاهما عن حصين. وصيغة (حدثهم) من رواية سويد بن عبد العزيز، عن حُصَيْن، وليس فيها ذكر موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه من مسطح بن أثاثه وما نزل في شأنه من آيات في ذلك.

• رواية أبي عوانه رواها البخاري وأبو داود الطيالسي

- رواية البخاري أخرجها في صحيحه والتاريخ الأوسط.

رواها في الصحيح من طريق أبي عوانة، عن حصين، عن أبي وائل قال: حدثني مسروق بن الأجدع قال: حدثني أم رومان، وهي أم السيدة عائشة رضي الله عنهما، قالت: بينا أنا قاعدة أنا وعائشة، إذ ولجت امرأة من الأنصار.... الحديث بنحوه (١)

وأخرجه البخاري في كتاب التفسير من صحيحه بنفس الإسناد مختصراً (٢).

- وأخرجه البخاري في التاريخ الأوسط بنفس الإسناد مقتصراً عليه بدون ذكر القصة (٣)

- رواية أبي داود الطيالسي، أخرجه في مسنده عن أبي عوانة، عن حصين، به، بنحوه (٤)

ترجمة أبو عوانة:

أبو عوانة، الوضاح بن عبد الله مولى يزيد بن عطاء الواسطي يقال إنه سي من جرجان وحمل إلى واسط واشتره يزيد بن عطاء فأعتقه، (أحد الاعلام، الأثبات إذا حدث من كتابه)، قال أحمد بن حنبل: هو صحيح الكتاب، وإذا حدث من حفظه، ربما بهم، قال أبو زرعة: ثقة إذا حدث من كتابه، قال أبو حاتم: كتبه صحيحة، وإذا حدث من حفظه غلط كثيراً، وهو صدوق، ثقة، قال عفان: أبو عوانة أصح حديثاً عندنا من شعبة، قال يحيى بن سعيد القطان: ما أشبه حديثه بحديث سفيان، وشعبة، وقال أيضاً: أبو عوانة من كتابه أحب إلي من شعبة من حفظه، قال الذهبي في السير: كان من أركان الحديث، وقال أيضاً: وله أوهام تجانب إخراجها الشيخان، وقال في الميزان: مجمع على ثقته، وكتابه متقن بالمرّة، وقال في الكاشف: ثقة متقن لكتابه، قال ابن حجر: ثقة ثبت، مات سنة سبعين ومائة، وقيل: سنة خمس وسبعين ومائة (٥)

• رواية علي بن عاصم.

رواها إسحاق البستي في تفسيره، قال: حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني قال: حدثنا علي بن عاصم، عن حصين، به، بنحوه (٦)

كما أن إسحاق البستي روى هذا الحديث عن شيخه الزعفراني بهذا الإسناد في موضع آخر بصيغة العنعنة.

والراويان لهذا الحديث عن علي بن عاصم من العلماء الاجلاء، من شيوخ الفقهاء والمحدثين وهما الإمام أحمد بن حنبل والزعفراني.

(١) - أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، باب حادثة الإفك، (٤/١٥٢٢) ح (٣٩١٢).

(٢) - أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، سورة يوسف، باب: قوله: {قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً} (٤/١٧٢٩) ح (٤٤١٤).

(٣) - أخرجه البخاري في التاريخ الأوسط (١/١١٧) ح (١٠٣).

(٤) - أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (٣/٢٤٢) ح (١٧٧٠).

(٥) - ينظر: السهبي، «تاريخ جرجان» (ص: ٤٨١) الذهبي، «سير أعلام النبلاء» (٨/٢١٧) «ميزان الاعتدال» (٤/٣٣٤)

«الكاشف» (٢/٣٤٩) ابن حجر، «تهذيب التهذيب» (١١/١١٦) «تقريب التهذيب» (ص: ٥٨٠).

(٦) - أخرجه إسحاق البستي في «تفسيره» (١/٤٣٢) ح (٥٥١).

والزعفراني: هو الحسن بن محمد الزعفراني، أبو علي البغدادي، يسكن محلة الزعفراني قرية قريبة من بغداد، صاحب الشافعي، روى عنه كتابه القديم، (شيخ الفقهاء والمحدثين، فصيحا، بليغا)، روى له الجماعة سوى مسلم، قال العقيلي: ثقة من الثقات مشهور ولم يتكلم فيه أحد بشيء، قال عنه الذهبي: وكان من أذكياء العلماء، توفي سنة ستين ومئتين من الهجرة (١) فيكون الوهم من جهة علي بن عاصم.

ترجمة علي بن عاصم:

بن صهيب الواسطي، (مختلف فيه، والأغلب على تضعيفه) فقد وثقه بعض العلماء وضعفه آخرون، ومما عيب عليه توانيئه عن تصحيح ما كتبه الوراقون له فأُتي من قلمهم، حدث عنه أحمد وكان يقول: هُوَ والله عندي ثقة وأنا أحدث عنه، قال العجلي: كان ثقة معروفا بالحديث والناس يظلمونه في أحاديث يسألون أن يدعها فلم يفعل، قال النسائي: متروك الحديث، قال الذهبي: ضعفه، قال ابن حجر: صدوق يخطئ ويصبر ورمي بالتشيع (٢)

• رواية سويد بن عبد العزيز:

ووقفت على صيغة (حدثهم) من رواية سويد بن عبد العزيز عند سعيد بن منصور في سننه، قال: نا سويد بن عبد العزيز، قال: نا حصين، عن أبي وائل، عن مسروق: أن أم رومان حدثتهم قالت: بينا أنا قاعدة عند عائشة، إذ جاءت امرأة من الأنصار.... الحديث بنحوه، وليس فيه ذكر موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه من مسطح بن أثاثة وما نزل في شأنه من آيات في ذلك. (٣) ومن طريق سعيد بن منصور أخرجه الطبراني في المعجم الكبير. (٤) كما ذكرها أبو نعيم في، "معرفة الصحابة" بعد أن ذكر حديث أبي بكر بن أبي شيبة عن محمد بن فضيل، قال: (رواه أبو عوانة، وأبو جعفر الرازي، وعلي بن عاصم، وسويد بن عبد العزيز، عن حصين، نحوه ورواه حصين بن نمير، عن حصين، عن أبي وائل من دون مسروق). (٥)

ترجمة سويد بن عبد العزيز:

سويد بن عبد العزيز بن ثُمير السُّلَبي، أبو محمد الدمشقي، كان على قضاء دمشق، (ضعيف)، ضعفه ابن معين والنسائي وابن حجر، وزاد ابن حجر: جداً، وقال ابن معين مرة: لا يجوز في الضحايا، قال أحمد: متروك الحديث، ذكره ابن حبان في المجروحين، ذكره ابن الجوزي في الضعفاء، قال أبو

(١) - ينظر: الذهبي، «سير أعلام النبلاء» (٢٦٢/١٢) العبر (٣٧٣/١) ابن حجر، «تهذيب التهذيب» (٣١٨/٢) «تقريب التهذيب» (ص: ١٦٣).

(٢) - ينظر: الذهبي، «سير أعلام النبلاء» (٢٤٩/٩) «الكاشف» (٤٢/٢) ابن حجر، «تهذيب التهذيب» (٣٤٤/٧) «تقريب التهذيب» (ص: ٤٠٣).

(٣) - ينظر: سعيد بن منصور، «سنن سعيد بن منصور» (٤٠٣/٦) ح (١٥٥٥).

(٤) - ينظر: الطبراني، «المعجم الكبير» (١٢٢/٢٣) ح (١٦١).

(٥) - ذكرها أبو نعيم في، «معرفة الصحابة» (٣٤٩٨/٦).

بكر البزار في مسنده ليس بالحافظ ولا يحتج به إذا انفرد، مات سنة أربع وتسعين ومائة. (١) وهو لم ينفرد في هذه الرواية فتكون روايته صحيحة.

أوجه التشابه والاختلاف بين رواية أبي عوانة وعلي بن عاصم وسويد بن عبد العزيز:

١- رواية أبي عوانة عند البخاري في التاريخ الأوسط، سند بدون متن.

١. وردت صيغة التحديث في الثلاث روايات.

٢. أن السيدة عائشة كانت عند أمها أم رومان عندما دخلت عليها المرأة، وتحديدها أنها امرأة من الأنصار، إلا في رواية أبي عوانة عند أبي داود الطيالسي، ذكر أنها إمرأة دون تحديد.

٣. ذكر المرأة الأنصارية أن ابنها من الذين أفشوا خبر السيدة عائشة رضي الله عنها، إلا في رواية أبي عوانة عند أبي داود الطيالسي بدون تحديد بقولها: فلان، وفي رواية سويد أنهما اثنان، فلان وفلان، دون تحديد.

٤. أن التي سألت المرأة الأنصارية عن الخبر الذي تحدث به أنها هي أم رومان، في رواية أبي عوانة، وفي رواية علي بن عاصم وسويد أنها السيدة عائشة رضي الله عنه.

٥. أن لفظ: (فلعله في حديث تُحدث به) قائله النبي ﷺ في رواية أبي عوانة وسويد، وفي رواية علي بن عاصم أنها السيدة عائشة رضي الله عنه، وهو تصحيف وسقط واضح، فقد جاءت رواية علي بن عاصم عند أحمد بمثل رواية أبي عوانة وسويد.

٦. أن لفظ: (فأنزل الله عذرها، قالت: بحمد الله لا بحمد أحدا ولا بحمدك) ذكره في روايته أبو عوانة وسويد، وغير مذكور في رواية علي بن عاصم هنا، وهو مذكور في روايته عند أحمد.

فكان إسحاق البستي استخدم في رواية علي بن عاصم طريقة تقطيع الحديث في أكثر من موضع، فالموضع الأول ذكر الجزء الأول من الحديث، بصيغة التحديث، والموضع الثاني ذكر بقية الحديث بصيغة العنعنة، وهي الصيغة التي أوردها أحمد في مسنده عن علي بن عاصم، وسيأتي ذكرها.

فعلى هذا رواية أبي عوانة أرجح من رواية علي بن عاصم، ولا يلتفت لرواية علي بن عاصم عند إسحاق البستي لما فيها من أوهام وتصحيف وإسقاط واضح. لذا أنكرها ابن الملقن محتجا بما رواه أحمد من طريق علي بن عاصم وأبي جعفر الرازي وقال: ولم يقلوا فيه: حدثني، ولا سمعت. (٢)

قال أحمد في علي بن عاصم: (خذوا من حديثه ما صح، ودعوا ما غلط، أو ما أخطأ فيه). (٣)

٧. صيغة السؤال، بلفظ: (سألْتُ).

(١) - ينظر: ابن حبان، «المجروحين» (١/ ٣٥٠) ابن الجوزي، «الضعفاء والمتروكون» (٢/ ٣٣) ابن حجر، «تهذيب التهذيب» (٤/ ٢٧٦) «تقريب التهذيب» (ص: ٢٦٠).

(٢) - روايتهما مروية بالنعنة، وسيأتي تخريجها. ينظر: ابن الملقن، «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» (٢١/ ٢٨٣).

(٣) - ينظر: أحمد، «العلل ومعرفة الرجال» (١/ ١٥٦).

وقفت على هذه الصيغة من رواية محمد بن فضيل، أخرج روايته البخاري في "صحيحه"، والتاريخ الأوسط، وابن حبان في "صحيحه"، والطبراني في "المعجم الكبير"، وأبو نعيم في "معجم الصحابة"، وأبو عوانه في "مستخرجه"، وابن أبي عاصم في "الاحاد والمثاني".

رواه عن محمد بن فضيل ثلاثة، وهم: محمد بن سلام، أبو بكر بن أبي شيبة، علي بن حرب، وليس فيها ذكر موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه من مسطح بن أثاثه وما نزل في شأنه من آيات في ذلك.

• رواية محمد بن سلام عن محمد بن فضيل.

أخرجها البخاري في "صحيحه" قال: حدثنا محمد بن سلام: أخبرنا ابن فضيل: حدثنا حصين، عن (شقيق) (١) عن مسروق قال: سألت أم رومان، وهي أم عائشة، عما قيل فيها ما قيل، قالت: بينما أنا مع السيدة عائشة جالستان، إذ ولجت علينا امرأة من الأنصار.....، الحديث بنحوه. (٢) وأخرجها البخاري في "التاريخ الأوسط" قال: حدثني محمد بن سلام ثنا بن الفضيل ثنا حصين، به، مختصراً على قول أم رومان: قالت بينما أنا مع عائشة، فذكرت قصة الأفك. (٣)

• رواية أبي بكر بن أبي شيبة

أخرجها ابن حبان في "صحيحه" التقاسيم والأنواع" قال: أخبرنا أبو يعلى، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا ابن فضيل، عن حصين، عن شقيق، عن مسروق، قال: سألت أم رومان وهي أم السيدة عائشة أم المؤمنين، أو قيل لها: ما أنزل الله عذرها؟ يعني عائشة، قالت: بينما أنا عند السيدة عائشة إذ دخلت علينا امرأة من الأنصار....، الحديث، بنحوه. (٤)

ومن طريق أبي يعلى أخرجه عبد الغني المقدسي في "حديث الإفك" وزاد في الإسناد الحسن. كلاهما (أبو يعلى والحسن) عن أبي بكر بن أبي شيبة به، بمثله وقال الحسن: (إذ ولجت)، مكان (دخلت)، وقال الحسن: (ما هذه؟) وقال أبو يعلى: (ما هذا؟)، في رواية الحسن زيادة: قالت: (فانصرف رسول الله ﷺ). (٥)

وأخرجها الطبراني في "المعجم الكبير" قال: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا محمد بن فضيل، عن حصين، به، بنحوه. (٦)

(١) - ذكر في الإسناد (سفيان) وهو تصحيف، والصواب شقيق، وقد أشار إلى هذا التصحيف القسطلاني بقوله: (عن شقيق) أبي وائل هو ابن سلمة وفي الفرع وأصله عن سفيان. ينظر: «شرح إرشاد الساري» (٣٧١/٥)

(٢) - أخرجها البخاري في كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: {لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين} [يوسف، آية: ٧] (١٢٣٩/٣) ح (٣٢٠٨).

(٣) - أخرجها البخاري في «التاريخ الأوسط» (١١٦/١) ح (١٠١) وقال فيه (شقيق) مما يدل على التصحيف الواقع في الصحيح.

(٤) - أخرجها ابن حبان في صحيحه «التقاسيم والأنواع» (٢٨٣/٤) ح (٣٤٣٨).

(٥) - ينظر: المقدسي، «حديث الإفك لعبد الغني المقدسي» (ص: ٤٠).

(٦) - أخرجها الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٣/٢٥) ح (٢١٢).

وأخرجها ابن أبي عاصم في "الأحاديث والمثنوي" قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، نا محمد بن فضيل، عن حصين، به، بنحوه. (١)

• رواية علي بن حرب

أخرجها أبو عوانة في "مستخرجه" قال: حَدَّثَنَا علي بن حرب، حَدَّثَنَا محمد بن فضيل، عن حُصَيْن، عن أبي وائل، عن مسروق قال: سَأَلْتُ أُمَّ رُومَانَ، وَهِيَ أُمُّ عَائِشَةَ، إِذْ قِيلَ لَهَا مَا قِيلَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عِذْرَهَا؟ فَقَالَتْ: بَيْنَا أَنَا وَعَائِشَةُ جَالِسَتَيْنِ إِذْ وَلَجَتْ عَلَيْنَا امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، الْحَدِيثُ، بِنَحْوِهِ. (٢)

ترجمة محمد بن فضيل:

محمد بن فضيل بن غزوان، أبو عبد الرحمن، مولى بنى ضبة، الكوفي، سمع مغيرة، والأعمش، (ثقة، رُمِيَ بالتشيع)، وثقه غير واحد، منهم ابن معين وابن سعد والعجلي وابن شاهين وعلي بن المديني ويعقوب بن سفيان والذهبي، قال الدارقطني: كان ثبُتاً في الحديث، قال أبو زرعة: صدوق من أهل العلم رُمِيَ بالتشيع، قال أبو حاتم: شيخ، قال النسائي: ليس به بأس، قال أحمد: كان يتشيع، وكان حسن الحديث، قال ابن حجر: صدوق عارف، رُمِيَ بالتشيع، مات سنة أربع أو خمس وتسعين ومائة. (٣)

أوجه التشابه والاختلاف في رواية محمد بن فضيل:

١. رواية محمد بن سلام عن محمد بن فضيل عند البخاري في التاريخ الأوسط، سند، بلفظ مختصر على قوله: (قالت: بينما أنا مع السيدة عائشة فذكرت قصة الإفك).
٢. جميعها جاءت بصيغة سألْتُ أم رومان.
٣. أن السيدة عائشة كانت عند أمها أم رومان عندما دخلت عليها المرأة، وتحديدها أنها امرأة من الأنصار، إلا في رواية أبي بكر بن أبي شيبة عن محمد بن فضيل عند الطبراني في المعجم الكبير، ذكر أنها أم مسطح، ولم يذكر قول أم رومان أنها كانت عند عائشة.
٤. في رواية أبي بكر بن أبي شيبة عن محمد بن فضيل عند الطبراني في المعجم الكبير أن أم مسطح ذكرت أن ابنها من الذين أفشوا خبر السيدة عائشة رضي الله عنها، وفي جميع الروايات الأخرى عن محمد بن فضيل بدون تحديد، بقولها: فلان.
٥. أن التي سألت المرأة حين دعت على من أفشى خبر السيدة عائشة هي أم رومان، إلا في رواية أبي بكر بن أبي شيبة عن محمد بن فضيل عند الطبراني في المعجم الكبير، ورواية علي بن حرب عن محمد بن فضيل عند أبو عوانة في مستخرجه أنها السيدة عائشة رضي الله عنه.

(١) - أخرجها ابن أبي عاصم في «الأحاديث والمثنوي» (٣٣/٦) ح (٣١٥).

(٢) - أخرجها أبو عوانة في «مستخرجه» (٣٢٥/٢١) ح (١٢١٦٨).

(٣) - ينظر: البخاري، «التاريخ الكبير» (٥٥٦/١) العجلي، «الثقات» (٢٥٠/٢) ابن أبي حاتم، «الجرح والتعديل» (٨/٥٧) الذهبي، «الكاشف» (٢/٢١١) ابن حجر، «تهذيب التهذيب» (٤٠٥/٩) «تقريب التهذيب» (ص: ٥٠٢).

٦. أن لفظ: (فلعله من أجل حديث تُحدث به) قائله النبي ﷺ في جميع الروايات عن محمد بن فضيل، إلا رواية محمد بن سلام عن محمد بن فضيل عند البخاري في صحيحه من قول أم رومان.

ف نجد أن رواية أبي بكر بن أبي شيبه عند الطبراني هي الرواية الشاذة في ذكر أن أم مسطح هي التي دخلت على السيدة عائشة وأمها، وأن ابنها ممن حدث بالحديث، والمحموظ أنها امرأة من الأنصار، دون تحديد من حدث بالحديث.

وقد روى الحديث أبو نعيم في معرفة الصحابة من طريق الحسن بن سفيان وابن أبي عاصم كلاهما عن أبي بكر بن أبي شيبه مختصراً ثم عقب بقوله: (رواه أبو عوانة، وأبو جعفر الرازي، وعلي بن عاصم، وسويد بن عبد العزيز، عن حصين، نحوه ورواه حصين بن نمير، عن حصين، عن أبي وائل من دون مسروق).^(١)

٨. صيغة العننة، بلفظ: (عن).

وقفت على هذه الصيغة من رواية ثلاثة عن حصين، وهم: سليمان بن كثير، علي بن عاصم، أبو جعفر الرازي.

● رواية سليمان بن كثير:

أخرج روايته البخاري في "صحيحه" قال: حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا سليمان، عن حصين، عن أبي وائل، قال: عن مسروق، عن أم رومان أم السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (لما رُميت عائشة خَرَّت مغشياً).^(٢)

ورواها البخاري في "التاريخ الأوسط" بنفس الإسناد واللفظ.^(٣)

جاء سليمان في هذا الأسناد غير منسوب، وقد ورد في إحدى نسخ صحيح البخاري بتصحيح اسمه إلى (سفيان) وقد نبّه على ذلك غير واحد، منهم ابن الملقن وابن المبرد.^(٤)

(١) - أخرجه أبو نعيم من طريق ابن أبي عاصم في «معرفة الصحابة» (٦/٣٤٩٨) ح (٧٩٢٩).

(٢) - أخرج روايته البخاري في كتاب التفسير، باب: قوله: (ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم) {سورة النور، آية: ١٤} [١٤/١٧٧٨] ح (٤٤٧٤).

(٣) - رواها البخاري في «التاريخ الأوسط» (١١٧/١) ح (١٠٢).

(٤) - قال ابن الملقن: كذا في الأصول، وفي بعض الروايات: سفيان بدل سليمان وهو الصواب. كما نبّه عليه الجياني، وهو سليمان بن كثير، أخو محمد، ومحمد مشهور بالرواية عن أخيه، وقال ابن عبد الهادي الحنبلي: هكذا الإسناد عند الجماعة، وفي نسخة أبي محمّد، عن أبي أحمد: حدثنا محمّد بن كثير، عن سفيان، عن حصين، وكتب بين السّطرين على «سفيان»: «سليمان»، وقال في الحاشية: سليمان لأبي زيد. ينظر: ابن الملقن، «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» (٢٣/٤٥) ابن المبرد الحنبلي، «العلل الواقعة في كتاب الجامع الصحيح للبخاري» (ص: ١٥) و «الاختلاف بين رواة البخاري» (ص: ٧٦).

ترجمة سليمان بن كثير:

أبو داود سليمان بن كثير العبدي، الواسطي، أبو داود ويقال أبو محمد البصري، (صدوق، يخطئ في حديث الزهري، وفي غيره أثبت) قال العجلي: جاز الحديث لا بأس به، قال ابن حبان: كان يخطئ كثيراً أما روايته عن الزهري فقد اختلط عليه صحيفته فلا يحتج بشيء ينفرده عن الثقات ويعتبر بما وافق الأثبات في الروايات، قال ابن عدي: روى عنه أخوه محمد بن كثير العبدي بأحاديث عداد وأحاديثه عندي مقدار ما يرويه لا بأسه به، قال ابن معين: ضعيف، وقال النسائي: ليس به بأس، إلا في الزهري، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه، وقال العقيلي: مضطرب الحديث، قال الذهبي: صويلح، قال ابن حجر: لا بأس به في غير الزهري، مات سنة ثلاث وثلاثين ومائة. (١)

• رواية علي بن عاصم:

رواها أحمد في "مسنده"، وإسحاق البستي في "تفسيره"، وقد سبق ذكر رواية عاصم بصيغة التحديث في تفسير إسحاق البستي.

رواية أحمد هي الرواية الأكمل للقصة، وقد سبق ذكرها في مبحث نص الحديث. (٢)

ورواية إسحاق البستي أخرجه في "تفسيره" قال: حدثنا الزعفراني قال: حدثنا علي بن عاصم، عن حصين، عن أبي وائل، عن مسروق، عن أم رومان قالت: قالت عائشة: لئن حلفت لكم لا تصدقوني..... الحديث نحوه، وجاء فيه ذكر موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه من مسطح بن أثاثة وما نزل في شأنه من آيات في ذلك. (٣)

• رواية أبي جعفر الرازي:

رواها أحمد في "مسنده" قال: حدثنا هاشم بن القاسم قال: حدثنا أبو جعفر يعني الرازي، عن حصين، عن شقيق بن سلمة، عن مسروق، عن أم رومان وهي أم السيدة عائشة قالت: كنت أنا وعائشة قاعدة فدخلت امرأة من الأنصار..... الحديث بنحوه وليس فيه ذكر موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه من مسطح بن أثاثة وما نزل في شأنه من آيات في ذلك. (٤)

ترجمة أبو جعفر الرازي:

أبو جعفر الرازي واسمه عيسى بن ماهان، وكان أصله من أهل مرو من قرية يقال لها برز، وهي القرية التي نزلها الربيع بن أنس أولاً ومها سمع أبو جعفر من الربيع بن أنس، ثم تحول أبو جعفر بعد ذلك إلى الري فمات بها فقيل له الرازي، (صدوق بهم، خصوصاً في حديث المغيرة)، وثقه علي بن المديني وابن معين وابن سعد وأبو حاتم والحاكم، وزاد ابن معين: وهو يغلط فيما يروي عن مغيرة، وقال مرة:

(١) - ينظر: الذهبي، «ميزان الاعتدال» (٢/ ٢٢٠) «الكاشف» (١/ ٤٦٣) ابن حجر، «تهذيب التهذيب» (٤/ ٢١٥) «تقريب التهذيب» (ص: ٢٥٤).

(٢) - أخرجه أحمد في «مسنده» (٤٤/ ٦٢٩) ح (٢٧٠٧١).

(٣) - أخرجه إسحاق البستي في «تفسيره» (١/ ٤٤٠) ح (٥٥٤).

(٤) - رواها أحمد في «مسنده» (٤٤/ ٦٢٨) ح (٢٧٠٧٠).

صالح، وزاد أبو حاتم: أبو حاتم: ثقة صدوق صالح الحديث، قال أحمد: ليس بقوى في الحديث، وكذا قال النسائي، قال أبو زرعة: شيخ مهم كثيراً، قال ابن عدي: وأحاديثه عامتها مستقيمة وأرجو أنه لا بأس به، قال الذهبي: صدوق عن الشعبي وطائفة، قال ابن حجر: صدوق سيء الحفظ خصوصاً عن مغيرة. (١)

أوجه التشابه والاختلاف في الروايات الثلاث:

١. جاءت رواية سليمان بن كثير عند البخاري في صحيحه والتاريخ الأوسط، بسند، بلفظ مختصر على قوله: (قالت: لما رُميت السيدة عائشة خَرَّتْ مغشياً عليها).

٢. جميعها جاءت بصيغة العنونة.

٣. أن السيدة عائشة كانت عند أمها أم رومان عندما دخلت عليها المرأة، وتحديد أنها امرأة من الأنصار، إلا في رواية علي بن أبي عاصم عند إسحاق البستي في تفسيره، لم يذكر قول أم رومان أنها كانت عند السيدة عائشة ولم يأتي بذكر المرأة ولا ابنها، بل بدأ حديثه بقول السيدة عائشة رضي الله عنها: (لئن حلفت لكم لا تصدقوني.....).

وقد ذكرت سابقاً أن إسحاق البستي ذكر بداية الحديث في موضع آخر من تفسيره.

٤. ذكرت المرأة الأنصارية أن ابنها من الذين أفشوا خبر السيدة عائشة رضي الله عنها. بلا خلاف بين رواية علي بن عاصم وأبي جعفر الرازي عند أحمد.

٥. أن التي سألت المرأة حين دعت على من أفشى خبر السيدة عائشة هي أم رومان في رواية أبي جعفر الرازي عند أحمد، وفي رواية علي بن عاصم عند أحمد أنها السيدة عائشة رضي الله عنه.

٦. أن لفظ: (فلعله من أجل حديث تُحَدِّثُ به) قائله النبي ﷺ، بلا خلاف بين رواية علي بن عاصم وأبي جعفر الرازي عند أحمد.

٧. رواية أبي جعفر الرازي انتهت بقولها: (بحمد الله لا بحمدك، أو قالت: ولا بحمد أحد)، وفي رواية علي بن عاصم عند أحمد واسحاق زيادة معاتبة أبي بكر للسيدة عائشة رضي الله عنه على قولها للنبي ﷺ، وذكر نفقة أبي بكر على مسطح وما أنزل في شأنه من القرآن.

فتكون رواية علي بن عاصم: فكان فيمن حدث الحديث رجل كان يعوله أبو بكر، فحلف أبو بكر ألا يصله فأنزل الله عز وجل: {ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة} إلى آخر الآية قال أبو بكر بلى فوصله.

وهي رواية شاذة، لأنه لم يذكرها غيره من الذين رووا الحديث عن حصين.

وجميع الروايات عن حصين اتفقت على أن السيدة عائشة رضي الله عنها خرت مغشياً عليها بعد تحققها من سماع النبي ﷺ وأبي بكر للخبر، فأصابها حى برعدة شديدة، وأما قضية تدثير الثياب عليها، فهي غير مذكورة في رواية محمد بن فضيل.

(١) - ينظر: الذهبي، «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٣٤٦) «المغني في الضعفاء» (٢/ ٥٠٠) ابن حجر، «تهذيب التهذيب» (١٢/ ٥٦) «تقريب التهذيب» (ص: ٦٢٩).

وقد تعددت الفاظها عندهم، ففي رواية أبي عوانه عند البخاري، جاءت بلفظ: (فدثرتها، وطرحتها عليها ثيابها)، وفي روايته عند أبو داود الطيالسي: (ألقيت عليها ثيابها)، وعنده: (فأخذها شيء)، بدل (مغشياً عليها)، وفي رواية علي بن عاصم عند أحمد بلفظ: (فدثرتها)، وفي رواية أبي جعفر الرازي بلفظ: (فألقيت عليها الثياب)، وفي رواية سويد بن عبد العزيز بلفظ: (فطرح عليها الثياب).

كما ذكرت جميع الروايات أن السيدة عائشة قعدت بعد دخول النبي ﷺ عليها، إلا في رواية علي بن عاصم عند أحمد أنها رفعت رأسها، وفي روايته عند إسحاق البستي بدون ذكر حالها، وذلك حين دخل عليها النبي ﷺ وسؤاله عن حالها بعد أن خرت مغشياً عليها، بقوله: (ما شأن هذه) كما في رواية أبو عوانة، وفي رواية علي بن عاصم عند أحمد.

أو (ما لهذه) كما في رواية أبي جعفر الرازي، ورواية محمد بن فضيل من طريق محمد بن سلام وابي بكر بن أبي شيبه عند الطبراني، وعلي بن حرب.

أو (ما هذا) كما في رواية أبي بكر بن أبي شيبه عن ابن فضيل عند ابن حبان وابن أبي عاصم.

أو (ما شأنها) كما في رواية سويد بن عبد العزيز.

كما تعددت الروايات في ذكر من أجابت النبي ﷺ بقوله: (حي بنافض).

جاءت في بعض الروايات أن التي أجابت النبي ﷺ هي أم رومان بقولها: (قلت) كما في رواية أبي عوانة وأبي جعفر الرازي وسويد بن عبد العزيز وابن فضيل من طريق محمد بن سلام وعلي بن عاصم عند أحمد.

وجاءت في بعض الروايات أن من أجابت النبي ﷺ هي أم رومان ومن كان عندها، بقولها: (قلنا) كما في رواية ابن فضيل من طريق أبي بكر بن أبي شيبه وعلي بن حرب.

وفي رواية علي بن عاصم عند إسحاق البستي ذكرتها أم رومان في عرض حال السيدة عائشة رضي الله عنها، وليس جواباً لسؤال النبي ﷺ.

كما جاءت أغلب الروايات أن النبي ﷺ انصرف بعد أن سأل عن حالها، ثم نزل عذرها، فأخبرها بذلك، وغير مذكورة في رواية أبي عوانه عند أبي داود الطيالسي، ورواية علي بن عاصم عند إسحاق البستي، ورواية أبي بكر بن أبي شيبه عن محمد بن فضيل عند ابن حبان، ورواية أبي جعفر الرازي عند أحمد.

وهذا يخالف ما جاء عن السيدة عائشة رضي الله عنها في الصحيحين، أنه لم يخرج، بل نزل عذرها وهو عندها، بقولها: فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه، ولا خرج أحد من أهل البيت، حتى أنزل عليه. يقول ابن التين عن رواية السيدة عائشة رضي الله عنها: (هو أصح من هذا؛ لأنه رواه الزهري عن ابن المسيب وعروة وعبيد الله وعلقمة بن وقاص عنها).^(١)

(١) - ينظر: ابن الملقن، «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» (١٩/٤٣٩).

٩. صيغة: (قال: قالت أم رومان)، وصيغة: (سُئِلَتْ).

جاءت هاتين الصيغتين من رواية أبي سعيد الأشج، ذكرها العلماء نقلاً عن الخطيب البغدادي. الصيغة الأولى ذكرها أبو زرعة في "تحفة التحصيل" نقلاً عن العلاني قال: ورواه أبو سعيد الأشج عن محمد بن فضيل، فقال فيه عن مسروق قال: قالت أم رومان: وهي أم عائشة، فذكرت القصة. (١) وهو تصحيف ظاهر. خلافاً لما في كتاب العلاني "جامع التحصيل". (٢) الصيغة الثانية: (سُئِلَتْ) ذكرها العلاني وابن قرقول. قال العلاني: وقد رواه أبو سعيد الأشج عن ابن فضيل، بسند البخاري. فقال فيه: (سُئِلَتْ أم رومان)، فذكر القصة. (٣) وقال ابن قرقول: رواه أبو سعيد الأشج، عن حصين، عن أبي وائل، عن مسروق قال: (سُئِلَتْ أم رومان). (٤)

ونلاحظ أن عبارة الخطيب عند العلاني ذكر فيها محمد بن فضيل بسند البخاري. ولم يذكره ابن قرقول، بل ذكر الاسناد من طريق حصين. وكذا ذكره البرماوي في "اللامع الصبيح" (٥) ترجمة أبو سعيد الأشج:

عبد الله بن سعيد بن حصين الكندي، أبو سعيد الأشج، الكوفي، أخرج له البخاري في الفتن، (أحد الأئمة صاحب تفسير وتصانيف)، قال أبو حاتم الرازي: هو إمام أهل زمانه، وقال مرة: ثقة صدوق، قال ابن معين: ليس به بأس، ولكنه يروي عن قوم ضعفاء، وقال النسائي: صدوق، وقال مرة: لا بأس به، قال الذهبي: الحافظ، الإمام، الثبت، شيخ الوقت، قال ابن حجر: ثقة، مات سنة سبع وخمسين ومائتين، وقيل سنة ست. (٦)

١٠. جاءت بصيغة: (سألت أمي أم رومان).

ذكرها أبو الفضل في "مشارك الأنوار"، وأمرها ظاهر في التصحيف، لأنه عزاه إلى رواية البخاري في كتاب الأنبياء، باب حادثة الإفك، حيث قال: وفي حديث الإفك في كتاب الأنبياء في البخاري في قصة يوسف عن مسروق سألت أمي أم رومان. (٧)

(١) - ينظر: أبو زرعة «تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل» (ص: ٣٠٠).

(٢) - ينظر: العلاني، «جامع التحصيل» (ص: ٢٧٧).

(٣) - ينظر: العلاني، «التنبيهات المجملّة» (ص: ٥٠) وذكرها في كتابه «جامع التحصيل» (ص: ٢٧٧) بدون لفظ: بسند البخاري.

(٤) - ينظر: ابن قرقول، «مطالع الأنوار» (٢/ ٢٤٧).

(٥) - ينظر: البرماوي، «اللامع الصبيح» (٢٠٤/ ١٢).

(٦) - ينظر: الذهبي، «سير أعلام النبلاء» (١٨٢/ ١٢) «الكاشف» (٥٥٨/ ١) ابن حجر، «تهذيب التهذيب» (٢٣٦/ ٥) «تقريب التهذيب» (ص: ٣٠٥).

(٧) - ينظر: القاضي عياض، «مشارك الأنوار» (٢/ ٢٠٢).

إلا أن يكون قصده بلفظ (أمي) على اعتبار أن أم رومان بمقام أمه، لأن السيدة عائشة رضي الله عنها قد تبنته.

١١. جاءت بصيغة: (سألت أم رومان فحدثني).

لم أقف عليها مسندة بهذا اللفظ، وذكرها ابن القيم الجوزية في " زاد المعاد "، حيث قال: يرويه البخاري في " صحيحه " ويقول فيه مسروق: (سألت أم رومان فحدثني) (١) وذكرها العلاني في " جامع التحصيل"، حيث قال: وجاء في رواية خارج الصحيح من طريق بن فضيل أيضاً قال مسروق: (سألت أم رومان عن حديث الإفك فحدثني) وذكر القصة. (٢)

وهذا اللفظ لم يذكره ابن عبد الهادي في " العلل الواقعة في كتاب الجامع الصحيح للبخاري " مما يدل على أنها تصحيف، إلا إذا كان الغرض من هذا توضيح الصيغتين المروي بها هذا الحديث، فذكرت مجتمعة.

الرواية الثانية: من طريق مسروق عن عبد الله بن مسعود، عن أم رومان.

لم أقف عليها، وإنما ذكرها غير واحد من العلماء، نقلاً عن أبي بكر الخطيب البغدادي، منهم المزي في كتابيه، " تحفة الأشراف وتهذيب الكمال"، وابن كثير في " التكميل في الجرح" وابن الملقن في " التوضيح لشرح الجامع الصحيح" وقد صرح أنها وقعت في كتابه، وقد تعقب ابن ناصر السلامي فيما نقله عنه ابن الملقن في " التوضيح"، بقوله: يكون كأنه روى عن ابن مسعود عنها. والذي قاله غير واحد أن الأولى مرسله. (٣)

كما ذكرها المقدسي في " الكمال" في ترجمة أم رومان، قال: روى لها البخاري حديثاً واحداً من رواية مسروق عنها ولم يدركها، وقد رُوِيَ الحديث عن مسروق عن عبد الله بن مسعود عنها، وهو الأشبه بالصواب. (٤)

ترجمة عبد الله بن مسعود:

عبد الله بن مسعود بن غافل، أبو عبد الرحمن بن الهذلي، صحابي، كان إسلامه قديماً في أول الإسلام، قال عبد الله لابنه عبد الرحمن: لقد رأيتني سادس سئة، وما على الأرض مسلم غيرنا، شهد بدرا والحديبية، وهاجر الهجرتين جميعاً، لازم النبي ﷺ، وكان صاحب نعليه، وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة، مات سنة اثنتين وثلاثين. (٥)

(١) - ينظر: ابن القيم، «زاد المعاد» (٣/٣١٣).

(٢) - ينظر: العلاني، «جامع التحصيل» (ص: ٢٧٧).

(٣) - ينظر: المزي، تحفة الأشراف (٧١/١٣)، تهذيب الكمال (٣٦٠/٣٥)، ابن كثير، التكميل في الجرح (٣٣٩/٤)، ابن الملقن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٤٣٨/١٩).

(٤) - ينظر: المقدسي، «الكمال في أسماء الرجال» (٨٦/٢).

(٥) - ينظر: ابن عبد البر، «الاستيعاب» (٩٨٧/٣) ابن الاثير، «أسد الغابة» (٣/٣٨١) ابن حجر، «الإصابة في تمييز الصحابة» (١٩٨/٤).

الرواية الثالثة: من رواية حصين بن عبد الرحمن السلمي الواسطي، عن أبي وائل شقيق بن سلمة، عن أم رومان، بدون ذكر مسروق، رواه عنه حصين بن نمير. أخرجها ابن أبي عاصم قال: حدثنا المقدمي، نا حصين بن نمير، نا حصين بن عبد الرحمن، عن أبي وائل، عن أم رومان، نحوه فقالت: (بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد صاحبك).^(١) وذكرها أبو نعيم في، "معرفة الصحابة" بعد أن ذكر حديث أبي بكر بن أبي شيبه عن محمد بن فضيل، قال: ورواه حصين بن نمير، عن حصين، عن أبي وائل من دون مسروق.^(٢) ترجمة حصين بن نمير:

حصين بن نمير، أبو محصن الواسطي، وقيل أبو عمر، الضرير، (ثقة)، قال ابن معين: صالح، وقال مرة: ليس بشيء، قال أبو حاتم: صالح ليس به بأس، وثقه أبو زرعة والعجلي، والذهبي، وزاد أبو زرعة: واسطي، وزاد العجلي: كوفي، قال ابن حبان: من الأثبات في الروايات وكان يغرب، قال ابن حجر: لا بأس به، رمي بالنصب.^(٣)

أقوال العلماء في الحكم على الحديث:

بعد تتبع طرق الحديث، وجمع أقوال العلماء فيه، تبين أن العلماء اختلفوا في حكمه على قولين (صحيح، مرسل). واتفقوا على أن الحديث غريب من رواية حصين عن أبي وائل عن مسروق عن أم رومان، تفرد به حصين الذي هو مدار الحديث، قال المزي نقلا عن أبي بكر الخطيب: هذا حديث غريب من رواية أبي وائل، عن مسروق لا نعلم رواه غير حصين بن عبد الرحمن عنه.^(٤) وسبقه إلى ذلك أبو علي ابن السكن، فيما حكاه عنه ابن حجر في "الإصابة" حيث قال: تفرد به حصين.^(٥)

وقد استشكل على بعض العلماء سماع مسروق من أم رومان، منهم من أثبت سماعه فعدّ روايته متصلة فحكم عليها بالصحة، ومنهم من أنكر سماعه فعدّ روايته مرسلة فحكم عليها بالضعف.

١- من صحح الحديث

صح البخاري هذا الحديث بإخراجه له في "صحيحه"، وقد تفرد به عن مسلم، وعن أصحاب السنن الأربعة، ويؤيد ذلك رمز المزي له في "تحفة الأشراف" ب(خ). قال ابن حجر: أول من فتح هذا الباب صاحب الصحيح كما ذكره أولاً.^(٦)

(١) - أخرجها ابن أبي عاصم في «الأحاد والمثاني» (٣٣/٦) ح (٣٢١٦).

(٢) - ذكرها أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٣٤٩٨/٦).

(٣) - ينظر: ابن حبان، «مشاهير علماء الأمصار» (ص: ٢٨٢) الذهبي، «ميزان الاعتدال» (١/ ٥٥٤) «الكاشف» (١/ ٣٣٩) ابن حجر، «تهذيب التهذيب» (٣٩١/٢) «تقريب التهذيب» (ص: ١٧١).

(٤) - ينظر: المزي، «تهذيب الكمال»، ترجمة أم رومان (٣٦٠/٣٥).

(٥) - ينظر: ابن حجر، «الإصابة في تمييز الصحابة» (٨/ ٣٩٤).

(٦) - ينظر: ابن حجر، «الإصابة في تمييز الصحابة» ترجمة أم رومان (٨/ ٣٩٤).

كما حكم عليه الذهبي بالصحة والغربة في السير، وعبارته (صحيح غريب). (١)
وأيد ابن القيم وابن حجر صنيع البخاري، وانتصرا له بالرد على من اتهمه بالوهم في هذه الرواية.

٢- من ضعف الحديث

أول من ضعف الحديث وحكم بوهم البخاري فيه هو أبو علي ابن السكن فيما نقله عنه ابن حجر في الإصابة، بعد ساق اسناد حصين، قال ابن السكن: (وهذا خطأ)، ثم قال: (ويقال: إن مسروقاً لم يسمع من أمّ رومان). (٢)

وجاء بعده أبو بكر الخطيب البغدادي فيما نقله عنه المزي في "التحفة وتهذيب الكمال"، (قال أبو بكر: أن مسروق لم يدرك أم رومان، فالرواية مرسلّة). (٣)

لم أقف على قول أبي بكر الخطيب البغدادي في كتابه، وله كتابين في هذا الفن، وكلاهما مفقودين، أحدهما كتابه "التفصيل لمهم المراسيل"، الذي أشار إليه المزي في تهذيب الكمال والتحفة عندما نقل قول الخطيب البغدادي، حيث قال في نهاية نقله لكلام الخطيب: (وقد بيّنا ذلك في كتاب المراسيل، وأشبعنا القول بما لا حاجة لنا إلى إعادته). (٤)

ولم يشر المزي إلى الكتاب الذي نقل منه كلام الخطيب، وقد يكون نقله من كتابه "تميز المزيدي متصل الأسانيد" وهو أيضاً مفقود.

وهذان الكتابان ذكرهما العلائي "جامع التحصيل" بعد أن ذكر طرق معرفة المرسل الخفي، قال: (وللحافظ أبي بكر الخطيب رحمه الله في هذين النوعين كتابان مفردان، أحدهما "التفصيل لمهم المراسيل"، والثاني "تميز المزيدي متصل الأسانيد"، ولم أقف عليهما). (٥)
وتبع أبي الخطيب البغدادي جمع من العلماء النقاد كالمزي والعلائي، وابن الملتن والمقريزي والذهبي، وغيرهم.

بل جزم الكوراني على الاتفاق بأن قول مسروق (حدثني أم رومان) وهم، لأن مسروقاً لم يدرك أم رومان. (٦)

وبنوا حكمهم على ثلاثة أسباب:

١. دعوى الاختلاف في تحديد زمن وفاة أم رومان في حياة النبي ﷺ أم بعده.
٢. دعوى تصحيف بعض النسخ للفظ (سُئِلَتْ أم رومان) إلى (سَأَلَتْ أم رومان)، أو وهم وقع فيه حصين.

(١) - ينظر: الذهبي، «سير اعلام النبلاء»، ترجمة أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها (٤٦٦/٣).

(٢) - ينظر: ابن حجر، «الإصابة في تمييز الصحابة» ترجمة أم رومان (٨/ ٣٩٤).

(٣) - ينظر: المزي، «تهذيب الكمال»، ترجمة أم رومان (٣٥/ ٣٦١).

(٤) - ينظر: المزي، «تحفة الأشراف» (١٣/ ٨٠) «تهذيب الكمال» (٣٥٨/ ٣٥).

(٥) - العلائي، «جامع التحصيل» (ص: ١٢٥).

(٦) - ينظر: الكوراني، «الكوثر الجاري» (٧/ ٢٣٤).

٣. دعوى الاختلاف في اختلاط حُصَيْن بن عبد الرحمن السلمي.

الاختلاف في تحديد زمن وفاة أم رومان في حياة النبي ﷺ أم بعده:

حادثة الإفك كانت في غزوة المصطلق سنة ست من الهجرة على أصح الأقوال، ووقع الاختلاف فيما بين العلماء في تحديد زمن وفاة أم رومان على قولين:

• قول من قال إن وفاتها كان في حياة النبي ﷺ:

ذكر أهل التاريخ أنها توفيت في زمن النبي ﷺ وسنّ مسروق إذ ذاك ست سنين، فتبعهم جماعة من الحفاظ النقاد (١)، وكان مستندهم في ذلك ثلاثة أدلة:

حديث حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن القاسم بن محمد قال: لما دأبت أم رومان في قبرها قال رسول الله ﷺ: (مَنْ سرّه أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فليتنظر إلى أم رومان). وفي حديث عقّان: ونزل رسول الله ﷺ في قبرها).

حيث عدّ السهمودي قبرها من ضمن القبور التي نزلها الرسول ﷺ. (٢)

حديث رواه ابن عبد البر بدون سند، ولفظه: (نزل رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قبرها، واستغفر لها، وقال: اللَّهُمَّ لِمَ يخف عليك ما لقيت أم رومان فيك وفي رسولك). (٣)

رواية مسروق لها في حديث آخر مرسلًا، فظنوا أنه لم يلحق بها، قال ابن القيم: قالوا: وقد روى مسروق عن أم رومان حديثًا غير هذا فأرسل الرواية عنها، فظن بعض الرواة أنه سمع منها فحمل هذا الحديث على السماع. (٤)

فقد يكون قصدهم ما ذكره المقدسي أنه قال: وقد رُوِيَ الحديث عن مسروق عن عبد الله بن مسعود عنها، وهو الأشبه بالصواب (٥) حيث لم أقف على رواية أخرى لمسروق عن أم رومان. بسط الكلام على أدلتهم:

الدليل الأول: حديث حماد بن سلمة عن علي بن زيد رواه عن القاسم بن محمد.

بعد تتبع الطرق تبين أن مدار الحديث هو حماد بن سلمة، تفرد به عن علي بن زيد، عن القاسم بن محمد، وقد اختلف فيه على ثلاثة طرق، طريق مرسل، وطريقان موصولان عن السيدة عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما:

الطرق الأول: عن القاسم بن محمد مرسلًا.

رواه البخاري في التاريخ الأوسط معلقاً من رواية علي بن زيد. (٦)

(١) - ينظر: ابن كثير، «تفسير ابن كثير» (٢٥/٦) القسطلاني، «شرح إرشاد الساري» (٢٦٥/٧).

(٢) - ينظر: السهمودي، «وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى» (٨٦/٣).

(٣) - ينظر: ابن عبد البر، «الاستيعاب» (١٩٣٦/٤)، فقد يكون تابعا لحديث علي بن زيد السابق.

(٤) - ينظر: ابن القيم: «زاد المعاد» (٣١٢/٣).

(٥) - ينظر: المقدسي، «الكمال في أسماء الرجال» ترجمة أم رومان (٨٦/٢).

(٦) - ينظر: البخاري، «التاريخ الأوسط» (٣٨/١) ح (١٢٨).

الطريق الثاني: عن القاسم بن محمد عن السيدة عائشة رضي الله عنها.
رواه أبو الفضل الزهري عن أحمد، نا سفيان، نا ابن أبي عدي، نا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد،
عن القاسم، عن عائشة، قالت: لما دليت أم رومان في قبرها. قال رسول الله ﷺ: (من سره أن ينظر إلى
امرأة من الحور العين فليتنظر إلى هذه). (١)
وقد أشار العلائي إلى هذا الطريق من رواية ابن أبي عدي. (٢)
الطريق الثالث: عن القاسم بن محمد عن أم سلمة رضي الله عنها.
هذا الرواية ذكرها المألقي عن ابن منده: من طريق ابن مهدي نا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن
القاسم بن محمد عن أبي سلمة قال: لما دليت أم رومان قبرها قال رسول الله ﷺ: (من سره أن ينظر
إلى امرأة من الحور العين، فليتنظر إلى هذه). (٣)
وقد أشار العلائي وأبو نعيم إلى هذا الطريق من رواية ابن مهدي، عن حماد، عن علي بن زيد، عن
القاسم، عن أم سلمة. (٤)
قال المناوي بعد أن ذكر الحديث من طريق أم سلمة: (وعلى هذا فأمر رومان ماتت في زمن المصطفى
ﷺ). (٥)
قال أبو بكر الخطيب فيما نقله عنه المزي وأقره على ذلك: (وفيه إرسال، لأن مسروقاً لم يدرك أم
رومان، وكانت وفاتها على عهد رسول الله ﷺ وكان مسروق يرسل رواية هذا الحديث عنها). (٦)
قال المقرئ بعد أن ذكر ترجمة أم رومان: (وقد خرج لها البخاري حديثاً واحداً من حديث الإفك
رواية مسروق عنها ولم يبينها، وتعجب كيف خفي ذلك على البخاري وقد فطن مسلم له). (٧)
قال الحميدي: (كان بعض من لقينا من الحفاظ البغداديين يقول: إن الإرسال في هذا الحديث أبين،
واستدل على ذلك بأن أم رومان توفيت في حياة النبي ﷺ، ومسروق لم يشاهد النبي ﷺ بلا
خلاف). (٨)
وقال العلائي: (ولا خلاف في أنه لم يقدم المدينة إلا بعد وفاة النبي ﷺ وصلى خلف أبي بكر رضي الله
عنه، وسمع ممن بعده، فيتعين أن تكون روايته هذه مرسلة). (٩)

-
- (١) - ينظر: أبو الفضل الزهري، «حديث الزهري» (ص: ٢٩٢) ح (٢٦٢).
(٢) - ينظر: العلائي، «التنبيهات المجلدة» (ص: ٥٠)، «جامع التحصيل» (ص: ٢٧٧).
(٣) - ينظر: المألقي، «الجامع لما في المصنفات الجوامع من أسماء الصحابة» (٦/ ٤٤٣).
(٤) - ينظر: العلائي، «التنبيهات المجلدة» (ص: ٥٠)، «جامع التحصيل» (ص: ٢٧٧)، أبو نعيم، «معركة الصحابة» (٦/ ٣٤٩٨).
(٥) - ينظر: المناوي، «فيض القدير» (٦/ ١٥٢).
(٦) - ينظر: المزي، «تهذيب الكمال»، ترجمة أم رومان (٣٥/ ٣٦١).
(٧) - ينظر: المقرئ، «إمتاع الأسماع» (٦/ ١٨٢).
(٨) - ينظر: الحميدي، «الجمع بين الصحيحين» (٤/ ٣٠٨).
(٩) - ينظر: العلائي، «التنبيهات المجلدة» (ص: ٥٦).

وقال في موضع آخر: (والحاصل أن هذا الحديث منقطع بين مسروق وأم رومان). (١)
قال ابن عبد البر في حديث تزويج السيدة عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ: (رواية مسروق عن أم رومان
مرسلة، ولعله سمع ذلك من عائشة). (٢) قال الكلاباذي: (مسروقاً لم يسمع منها). (٣)
قال أبو زرعة نقلاً عن القاضي عياض أن روايته عنها مرسلة. (٤) والذي وقفت عليه من قول
القاضي عياض: (قيل هو وهم، ومسروق لم يدرك أم رومان). (٥) قال ابن الجوزي: (وهو مرسل؛
لأن مسروقاً لم يلقَ أم رومان). (٦)

قال الذهبي في ترجمة أم رومان: (روى عنها: مسروق مرسل؛ لأنها توفيت في حياة النبي ﷺ وراج ذلك
على البخاري والحديث في قصة الإفك). (٧) واختلفوا في تحديد سنة وفاتها، فمنهم من أرخه سنة
أربع، ومنهم من قال سنة خمس، ومنهم من قال سنة ست. وأغلب الأقوال - قول أهل التراجم
والسير- في ترجيح سنة ست على من جزم أنها ماتت في حياة النبي ﷺ. فقد جزم ابن عبد البر أنها
توفيت في حياة رسول الله ﷺ، وذلك في سنة ست من الهجرة، ونزل النبي ﷺ في قبرها، ونقل عن الزبير
بن بكار والواقدي أن وفاتها كانت في ذي الحجة من تلك السنة. (٨) وممن رجح وفاتها في سنة ست:
ابن سعد (٩) وأبو حسان الزياتي (١٠) والحاكم (١١)، والسهيلي (١٢) وسبط ابن الجوزي (١٣
والصفدي (١٤) وابن الأثير (١٥) والذهبي (١٦) قال الذهبي: كانت حية في الإفك.

-
- (١) - ينظر: العلائي، «التنبيهات المجلدة» (ص: ٥٧).
(٢) - ينظر: ابن عبد البر، «الاستيعاب» في ترجمة أم رومان (٤/ ١٩٣٧).
(٣) - ينظر: الكلاباذي، «الهداية والإرشاد» (٢/ ٨٥٩).
(٤) - ينظر: أبو زرعة، «تحفة التحصيل» (ص: ٣٠٠).
(٥) - ينظر: «مشارك الأنوار» (١/ ١٨٥).
(٦) - ينظر: ابن الجوزي، «جامع المسانيد» (٨/ ٤٠٧).
(٧) - ينظر: الذهبي، «تذهيب تهذيب الكمال» (١١/ ٢٠٢).
(٨) - ينظر: ابن عبد البر، «الاستيعاب» (٤/ ١٩٣٥).
(٩) - ينظر: ابن سعد «الطبقات الكبير» (١٠/ ٢٦٢).
(١٠) - ينظر: ابن الملقن، «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» (١٩/ ٤٣٧).
(١١) - ينظر: الحاكم، «المستدرک على الصحيحين» (٣/ ٥٣٨).
(١٢) - ينظر: السهيلي، «الروض الأنف» (٦/ ٤٤٠).
(١٣) - ينظر: سبط ابن الجوزي، «مرآة الزمان» (٣/ ٤٠٩).
(١٤) - ينظر: الصفدي، «الوافي بالوفيات» (١٤/ ١٠٤).
(١٥) - ينظر: ابن الأثير، «أسد الغاية» (٧/ ٣٢٠) وقال في «جامع الأصول» (١٢/ ٣٩٨) بعد أن ذكر حديث علي بن زيد:
وقيل: إنها بقيت بعد النبي ﷺ دهرًا طويلاً، والأول أصح.
(١٦) - ينظر: الذهبي، «تجريد أسماء الصحابة» (٢/ ٨٧٦). وذكر في «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٦٠) أنها ماتت سنة ست،
في ذي الحجة، وقال: أخرج البخاري من رواية مسروق عنها حديثاً وهو منقطع؛ لأنه لم يدركها، أو قد أدركها فيكون
تاريخ موتها هذا خطأ. والله أعلم.

والغريب أن الذهبي قد حكم على رواية مسروق عن أم رومان بالصحة والغرابة (١). وقد علل ابن الأثير رجحان هذا القول بقوله: (ومن زعم أنها توفيت سنة أربع أو سنة خمس.. فقد وهم؛ فإنه قد صح أنها قد كانت في الإفك حية، وكان الإفك في شعبان سنة ست)، وقد تعقبه ابن حجر فقال: (لم يتفقوا على تاريخ الإفك، فلا معنى للتوهم بذلك). (٢) أما من رجح وفاتها سنة أربع أو خمس جماعة منهم: النويري (٣) وذكر قولهم ابن عبد البر في "الاستيعاب". (٤)

الرد على هذا القول من وجوه:

- ١- على هذا القول يعد مسروق من الصحابة، فحادثة الإفك حدثت في عهد النبي ﷺ ونزل في شأنها آيات تقرأ، وموت أم رومان على حد زعمهم في حياة النبي ﷺ، فما الذي يمنع مسروق من لقاء النبي ﷺ، ليحصل له شرف الصحبة.
- والمشهور عنه أنه من كبار التابعين المشهورين، فليست له صحبة لأنه لم يقدم من اليمن إلا بعد موت النبي ﷺ في خلافة أبي بكر أو عمر. (٥)
- ٢- ما استشهدوا به من رواية نزول النبي ﷺ في قبرها، وما قال في شأنها، إنما هو حديث ضعيف لعلتين:

● ضعف علي بن زيد الذي عليه مدار الحديث.

علي بن زيد بن عبد الله بن جدعان، أبو الحسن القرشي ثم التيمي، من أهل البصرة، ولد أعمى، (ضعيف في الحديث، رُمي بالتشيع والاختلاط)، ضعفه جمع من العلماء منهم ابن معين والنسائي والجوزجاني، وابن حجر قال شعبة: كان رفيعاً، وقال مرة: حدثنا علي بن زيد قبل أن يختلط، قال ابن سعد: كان كثير الحديث وفيه ضعف ولا يحتج به، قال أحمد: ليس هو بالقوي، روى عنه الناس، قال أبو حاتم: ليس بقوي يكتب حديثه ولا يحتج، قال أبو زرعة: ليس بقوي، قال الدارقطني: أنا أقف فيه، لا يزال عندي فيه لين، قال الذهبي في الكاشف: أحد الحفاظ وليس بالثبت، وقال في ديوان الضعفاء: حسن الحديث، صاحب غرائب، احتج به بعضهم. (٦)

● علة الارسال، فالقاسم بن محمد لم يدرك النبي ﷺ

-
- (١) - ينظر: الذهبي، «تذهيب تهذيب الكمال» (٢٠٣/١١).
 - (٢) - ينظر: ابن حجر، «الإصابة في تمييز الصحابة» ترجمة أم رومان (٣٩٢/٨).
 - (٣) - ينظر: النويري، «نهاية الأرب» (١٣٥/١٩).
 - (٤) - ينظر: ابن عبد البر، «الاستيعاب» ترجمة أم رومان (١٩٣٥/٤).
 - (٥) - ينظر: ابن حجر، «هدي الساري، مقدمة فتح الباري» (٤٣٨/٧).
 - (٦) - ينظر: الذهبي، «الكاشف» (٤٠/٢) «ديوان الضعفاء» (ص ٢٨٣) ابن حجر «تهذيب التهذيب» (٣٢٢/٧) «تقريب التهذيب» (ص ٤٠١).

وهو القاسم بن محمد ابن أبي بكر الصديق التيمي، وأمه أم ولد يقال لها سودة، لم يدرك جدّه أبو بكر الصديق، ومات أبوه وهو صغير، فترى عند عمته عائشة، (من خيار التابعين وفقهاءهم، أفضل أهل زمانه وأعلمهم بالسنة)، ذكره ابن سعد في طبقة التابعين، قال العجلي: كان من خيار التابعين وفقهاءهم مدني تابعي ثقة نزه رجل صالح، قال ابن حبان: من سادات التابعين ومن أفضل أهل زمانه علماً وأدباً وعقلاً وفقهاً، قال ابن حجر: ثقة أحد الفقهاء بالمدينة، مات سنة ست ومائة، وقيل سنة سبع. (١)

وقد رجح العلماء الرواية المرسلة على الرواية الموصولة عن السيدة عائشة وام سلمة رضي الله عنهما، كالدارقطني في علله عندما سُئل عن روايته ورواية السيدة عائشة رضي الله عنه، قال عن الرواية المرسلة: (وهو المحفوظ). (٢)

٣- إن ما استندوا عليه في تاريخ وفاة أم رومان إنما من كلام بعض أهل السير والمغازي الذين فيهم نظر، كالواقدي والزبير بكار، فالواقدي قال عنه ابن حجر: (متروك مع سعة علمه) (٣)، والزبير بن بكار قال عنه ابن حجر: (ثقة)، إلا أنه ضعف ما رواه بعله الانقطاع. (٤)

فلا يقدم قولهم على ما في السند الصحيح، بل نبّه البخاري نفسه على بطلان قولهم في "تاريخه الأوسط"، فقال بعد أن ذكر أم رومان في فصل من مات في خلافة أبي بكر (٥): (روى علي بن يزيد عن القاسم: وفيه نظر، وحديث مسروق أسند). (٦)

قال ابن حجر: (أي أقوى إسناداً وأبين اتصالاً). (٧)

الدليل الثاني: حديث رواه ابن عبد البر بدون سند، ولفظه: (نزل رسول الله ﷺ قبرها، واستغفر لها، وقال: اللهم لم يخف عليك ما لقيت أم رومان فيك وفي رسولك).

لم أقف على من رواه مسنداً غير ما ذكره ابن عبد البر، وتبعه بعض العلماء، فقد يكون تابعاً لحديث علي بن زيد السابق.

الدليل الثالث: رواية مسروق لها في حديث آخر مرسل، فظنوا أنه لم يلحق بها، فقد ذكر أبو زرعة عن المقدسي حكاية عنه أنه قال: قد روى الحديث عن مسروق عن ابن مسعود وهو أشبه بالصواب.

(١) - ينظر: ابن سعد، «الطبقات الكبير» (١٨٦/٧) ابن حبان، «الثقات» (٣٠٢/٥)، الذهبي، «الكاشف» (١٣٠/٢) ابن حجر، «تهذيب التهذيب» (٣٣٥/٨) «تقريب التهذيب» (ص: ٤٥١).

(٢) - ينظر: الدارقطني، «العلل الواردة في الأحاديث النبوية» (٢٣٢/١٤).

(٣) - ينظر: ابن حجر، «تقريب التهذيب» (ص: ٤٩٨).

(٤) - ينظر: ابن حجر، «هدي الساري، مقدمة فتح الباري» (٤٣٨/٧) العيني، «عمدة القاري» (٢١٠/١٧).

(٥) - وقع في كتب التراجم والشروح ومن بينها فتح الباري لابن حجر أن البخاري في تاريخه الأوسط والصغير ذكرها فيمن مات في خلافة عثمان، وهو خطأ والصواب ما أثبتته. وهناك ملاحظة أخرى أن كتابه التاريخ الأوسط هو نفسه المسعى بالتاريخ الصغير. ينظر: محمد إبراهيم اللحيان، «التاريخ الأوسط»، مقدمة المؤلف (٦/١).

(٦) - ينظر: البخاري، «التاريخ الأوسط» (١١٧/١) ح (١٠٤).

(٧) - ينظر: ابن حجر، «فتح الباري» (٤٣٨/٧).

وهي رواية شاذة كما قال ابن حجر، وعدّها من المزيد في متصل الأسانيد. (١)
وعلى فرض ثبوتها فهي دلالة على تنوع مصادر الرواية عند مسروق، فلا يمنع سماعه القصة أم
رومان وابن مسعود - وهو من كبار أصحاب ابن مسعود- فحدث بما سمع، على أنني لم أقف على
رواية ابن مسعود مسندة غير ما ذكره المقدسي.

فدل صنيع البخاري هنا على أن دخول الوسطة (عبد الله بن مسعود) بين مسروق وأم رومان لا يعد
من الموانع القادحة التي يحتج بها على نفي ثبوت اللقاء، ورد النص المنقول الذي ثبت فيه اللقاء. (٢)
قول من قال إنها مات بعد وفاة النبي ﷺ:

جزم جماعة من العلماء أن أم رومان عاشت بعد وفاة النبي ﷺ دهرًا من الزمن حتى سمع منها
مسروق، ولكن اختلفوا في زمن وفاتها في عهد أبي بكر الصديق، أم في عهد عمر بن الخطاب رضي الله
عنهم.

كما اختلفوا في إدراك مسروق لأبي بكر الصديق بين مؤيد ومُنكر. (٣)

واستندوا في قولهم على تأخر وفاتها بعد وفاة النبي ﷺ بثلاثة أدلة:

١. إخراج البخاري وإسحاق البستي وسعيد بن منصور لرواية مسروق عن أم رومان بتصريح
السماع بلفظ (حدثني، سألت، حدثتهم).

٢. ما رواه أحمد في "مسنده" بعد نزول آية التخيير، قال: حدثنا محمد بن بشر، قال: حدثنا
محمد بن عمرو، حدثنا أبو سلمة، عن عائشة، قالت: لما أنزلت آية التخيير قال: بدأ بعائشة
فقال: (يا عائشة إني عارض عليك أمرا فلا تفتاتن فيه بشيء حتى تعرضيه على أبوبكر أبي
بكر، وأم رومان). (٤)

(١) - ينظر: ابن حجر، «فتح الباري» (٤٣٨/٧).

(٢) - ينظر: خالد الدريس، «موقف الإمامين البخاري ومسلم» (ص: ١٢٨).

(٣) - فقد أثبت جماعة من العلماء لقاء مسروق لأبي بكر، كالبخاري في «التاريخ الأوسط»، قال: سمع من أبي بكر
وعمر رضي الله عنهما وقال في «التاريخ الكبير»: رأى أبا بكر، وعمر، وكذا قال ابن حبان في «الثقات» وقال علي بن
المديني في «عنه»: ما أقدم على مسروق أحداً بشيء من أصحاب عبد الله، وصلى خلف أبي بكر، ولقي عمر، وعلياً، ولم
يرو عن عثمان شيئاً، وزيد بن ثابت، وعبد الله، والمغيرة، وخباب بن الأرت. وأنكره لقاءه عبد الرحمن بن مهدي، ذكره
ابن أبي حاتم في «المراسيل» عن ابن المديني قال سمعت عبد الرحمن بن مهدي ينكر أن يكون مسروق صلى خلف أبي
بكر، وقال: لم يقل هذا إلا هشام. هو هشام الدستوائي وروايته أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبير» قال العلاني في
«جامع التحصيل»: فتكون روايته عن أبي بكر مرسلة. وليس مقصود ابن مهدي في قوله (لم يقل هذا إلا هشام) إنكار
صلاة مسروق خلف أبي بكر، وإنما من باب بيان انفراد هشام بهذا القول. ينظر: البخاري، «التاريخ الأوسط» (١/٢٤٠)
ح (٤٣٧) «التاريخ الكبير» (٣٩٢/٩) ابن حبان «الثقات» (٤٥٦/٥) علي بن المديني «علل الحديث» (ص: ٣٠٦)
ابن أبي حاتم في «المراسيل» (ص: ٨١١) ابن سعد «الطبقات الكبير» (١٩٧/٨) العلاني «جامع التحصيل» (ص: ٢٧٧)

(٤) - ينظر: أحمد، مسنده (٥٠٧/٤٢) ح (٢٥٧٧٠).

وآية التخيير هي قوله الله: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيِّنَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعُكُمْ وَأُسْرِحُكُمْ سَرَاحاً جَمِيلاً وَإِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً} [سورة الأحزاب، الآيتان: ٢٨-٢٩].

٣. قصة أضياف أبي بكر المروية في "الصحيحين" من حديث أبي عثمان النهدي، عن عبد الرحمن بن أبي بكر - أن أصحاب الصِّفَّة كانوا ناساً فقراء - فذكر الحديث في قصة أضياف أبي بكر. (١)

بسط الكلام على أدلتهم:

الدليل الأول. إخراج البخاري لرواية مسروق عن أم رومان في موضعين بتصريح السماع بلفظ (حدثني) من طريق أبي عوانه، ولفظ (سألت) من طريق محمد بن فضيل، كما أخرجها إسحاق البستي في "تفسيره" بلفظ: (حدثني)، من طريق علي بن عاصم وأخرجها سعيد بن منصور في "سننه" بلفظ: (حدثهم) من طريق سويد بن عبد العزيز. وهذا صريح في سماع مسروق منها. وقد اعتمد عليه كثير من العلماء، وبنوا قولهم عليه:

قال أبو نعيم: (قبل إنها توفيت في عهد النبي ﷺ، وهو وهم) (٢)، وقال في موضع آخر: (بقيت بعد النبي ﷺ دهرًا). (٣)

قال المقرئ: (أنكر الحافظ أبو نعيم موتها في حياة النبي ﷺ، ولا عمدة له إلا حديث مسروق عنها). (٤)

قال حافظ اليمن أبو زكريا العامري: (ووهم كثيرون ممن ادعى موتها في حياة رسول الله ﷺ؛ لتصريح مسروق في "صحيح البخاري" بالسماع منها، وقوله: (سألت أم رومان)). (٥)
قال أبو الفرج: (عورض القول بموتها في حياة رسول الله ﷺ بما في البخاري عن مسروق قال: سألت أم رومان وهي أم السيدة عائشة رضي الله تعالى عنهما، ومسروق ولد بعد موت النبي ﷺ بلا خلاف، وما في البخاري حديث صحيح مقدم على ما ذكره أهل السير من موتها في حياته ﷺ). (٦)
وفي قوله: (ومسروق ولد بعد موت النبي ﷺ بلا خلاف) فيه نظر.
والظاهر أنه وقع تصحيف في لفظة: (بعد موته)، والصواب (بعد هجرته) كما قاله ابن حجر الآتي ذكره.

(١) - أخرجه البخاري في مواقيت الصلاة وفضلها، باب السمر مع الضيف والأهل (٢١٦/١) ح (٥٧٧) وأخرجه مسلم في الأثرية، باب إكرام الضيف، وفضل إيثاره (١٣٠/٦) ح (٢٠٥٧).

(٢) - ينظر: أبو نعيم، «معرفة الصحابة» (٣٤٩٨/٦).

(٣) - ينظر: ابن حجر، «الإصابة في تمييز الصحابة» ترجمة أم رومان (٣٩١/٨).

(٤) - ينظر: المقرئ، «إمتاع الأسماع» (١٨٢/٦).

(٥) - ينظر: أبو محمد الطيب بامخرمة، «قلادة النحر» (٩٠/١).

(٦) - ينظر: نور الدين الحلبي، «السيرة الحلبية» (١٠٩/٢).

قال إبراهيم الحربي: (كان يسألها وله خمس عشرة سنة ومات مسروق وله ثمان وسبعون سنة وأم رومان أقدم من كل من حدث عنه مسروق)، وقد تعجب الخطيب البغدادي من قول إبراهيم الحربي، وذكر أنه ممن أرخ وفاتها في ذي الحجة سنة ست. (١)
وقد علّق ابن حجر على قول إبراهيم الحربي: (فعلى هذا يكون سماعه منها في خلافة عمر لأن مولد مسروق كان في سنة الهجرة). (٢)

وقد استشكل عليّ هنا قول ابن حجر، فقد خالف ما ذكره البخاري في كتابه "التاريخ الأوسط" من ذكره لأم رومان فيمن مات في خلافة أبي بكر، فيكون عمره عشر سنين.
على أن هذا الإشكال لا يقدر في صحة سماعه منها من عدة وجوه:

١. قدوم مسروق إلى المدينة سنة وفاة النبي ﷺ، في خلافة أبي بكر، فقد جاءت بعض الروايات أنه صلى خلف أبي بكر.

٢. لم يطل مسروق ملازمة أم رومان، والدليل قول العلاني أنها أقدم من كل من حدث عنه مسروق، ولم أقف على رواية أخرى له عنها، غير هذا الحديث، بالرغم من أن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها قد تبنته، وكان يدخل عليهم ويسألهم، حتى أنه سعى ابنته على اسم السيدة عائشة رضي الله عنها، ولفظه في بعض رواياته: (سألت أم رومان، وهي أم السيدة عائشة عما قيل فيها ما قيل) شاهد على ذلك.

قال البرماوي: (الأصح أن مسروقاً سمع أم رومان). (٣)

الدليل الثاني: ما رواه أحمد في "مسنده" قال: حدثنا محمد بن بشر، قال: حدثنا محمد بن عمرو، حدثنا أبو سلمة، عن عائشة، قالت: لما أنزلت آية التخيير قال: بدأ بعائشة فقال: (يا عائشة إني عارض عليك أمراً فلا تفتاتن فيه بشيء حتى تعرضيه على أبيك أبي بكر، وأم رومان). (٤)
وآية التخيير نزلت في سنة تسع على الاتفاق، وبدأ النبي ﷺ بعائشة رضي الله عنها، وطلب منها أن تستشير أبويها أبي بكر وأم رومان رضي الله عنهما، مما يدل على تأخر وفاتها. وليس في الصحابة من تكفى أم رومان سواها. (٥) قال ابن حجر في الفتح: (وأصله في الصحيحين (٦) دون تسمية أم

(١) - ينظر: العلاني، «جامع التحصيل» (ص: ٢٧٧).

(٢) - ينظر: ابن حجر، «فتح الباري» (٧/ ٤٣٨).

(٣) - ينظر: البرماوي، «اللامع الصبيح» (١٢/ ٣١٠).

(٤) - أخرجه أحمد في مسنده (٥٠٧/ ٤٢) ح (٢٥٧٧٠).

(٥) - ينظر: الشنقيطي، «كوثر المعاني» (٧/ ٣٢٢).

(٦) - رواه البخاري بلفظ (استأمرني أبويك) ومسلم بلفظ (تستأمرني أبويك) ولفظ (تستشيرني أبويك)، أخرجه البخاري في التفسير، باب قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّزَوْجِكَ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} (٤/ ١٧٩٦) ح (٤٥٠٧)؛ ولفظ (تستأمرني أبويك) أخرجه مسلم في الطلاق، باب: في الإيلاء واعتزال، النساء، وتخييرهن، وقوله تعالى: {وإن تظاهرا عليه} (٤/ ١٨٨) ح (١٤٧٥) ولفظ: (تستشيرني أبويك) أخرجه مسلم في كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية (٤/ ١٨٧) ح (١٤٧٨).

رومان، وآية التخيير نزلت سنة تسع اتفاقاً، فهذا دال على تأخر موت أم رومان عن الوقت الذي ذكره الواقدي والزبير). (١)

وقال في التهذيب: (وهذا إسناد جيد وأصله في الصحيحين من طريق أبي هريرة عن أبي سلمة بلفظ استأمرني أبويك ولم يسمهما... والحديث دال على أن أم رومان كانت إذ ذاك موجودة، فبان وهم علي بن زيد ومن معه). (٢)

قال القسطلاني: (وهو يرد على من زعم أن أم رومان ماتت سنة ست من الهجرة فإن التخيير كان في سنة تسع). (٣)

الدليل الثالث: قصة أضياف أبي بكر المروية في "الصحيحين" من حديث أبي عثمان التهدي، عن عبد الرحمن بن أبي بكر- أن أصحاب الصفة كانوا ناساً فقراء- فذكرنا الحديث في قصة أضياف أبي بكر. استشهد ابن حجر بهذا الحديث على رجحان تأخر وفاة أم رومان، وضعف رواية علي بن زيد، بأمرين: أولاً: راوي الحديث عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، أمه أم رومان، وهو ممن تأخر إسلامه إلى قبيل فتح مكة، في ثمان من الهجرة، واختلفوا في تحديد زمن إسلامه على ثلاثة أقوال:

١- أسلم قبل صلح الحديبية:

قال ابن عبد البر: (أسلم وحسن إسلامه، وصحب النبي ﷺ في هدنة الحديبية). (٤) ومفاد كلامه أن عبد الرحمن أسلم قبل هدنة الحديبية، إلا أن يكون قصده أنه حصل على شرف الصحبة بإسلامه في هدنة الحديبية.

٢- أسلم في هدنة الحديبية:

قال ابن سعد: (أسلم عبد الرحمن بن أبي بكر في هدنة الحديبية وهاجر إلى المدينة). (٥)

قال أبو أحمد الحاكم: (ويقال: أسلم في هدنة الحديبية). (٦)

قال الواقدي: (أسلم في هدنة الحديبية، ومات سنة ثلاث وخمسين، والهدنة الصُّلح). (٧)

قال ابن منجويه: (ويقال أسلم في هدنة الحديبية). (٨)

قال النووي والحضرمي: (أسلم في هدنة الحديبية، وحسن إسلامه). (٩)

(١) - ينظر: ابن حجر، «فتح الباري» (٤٣٨/٧).

(٢) - ينظر: ابن حجر، «تهذيب التهذيب» (٤٦٩/١٢).

(٣) - ينظر: القسطلاني، «إرشاد الساري» (٢٩٥/٧).

(٤) - ينظر: ابن عبد البر، «الاستيعاب» (٨٢٤/٢).

(٥) - ينظر: ابن سعد، «الطبقات الكبير» (٢١/٥).

(٦) - ينظر: أبو أحمد الحاكم، «الأسامي والكنى» (٢٥/٥).

(٧) - ينظر: الكلأبازي، «الهداية والإرشاد» (٤٣٩/١). ابن عساكر، «تاريخ دمشق» (٣١/٣٥).

(٨) - ينظر: ابن منجويه، «رجال صحيح مسلم» (٤٠١/١).

(٩) - ينظر: النووي، «تهذيب الأسماء واللغات» (٢٩٥/١)، الحضرمي: «قلادة النحر» (٣٦٢/١).

قال سبط ابن الجوزي: (أسلم عبد الرحمن في هدنة الحُدَيْبِيَّة). (١)

٣- أسلم بعد هُدنة الحُدَيْبِيَّة، وقبل الفتح:

قال ابن عبد البر: (وذكر الزبير، عن سفيان بن عيينة، عن علي بن زيد بن جدعان أن عبد الرحمن بن

أبي بكر خرج في فئة من قريش هاجروا إلى النبي ﷺ قبل الفتح). (٢)

قال الذهبي: (أسلم وهاجر قبيل الفتح). (٣)

قال الصفدي: (أسلم قبل الفتح). (٤)

قال ابن حجر في التقريب، والعيني في مغاني الأخيار: (تأخر إسلامه إلى قبيل الفتح). (٥)

٤- أسلم يوم فتح مكة:

قال ابن حجر: (وقيل بل كان إسلامه يوم الفتح وإسلام معاوية في وقت واحد). (٦)

فنجد أن أغلب الأقوال على أنه أسلم في هُدنة الحُدَيْبِيَّة، وقبيل فتح مكة، ويكون الجمع بينهما: أنه

أسلم في هُدنة الحُدَيْبِيَّة وكانت في سنة ست من الهجرة، ولم يهاجر إلا قبيل فتح مكة وكان فتحها

سنة ثمان من الهجرة.

ثانيا: ذُكر عبد الرحمن لأمه (أم رومان) في هذا الحديث مما يدل على حضورها لهذه القصة، كقوله:

(وإنما هو أنا وأمي وامراتي وخادم بيتنا)، وفي بعض طرقه عند البخاري في كتاب الأدب: (فلما جاء أبو

بكر قالت له أمي: احتبست عن أضيافك). وأم عبد الرحمن هي أم رومان بلا خلاف.

وهناك دليل ثالث في الحديث: وهو قول أبي بكر لها: (يا أخت بني فراس)، وقد ذُكر في نسبها أنها من بني

فراس.

قال ابن حجر في ترجمة أم رومان: (وثبت في صحيح البخاري أن أبا بكر قال لها في قصة الجفنة التي

حلف عليها أنه لا يأكل منها من أضيافه: يا أخت بني فراس). (٧)

مما يدل على تأخر وفاتها إلى ما بعد فتح مكة سنة ثمان، بل تأخر وفاتها إلى عهد عمر بن الخطاب،

كما ذكره إبراهيم الحربي وابن حجر.

قال ابن حجر في الفتح: (ومما يدل على ضعف رواية علي بن زيد بن جدعان ما ثبت في الصحيح من

رواية أبي عثمان النهدي عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أن أصحاب الصفة

كانوا ناسا فقراء فذكر الحديث في قصة أضياف أبي بكر، وفيه: قال: قال عبد الرحمن إنما هو أنه

(١) - ينظر: سبط ابن الجوزي، «مرآة الزمان» (٧/ ٣٦٨).

(٢) - ينظر: ابن عبد البر، «الاستيعاب» (٢/ ٨٢٤).

(٣) - ينظر: الذهبي، «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٤٧١).

(٤) - ينظر: الصفدي، «الوافي بالوفيات» (١٨/ ٩٥).

(٥) - ينظر: العيني، «مغاني الأخيار» (٣/ ٥٢٨)، ابن حجر، «تقريب التهذيب» (ص: ٣٣٧).

(٦) - ينظر: ابن حجر، «تهذيب التهذيب» (٦/ ١٤٦).

(٧) - ينظر: ابن حجر، «الإصابة في تمييز الصحابة» (٨/ ٣٩١).

وأُمي وامرأتي وخادم بيتنا الحديث وأم عبد الرحمن هي أم رومان لأنه شقيق عائشة وعبد الرحمن إنما أسلم بعد سنة ست وقد ذكر الزبير بن بكار من طريق بن عيينة عن علي بن زيد أن إسلام عبد الرحمن كان قبل الفتح وكان الفتح في رمضان سنة ثمان فبان ضعف ما قال علي بن زيد في تقييد وفاة أم رومان مع ما اشتهر من سوء حفظه في غير ذلك فكيف تعل به الروايات الصحيحة المعتمدة والله أعلم الحديث). (١)

دعوى تصحيف (سُئِلْتُ أم رومان) إلى (سَأَلْتُ أم رومان)

ظن بعضهم أن رواية (سَأَلْتُ أم رومان) تصحيف من بعض النساخ، أو وهم وقع فيه حصين، والصواب: (سُئِلْتُ) صيغة المجهول من الماضي.

تبني هذا القول الخطيب البغدادي، ونقل قوله بعض العلماء، وتعددت الفاظهم فيه والمعنى واحد؛ كالقاضي عياض (٢) وابن قرقول (٣) وابن سيد الناس (٤) وابن كثير (٥) والمقريزي (٦) وتبعه المزي (٧) الذهبي في مختصراته (٨) وآخرون.

فظهر لي أن اختلاف الفاظ الخطيب البغدادي في هذه المسألة فيمن نقله عنه بسبب أمرين:

١. ذُكِرَ الخطيب البغدادي له في موضعين، فيكون كل نقله على حسب الموضع الذي وقف عليه، وكما ذكرنا سابقاً أن له كتابان في هذا الفن، أحدهما التفصيل لمهم المراسيل، والثاني تمييز المزيد في متصل الأسانيد.

٢. بعض النقلة نقله بتصريف منه دون الإشارة إلى ذلك.

قال المزي في "تحفة الأشراف": قال الحافظ أبو بكر الخطيب: (وكان مسروق يرسل رواية هذا الحديث عنها ويقول: (سُئِلْتُ أم رومان)، فوهم حصين فيه، إذ جعل السائل لها مسروقاً، اللهم إلا أن يكون بعض النقلة كتب (سُئِلْتُ) بالألف فإن من الناس من يجعل الهمزة في الخط ألفاً وإن كانت مكسورة أو مرفوعة، فببراً حينئذ حصين من الوهم فيه على أن بعض الرواة قد رواه عن حصين على

(١) - ينظر: ابن حجر، «هدي الساري، مقدمة فتح الباري» (١/٣٧٣).

(٢) - ينظر: القاضي عياض، «مشارك الأنوار» (١/١٨٦).

(٣) - ينظر: ابن قرقول، «مطالع الأنوار» (٢/٢٤٧).

(٤) - ينظر: ابن سيد الناس، «عيون الأثر» (٢/١٣٨).

(٥) - ينظر: ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم» (٦/٢٥).

(٦) - ينظر: المقريزي، «إمتاع الأسماع» (٦/١٧٩).

(٧) - ينظر: المزي، «تحفة الأشراف» (١٣/٧٩).

(٨) - ينظر: الذهبي، «الكاشف» (٢/٥٢٤).

الصواب). (١) يشير بذلك إلى من رواه عن مسروق بالعنعنة. (٢) وكذا قال ابن العربي: (العنعنة في رواته، إنه أصح). (٣)

ومفاد كلام الخطيب البغدادي أن البخاري وهم في إخراجهم لرواية مسروق عن أم رومان في الصحيح، بناء على ظاهر الاتصال، ولم تظهر للبخاري علتة من جهتين: دعوى التصحيف، ودعوى اختلاط حُصَيْن بن عبد الرحمن السلمي.

• دعوى التصحيف:

استندوا في اعتراضهم على دليلين:

الدليل الأول: ما رواه أبو سعيد الأشج عن محمد بن فضيل فقال فيه عن مسروق قال: (سُئِلْتُ) أم رومان وهي أم السيدة عائشة رضي الله عنها فذكرت القصة، قال الخطيب: (وهذا أشبه مما رواه البخاري). (٤)

الدليل الثاني: ما وقع في ظن الخطيب البغدادي أنه تصحيف وقع من بعض النُسخ. وأقره المزي وزاد: أنه روى عن مسروق عن ابن مسعود عن أم رومان وهو أشبه بالصواب. وهذا الاحتمال الذي قاله الخطيب البغدادي يردّه رواية البخاري له في "الصحيح" من طريق أبي عوانة، وإسحاق البستي في "تفسيره" من طريق علي بن عاصم بلفظ: (فحدثني أم رومان) ورواية سعيد بن منصور من طريق سويد بلفظ: (أن أم رومان حدثتهم). وممن ردّ هذا الاحتمال العلائي بقوله: (ولا يتأتى هذا التأويل في قول مسروق: (حدثني أم رومان)، كما رواه البخاري، من طريق أبي عوانة، فالأولى ردّ الوهم فيه إلى حصين بعد اختلاطه). (٥) ووردّه أيضاً الكرماني بقوله: (لا ينفعه هذا العذر لما جاء في حديث الإفك في المغازي، وقال مسروق حدثني أم رومان). (٦)

كما ردّ ابن حجر رواية المزي بقوله: (وهذه الرواية شاذة وهي من المزيد في متصل الأسانيد). (٧)

• دعوى اختلاط حُصَيْن بن عبد الرحمن السلمي.

الاختلاط: هو فساد في العقل يطرأ على الراوي لعارض، يمنع من قبول روايته بعده، وهم منقسمون: فمنهم من خلط لاختلاطه وخرفه، ومنهم من خلط لذهاب بصره، أو لغير ذلك. (٨)

(١) - ينظر: المزي، «تحفة الأشراف» (١٣ / ٧٩).

(٢) - ينظر: ابن حجر، «فتح الباري» (٧ / ٤٣٨).

(٣) - ينظر: ابن الملقن، «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» (١٩ / ٤٣٩).

(٤) - ينظر: العلائي: «جامع التحصيل» (ص: ٢٧٧).

(٥) - ينظر: العلائي، «التنبيهات المجلدة» (ص: ٥٧).

(٦) - الكرماني، «الكواكب الدراري» (١٤ / ٤٠).

(٧) - ينظر: ابن حجر، «فتح الباري» (٧ / ٤٣٨).

(٨) - ينظر: ابن الصلاح، «مقدمة ابن الصلاح» (ص: ٣٩١) الحارث بن علي الحسني، «منتقى الألفاظ» (ص: ٢٧).

وحُصين بن عبد الرحمن كان ممن عمّر حتى بلغ الثلاث والتسعون سنة، وكان سبب اختلاطه هو الكبير، كما ذكره الذهبي (١)، فصار يقبل التلقين كما قاله يزيد بن هارون. (٢)

قال الأبناسي: (وذكره البخاري في الضعفاء، وكذلك العقيلي، وابن عدي، ولم يذكروا فيه تضعيفاً، غير أنه كبير ونسي). (٣)

ومسألة اختلاط حُصين بن عبد الرحمن اعتمد عليها الخطيب البغدادي في دعواه، وتبعه العلائي. حيث نقل العلائي قول الخطيب البغدادي ولفظه: (لعل التصريح بالسماع جاء فيه من حصين فإنه اختلط في آخر عمره. قلت: وهذه فائدة جليّة نبّه عليها الحافظ الخطيب رحمه الله، وحاصلها أن الحديث الذي أخرجه البخاري مرسل، وخفي ذلك على الإمام البخاري والله أعلم). (٤)

فوجد أن مدار الحديث على حُصين بن عبد الرحمن السلمي، والعجيب أن الخطيب البغدادي في المفترق والمتفق نقل توثيق العجلي، واقتصر عليه (٥) دون أن يتعرض لمسألة الاختلاط. واختلف العلماء في مسألة اختلاطه، بين مؤيد ومنكر.

فقد حكم باختلاطه بعض أهل العلم، نقل أقوالهم من ترجم لحصين منهم البخاري في "التاريخ الكبير"، وذكر أن ممن سمع عنه أبو عوانه، ثم نقل قول أحمد عن يزيد بن هارون: (طلبت الحديث، وحصين حي، كان بالمبارك، ويقرأ عليه، وكان قد نسي). (٦)

وقال مرة: (اختلط). (٧)

قال أبو حاتم: (وفي آخر عمره ساء حفظه). (٨)

قال ابن طهمان: (قلت لابن معين: عطاء بن السائب وحصين اختلطا، قال: نعم). (٩)

قال النسائي: (تغير) (١٠) وقال في موضع آخر: (وقد كان حصين بن عبد الرحمن اختلط في آخر عمره). (١١)

قال ابن حجر: (ثقة، تغير حفظه في الآخر). (١٢)

-
- (١) - ينظر: الذهبي، «من تكلم فيه وهو موثق» (ص: ١٧٢).
- (٢) - ينظر: البخاري، «التاريخ الكبير» (٣/ ٣٣٩).
- (٣) - ينظر: الأبناسي، «الشذا الفياح» (٢/ ٧٦٤).
- (٤) - ينظر: العلائي، «جامع التحصيل» (ص: ٢٧٧).
- (٥) - ينظر: الخطيب البغدادي، «المتفق والمفترق» (١/ ٦٩٦).
- (٦) - ينظر: البخاري، «التاريخ الكبير» (٣/ ٣٣٩).
- (٧) - ينظر: العقيلي: «الضعفاء الكبير» (١/ ٣١٤).
- (٨) - ينظر، ابن أبي حاتم «الجرح والتعديل» (٣/ ١٩٣).
- (٩) - ينظر: ابن معين من رواية طهمان، «من كلام أبي زكريا يحيى بن معين في الرجال» (ص: ١٠٤).
- (١٠) - ينظر: النسائي، «الضعفاء والمتروكون» (ص: ٣٠).
- (١١) - ينظر: النسائي، «السنن الكبرى» (٩/ ٤٦).
- (١٢) - ينظر: ابن حجر، «تقريب التهذيب» (ص: ١٧٠).

قال الذهبي: (عَمَّرَ وَنَسِيَ)، وقال مرة أخرى: (وقيل إنه تغيرَ يَسِيرًا). (١)

ذكره ابن الكيال في "الكواكب النيرات"، وابن سبط العجبي في "الاغتباط بمن رُمي بالاختلاط"، ومحمد طلعت في "معجم المختلطين". (٢)

وقد أنكر اختلاطه علي بن المديني وعلي بن عاصم، وزاد المديني (بل ساء حفظه وهو على ذاك ثقة). (٣)

وهذا ما رجحه العلائي في "المختلطين"، وقال عنه: (أحد الأعلام المتفق عليهم)، وقال: (فهو من القسم الأول أيضاً). (٤)

ومقصوده بالقسم الأول، أنه قسم المختلطين إلى ثلاثة أقسام، وقال عن القسم الأول: (من لم يوجب ذلك له ضعفاً أصلاً، ولم يحط من مرتبته، إما لقصر مدة الاختلاط وقلته، كسفيان بن عيينة، وإسحاق بن إبراهيم بن راهويه، وهما من أئمة الإسلام المتفق عليهم، وإما لأنه لم يرو شيئاً حال اختلاطه، فسلم حديثه من الوهم، كجبرير بن حازم، وعفان بن مسلم، ونحوهما). (٥)

فمسألة الاختلاط ليست قاعدة مطردة في تضعيف الحديث، بل جعلوا لها ضوابط تعرف بها رواية الراوي المقبولة قبل اختلاطه وبعده.

والبخاري هنا لم يغفل عن مسألة اختلاط حصين بدليل أنه أشار إليها حين ترجم له، مما يدل على أنه ميّز بين أحاديثه قبل اختلاطه وبعده، فاعتمد هنا على أسلوب الانتقاء.

فكان ينتقي من أحاديث المتكلم فهم صحاح أحاديثهم، وما لم يغلطوا فيه، إما بالمتابعة، أو بدقة معرفته بعلة الحديث، وهذا مما فاق به البخاري على غيره من العلماء، وصح عنه أنه قال: (كل رجل لا أعرف صحيح حديثه من سقيمه لا أروي عنه، ولا أكتب حديثه). (٦)

وقد أشار إلى ذلك ابن الصلاح في "مقدمته" حين تكلم عن اختلاط عارم محمد بن فضيل، أبو النعمان فقال: (ما رواه عنه البخاري ومحمد بن يحيى الذهلي وغيرهما من الحفاظ ينبغي أن يكون مأخوذاً عنه قبل اختلاطه). (٧)

وظهر ذلك واضحاً جلياً في إirاده لرواية حصين في الصحيح.

-
- (١) - ينظر: الذهبي: «المغني في الضعفاء» (١/ ١٧٧) «الرواة الثقات المتكلم فهم بما لا يوجب ردهم» (ص: ٨٥).
- (٢) - ينظر: ابن الكيال، «الكواكب النيرات» (ص: ١٣٢) ابن سبط العجبي، الاغتباط بمن رمي من الرواة بالاختلاط (ص: ٨٨) محمد طلعت، «معجم المختلطين» (ص: ٧١).
- (٣) - ينظر: العقيلي، «الضعفاء الكبير» (١/ ٣١٤) ابن سبط العجبي، «الاغتباط بمن رمي من الرواة بالاختلاط» (ص: ٨٨).
- (٤) - ينظر: العلائي، «المختلطين» (ص: ٢١).
- (٥) - ينظر: العلائي، «المختلطين» (ص: ٣).
- (٦) - ينظر: الترمذي، «العلل الكبير للترمذي» (ص: ٣٩٤).
- (٧) - ينظر: ابن الصلاح، «مقدمة ابن الصلاح» (ص: ٣٩٧).

فبالمتابعة، انتقى من حديث حُصين ما توبعوا عليه، كما بيّنه ابن حجر في "هدي الساري" حيث ذكر أسماء من روى عن حصين قبل الاختلاط وبعده، ومفاده أن أبا عوانه، وحصين بن نمير، ومحمد بن فضيل رَووا عنه بعد الاختلاط، ولكن البخاري أخرج من حديثهم ما توبعوا عليه. (١)

وقد جزم صاحب نهاية الغتباط أن ممن سمع عنه قبل الاختلاط: سليمان بن كثير. (٢)

فنجد أن البخاري في صيغة (التحديث) اعتمد على رواية أبي عوانه وهو ثقة، وذكر القصة بتمامها. وفي صيغة (السؤال) اعتمد على رواية محمد بن فضيل من طرق محمد بن سلام، وهو ثقة، وذكر القصة بتمامها.

وفي صيغة العنونة اعتمد على رواية سليمان بن كثير، وهو صدوق في غير رواية الزهري، وهي رواية مختصرة بلفظ: (لما رُميت عائشة خَرَّتْ مغشياً عليها). فهو لم ينفرد بهذه الرواية، والعنونة هنا محمولة على الاتصال بالشواهد السابقة. وهذا ما أشار إليه العيني بقوله: ما وقع في البخاري ومسلم من العنونة فمحمول على السماع من وجه آخر. (٣)

فمن هنا تجلّت صنعة البخاري ومنهجه في إيراد الأحاديث في الصحيح، فكان من أبرز ما عُرف به تكراره الأحاديث في أكثر من موضع في صحيحه، لفائدة متنية أو إسنادية ظهرت له. فالفائدة الإسنادية في هذا الحديث هي تنوع صيغ الأداء في طرقه الثلاث، بالرغم من أنه إسناد غريب مداره على حُصين، وذلك لإزالة الشك الواقع في الرواية بصيغة العنونة.

والفائدة المتنية: ذكره في موضعين تاماً وفي موضع آخر مختصراً مقتصراً على لفظة: (لما رُميت عائشة خَرَّتْ مغشياً عليها)، للتنبيه أن هذه اللفظة غير مذكورة في رواية الزهري من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، وهي رواية تخالف ما في رواية عروة بن الزبير عن السيدة عائشة رضي الله عنها بأنها قالت: (فاسْتَعْبِرْتُ وَبَكَيْتُ). (٤)

وقد حرر ابن حجر هذا بقوله في تنوعه لصيغ الأداء: (ربما أورد حديثاً عنعه راويه، فيورده من طريق أخرى مصرحاً فيها بالسماع على ما عرف من طريقته في اشتراط ثبوت اللقاء في المعنعن، فهذا جميعه فيما يتعلق بإعادة المتن الواحد في موضع آخر أو أكثر).

وبقوله في تكراره للحديث: (وربما ضاق عليه مخرج الحديث، حيث لا يكون له إلا طريق واحدة، فيتصرف حينئذ فيه، فيورده في موضع موصولاً، وفي موضع معلقاً، ويورده تارة تاماً، وتارة مقتصراً على طرفه الذي يحتاج إليه في ذلك الباب). (٥)

(١) - ينظر: ابن حجر، «هدي الساري، مقدمة فتح الباري» (٣٩٨/١).

(٢) - ينظر: علاء الدين علي رضا، «نهاية الاغتباط» (ص: ٨٨).

(٣) - ينظر: العيني، «عمدة القاري» (١٩ / ١).

(٤) - ينظر: البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: {إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا} (١٧٨١ / ٤) ح (٤٤٩٧).

(٥) - ينظر: ابن حجر، «هدي الساري، مقدمة فتح الباري» (١٥ / ١).

وبدقته في معرفة علل الحديث تبين للبخاري أن ما رُمي به حُصين من اختلاط ليس بالذي يقدر في صحة حديثه، ومستنده في ذلك شيخه علي بن المديني الذي لم يعتد باختلاط حُصين، بل أنكره، وأرجع الأمر إلى سوء حفظه، وقال: (وهو على ذاك ثقة).

ومما يجاب عن البخاري أيضاً:

أنه بعد تبني لهذا الحديث بطرقه الثلاثة، نجد أن البخاري ذكر الرواية التي بصيغة التحديث والسؤال في المتابعات والشواهد، بل الذي ذكره في أصل كتابه في باب حادثة الإفك هو حديث السيدة عائشة رضي الله عنها المروي من طريق الزهري، وما كان بصيغة العنعنة رواها في الأصول، وحاصله أن ما يرويه البخاري في التراجم والمتابعات والشواهد ليست على شرطه، وإنما يذكرها استئناساً واعتضاداً.

وقد نبّه ابن حجر بضرورة التمييز بين من أخرج له البخاري في الأصول، أو في المتابعات، والاستشهادات بقوله: (ينبغي لكل منصف أن يعلم أن تخريج صاحب الصحيح لأي راو كان مقتض لعدالته عنده وصحة ضبطه وعدم غفلته ولا سيما ما انضاف إلى ذلك من إطباق جمهور الأئمة على تسمية الكتابين بالصحيحين وهذا معنى لم يحصل لغير من خرج عنه في الصحيح فهو بمثابة إطباق الجمهور على تعديل من ذكر فيهما هذا إذا خرج له في الأصول، فإما إن خرج له في المتابعات والشواهد والتعليق فهذا يتفاوت درجات من أخرج له منهم في الضبط وغيره مع حصول اسم الصدق لهم).

(١)

وصنيعه هنا روى الرواية المختصرة من طريق سليمان بن كثير بصيغة العنعنة في الأصول، وهو ممن سمع من حُصين قبل الاختلاط، كما جزم بذلك صاحب نهاية الغتباط، وللتنبية على أن لفظة (لما رُميت عائشة خرّت مغشياً عليها) غير مذكورة في رواية الزهري من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها.

والرواية المطولة من رواية أبي عوانه ومحمد بن فضيل بصيغة التحديث والسؤال رواها في المتابعات والشواهد لأنهما سمعا من حُصين بعد الاختلاط.

وللدارقطني كتاب "الإلزامات والتتبع" ذكر فيه أحاديث معلولة اشتمل عليها كتاب البخاري ومسلم أو أحدهما بين عللها والصواب منها، بلغ عددها (٢٨٨) حديثاً، ولم يتعرض لحديث الإفك من رواية مسروق عن أم رومان، مما يدل على رجحان ما ذهب إليه البخاري في تصحيحه للرواية، وخاصة أن الدارقطني قد رجح الرواية المرسلة على الرواية الموصلة من رواية السيدة عائشة في نزول النبي ﷺ قبر أم رومان، وذكر أن المحفوظ هو المرسل.

خلاصة القول

(١) - ينظر: ابن حجر، «هدي الساري، مقدمة فتح الباري» (١/٣٨٤).

وخلاصة القول بعد هذا العرض الطويل في تحقيق مسألة صحة سماع مسروق من أم رومان، ودعوى وهم البخاري في إخرجه لروايته حديث الإفك.

تبين بطلان دعوى من اتهمه بالوهم، وأن ما ذهب إليه البخاري هو عين الصواب، من عدة وجوه: الوجه الأول: اعتمد في منهجه لتصحيح الحديث على الترجيح بالقرائن، وأسلوب الانتقاء على النحو التالي:

أولاً: ترجح عنده بالقرائن (صيغة التحديث وسألت، آية التخيير، قصة أضياف أبي بكر) ثبوت لقاء وصحة سماع مسروق من أم رومان.

ثانياً: بدقته وبراعته في علم العلل انتقى من حديث حُصين ما توبعوا عليه.

الوجه الثاني: تبين له بقوة ملاحظته واجتهاده في تتبعه لقضية اختلاط حُصين، أن ما رُمي به حُصين من اختلاط غير قادح في صحة حديثه، وسبقه إلى ذلك شيخه علي بن المديني، وأيده العلائي، كما تقدم ذكره.

الوجه الثالث: الحديث بطرقه الثلاثة أورده البخاري في "صحيحه" في الموضع اللائق به، مطولاً ومختصراً، للاستئناس بذكر لفظه زائدة غير مذكورة في حديث الزهري وهي: (لما رُميت عائشة خرَّت مغشياً عليها) والله أعلم.

الوجه الرابع: مسروق تبنته السيدة عائشة رضي الله عنها فهذا يقوي احتمالية سماع الحديث من أم رومان على قول من قال إنها عاشت بعد وفاة النبي ﷺ كالبخاري.

التعريف بالمهاجرين والانصار

هم الذين نالوا شرف صحبة النبي ﷺ في حله وترحاله، وازروه وناصروه، يجمعهم اسم الصحابة. وهم خير القرون.

وليس كل من كان في عصر النبي ﷺ ولقيه ينال شرف الصحبة.

فالصحابي هو: من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام ولو تخللت ردة في الأصح. (١)

التعريف بالمهاجرين: هم أهل مكة الذين آمنوا قبل هجرة رسول الله ﷺ عنهم، وهاجروا من أوطانهم وقدموا المدينة مع رسول الله ﷺ وقيل: هم الذين صلوا إلى القبلتين أو الذين شهدوا بدرًا، أو الذين شهدوا بيعة الرضوان. (٢)

التعريف بالأنصار: هم أهل المدينة الذين آمنوا بالنبي ﷺ قبل الهجرة، وأووا الرسول ﷺ ونصروه لما هاجر إليهم، وهم أولاد الأوس والخزرج وهو اسم إسلامي، سمو به لنصرهم النبي بالمدينة، وأول من آمن منهم الذين بايعوا مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة. (٣)

(١) - ينظر: ابن حجر، «نخبة الفكر» (ص: ٦٣) ابن الحنبلي «قمو الأثر في صفوة علوم الأثر» (ص: ٨٩).
(٢) - ينظر: السمعاني، «تفسير القرآن» (٢/ ٣٤٢) الماوردي، «تفسيره النكت والعيون» (٢/ ٣٩٥) البيضاوي، «تفسيره أنوار التنزيل وأسرار التأويل» (٣/ ٩٥).

الاختلاف في تحديد المرأة التي أخبرت السيدة عائشة بحديث الإفك.

رواية أم رومان إنما هو جواب لسؤال مسروق لها عما قيل في شأن السيدة عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك، وكان جوابها مقتصرًا على ما وقع عندها من أحداث، فهو مختصر من الحديث الطويل الذي روته السيدة عائشة رضي الله عنها، المروي من طريق الزهري، ووقع الاختلاف في تحديد المرأة التي دخلت على السيدة عائشة بعد سماعها الخبر، هل هي امرأة من المهاجرين واسمها (أم مسطح القرشية)، أم امرأة من الأنصار.

قال الداودي فيما نقله عنه ابن الملقن: (في رواية أبي وائل عن مسروق، عن أم رومان بعض الوهم؛ لأن أم مسطح قرشية، وهي قد قالت: بينا أنا قاعدة أنا وعائشة إذ ولجت امرأة من الأنصار). (١)

وأم مسطح، القرشية التيمية، ويقال المطلبية، مشهورة بكنيتها، يقال اسمها سلى، ويقال ربطة، وهي ابنت خالة أبي بكر الصديق، تزوجها أثانة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف فولدت له مسطحا من أهل بدر وهندا. وأسلمت أم مسطح فحسن إسلامها، وهاجرت إلى المدينة، وكانت من أشد الناس على مسطح حين تكلم مع أهل الإفك في عائشة، رضي الله عنها. (٢)

ففي رواية الزهري لا خلاف أن المرأة التي أخبرت السيدة عائشة رضي الله عنها في بادئ الأمر هي أم مسطح وهي من المهاجرات، وروايته في الصحيحين، ولفظه عند البخاري قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: (فخرجت مع أم مسطح قبل المناصب (٣)، وكان متبرزنا، إلى أن قالت: فانطلقت أنا وأم مسطح، وهي ابنة أبي رهم ابن المطلب بن عبد مناف، وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثانة بن عباد بن المطلب، فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت، أتسبين رجلا شهد بدرا؟ فقالت: أي هنتاه أو لم تسمعي ما قال؟ قالت: وقلت: وما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك). (٤)

فصعقت السيدة عائشة من هذا الخبر ففي بعض الروايات أنها رجعت قبل أن تقضي شأنها، مما يدل على أنها لم تطل الحديث والتحقيق مع أم مسطح.

(٣) - ينظر: السمعاني، «تفسير القرآن» (٣٤٢/٢) الماوردي، «تفسيره النكت والعيون» (٣٩٥/٢) (٤٤٩/٣) ابن علان، «دليل الفالحين» (١٢٤/٣).

(١) - ينظر: ابن الملقن، «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» (٢٨٣/٢١).

(٢) - ينظر: ابن سعد، «الطبقات الكبير» (٢١٧/١٠) ابن الأثير، «أسد الغابة» (١٥١/٧) ابن حجر، «الإصابة في تمييز الصحابة» (٤٧٢/٨).

(٣) - المناصب: المناصب موضع بعينه خارج المدينة، يتخلى فيها لبول أو حاجة، وكن النساء يتبرزن إليه بالليل على مذاهب العرب في الجاهلية. ينظر: ابن منظور، «لسان العرب» (٣٥٦/٨) الأزهري، «تهذيب اللغة» (٢٣/٢).

(٤) - أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب حديث الإفك (١٥١٧/٤) ح (٣٩١٠) ومسلم في كتاب التوبة، باب حديث الإفك، وقبول توبة القاذف (١١٤/٨) ح (٢٧٧٠).

ثم استأذنت النبي ﷺ لتأتي أبويها، وكان غرضها كما ذكرت أن تستيقن الخبر من قبلهما، فعندما أذن لها، سألت والدتها أم رومان عما يتحدث به الناس، ولفظه عند البخاري (فقلت له: أتأذن لي أن أتى أبوي؟ قالت: وأريد أن أستيقن الخبر من قبلهما، قالت: فأذن لي رسول الله ﷺ، فقلت لأمي: يا أمتاه، ماذا يتحدث الناس؟).

وبعدها بأيام استأذنت امرأة من الأنصار - لم يحدد اسمها في جميع ما وقفت عليه من روايات- بالدخول على السيدة عائشة رضي الله عنها فجلست تبكي معها، تفجعاً لما نزل بعائشة وتحزناً عليها. وهذا قبل نزول آية الإفك، ولفظه عند البخاري عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: (قد بكيت ليلتين ويوماً، ولا يرقأ لي دمع لا أكتحل بنوم، حتى إني لأظن أن البكاء فالق كبدي، فبينما أبوي جالسان عندي وأنا أبكي، فاستأذنت عليّ امرأة من الأنصار فأذنت لها، فجلست تبكي معي).

فلا اختلاف في ذكر تلك النسوة الثلاث في رواية السيدة عائشة رضي الله عنها. لكن الاختلاف وقع في رواية مسروق عن أم رومان، واغلب طرقه أن التي أخبرت السيدة عائشة بحديث الأفك هي امرأة من الأنصار عندما دخلت عليها، إلا رواية الطبراني في "المعجم الكبير" من طريق أبي بكر بن أبي شيبه عن محمد بن فضيل ذكر أنها أم مسطح.

وفي رواية أبي داود الطيالسي من طريق أبي عوانه ذكر أنها امرأة، دون أن يسميها أو ينسبها. ووقفت على رواية تسميتها بأم مسطح الأنصارية، عند الحارث في "مسنده"، قال: حدثنا عبد العزيز بن أبان، ثنا معمر بن أبان بن حمران، ثنا الزهري، حدثني عروة بن الزبير قال: قالت عائشة: (خرجت أنا وأم مسطح الأنصارية لحاجة لنا، فعثرت في مرط لها من صوف، فقالت: تعس مسطح). الحديث. (١)

فذكر الحديث مشابه لحديث الزهري، ولا يوجد في الصحاحيات من كنيها أم مسطح الأنصارية، بل لا يوجد من تسمى بهذا الكنية غير أم مسطح القرشية، على ما قفت عليه من مصادر. والحديث بهذا الإسناد ضعيف، قال البوصيري: (رواه الحارث بن أبي أسامة عن عبد العزيز بن أبان (٢) وهو ضعيف وشيخه معمر بن أبان بن حمران (٣) مجهول). (٤)

(١) - أخرجه الحارث في مسنده، «بغية الباحث» (٩١٣/٢) ح (٩٩٨).

(٢) - عبد العزيز بن أبان أبو خالد القرشي الكوفي يروي عن الثوري وشعبة ويقع في بعض الحديث (عبد العزيز بن خالد) وهو غلط إنما هو أبو خالد، (أحد المتروكين، متهم بالوضع) قال أحمد تركته وقال محمد بن عبد الله بن نمير هو كذاب وقال يحيى ليس بشيء كذاب خبيث يضع الحديث وقال أبو حاتم الرازي والبخاري والنسائي والدارقطني والذهبي وابن حجر: متروك الحديث. ينظر: ابن الجوزي، «الضعفاء والمتروكون» (١٠٨/٢) الذهبي، «ميزان الاعتدال» (٦٢٢/٢) ابن حجر، «تهذيب التهذيب» (٣٢٩/٦) «تقريب التهذيب» (ص: ٣٥٦).

(٣) - ومُعْتَر بن أبان ابن حُمَزَان، قال الدارقطني: وقال بعضهم: مُعْتَر بفتح الميم، (مجهول)، قال أبو حاتم: شيخ، ذكره البخاري في التاريخ الكبير، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، قال الألباني: وابن أبان هذا؛ متروك: فلا يستشهد به. ينظر: ابن أبي حاتم، «الجرح والتعديل» (٢٥٨/٨) البخاري، «التاريخ الكبير» (١٨٧/٩) الدارقطني، «المؤتلف والمختلف» (٢٠٢٧/٤) الألباني، «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» (٢٨٧/٩).

وقد أشار العلائي إلى هذا الاختلاف في كتابة "التنبيهات المجملة" وجزم أن المقصود بالمرأة الانصارية التي دخلت على السيدة عائشة وأخبرتها بالخبر هي أم مسطح، وليست من الأنصار، وكان إخبارها بذلك السيدة عائشة رضي الله عنها حين خرجوا إلى المناصع، ثم كانت القصة من حين بلغ السيدة عائشة رضي الله عنها الخبر، إلى أن نزلت براءتها في أيام متعددة، كما دلت عليه تلك الروايات المتصلة، ومقتضى حديث أم رومان أن كله كان في بعض يوم (١)

وقد علق مرزوق الوهراني، محقق كتاب "التنبيهات المجملة" على قول العلائي: (وليست من الأنصار) قال: (هذا صحيح، وهي من المهاجرات، لكن لا يستلزم كونها مهاجرة أن لا يطلق عليها ذلك، وهو جائز، لأن الهجرة في حد ذاتها كانت نصرة لرسول الله ﷺ فكل مهاجر أنصاري بهذا الاعتبار، وأقل ما يقال في ذلك: أن أم رومان تجوزت في الأمر بحكم الإقامة في المدينة). (٢)

وقد وصفهم الله بهذين الوصفين في قوله: {الْفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُمُورِهِمْ يَبْتَغُونَ قَضًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} [سورة الحشر، آية: ٨].

أو أنها سمعت الخبر أولاً من أم مسطح وهي في بيت النبي ﷺ، عندما ذهبت معها إلى المناصع، ثم ذهبت إلى بيت أهلها لتتأكد من الخبر، فدخلت عليها المرأة الأنصارية وهي تقول مثل ما قالت أم مسطح، فسألتها السيدة عائشة هل سمعه النبي ﷺ وأبي بكر، تريد التحقق من الخبر.

وهذا ما وصل إليه ابن حجر ورجحه، أنها سمعت ذلك أولاً من أم مسطح ثم ذهبت لبيت أمها لتستيقن الخبر منها فأخبرتها أمها بالأمر مجملًا كما مضى من قولها هوني عليك وما أشبه ذلك ثم دخلت عليها الأنصارية فأخبرتها بمثل ذلك بحضرة أمها. فقوي عندها القطع بوقوع ذلك فسألت هل سمعه أبوها وزوجها ترجيا منها ألا يكونا سمعا ذلك ليكون أسهل عليها فلما قالت لها إنهما سمعاه غشي عليها، ولم أقف على اسم هذه المرأة الأنصارية ولا على اسم ولدها. (٣)

وتبعه في هذا القول الكوراني، قال: (ليس هنا ما يدل على أنها أول ما سمعت من الأنصارية)، وذكر أن سؤال السيدة عائشة رضي الله عنها: هل سمع رسول الله ﷺ أم لا؟ إنما تريد تحقيق الخبر فإنه خبر الآحاد. (٤)

وخلاصة القول إن الروايات ذكرت أن السيدة عائشة رضي الله عنها سمعت الخبر من ثلاثة نسوة: أولاً: سمعت الخبر من أم مسطح في أثناء ذهابهما إلى المناصع عندما كانت في بيت النبي ﷺ، وهي أول شخص سمعت منها السيدة عائشة رضي الله عنها. ثانياً: ذهبت إلى والدتها لتستيقن صحة ما سمعته من أم مسطح.

(٤) - ينظر: البوصيري، «إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة» (٧/ ٢٥٠) ح (٦٧٨٦).

(١) - ينظر: العلائي، «التنبيهات المجملة» (ص: ٥٨).

(٢) - ينظر تعليق مرزوق الوهراني، على كتاب العلائي، «التنبيهات المجملة» (ص: ٥٨).

(٣) - ينظر: ابن حجر، «فتح الباري» (٨/ ٤٦٧).

(٤) - ينظر: الكوراني، «الكوثر الجاري» (٧/ ٢٣٤).

ثالثاً: عندما دخلت عليها المرأة الأنصارية، بعد أن تيقنت السيدة عائشة من أمها انتشار الخبر وحديث الناس به، أرادت أن تتحقق من سماع النبي ﷺ وأبي بكر للخبر، فسألتهما عن ذلك، فلما قالت إيهما سمعاه، خرت مغشياً عليهما.

خلاصة القول.

والذي يظهر لي أن القول قول العلاني وأنها أم مسطح، وأن اللبس وقع من أم رومان من جهين: الأول: أن أم رومان اختصرت الحديث، فعندما أخبرت بالقصة بناء على سؤال مسروق لها، تحرّجت أن تذكر قصة ذهاب السيدة عائشة مع أم مسطح للمناصب، فذكرت أنها دخلت عليهم، لأنها رجعت مع السيدة عائشة من المناصب.

وبعد أن استأذنت الرسول ﷺ للذهاب إلى بيت أبيهما، سبقت أم مسطح إليهم، فسألت أمها عن حقيقة ما يقوله الناس، ثم دخلت عليهم أم مسطح وهي تقول مثل ما قالت لعائشة أول سماعها الخبر، والدليل أن السائلة لها حين قالت: (فعل الله بفلان، أو فعل الله بابنها) في أغلب الروايات هي أم رومان، كما عند البخاري.

ومن قال إن السائلة لها هي السيدة عائشة رضي الله عنها، يغلب على الظن والله أعلم أنه وهم وقع فيه بعض الرواة عن حُصين.

ثم سألتها السيدة عائشة رضي الله عنها لتتحقق هل علم النبي ﷺ وأبوها بذلك الخبر، فلما أخبرتها بعلمهما خرت مغشياً عليهما.

فتكون السيدة عائشة رضي الله عنها في روايتها اكتفت بذكر أم مسطح في بداية سماعها الخبر، وبذكر أمها في تيقن الخبر من قبلها، فلم تُعرج إلى ذكر أم مسطح مرة أخرى.

وهذا خلاف لما في حديث عروة بن الزبير عن السيدة عائشة رضي الله عنهما من أن السائلة هي السيدة عائشة لأمها وليست للمرأة، كما في "صحيح" البخاري ولفظه: قال عائشة: (قلت: وقد علم به أبي؟ قالت: نعم، قلت: ورسول الله ﷺ؟ قالت: نعم ورسول الله ﷺ، فاستعبرت وبكيت). (١)

الثاني: التبس الأمر على أم رومان بورود ذكر امرأة من الأنصار في الحديث من رواية السيدة عائشة عند الزهري التي استأذنت في الدخول، وجلست تبكي معها، وزاد دُؤسير في رواية الزهري أنها من الصَّعيد. (٢)

وفي رواية عروة عن السيدة عائشة رضي الله عنها: قالت: وقد جاءت امرأة من الأنصار، فهي جالسة بالباب (٣) فذكرتها بدل أم مسطح.

(١) - ينظر: البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: {إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا} (٤/ ١٧٨١) ح (٤٤٩٧).

(٢) - ينظر: دُؤسير، «تاريخ دنيسر» (ص: ٨٢). والصعيد: واد قرب وادي القرى، فيه مسجد لرسول الله ﷺ، عمره في طريقه إلى تبوك. ينظر: ياقوت الحموي، «معجم البلدان» (٣/ ٤٠٨).

وفي هذا ترجيح لذكر أم مسطح وابنها في رواية محمد بن فضيل من طريق أبي بكر بن أبي شيبة عند الطبراني في المعجم الكبير.

وفي هذا يتجلى أدب أم رومان ورجاحة عقلها، واتزانها، لما عُرف من صلاحها، وحُسن إسلامها، من عدة وجوه:

١. في عدم التصريح باسم المرأة وابنها، لكونهما من قرابة زوجها أبي بكر، ففي هذا تقديرًا منها له.

٢. لزومها الصمت مدة طويلة، وعدم اخبار ابنتها بما تحدث الناس به، التي تكون قد قاربت الشهر من وقوع الحادثة، مراعاة لمرضها في تلك الفترة.

٣. تماسكها أمام ابنتها المفجوعة في كل شيء، وتهوين عليها ما سمعت؛ بذكر حُسنها، ومحبة النبي ﷺ لها، ثم ذكر الدوافع التي بسببها قيل فيها ما قيل، بقولها كما في حديث الزهري: (يا بنية، هوني على نفسك الشأن، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة (١)، عند رجل يحبها، ولها ضرائر، إلا أكثرن عليها).

ثم أن الإيهام وقع في المتن وهذا لا يضر في الصحة شيء، فهذه قاعدة أخرى للبخاري استند عليها في إيراد الحديث في "صحيحه".

الخاتمة

وفي الختام بعد هذه الرحلة الممتعة في رحاب منهج الامام البخاري وقواعده في تصحيح الحديث من خلال حديث الإفك من رواية مسروق عن أم رومان، خرجتُ بعدت نتائج وهي:

١. البخاري أول من حكم بصحة رواية مسروق عن أم رومان.
٢. أول من اعترض على البخاري في روايته لحديث الإفك من طريق مسروق عن أم رومان هو ابن السكن، وتبعه الخطيب البغدادي وبعده جماعة من أهل العلم، اعتماداً على ما قاله أهل التاريخ في تحديد زمن وفاة أم رومان.
٣. مسروق من كبار التابعين، وفي المخضرمين الذين أسلموا في حياة النبي ﷺ، ولم يلقه.
٤. حديث الإفك من رواية مسروق عن أم رومان حديث غريب انفرد بروايته حُصين بن عبد الرحمن السلمي.
٥. الوسائل التي اعتمد عليها البخاري في ترجيح صحة السماع واثبات اللقاء في هذا الحديث هما: الترجيح بالقرائن وأسلوب الانتقاء.
٦. الحديث بطرقه الثلاث أخرجه البخاري في الموضع اللائق به في "صحيح".

(٣) - ينظر: البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: {إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا} (٤/ ١٧٨١) ح (٤٤٩٧).

(١) - وضيئة: أي محبة إليه حسنة في عينه، ينظر: الحَمِيدِي، «تفسير غريب ما في الصحيحين» (ص: ٥٣٢).

٧. دل صنيع الدارقطني في اعراضه عن ذكر حديث الإفك من رواية مسروق عن أم رومان في كتابه "الإلزامات والتتبع" على صحة سماع مسروق عن أم رومان، فوافق حكم البخاري.
٨. أقوال أهل التاريخ والمغازي لا تُعارض بقول البخاري وصنيعه، الذي أطبق جمهور الأئمة تسمية كتابه بالصحيح.
٩. قضية الاختلاط ليست قاعدة مطردة في تضعيف الراوي، ويتحري البخاري وتتبعه لهذه القضية ومعرفته بعلم الحديث، ترجح له كما ترجح لشيخه علي بن المديني أن اختلاط حصين في آخر عمره، هو اختلاط يسير لا يؤثر، وقد سمع منه الواسطيون في آخره، وهم أروى الناس عنه كما قاله العجلي، منهم أبو عوانه، وعلي بن عاصم، ومحمد بن فضيل، وسليمان بن كثير.
١٠. الرواية بالنعنة تحتمل الإتصال والإنقطاع، وهنا محمولة على الإتصال لورودها من طريق آخر بالتحديث والسؤال.
١١. الحديث من رواية أم رومان بدليل أنها روت ما رآته عندما قدمت إليها السيدة عائشة ولم تذكر ما كان قبله من ذهاب السيدة عائشة مع أم مسطح إلى المناصب، وهذا يرد قول من قال إن مسروق سمع الخبر من السيدة عائشة رضي الله عنها.
١٢. انفراد علي بن عاصم في روايته عند أحمد بزيادة ذكر موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه من مسطح بن أثاثه وما نزل في شأنه من آيات في ذلك، وهي زيادة شاذة، في رواية مسروق، لضعف علي بن عاصم، ومحفوظة من رواية الزهري.
١٣. اختلاف الرواة عن حصين في تحديد المرأة التي دخلت على السيدة عائشة وأمها، والترجيح أنها أم مسطح، كما قواه العلائي.

التوصيات

١. إيلاء المواضع المنتقدة على البخاري في صحيحه مزيداً من العناية، في تتبعها، ودراستها، وتوضيح منهجه من خلال استخراج القواعد التي اعتمد عليها البخاري في إيرادها كتابه الصحيح.
٢. توجيه الطلبة في الدراسات العليا إلى جمع المواضع المنتقدة على البخاري في كتبه، لاستنباط منهج الإمام البخاري وأراءه التي لم يصرح بها في كتبه.
٣. عقد مؤتمرات وندوات خاصة للرد على الشبهات والانتقادات المثارة حول البخاري وكتبه قديماً وحديثاً.

المصادر والمراجع:

١. ابن أبي حاتم، المراسيل، تحقيق: شكر الله نعمة الله قوجاني، (ط١)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٧هـ).

٢. ابن أبي حاتم، تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية: سعد بن عبد الله الحميد، خالد بن عبد الرحمن الجريسي. (ط١، مطابع الحميضي، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).
٣. ابن أبي عاصم، الأحاد والمثاني، تحقيق: باسم فيصل أحمد الجوابرة، (ط١، دار الراية، الرياض، ١٤١١هـ).
٤. ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، (المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).
٥. ابن الأثير الجزري، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، بشير عيون. (ط١، مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان).
٦. ابن الجوزي، الضعفاء والمتروكون، تحقيق: عبد الله القاضي، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ).
٧. ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م).
٨. ابن الجوزي، تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، (ط١، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ١٩٩٧م).
٩. ابن الجوزي، جامع المسانيد، تحقيق: علي حسين البواب، (ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).
١٠. ابن الجوزي، زاد المسير، (ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ).
١١. ابن الحنبلي، قفو الأثر في صفوة علوم الأثر، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، (ط٢، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٨هـ).
١٢. ابن الصلاح، معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح، تحقيق: نور الدين عتر، (دار الفكر، سوريا، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).
١٣. ابن الكيال، الكواكب النيرات في معرفة من اختلط من الرواة الثقات، تحقيق: عبد القيوم عبد رب النبي، (ط١، دار المأمون، بيروت، ١٩٨١م).
١٤. ابن الميزد الحنبلي، الاختلاف بين رواة البخاري، مخطوط، (ط١، نُشر في برنامج جوامع الكلم المجاني التابع لموقع الشبكة الإسلامية، ٢٠٠٤م).
١٥. ابن المبرد، العلل الواقعة في كتاب الجامع الصحيح للبخاري، اعتنى به: دار الكمال المتحدة، عطاءات العلم - موسوعة صحيح البخاري، <https://net.pedia-bukhari/>، النشرة: الأولى، ١٤٤٠هـ).
١٦. ابن الملقن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، تقديم: أحمد معبد عبد الكريم، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث بإشراف خالد الرباط، جمعة فتحي، (ط١، دار النوادر، دمشق، سوريا، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).

١٧. ابن حبان، الثقات، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، (ط١)، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ١٣٩٣هـ).
١٨. ابن حبان، المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، (ط١)، دار الوعي، حلب، ١٣٩٦هـ).
١٩. ابن حبان، صحيح ابن حبان: المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جرح في ناقلها، تحقيق: محمد علي سونمز، خالص أي ديمر، (ط١)، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).
٢٠. ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، (ط١)، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ١٤١١هـ/١٩٩١م).
٢١. ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (دار المعرفة: بيروت، ١٣٧٩هـ).
٢٢. ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، (ط١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ).
٢٣. ابن حجر، النكت على كتاب ابن الصلاح، تحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، (ط١)، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).
٢٤. ابن حجر، تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة. (ط١)، دار الرشيد: سوريا، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).
٢٥. ابن حجر، تهذيب التهذيب، (ط١)، مطبعة دائرة المعارف النظامية: الهند، ١٣٢٦هـ).
٢٦. ابن حجر، نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، تحقيق: د عبد المحسن بن محمد القاسم، (ط٢)، ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م).
٢٧. ابن حجر، نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، تحقيق: د عبد المحسن بن محمد القاسم، (ط١)، ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م).
٢٨. ابن سعد: الطبقات الكبير، المسمى (الطبقات الكبرى)، تحقيق: الدكتور علي محمد عمر، (ط١)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م).
٢٩. ابن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، (ط١)، دار القلم، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م).
٣٠. ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، (ط١)، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

٣١. ابن عبد الهادي، محمد بن أحمد. "طبقات علماء الحديث". تحقيق: أكرم البوشي، إبراهيم الزبيق، (ط٢)، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م).
٣٢. ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: عمر بن غرامة. (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م).
٣٣. ابن علان، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، اعتنى بها: خليل مأمون شيحا، (ط٤)، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م).
٣٤. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م).
٣٥. ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، (ط٢)، المكتب الإسلامي، مؤسسة الإشراف، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م).
٣٦. ابن قرقول، مطالع الأنوار على صحاح الآثار، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، (ط١)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م).
٣٧. ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: مجموعة من الباحثين. (ط٣)، دار عطاءات العلم: الرياض، دار ابن حزم: بيروت، ١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م).
٣٨. ابن كثير الدمشقي، التكميل في الجرح والتعديل ومعرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل، تحقيق: شادي آل نعمان، (ط١)، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، اليمن، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م).
٣٩. ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، (ط٢)، دار طبعة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م).
٤٠. ابن معين، من كلام أبي زكريا يحيى بن معين في الرجال (رواية طهمان)، تحقيق: أحمد محمد نور، (دار المأمون للتراث، دمشق).
٤١. ابن منجويه، رجال صحيح مسلم، تحقيق: عبد الله الليثي، (ط١)، دار المعرفة، بيروت).
٤٢. ابن منظور، لسان العرب، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، (ط٣)، دار صادر/ بيروت، ١٤١٤هـ).
٤٣. الأبناسي، الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح رحمه الله تعالى، تحقيق: صلاح فتحي هلال، (ط١)، مكتبة الرشد، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م).
٤٤. أبو أحمد الحاكم، الأسامي والكنى، تحقيق: أبو عمر محمد بن علي الأزهرى، (ط١)، دار الفاروق للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م).
٤٥. أبو الفضل الزهرى، حديث الزهرى، تحقيق: حسن بن محمد البلوط، (ط١)، أضواء السلف، الرياض، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م).

٤٦. أبو بكر كافي، منهج الامام البخاري في تصحيح الأحاديث وتعليقها، (ط١)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).
٤٧. أبو داود الطيالسي، مسند أبي داود الطيالسي، تحقيق، محمد بن عبد المحسن التركي، (ط١)، دار هجر، مصر، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م).
٤٨. أبو زرعة الرازي، تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل، تحقيق: عبد الله نواره، (مكتبة الرشد، الرياض).
٤٩. أبو عوانه الاسفراييني، المسند الصحيح المخرج على صحيح مسلم، تحقيق: رسائل جامعية وبحوث أكاديمية بكلية الحديث الشريف بالجامعة الإسلامية، (ط١)، الجامعة الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ج ١ - ٢٠: ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ج ٢١ - ٢٤: ١٤٣٨هـ/٢٠١٦م).
٥٠. أبو نعيم الأصبهاني، معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، (ط١)، دار الوطن للنشر، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).
٥١. أحمد ابن حنبل، المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، (ط١)، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م).
٥٢. أحمد بن حنبل، العلل ومعرفة الرجال، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، (ط٢)، دار الخاني، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).
٥٣. الأزهرى، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، (ط١)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م).
٥٤. إسحاق البستي، تفسير إسحاق البستي، تحقيق: أطروحتا دكتوراة، الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية، كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية - قسم التفسير وعلوم القرآن، عوض محمد ظافر العمري، ١٤١٣هـ، وعثمان معلم محمود شيخ علي، ١٤١٦هـ.
٥٥. الألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، (ط١)، دار المعارف: الرياض، السعودية، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م).
٥٦. البخاري، التاريخ الأوسط، تحقيق: محمد إبراهيم اللحيدان (ط١)، دار الصميعي، للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م).
٥٧. البخاري، التاريخ الكبير، تحقيق ودراسة: محمد بن صالح بن محمد الدباسي ومركز شذا للبحوث بإشراف محمود بن عبد الفتاح النحال، (ط١)، المتميز للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م).
٥٨. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا. (ط٥)، دار ابن كثير: دمشق، بيروت، اليمامة: دمشق، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م).
٥٩. البرماوي، اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، (ط١)، دار النوادر، سوريا، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).

٦٠. البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، (ط١)، دار الفكر، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م).
٦١. البوصيري، إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، تقديم: فضيلة الشيخ الدكتور أحمد معبد عبد الكريم، المحقق: دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم، (ط١)، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).
٦٢. البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (ط١)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨هـ).
٦٣. الحارث بن أبي أسامة، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، تحقيق: حسين أحمد صالح الباكري، (ط١)، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م).
٦٤. الحارث بن علي الحسني، منتقى الألفاظ بتقريب علوم الحديث للحفاظ، تقديم: صبي السامرائي، (ط٣)، مكتبة دار البيان، دمشق، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م).
٦٥. الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، مع تضمينات: الذهبي في التلخيص والميزان والعراقي في أماليه والمناوي في فيض القدير وغيرهم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (ط١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ).
٦٦. الحميدي، الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، تحقيق: علي حسين البواب، (ط٢)، دار ابن حزم، لبنان، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).
٦٧. خالد بن منصور بن عبد الله الدريس، موقف الإمامين البخاري ومسلم من اشتراط اللقيا والسماع في السند المعنعن بين المتعاصرين، (مكتبة الرشد، الرياض، شركة الرياض للنشر والتوزيع).
٦٨. الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، صححه: أبو عبد الله السورقي، قابله: إبراهيم حمدي المدني، (ط١)، جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، ١٣٥٧هـ).
٦٩. الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، صححه: أبو عبد الله السورقي، قابله: إبراهيم حمدي المدني، (ط١)، جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، ١٣٥٧هـ).
٧٠. الخطيب البغدادي، المتفق والمفترق، تحقيق: محمد صادق الحامدي، (ط١)، دار القادري للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م).
٧١. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، (ط١)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م).
٧٢. الدراقطني، العلل الواردة في الأحاديث النبوية، ج١ الى ج١١، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله السلفي، (ط١)، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ج١٢ إلى ١٥، علق عليه: محمد بن صالح بن محمد الدباسي، (ط١)، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢٧هـ).
٧٣. الدراقطني، المؤتلف والمختلف، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، (ط١)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).

٧٤. الذهبي، الرواة الثقات المتكلم فيهم بما لا يوجب ردهم، تحقيق: محمد إبراهيم الموصلي، (ط١، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م).
٧٥. الذهبي، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، تحقيق: محمد عوامة، (ط١، دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علوم القرآن، جدة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م).
٧٦. الذهبي، المغني في الضعفاء، تحقيق: الدكتور نور الدين عتر.
٧٧. الذهبي، تجريد أسماء الصحابة، تحقيق: خليفة آل بو كؤارة، (جمعية دار البر، الإمارات العربية المتحدة، دبي).
٧٨. الذهبي، تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: غنيم عباس غنيم، مجدي السيد أمين، (ط١، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).
٧٩. الذهبي، ديوان الضعفاء والمتروكين وخلق من المجبولين وثقات فيهم لين، تحقيق: حماد بن محمد الأنصاري، (ط٢، مكتبة النهضة الحديثة، مكة، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م).
٨٠. الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، تقديم: بشار عواد معروف، (ط٣، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).
٨١. الذهبي، من تكلم فيه وهو موثق أو صالح الحديث، تحقيق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، (ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).
٨٢. الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي، (ط١، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م).
٨٣. الرازي اللغوي، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، (ط٥، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).
٨٤. الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (ط١، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ١٤١٢هـ).
٨٥. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: [بأول كل جزء تفصيل أسماء محققه]
٨٦. سبط ابن العجمي، الاغتباط بمن رمي من الرواة بالاختلاط، تحقيق: علاء الدين علي رضا، وسى تحقيقه (نهاية الاغتباط بمن رمي من الرواة بالاختلاط) وهو دراسة وتحقيق وزيادات في التراجم على الكتاب، (ط١، دار الحديث، القاهرة، ١٩٨٨م).
٨٧. السخاوي، فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي، تحقيق: علي حسين علي، (ط١، مكتبة السنة، مصر، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
٨٨. سعيد بن منصور، سنن سعيد بن منصور، تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية: أ.د. سعد بن عبد الله الحميد و د. خالد بن عبد الرحمن الجريسي، (ط١، دار الألوكة للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).

٨٩. سعيد حوى، الأساس في السنة وفقهها، السيرة النبوية، (ط٣، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م).
٩٠. السمعاني، تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، غنيم بن عباس، (ط١، دار الوطن، الرياض، السعودية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).
٩١. السمهودي، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت).
٩٢. السهبي، تاريخ جرجان، تحقيق، تحت مراقبة محمد عبد المعيد خان، (ط٤، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
٩٣. السهيلي، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، (ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).
٩٤. السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، (دار طيبة).
٩٥. الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، (دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).
٩٦. الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، (ط٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة).
٩٧. الطيب بامخرمة، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، عني به: بو جمعة مكري، خالد زواري، (ط١، دار المنهاج، جدة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م).
٩٨. الطيبي، الخلاصة في معرفة الحديث تحقيق: أبو عاصم الشوامي الأثري، (ط١، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، الرواد للإعلام والنشر، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م).
٩٩. عبد الغني المقدسي، الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، (ط١، الهيئة العامة للعناية بطباعة ونشر القرآن الكريم والسنة النبوية وعلومها، شركة غراس للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع، الكويت، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م).
١٠٠. عبد الغني المقدسي، حديث الافك، تحقيق: إبراهيم صالح (ط١، دار البشائر، للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٤م).
١٠١. العجلي، معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي، (ط١، مكتبة الدار، المدينة المنورة، السعودية، ١٤٠٥هـ).
١٠٢. عز الدين ابن الأثير الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، (ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م).
١٠٣. العقيلي، الضعفاء الكبير، تحقيق: عبد المعطي أمين. (ط١، دار المكتبة العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).

١٠٤. علاء الدين علي رضا، نهاية الاغتيال بمن رمي من الرواة بالاختلاط، (ط١، دار الحديث، القاهرة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
١٠٥. العلائي، التنبيهات المجلدة على المواضع المشككة، تحقيق: مرزوق بن هياس الوهراني، (الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العددان ٧٩ و ٨٠، ١٤٠٨هـ).
١٠٦. العلائي، المختلطين، تحقيق: رفعت فوزي عبد المطلب، علي عبد الباسط مزيد، (ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م).
١٠٧. العلائي، جامع التحصيل في أحكام المراسيل، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، (ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م).
١٠٨. علي بن المديني، علل الحديث ومعرفة الرجال والتاريخ، قرأه ودرسه وعلق عليه: مازن السرساوي (ط١، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٦هـ).
١٠٩. عمر بن الخضر، تاريخ دنيسر، تحقق: إبراهيم صالح، (ط١، دار البشائر، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م).
١١٠. العيني: مغاني الأختيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار، تحقيق: محمد حسن، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).
١١١. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه: شركة من العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، لصاحبها ومديرها محمد منير عبده أغا الدمشقي
١١٢. الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
١١٣. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، (ط٨، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).
١١٤. الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (المكتبة العلمية، بيروت).
١١٥. القاسمي، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ).
١١٦. القاضي عياض، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، (المكتبة العتيقة ودار التراث).
١١٧. القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، (ط٧، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ١٣٢٣هـ).
١١٨. الكلاباذي، الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد، تحقيق: عبد الله الليثي، (ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٧هـ).
١١٩. الكوراني، الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، تحقيق: أحمد عزو عناية، (ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).

١٢٠. المألقي الرُندي، الجامع لما في المصنفات الجوامع من أسماء الصحابة الأعلام أولي الفضل والأحلام، تحقيق: مصطفى باحو، (ط١، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م).
١٢١. الماوردي، تفسيره النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان).
١٢٢. محمد الخَضِر الشنقيطي، كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، (ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م).
١٢٣. محمد بركات، وغيره، (ط١، دار الرسالة العالمية، دمشق، سوريا، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م).
١٢٤. محمد بن طلعت، معجم المختلطين، (ط١، دار أضواء السلف، الرياض، السعودية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م).
١٢٥. المزي، تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، تحقيق: عبد الصمد شرف الدين، (ط٢، المكتب الإسلامي، والدار القيمّة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).
١٢٦. المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، (ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠/١٤١٣هـ - ١٩٨٠/١٩٩٢م).
١٢٧. مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: أحمد بن رفعت، محمد عزت، أبو نعمة الله محمد شكري. (دار الطباعة العامة: تركيا، ١٣٣٤هـ).
١٢٨. المظهري، التفسير المظهري، تحقيق: غلام نبي التونسي، (مكتبة الرشدية، الباكستان، ١٤١٢هـ).
١٢٩. المقرئ، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).
١٣٠. المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، (ط١، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٦هـ).
١٣١. النسائي، السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلي، بمساعدة مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، (ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م).
١٣٢. النسائي، الضعفاء والمتروكون، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، (ط١، دار الوعي، حلب، ١٣٩٦هـ).
١٣٣. نور الدين الحلبي، السيرة الحلبية إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، (ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ).
١٣٤. النووي، تهذيب الأسماء واللغات، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان).
١٣٥. النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، (ط١، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣هـ).

١٣٦. النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ).
١٣٧. الواحدي، التفسير البسيط (ط١، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠هـ).
١٣٨. ياقوت الحموي، معجم البلدان، (ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م).

الأمن القومي العربي المائي والتحديات الداخلية والخارجية والتنمية المستدامة لموارده

د. شيماء عبد السميع عبد الله محمد^(*)

المستخلص

يعيش العالم اليوم في صراعات ونزاعات متعددة تتعلق جُلها بالمحاولات للسيطرة على الموارد الطبيعية: مياه، أراضي، ثروات زراعية ومعدنية وغيرها من متطلبات وحياة الشعوب. فلم تتوقف النزاعات على صراعات السلطة كغاية؛ بل كوسيلة للسيطرة على مفاصل الدولة ومن ثم السيطرة على الموارد المتعددة، وتمدد الاطماع للسيطرة على موارد وأراضي دول الجوار. هدفت هذه الورقة الى القاء الضوء على مفهوم الأمن القومي العربي المائي، والمهددات الداخلية والخارجية التي تضر بموارده المائية، من أجل معالجة هذه المهددات للحفاظ على هذا المورد المهم. وبرزت مشكلة الدراسة في ضعف وعي شعوب المنطقة للحفاظ على موارد المياه، من هدر وسوء استخدام، وتلويث المياه بالمخلفات العضوية والصناعية والكيمياوية، بالإضافة إلى فترات الجفاف التي تعمل على تبخر المياه. تمت الاستعانة في هذه الورقة بالمنهج الوصفي التحليلي لتوصيف مصادر المياه بالمنطقة العربية (أنهار، مياه جوفية، وغيرها)، وأماكن توفرها. وتوصلت الورقة الى العديد من النتائج منها أن المنطقة العربية تعاني من فقدان للمياه بفعل التبخر بحكم موقعها الجغرافي ومناخها الجاف والصحراوي، وغياب التنسيق والتعاون المشترك بين الدول العربية للحفاظ على هذا المورد، بالإضافة إلى المهددات الخارجية كالأطماع الإسرائيلية والأثيوبية على المياه العربية. ووصت الورقة بضرورة التنسيق والتعاون بين دول المنطقة لإدارة الموارد المائية المشتركة، وتكثيف وعي المواطنين بضرورة ترشيد استهلاك المياه للحفاظ عليه الآن وللأجيال القادمة.

مقدمة:

تعتبر المياه من أهم الموارد الحيوية التي يعتمد عليها الإنسان في حياته اليومية، في الشرب والطبخ، وأعمال النظافة، والزراعة، والصناعة. وقد خاضت الحضارات المختلفة والدول العديد من الحروب في شتى بقاع العالم وما زالت تخوض من أجلها الصراعات؛ حتى تتمكن من السيطرة على منابع وموارد المياه في منطقتها وما حولها. وتزخر منطقة الوطن العربي بالعديد من مصادر المياه المتنوعة: مياه عذبة (أنهار وروافد، ونبابع، عيون، مياه جوفية) وكذلك تطل الدول العربية على مسطحات مائية متعددة، مياه مالحة مثل البحر الابيض المتوسط، البحر الأحمر، المحيط الهندي، المحيط الأطلنطي)، ولجأت العديد من الدول إلى تحلية المياه المالحة لمواجهة نقص هذا المورد حتى تتمكن من كفاية مواطنيها.

(*) أستاذ مساعد بكلية العلاقات الدولية والدارسات الدبلوماسية - الجامعة الوطنية - أستاذ مساعد بقسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية - جامعة البحر الاحمر

ولكن مع تزايد الكثافة السكانية في المنطقة العربية، وزيادة الاستهلاك، دُق ناقوس الخطر، لا سيما أن شعوب المنطقة يعانون من الأمية والفقر وقلة الوعي للحفاظ على هذا المورد المهم من الهدر والاستخدامات الغير رشيدة، فأصبح الخطر محدقاً بندرة المياه، مع عوامل التغيرات المناخية مثل الجفاف والتصحر والزحف الصحراوي على ضفاف الأنهار.

كل هذه المخاطر والمخاوف تستوجب أن تتوحد حكومات الدول في المنطقة لبث المزيد من الوعي لمواطنيها للحفاظ على هذا المورد الحيوي، مع إقامة تعاون وتكامل لصون منابع الأنهار والتي تشاركها العديد من الدول العربية مثلاً نهري دجلة والفرات، نهر النيل، وغيرها من الأنهار المشتركة. وأن تتضافر جهود حكوماتها لإبعاد أي تدخلات تضر بحصص المياه المستحقة لدولها.

الأمن القومي العربي:

تكوين الأمة العربية:

تطور مفهوم العرب إلى ما قبل الاسلام، حيث تطور من النسب إلى العشيرة ثم القبيلة والشعب الواحد والدولة. وقد شهد التاريخ وجود دول وحضارات عربية عديدة، ومن هذه الدول دولة العدنانيين في منطقة تهامة في الجزيرة العربية، والقحطانيين في الجنوب، ودولة الغساسنة الذين هاجروا من اليمن بعد تصدع سد مأرب إلى بلاد الشام، وشملت دولتهم المساحة الممتدة بالقرب من البتراء إلى شمال تدمر. ودولة المناذرة (الحيرة) في حوض ما بين النهرين، ودولة سبأ بالجنوب التي اشتهرت ملكتها بلقيس" ودولة النبط وعاصمتها البتراء، والتي شملت جنوبي فلسطين وسوريا الجنوبية الشرقية وشرقي الأردن وشمال الجزيرة العربية. وكان العرب يتصلون فيما بينهم عن طريق التجارة مما أسهم في تأكيد وزيادة الروابط والمصالح العربية المشتركة وإقامة علاقات بين العرب في المدن وبين العرب في البادية.

ووجد الإسلام العرب في دولة واحدة من الجزيرة العربية إلى المغرب العربي منذ عام ٦٢٠ إلى ١٢٥٨ عند نهاية الدولة العباسية. وجاء الإسلام بفكرة الأمة المرتبطة بالعقيدة وباللغة التي أصبحت لغة التخاطب والعبادة. ودخلت العرب مرة ثانية في إطار دولة واحدة تحت السلطة العثمانية استمرت حوالي أربعة قرون.

عناصر القومية العربية:

تستند عناصر الوحدة الموجودة عند العرب في المشرق والمغرب على:

- ١- اللغة العربية (رغم وجود لهجات عدة في الوطن العربي إلا أن اللغة العربية هي اللغة الأساسية التي يتحدثون ويقرأون ويكتبون بها).
- ٢- الثقافة العربية (فقد أسهم الإسلام في قيام ثقافة عربية واحدة).
- ٣- المصالح المشتركة (والتي تقرب أبناء الوطن العربي والتي تسهم بدورها في الحفاظ على الوحدة).

٤- التاريخ المشترك (قيام الخلافة الإسلامية والأموية والعباسية حتى قيام الدولة العثمانية والتي شملت معظم الدول العربية، حتى أعداء الأمة العربية وأصدقائها هم نفس الأعداء ونفس الأصدقاء).

٥- المصير المشترك (على الرغم من وجود بعض الخلافات بن الأنظمة العربية، إلا أن الشعوب العربية لها مصير واحد مثل ما حدث في العدوان الثلاثي على مصر، وقيام تحالف عاصفة الحزم لحماية اليمن من إيران والشيعة). (نوفل وجمال، ٢٠٠٧، ٨-١٠)

مفهوم الأمن القومي العربي:

هو مجموعة الإجراءات التي تنفذها الدولة للحفاظ على مصالحها مع مراعاة المصالح الدولية. ويعتمد الأمن القومي على جميع عناصر القوة الموجودة والمستخدم، وتشكيل القوة العسكرية الأساس للأمن القومي. والأمن عنصر أساسي في حياة الأمة العربية وهو الركيزة لتطورها وتقدمها. والإستراتيجية القومية العربية تشتمل كامل الأمن القومي العربي من حماية المصالح وحماية القيم والأهداف وامتلاك ارادتها وقراراتها. ويعاني الأمن القومي من تحديات من أطراف خارج الجغرافيا السياسية العربية التقليدية المتمثلة بسياسات الهيمنة الغربية والكيان الصهيوني وإيران، ومن الخلافات العربية التي وصلت في بعضها إلى درجة إغلاق الحدود وقطع العلاقات وإبطال التمثيل الدبلوماسي. (الحمدان، ٢٠١٤، ١٣٣).

مفهوم الأمن المائي العربي:

عرف حسن بالعيد سالم الفيتوري؛ مفهوم الأمن المائي العربي بدلالة قدرة الأقطار العربية على توفير احتياجات سكانها من المياه للأغراض المختلفة، سواء كانت استهلاكية أو زراعية أو صناعية، بتكلفة معقولة أخذة في اعتبارها احتياجات الأجيال القادمة، بالإضافة إلى قدرتها على حماية مصادر المياه فيها. (الفيتوري، ٢٠١٠، ٥٥)

ويعرف وعد الله حسين ياسين الحمدان مفهوم الأمن المائي العربي بأنه: هو المحافظة على الموارد المائية المتوفرة في الوطن العربي واستخدامها بالشكل الأفضل وعدم تلوثها، وترشيد استخدامها في الري والصناعة والشرب، والسعر بكل السبل للبحث عن مصادر مائية جديدة وتطويرها ورفع طاقات استغلالها، وانتزاع ما تم الاستيلاء عليه سواء من الكيان الصهيوني أو من دول الجوار الجغرافي للوطن العربي. (الحمدان، ٢٠١٤، ١٣٤).

المياه في الوطن العربي:

تشكل المياه ٧٠٪ من سطح الأرض، والواقع أن ٩٧,٥٪ من مجموع المياه على الأرض هي مياه مالحة، وبالتالي فإن ٢,٥٪ هي مجموع المياه العذبة؛ و ٧٠٪ من هذا الماء العذب يوجد على صورة متجمدة بالقطبين الشمالي والجنوبي، وبذلك فإن أقل من ١٪ من الماء في العالم هو فقط متاح والميسر للاستعمالات البشرية، وهو الماء الموجود في البحيرات العذبة والأنهار الجارية وطبقات الأرض الحاملة للمياه العذبة والتي تكون قريبة من سطح الأرض بالقدر الذي يكفي لسحبها بتكلفة مناسبة. (الموسوعة العربية للمعرفة من أجل التنمية المستدامة، ٢٠٠٦م، ٣٠٤).

المياه الجوفية في العالم العربي:

تعتبر مصادر المياه الجوفية من أهم مصادر المياه التي تحدد مستقبل التنمية في العالم العربي، تغطي الصحراء المنبسطة ٨٠٪ من مساحة الوطن العربي الجغرافية، وتشتمل على الصحراء الغربية والصحراء الموريتانية - الجزائرية والصحراء الليبية الغربية المصرية والسودان، إضافة إلى صحراء النفود والربع الخالي في شبه الجزيرة العربية. وجميع هذه المناطق الصحراوية لن تتم تنميتها إلا على مصادر مياه جوفية.

المياه الجوفية في البلدان العربية:

١- المياه في العراق:

ثبت وجود مياه جوفية في مستودعات الحقبين الرباعي والثلاثي، وتشير الدراسات إلى أن المياه الجوفية في العراق تعتبر مصدراً مهماً خصوصاً في رواسب الرباعي، كما أن الترتيب الجيولوجي في العراق هو ترتيب ملائم لخزن مياه جوفية وفيرة لانتشار الصخور المسامية كالحجر الرملي و"الكونجولمرات" وبعض أنواع الحجر الجيري في المناطق الجبلية والتي تستقبل مياه أمطار غزيرة تتسرب إلى أسفل وتتجمع في أعماق مناسبة وتنساب في اتجاه الضغط المائي في شكل عيون، ويمكن تقسيم أحواض المياه الجوفية في سوء الظروف الجيولوجية والهيدرولوجية إلى أحواض السيل- سنجار - خاضين - بين النهرين - بادية الجزيرة.

٢- المياه في الجمهورية العربية السورية:

تضم سوريا عدداً من الأحواض المائية الجوفية هي أحواض دمشق - الأردن - العاص - الساحل - حلب - الفرات البادية. وتشمل هذه الأحواض المائية مستودعات مياه عبارة عن ينابيع مثل (رأس العين الذي يغذي نهر الخابور، مزيريب، زيزون، ينبع السن مصدر المياه لنهر السن، ينبع الطجة في دمشق، ينبع بانياس جنوب اللاذقية، الساحنة غرب مدينة درعا، وغيرها من الينابيع وتمتاز مياهها بأنها عذبة واستقرار تصرفاتها. بالإضافة إلى مياه الفجارات (عبارة عن آبار مكشوفة). (الموسوعة العربية للمعرفة من أجل التنمية المستدامة، ٢٠٠٦، ص ٦٣ - ٦٤).

وتشترك العراق - تركيا - سوريا في مياه نهر الفرات، وينبع نهرا دجلة والفرات من جبال شرق تركيا وتندفق دجلة مباشرة عبر العراق ملامساً الحدود السورية لمسافة ٤٤ كم ويصب النهر داخل العراق روافد رئيسة تشكل الجزء الكبير من مجموعة موارد النهر الكلية (نهر الخابور والراب الكبير ويصبا على بعد قليل جنوب مدينة الموصل، نهر العظيم ويصب في دجلة جنوب مدينة سامراء، نهر ديالى ويصب في نهر دجلة بالقرب من جنوب مدينة بغداد، شط العرب والذي يتكون من التقاء نهر دجلة مع نهر الفرات عند مدينة القرنة). وتعتمد الدول الثلاث إلى حد كبير على مياه نهر الفرات اقتصادياً، وتعتبر العراق وسوريا أكثر هذه الدول استخداماً لمياه الفرات وحاجتها إليها أكثر من حاجة تركيا، لذا فهما أكثر قلقاً على مياهه (موسى، ٢٠١٠، ٢٣-٢٤)

٣-المياه في المملكة الأردنية الهاشمية:

تعتبر المملكة الأردنية إحدى أكثر الدول عجزاً في موارد مياهها. توجد المياه الجوفية في الأردن في المناطق الواقعة بين وادي الأردن غرباً والهضبة الصحراوية شرقاً وتتغذى هذه المستودعات من مياه الأمطار مباشرة. وتتحرك المياه الجوفية من المناطق المرتفعة خلال الشقوق في اتجاه الجنوب لتغذية الأحواض المائية في منطقة حوض الأزرق ووادي الرمان ووادي الأردن.

وهناك مياه جوفية أيضاً في مناطق وادي الموجب وتتحرك في اتجاه الشرق والغرب من منطقة صوبلج والتي تعتبر منطقة تغذية لما حولها. كما أن هناك مستودعات مياه جوفية في وادي التميم الأعلى والريس، وتتحرك من حوض العربي إلى مناطق غنيم غرباً إلى خليج العقبة، ويتم تغذية المستودعات عن طريق التسرب الآتي من مياه الأمطار.

وتتميز المملكة الأردنية الهاشمية بوجود عدد كبير من الينابيع خاصة في محافظة إربد، تلها عمان ثم البلقاء. وتزداد ملوحة المياه كلما اتجهنا جنوب المملكة.

٤-المياه في فلسطين:

توجد تحت أرض فلسطين (الضفة والقطاع) أحواض مياه جوفية تم تقسيمها جغرافياً إلى أحواض الضفة الغربية ومنها الحوض الجوفي الغربي والحوض الجوفي الشمالي، وتوجد كذلك مياه جوفية في قطاع غزة. وتتحكم إسرائيل في مقدرات المياه الجوفية في الضفة الغربية وقطاع غزة.

٥-المياه في الجزيرة العربية:

توجد المياه الجوفية في منطقة شبه الجزيرة العربية (المملكة العربية السعودية - الكويت - قطر - البحرين - الإمارات) في مستودعات تكاد تكون مشتركة في خصائصها الهيدروولوجية وإن اختلف توزيعها من حيث الامتداد الرأسى أو الأفقي والتراكيب الجيولوجية. وتوجد مستودعات المياه الجوفية في واحة الأحساء، ومنطقة القطيف، كذلك في شرق المملكة في سهل تهامة والدمام. وتوجد المياه الجوفية أيضاً في مستودع أم الراضومة المهم (تحت أرض شبه الجزيرة العربية)، وتستخدم مياهها في "إبقيق - الخبر" مشروع حوض الزراعي. ويعتبر هذا المستودع محل اهتمام الدول التي تحت أراضيها. وتوجد مياه جوفية أيضاً في مستودعات: العرومة، بياض، شمال وشمال غرب المملكة السعودية. وتوجد آبار عميقة حول مدينة الرياض وهي مياه إرتوازية قليلة الملوحة.

٦-المياه في دولة الكويت:

وتوجد في مستودعات الدبدبة في شمال شرق الكويت تحت مناطق الروضتين وأم العيش. مستودع الدمام الذي يوجد تحت أراضي شبه الجزيرة العربية، وتُحظى الكويت من مياهه.

٧-المياه في دولة قطر:

توجد مستودعات المياه الجوفية في قطر في تكوينات الدمام والرس، وتنتشر ظاهرة المرتفعات المائية تحت مدينة الدوحة نظراً لتداخل مياه المستودع مع المياه الواردة إليها نتيجة عمليات المنخفضات. وينتشر مستودع الرس في شمال قطر.

وهناك مستودع أم الراضومة في شمال شرق قطر وهو المستودع الممتد تحت باقي مناطق شبه الجزيرة العربية خاصة في شرق المملكة العربية السعودية، وهناك مستودع اليمامة وهو تحت مستودع العرومة الذي يظهر على سطح مرتفعات نجد في المملكة العربية السعودية. بالإضافة إلى مستودع واصية والذي يوجد تحت مستودع اليمامة.

٨-المياه في دولة البحرين:

وتوجد في مستودع الدمام وهو إمتداد للمستودع نفسه في المملكة العربية السعودية. وتعتبر مياه مستودع الدمام هي المورد الرئيس للمياه في البحرين ويستخدم بشكل أساسي في إمداد محطات التحلية التي توفر للبحرين مصادر المياه العذبة.

٩-المياه في دولة الإمارات العربية المتحدة:

تعتبر مياه الأمطار الغزيرة التي تسقط على جبال عمان المصدر الرئيس الذي يغذي مستودعات المياه الجوفية في دولة الإمارات المتحدة، كما أنها مصدر العيون المتدفقة والأفلاج.

١٠-المياه في سلطنة عمان:

توجد في السهول الفيضية وسهول الباطنة وصلالة ومجاري الوديان. وتتوزع المياه الجوفية في أحواض الساحل - إقليم السواحل - ظفار - المنطقة الجبلية.

١١-المياه في الجمهورية العربية اليمنية:

وتنتشر في السهول والوديان خاصة سهل تهامة على البحر الأحمر والتي تغزي مدينة الحديدة. وتوجد المياه الجوفية أيضا في اليمن تحت أرض مناطق الربع الخالي كما توجد تحت تعز وصنعاء.

١٢-المياه في جمهورية السودان:

تتواجد مستودعات المياه الجوفية في حوض سليم، منطقة الجزيرة، منطقة القاش، وفي منطقة البحر الأحمر، أم روابة (آبار الخشيم وأم بلجي شرق بارا)، آبار بابنوسة.

كما توجد في بئر وفان، بحر العرب، وادي هور، وأم عداة (الموسوعة العربية للمعرفة من أجل التنمية المستدامة، ٢٠٠٦م، ٦٨ - ٦٩).

بالإضافة إلى نهر النيل وروافده المتعددة.

١٣-المياه في دولة الصومال وجيبوتي وجزر القمر:

لم تحظ المياه الجوفية بدراسات منتظمة في كل من الصومال وجيبوتي كما لم تتوافر معلومات عن المياه الجوفية في جزر القمر.

١٤-المياه في جمهورية مصر العربية:

وتوجد في عدد من المناطق على النحو التالي:

- منطقة وادي النيل والدلتا
- منطقة الساحل الشمالي (في منطقة هضبة المارماريكا)
- منطقة الصحراء الشرقية

- منطقة شبه جزيرة سيناء (مستودعات الحجر الرملي النوبي تحت مناطق وسط سيناء وبين هضبتي العجمة والتبة وسهل القاع في جنوب سيناء، بالإضافة إلى المياه الجوفية على إمتداد مناطق العريش ثم من شرق العريش حتى رفح)
- منطقة الصحراء الغربية (توجد المياه فيها في الواحات المصرية الخارجة والداخلية والفرافرة وسيوة والبحرية).

١٥- المياه في الجماهيرية العربية الليبية:

وتوجد المستودعات في معظم الأودية والسهول وأبرزها سهل الجفارة ومنطقة سرير كلاتسبو وحوض الجبل الأخضر ووادي الأجلي. ومستودعات مياه في مناطق الخمس وتاورغاء، مناطق الرافعة وطمنية، منطقة بنغازي. بالإضافة إلى مستودعات مياه في مناطق جبل نفوسة حتى حدود تونس. وتتوافر أيضاً المياه الجوفية في حوض فران منطقة الشاطئ، وادي الآبال، واحة الكفرة.

١٦- المياه في الجمهورية التونسية:

وتوجد المستودعات في شمال تونس ووسطها وكذلك على طول الشريط الساحلي وتتجمع في أحواض أهمها حوض سهل غارلوماء، حوض سليانة، حوض سهل الكيروان. بالإضافة إلى المياه في مناطق تجويف أم علي، ثاليث، سهل العقيرين، حوض حاجب العين. وفي داخل تونس توافر مستودعات المياه الجوفية في مناطق الجنوب، نفراوة، الجريد، شط الفجيج.

١٧- المياه في الجمهورية الجزائرية:

وتوجد المياه في مستودعين أحدهما يقع شمال الجزائر والآخر في المناطق الصحراوية.

١٨- المياه في المملكة المغربية:

توجد المياه الجوفية المغرب في خمسة أحواض هي حوض البحر المتوسط، حوض الأطلسي الشمالي، حوض جنوب شرق الأطلسي، حوض جنوب غرب الأطلسي، حوض كندوق، الأحواض الصحراوية، الساقية الحمراء ووادي الذهب. (الموسوعة العربية للمعرفة من أجل التنمية المستدامة، ٢٠٠٦ م، ٧٠-٧٣).

وتتمثل مصادر المياه السطحية في منطقة شمال أفريقيا في مياه البحيرات العذبة والمجري المائية السطحية.

وتتكون البحيرات العذبة في المنطقة إما من مياه الأنهار كبحيرة ناصر خلف خزان السد العالي، والكائنة عند أسوان من مياه نهر النيل، أو من البحيرات المتكونة من الثلوج وهطول الأمطار كبحيرات أنهار المغرب ونهر مجردة وكذلك بحيرات تنشأ خلف الخزانات والسدود كبحيرة سد وادي المجينين في ليبيا. وتحتوي المنطقة على أنهار كنهر النيل بمصر، وأنهار المغرب كنهر سيبو ونهر تنسفت ونهر الملوية ونهر مسوس وكذلك نهر مجردة، والأخير ينبع من الجزائر ويصب في تونس، بالإضافة إلى نهر الشليف بالجزائر.

وهناك أودية عديمة الجريان وتوجد في الجهات الداخلية من المنطقة مثل وادي الشاطئ ووادي الحياة بليبيا. كذلك الجداول القصيرة التي تظهر في قيعان بعض الأودية وفيها ماء دائم الجريان ومنها وادي درنة الذي تندفع فيه مياه عين بو منصور، ووادي الرمل الذي توجد بأعاليه عين الشرشرة بليبيا. (الفيتوري، ٢٠١٠، ٨٢-٨٤)

١٩- المياه في موريتانيا:

وتوجد في منطقة أوكاترا، وتوجد كذلك في حوض نواكشوط.

جدول يوضح كميات المياه العذبة المتاحة في منطقة الوطن العربي ومدى استهلاكها (٢٠٠٣م)

المنطقة العربية	عدد السكان	المياه العذبة المتاحة والمتجددة	مجموع الاستخدامات المائية	وفرة / عجز
منطقة المشرق العربي (سوريا، لبنان، فلسطين الضفة الغربية وغزة، الأردن، العراق)	٥١ مليون نسمة	١٠٨ مليار متر ^٣ سنوياً	٦٥ مليار متر ^٣ سنوياً	وفرة ٤٠٪
منطقة شبه الجزيرة العربية (السعودية، الكويت، قطر، الإمارات العربية المتحدة، عمان، اليمن)	٤٧ مليون نسمة	٧,٨ مليار متر ^٣ سنوياً	٢٨,٦ مليار متر ^٣ سنوياً	عجز ٢٦٦٪
الوسط وشرق أفريقيا (مصر، السودان، الصومال، جيبوتي، جمهورية جزر القمر)	١٠٩ مليون نسمة	١٣٨ مليار متر ^٣ سنوياً	١٠٩ مليار متر ^٣ سنوياً	وفرة ٢٠٪
المغرب العربي (ليبيا، الجزائر، المغرب، موريتانيا)	٧٨ مليون نسمة	٦٠ مليار متر ^٣ سنوياً	٢٧ مليار متر ^٣ سنوياً	وفرة ٥٥٪

المصدر: الموسوعة العربية للمعرفة من أجل التنمية المستدامة، ٢٠٠٦، المجلد الأول، مرجع سابق، ص ٣١٤-٣١٦.
يلاحظ من الجدول أعلاه، أن معظم مناطق الوطن العربي لديها وفرة في المياه، بخلاف منطقة شبه الجزيرة العربية والتي تعاني من عجز بسبب وقوعها في منطقة جافة. هذه المياه المتوفرة يتحتم على الدول العربية أن تعمل على صيانتها وتنميتها من خلال بناء السدود وتخزينها لفترات الجفاف، والاستفادة منها في زيادة رقعة الأراضي المزروعة لتحقيق الأمن الغذائي وتحقيق التنمية المستدامة لمياه المنطقة مما يترتب عليه توفير للغذاء وتأمين مستقبلي لأجيال الوطن العربي القادمين.

التنمية المستدامة للمياه العربية

مفهوم التنمية

تطور مفهوم التنمية بشكل جوهري عبر الوقت، وتوجد اختلافات كبيرة حول هذا المفهوم إلى اليوم بين مختلف المدارس الفكرية، ومعظم النقاش يأتي من ثلاث فئات هي:

١- الأفراد والحكومات والمنظمات غير الحكومية في العالم الثالث.

٢- الوكالات الدولية مثل وكالات الأمم المتحدة المختلفة والبنك الدولي.

٣- الأكاديميين في العالم المتقدم.

وقد عُرِفَت التنمية بأنها الزيادة السريعة والمستمرة في مستوى الدخل الفردي عبر الزمن. (مندور، ٢٠١١، ٢٤-٢٥).

والتنمية هي عبارة عن عملية انتقال اقتصاد وطني ومجتمع معين من مستوى أدنى إلى مستوى أعلى نسبياً خلال فترة زمنية محددة وفي إطار جهد إداري مبذول بتوجيه الاقتصاد الوطني لتحقيق أهداف معينة خلال الفترة الزمنية المحددة. (عبد الرازق، ٢٠٠٦، ٣)

وعُرفت التنمية أيضاً بأنها: العملية الهادفة إلى خلق طاقة تؤدي إلى تزايد دائم في متوسط الدخل الحقيقي للفرد بشكل منتظم لفترة طويلة من الزمن. (السنبيل، ٢٠٠١، ٥)

التنمية المستدامة

وهي التنمية التي تلبي احتياجات الجيل الحاضر دون التضحية أو الإضرار بقدرة الأجيال القادمة على تلبية احتياجاتها. وعُرفت أيضاً بأنها السعي الدائم لتطوير نوعية الحياة الإنسانية مع الوضع في الاعتبار قدرات النظام البيئي. ولقد خرج مؤتمر منظمة الزراعة والاغذية العالمية (FAO) بتعريف أوسع للتنمية المستدامة بأنها "إدارة قاعدة الموارد وصونها وتوجيه عملية التغير البيولوجي والمؤسسي على نحو يضمن إشباع الحاجات الإنسانية للأجيال الحاضرة والمقبلة بصفة مستمرة في كل القطاعات الاقتصادية، ولا تؤدي إلى تدهور البيئة وتدمر بالفنية والقبول". وهي تنمية تراعي حق الأجيال القادمة في الثروات الطبيعية للمجال الحيوي لكوكب الأرض، كما أنها تضع الاحتياجات الأساسية للإنسان في المقام الأول، فأولوياتها هي تلبية احتياجات المرء من الغذاء والسكن والملبس وحق العمل والتعليم والحصول على الخدمات الصحية وكل ما يتصل بتحسين نوعية حياته المادية والاجتماعية. وهي تنمية تشترط ألا نأخذ من الأرض أكثر مما نعطي. (الحسن، ٢٠١١، ٤).

وعُرفت كذلك بأنها تنمية تأخذ في الحسبان الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والبيئية معاً، كما تأخذ في الاعتبار احتياجات كل من الجيلين الحالي والمستقبلي.

ويعرف تقرير برانندت لاند التنمية المستدامة بأنها تنمية تفي باحتياجات الأجيال الحالية دون المساس بقدرة الأجيال القادمة على الإيفاء باحتياجاتها. (مندور، ٢٠١١، ٣٣).

وبناءً على هذه التعريفات يمكن استخلاص عناصر التنمية المستدامة التالية: (عبد الرازق، ٢٠٠٦، ٨٣-٨٤).

- ١- العنصر الاقتصادي (تحقيق النمو الاقتصادي، والتوزيع العادل للموارد والثروة).
 - ٢- العنصر الاجتماعي (تحقيق تنمية اجتماعية بين مختلف فئات المجتمع)
 - ٣- العنصر البيئي (المحافظة على البيئة وحمايتها).
 - ٤- العنصر الثقافي (احترام التنوع الثقافي في المجتمع).
 - ٥- العنصر المكاني (تحقيق توازن بين المدن والأرياف والتهئية العمرانية).
- وقد عرفت لجنة ١٩٨٧ Brutland التنمية المستدامة؛ بالتنمية التي تقابل احتياجات الحاضر بدون التأثير على احتياجات الأجيال القادمة.
- وقد عرّف المعهد الدولي للبيئة والتنمية عام ١٩٨٩، التنمية المستدامة بأنها هي التي تتم وتحدث في ظل قدرة البيئة الطبيعية والبشرية على التحمل.
- أهداف التنمية المستدامة: (طلبه، ٢٠٠٦، ٤١٥ و ٤١٩).

تتمثل أهداف التنمية المستدامة في الآتي:

- ١- الأهداف الاقتصادية: النمو - الفعالية - الاستقرار.
- ٢- الأهداف الاجتماعية: العمالة - عدالة أمان - تعليم - صحة - مشاركة - هوية ثقافية.
- ٣- الأهداف البيئية: بيئة نظيفة للبشر - استخدام رشيد للموارد الطبيعية المتجددة - الحفاظ على الموارد الطبيعية غير المتجددة.

معوقات التنمية المستدامة:

نهت جميع مؤتمرات قمة الأرض إلى محدودية وندرة الموارد الطبيعية والاقتصادية على مستوى العالم، وأن الاستمرار في استخدامها غير المرشد قد يعرضها للاستنزاف، وبالتالي إلى عدم القدرة على الوفاء باحتياجات الأجيال المقبلة، ومن هذا المنطلق أكدت تلك المؤتمرات ضرورة خلق علاقة أخلاقية تربط بين الإنسان والبيئة، يتحقق عنها صون للبيئة، إضافة إلى ذلك قد نهت إلى ضرورة التعامل مع الموارد الطبيعية والاقتصادية بكفاءة عالية، وتحقيق العدالة الاجتماعية بين الناس، من خلال ضمان الفرص المتكافئة في مجالات التعليم والصحة والتنمية، بما في ذلك اجتثاث الفقر. رغم الجهود العالمية والمحاولات الجادة لتحقيق مطلب التنمية المستدامة في جميع دول ومجتمعات العالم، إلا أنه لا تزال تلك المحاولات قاصرة إلى حد كبير، وذلك لعدد من الأسباب، من بين أهمها وأبرزها: (الحسن، ٢٠١١، ٧-٩).

١- الزيادة المطردة في عدد سكان العالم، إذ تشير الإحصائيات إلى أن ما يزيد على ستة مليارات شخص يسكنون هذه الأرض، أو ما يمثل نحو نسبة ١٤٠ في المائة خلال الـ ٥٠ عاما الماضية، كما يتوقع أن يبلغ عدد سكان العالم بحلول عام ٢٠٥٠ تسعة مليارات نسمة، مما سيضاعف من تعقيدات التنمية المستدامة.

٢- انتشار الفقر المدقع في العالم، إذ تشير الإحصائيات إلى أن خمس سكان العالم مضطرون للعيش على أقل من دولار واحد في اليوم، هذا إضافة إلى أن نحو ١,١ مليار شخص لا تتوافر لديهم مياه الشرب المأمونة، وأن مياه الشرب الملوثة وعدم كفاية الإمدادات من الماء يتسببان في نحو ١٠ في المائة من جميع الأمراض في البلدان النامية.

٣- عدم الاستقرار في كثير من مناطق العالم والناتج عن غياب السلام والأمن.

٤- مشكلة الفقر في بعض دول العالم والتي تزداد حدة مع الأمية وارتفاع عدد السكان والبطالة وتراكم الديون وفوائدها والاستغلال غير الرشيد للموارد الطبيعية.

٥- استمرار الهجرة من الأرياف إلى المناطق الحضرية وانتشار ظاهرة المناطق العشوائية، وتفاقم الضغوط على الأنظمة الإيكولوجية وعلى المرافق والخدمات الحضرية، وتلوث الهواء وتراكم النفايات.

٦- تعرض مناطق من العالم بصفة عامة لظروف مناخية قاسية، وخاصة انخفاض معدلات الأمطار عن المعدل العام السنوي، وارتفاع درجات الحرارة في فصل الصيف ومعدلات البخر والنتج، مما أدى إلى تكرار ظاهرة الجفاف وزيادة التصحر.

٧-محدودية الموارد الطبيعية وسوء استغلالها بما فيها النقص الحاد في الموارد المائية وتلوثها وندرة الأراضي الصالحة للاستغلال في النشاطات الزراعية المختلفة، وتدهور نوعيتها، ونقص الطاقة غير المتجددة في بعض أقطار العالم.

٨-عدم مواءمة بعض التقنيات والتجارب المستوردة من الدول المتقدمة مع الظروف الاقتصادية والاجتماعية والبيئية في بعض دول العالم النامي، ونقص الكفاءات الوطنية القادرة على التعامل معها.

ولا يمكن تحقيق الأمن الغذائي المستدام في أي إقليم وفي أي دولة إلاّ بضمان ثلاثة عوامل أساسية وهي:

١- استدامة الموارد الطبيعية (الأرض والمياه والغطاء النباتي)

٢- استدامة التنوع الحيوي (الموارد النباتية والحيوانية والكائنات الدقيقة).

٣- الزيادة السكانية المناسبة.

التحديات الداخلية للأمن المائي القومي العربي:

تواجه الدول العربية العديد من المخاطر والمشاكل التي تهدد أمن الماء على أراضيها، وأهم هذه التحديات: (عبد الرزاق، ٢٠٠٦، ٨٣ و ١٣٧)

١- غياب أو ضعف التنسيق عربياً في السياسات المائية المتبعة بين الأقطار العربية التي تشترك في مورد مائي معين.

٢- عدم اعتماد استراتيجية عربية موحدة للتصدي لمخططات السياسات المائية المتبعة من قبل دول الجوار الجغرافي بسبب الخلافات العربية - العربية.

٣- الهدر الكبير في كميات المياه المستخدمة لمختلف الأغراض.

٤- عدم إتباع الطرق الحديثة في موضوع الري كالرش بالتنقيط واستخدام الأنابيب الأسمنتية المبطننة لنقل المياه.

٥- الموقع الجغرافي للوطن العربي في المنطقة الجافة وشبه الجافة وارتفاع نسبة التبخر وازدياد معدلات الملوحة في المياه والتلوث نتيجة الاستعمال غير المدروس للمشاريع الصناعية.

التحديات الخارجية للأمن المائي القومي العربي:

وتتمثل التحديات الخارجية من دول الجوار الجغرافي لدول الوطن العربي: (الفيتوري، ٢٠١٠، ٩٢ و ٩٥ و ٥٩-٦٠)

١- المشاريع التركية على نهريّ دجلة والفرات والذين تأتي مياههما من ثلوج الهضبة التركية، وتسعى تركيا لحرمان سوريا والعراق من الاستفادة من مياههما. وقد بدأت الحكومة التركية بالفعل في إقامة مشاريع على النهرين: سد أتاتورك، مشروع دجلة-كرال قينوى، مشروعات فرات الحدود، مشروع فرزان، مشروع ادى يامان كاهتا وغيرها من المشاريع.

٢- الأطماع الأثيوبية والإسرائيلية على نهر النيل ومنابعه، وإقامة مشاريع عليه تشمل إنشاء ٢٦ سداً على نهر النيل الأزرق. أما المشاريع الإسرائيلية تشمل مشروع استغلال الآبار الجوفية

في سيناء، مشروع اليشع كالي لنقل مياه النيل من مصر عبر قناة السويس حتى حدود فلسطين الجنوبية وغيرها من المشروعات.

الأطماع الإسرائيلية في مياه الوطن العربي:

لم يكن مستغرباً أنه ومن حوجة إسرائيل الشديدة للمياه أن يكون شعار الكيان الصهيوني منقوشاً عند مدخل الكنيست (البرلمان الاسرائيلي) يقول "حدودك يا إسرائيل من الفرات إلى النيل" وذلك منذ إعلان دولة إسرائيل في مايو ١٩٤٨م.

وهذا يعكس لنا أولاً حوجتها للمياه، وثانياً مدى حدود أطماعها الجغرافية لتوسيع دولتها. ويزيد من سعى إسرائيل لسد نقص المياه على أراضيها؛ ما ورد في النصوص التوراتية المتعلقة بالمياه والتي تزيد عن مائتي نص أغلبها يتضمن أفكاراً عدائية لتهديد المياه العربية. (النحال، ٢٠٠٣، ٤٩ و ٥١)

وفي العام ١٩٥٥ خاطب الصهيوني بن غورين في ذكرى إعلان الكيان الصهيوني قائلاً: "إننا نخوض مع العرب معركة المياه وعلى نتيجة هذه المعركة يتوقف مصير إسرائيل، فإذا لم نربح هذه المعركة كأننا لم نفعل شيئاً". (الحمدان، ٢٠١٤، ١٤٢).

إن كمية المياه التي تتدفق إلى إسرائيل تبلغ ١,٦٥٠ مليار متر مكعب وهي تستهلك ١,٨٣٠ مليار متر مكعب، بالتالي هنالك عجز ١٨٠ مليون متر مكعب. وهي تعوض هذا العجز بالآتي: (ذهب، ٢٠٠٧، ٥٢-٥٣).

١- احتلال الأراضي العربية الغنية بالمياه.

٢- سرقة المياه الجوفية الفلسطينية.

٣- استيلائها على مياه الأنهار في جنوب لبنان: الحاصباني والوزاني.

٤- استيلائها على ٣٠٠ مليون متر مكعب من مياه نهر الأردن.

كما تستورد إسرائيل من تركيا سنوياً ٢٥٠ مليون متر مكعب من المياه (١٤٪ من إجمالي استهلاكها المائي حسب إحصائية ١٩٩٠م).

وفي تقرير مراقب الدولة في الكيان الصهيوني "ميريام بن بورات: الذي نشر في يناير ١٩٩٠ جاء فيه "إن اللامبالاة في إدارة المياه منذ ٢٥ عاماً أدى إلى جفاف احتياطي إسرائيل من المياه ودمرت نوعيتها، وأن السحب الزائد للمياه أدى لنقص خطير، وفي الواقع فإن البلاد لا تملك الآن أية مياه في احتياطياتها اليوم، هناك خطر كبير حقيقي في أنه سيستحيل الحصول على المياه بكمية كافية ونوعية جيدة في القريب".

وتحاول إسرائيل أن تتغلب على الأزمة المائية حسبما ذكر في تقرير توماس ناف " أنه بإمكان إسرائيل أن تتغلب على الأزمة المائية بإعادة تخطيط اقتصادها للتقليل من الاعتماد على الزراعة التي تستهلك ٨٠٪ من كميات المياه المتاحة". (النحال، ٢٠٠٣، ٥٤-٥٥).

ولكن يعتبر القطاع الزراعي قطاع مهم للاقتصاد الاسرائيلي لذا فإن خيار استيلائها على منابع المياه في الدول المجاورة هو الأرجح.

-الأطماع الإسرائيلية في مياه منطقة الشام:

شنت إسرائيل ستة حروب كبيرة في منطقة الشام من أجل المياه، كما في حربها مع العرب ١٩٦٧ وكانت واحدة من الأسباب هي رغبة إسرائيل السيطرة على منابع نهر الأردن وموارد المياه في الضفة الغربية ومرتفعات الجولان الغنية بالمياه، كذلك الحروب المتكررة على لبنان في ١٩٧٨ م والتي سميت (بعملية الليطاني) كانت تهدف لسرقة المياه اللبنانية. كذلك حربها الاخيرة في أغسطس ٢٠٠٦ م ضد لبنان كان من أحد أسبابها الحصول على المياه. (دهب، ٢٠٠٧، ٧٧).

وقد بدأ اهتمام المسؤولين الإسرائيليين بنهر الليطاني منذ ٢٩ ديسمبر ١٩١٩ وكان ذلك على ما أرسله حاييم وايزمان إلى لويد جورج - رئيس وزراء بريطانيا في ذلك الوقت إذا قال: أن مستقبل فلسطين الاقتصادي كله يعتمد على موارد مياهها والقوى الكهربائية بصورة رئيسة من منحدرات جبل حرمون ومن منابع نهر الأردن ومن نهر الليطاني). (حسن، ٢٠٠٠، ٢٢).

ففي الفترة ١٩٥١- ١٩٥٣ قامت إسرائيل بتجفيف مستنقعات الحولة (تنفيذاً لمشروع لودر ميلك)، وكذلك تقويم مجرى نهر الأردن، ويهدف تسريع صرف جريان النهر، وسحب كميات إضافية من المياه الجوفية لجبل عامل والحافة الانكسارية المحيطة بأصبع الجليل. وفي سنة ١٩٦٧ انتزعت إسرائيل عوائق خط الهدنة، واستكملت أهم مراحل مشروعها بنتيجة حرب يونيو ١٩٦٧، وهي المرحلة المعنية بالتوسع الجيوبوليتيكي والاستيلاء على معظم منظومة نهر الأردن (الدان الفلسطيني، بانياس السوري، الحاصباني اللبناني) وسائر الروافد والينابيع في المناطق المحتلة، بالإضافة إلى احتلال مناطق العمل في المشاريع المائية (سد المحيبة) التي سبق ودمرتها في وادي اليرموك.

وفي ٨ يونيو ١٩٦٧ أعلن رئيس وزراء إسرائيل (ليفي أشكول) خلال حديث أجرته معه صحيفة لوموند الفرنسية: "أن إسرائيل العطشى لا يمكنها أن تقف مكتوفة وهي ترى مياه الليطاني تذهب هدرًا إلى البحر، وأن القنوات باتت جاهزة في إسرائيل لاستقبال مياه الليطاني المحولة".

وفي سنة ١٩٧٨ بدأت بالفعل "عملية الليطاني" ثم أعقبتها الاجتياح الإسرائيلي (عملية سلامة الجليل) سنة ١٩٨٢ لعمق الأراضي اللبنانية. وتحفظ إسرائيل بشريط حدودي مع لبنان يبلغ مساحته (١١٠٠) كم مربع (أي حوالي ١٠٪ من المساحة العامة اللبنانية). لقد وفر هذا الوضع الجيوبوليتيكي لإسرائيل سرقة مياه الجنوب اللبناني بما فيها جزء من مياه نهر الليطاني، بالإضافة إلى سرقة المياه السورية من سفوح الحرمون وهضبة الجولان، ويقدر الخبراء أن مجموع وارد المياه الواصل إلى الأراضي المحتلة في فلسطين يبلغ نحو مليار متر مكعب سنوياً. (الحمدان، ٢٠١٤، ١٧٥ - ١٧٦).

وتطمع إسرائيل أيضاً في مياه اليرموك - الذي ينبع من سوريا ويسير محاذياً الحدود السورية الأردنية ليصب في نهر الأردن إلى الجنوب - وهو بؤرة صراع مسلح محتمل بين إسرائيل من جهة وسوريا والأردن من جهة أخرى، وذلك أن إسرائيل تطمح أن تزيد حصتها من ١٧ مليون متر مكعب إلى ٤٠ مليون متر مكعب لري مثلث اليرموك، وكذلك تخصيص ١٤٠ مليون متر مكعب للاستفادة منها في ري أراضي الغور في الضفة الغربية. (حسن، ٢٠٠٠، ٣٠).

الأطماع الإسرائيلية على مياه النيل:

يرجع تاريخ الأطماع الصهيونية في مياه نهر النيل إلى ما قبل تأسيس الكيان الصهيوني ١٩٠٣، فقد حاول هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية تحويل جزء من مياه نهر النيل إلى شبه جزيرة سيناء واستئجارها لمدة ٩٩ سنة قابلة للتجديد.

يبلغ الحجم المتوسط السنوي للأمطار على حوض النيل حوالي (٩٠٠) مليار متر مكعب سنوياً، يمثل الجريان السطحي منه (١٣٧) مليار متر مكعب، بينما إيراد النيل طبقاً لآخر التقديرات لا يتجاوز (٨٤) مليار متر مكعب، يأتي (٧٢) مليار متر مكعب أي ٨٥٪ من مياه النيل من النيل الأزرق الذي ينبع من بحيرة تانا في أثيوبيا بينما يأتي ١٥٪ من منطقة البحيرات العظمى أي حوالي (١٢) مليار متر مكعب.

إن النسبة الكبيرة التي تنفرد بها أثيوبيا في حصتها من حوض ومياه نهر النيل الأزرق وعطيرة والسوبات فهي تمثل النصيب الأكبر لمياه نهر النيل ٨٥٪ وتأتي أغلبها من هضبة أثيوبيا (الحمدان، ٢٠١٤، ١٥٥ و ١٥٧ و ١٧٧).

وعلى هذا الأساس قامت إسرائيل بتوطيد علاقتها مع أثيوبيا للاستيلاء على مياه النيل والتحكم في منابعه، والضغط على مصر والسودان العربيتين- شريكنا أثيوبيا في مياه النيل- لإضعاف دورهما في المنطقة والاستغلال مياه النيل.

وقد تمكنت إسرائيل من التغلغل في دول حوض النيل فعقدت اتفاقيات دفاع مشترك مع أوغندا، كينيا، رواندا، بورندي، أثيوبيا، تنزانيا، ارتيريا. وقد لعبت إسرائيل أدواراً خفية في إثارة الصراع وتأجيجها في منطقة حوض النيل خاصة في مناطق منابع النيل العليا وجنوب السودان، فقد قامت بإرسال الخبراء العسكريين والاستشارات العسكرية وتوريد الأسلحة عبر الحدود غير المحمية (سليمان، ٢٠٠٣، ١٩٢).

كما قامت إسرائيل على إيقاف العمل في مشروع قناة جونقلي التي كان من المفترض أن توفر كمية إضافية من مياه النيل تقدر بـ ١٨ مليار متر مكعب تقسم مناصفة بين مصر والسودان.

وقد بدأ العمل بها عام ١٩٧٨ وتوقف عام ١٩٨٣ بعد إنجاز ٧٣٪ من حجم العمل، وذلك بعد مهاجمة مركز العمل فيها من قبل جيش التمرد بزعامة جون قرنق (النحال، ٢٠٠٣، ٦٠).

وتقف أثيوبيا على رأس الدول الإفريقية التي تُحظى باهتمام الدوائر السياسية الإسرائيلية، سواء لما تروجه الدعاية الإسرائيلية لجذور تاريخية وأخرى حديثة ومعاصرة في عهد الإمبراطور هيللا سيلاسي، وتركيزها على الأبعاد التي ذكرها بنيامين نتنياهو في خطابه سنة ٢٠١٦ أمام البرلمان الأثيوبي مشيراً إلى الملك سليمان، ومن خلال الإشارة للروابط السكانية (يبلغ عدد اليهود الإثيوبيين في إسرائيل نحو ١٤٠-١٥٠ ألف نسمة)، بالإضافة إلى تطور العلاقات الأثيوبية الإسرائيلية، خصوصاً الدعم العسكري والتقني الإسرائيلي في فترة الصراع الأثيوبي الأريتري، وفي مرحلة ما بعد الحرب الباردة، وهو ما يؤكد الاهتمام الإسرائيلي الكبير بتطوير العلاقة بين تل أبيب وأديس أبابا.

وقامت إسرائيل في عام ١٩٨١ بتقديم قائمة بـ ٤٠ مشروعاً لأثيوبيا على حوض النيل الأزرق، ونهر السوبات وذلك أمام مؤتمر الأمم المتحدة للدول الأقل نمواً وأكدت أثيوبيا أنها تحتفظ بحقوقها في

تنفيذ هذه المشروعات إذا لم يتم التوصل إلى اتفاق مع مصر والسودان. ويشمل ذلك إنشاء ٣٦ سداً وأهم هذه المشروعات السد التخزيني على نهر فشقا -أحد روافد النيل الأزرق - والذي يقتطع ٢٥ مليار متر مكعب من المياه. وقد بدأ العمل فيه عام ١٩٨٤ وتم إنجازه بعد أن ساهمت ليبيا بتمويل مالي بلغ ٣٠٠ مليون دولار بينما ساهمت إسرائيل بالمعونة الفنية. (عبد الحى، ٢٠٢٠).

وقد كشفت شركة (تاحال) الإسرائيلية على التعاون الوثيق الذي يجري بين إسرائيل وأثيوبيا، فقد أعلنت هذه الشركة المائية اليهودية بأنها ستقوم بمشاريع وأعمال ري في أثيوبيا لحساب البنك الدولي بالإضافة إلى أعمال إنشائية في أوغادين في الطرف الجنوبي من أثيوبيا المتنازع عليها مع الصومال. (الدومة، ٢٠٠٥، ١٠٩).

سد النهضة:

تؤكد مصادر مختلفة وجود طابق كامل في مبنى وزارة المياه والكهرباء الأثيوبية يقيم فيه خبراء المياه الإسرائيليين، وهم يقدمون الخبرة التفاوضية والفنية للفرق الأثيوبية، وأكد ذلك وزير الري والمياه المصري السابق محمد نصر علام، وكرره مسؤولون سودانيون من ذوي العلاقة بالمؤسسات الخاصة بالري والمياه. كما أعاد ذكره نائب رئيس الأركان المصري محمد علي بلال في مايو ٢٠١٣ متحدثاً عن وجود أعداد كبيرة من الإسرائيليين يعملون في السد الذي تم بناؤه بتمويل غربي وأمريكي (البنك الدولي، وإيطاليا، وبنك الاستثمار الأوروبي)، وبنك التنمية الأفريقي، والصين، وإسرائيل.

نشاط الشركات الإسرائيلية، لا سيما تلك التي لها علاقة باحتياجات بناء سد النهضة الإثيوبي، حيث تتواجد بشكل فاعل الشركات الإسرائيلية مثل: شركة سوليل بونيه Solel Boneh للإنشاءات في كل من كينيا، وأثيوبيا، وأوغندا، إلى جانب شركة أغروتوب Agrotop للزراعة، وشركة كور CORE للإلكترونيات، وشركة موتورولا الإسرائيلية Motorola Israel للكهرباء والماء، وشركة كارمل Carmel للكيماويات. ورفعت إسرائيل من حجم استثماراتها في قطاع الطاقة سنة ٢٠١٨ بقيمة ٥٠٠ مليون دولار من خلال شركة جيجاوات جلوبال Gigawatt Global، وهي شركة لها علاقات مع عشر جامعات أثيوبية، وهناك عشر مؤسسات أخرى إسرائيلية تعمل في أثيوبيا، كما أكد النائب المصري أحمد العضوي أن النشاط الإسرائيلي في أفريقيا، وخصوصاً في أثيوبيا، يستهدف التأثير على المصالح المصرية وأبرزها حصة مصر من النيل من خلال الدعم الإسرائيلي لمشروع سد النهضة. (عبد الحى، ٢٠٢٠)

إن ملء سد النهضة قد يؤدي إلى أن يبقى السد العالي فارغاً لمدة ١٢ عاماً طيلة فترة الملء الأثيوبي، وهناك مخاطر من بناء السد وملئه والتي تؤدي إلى نتائج سلبية عديدة أهمها:

١. جفاف الري عن مساحة واسعة من الأراضي الزراعية، مما سيؤدي إلى تقليص المزارع التي تحتاج كميات كبيرة من المياه مثل الأرز، حيث يقدر أن تنخفض المساحة المخصصة لهذا المحصول الأهم لسلة الغذاء المصري من ١,٨ مليون فدان إلى ٧٢٤ ألف فدان، أي نحو ٤٠٪ من حجم المساحة الحالية في سنة ٢٠٢٠.
٢. انخفاض منسوب المياه الجوفية وخسارة مصر ما بين ١١-١٩ مليار م^٣ من المياه.

٣. تداخل مياه البحر مع المياه في الدلتا المصرية مما يقود إلى إرتفاع نسبة الملوحة في التربة وجعلها أقل صلاحية للزراعة.
 ٤. التلوث وتهديد الثروة السمكية.
 ٥. تراجع الطاقة الكهربائية في مصر بين ٢٥-٤٠٪.
 ٦. إن مواصلة أثيوبيا لمشروعها قد يغري بقية دول الحوض الأخرى لبناء سدود مماثلة مما يفاقم الأخطار السابقة الذكر على مصر والسودان، ويغرق الشرق الأفريقي ومنطقة حوض النيل في نزاعات عميقة ومدمرة.
- بعد تصاعد الخلاف بين أثيوبيا ومصر حول آثار السد الأثيوبي، ظهرت تقارير إسرائيلية، وغربية، وعربية، في ٢٠١٩، عن قيام إسرائيل بنصب نظام دفاع جوي من نوع سبايدر إم آر Spyder-MR حول سدّ النهضة الأثيوبي يمكنه من إسقاط الطائرات الحربية من على بعد ٥٠-٥ كم، وقد قامت ثلاث شركات إسرائيلية هي شركة رفائيل Rafael المتخصصة في الصواريخ، وفرع إم.بي.تي MBT للصواريخ التابع للصناعات الجوية الإسرائيلية، وشركة أنظمة إلتا Elta المتخصصة في الرادارات، بإنجاز هذا النظام الدفاعي لأثيوبيا. (عبد الحى، ٢٠٢٠).

الخاتمة

تبرز قضية ندرة وشح المياه في المحافل الدولية كواحدة من أهم القضايا التي تؤرق قادة العالم وشعوبهم، وتناقش في اجتماعاتها وتتصدر أعمال المنظمات الدولية، فالماء مسألة حياة أو موت، والحروب القائمة الآن والقادمة تقوم على الاستحواذ على الأراضي التي تتوفر فيها المياه الجارية والجوفية.

وتتوفر في المنطقة العربية العديد من مصادر المياه العذبة والمالحة والتي بالإمكان تحليلها، ولكن هذه المياه الوفيرة مهددة بالجفاف والهدر والقسمة غير العادلة مع دول المصب سواء في أفريقيا أو في منطقة الشام. كما أن ضعف الوعي بترشيد استخدام المياه في المنازل والأماكن العامة والصناعات يعد من أكبر العوامل التي تتسبب في فقدان هذه المياه. إن صياغة إستراتيجية عربية مشتركة متكاملة من شأنها أن تحافظ وتصون هذا المورد المهم، للاستفادة منه حالياً، واستدامته للأجيال القادمة.

النتائج:

- ١- غياب وضعف التنسيق عربياً في السياسات المائية المتبعة بين الأقطار العربية التي تشترك في مورد مائي واحد.
- ٢- عدم اعتماد إستراتيجية عربية موحدة للتصدي لمخططات السياسات المائية المتبعة من قبل دول الجوار الجغرافي بسبب الخلافات العربية - العربية.

٣- الهدر الكبير في كميات المياه المستخدمة لمختلف الأغراض، وعدم إتباع الطرق الحديثة في الري كالرش بالتنقيط واستخدام الأنابيب الأسمنتية المبطنة لنقل المياه، كذلك في أعمال النظافة بالمنازل.

٤- الموقع الجغرافي للوطن العربي في المنطقة الجافة وشبه الجافة وارتفاع نسبة التبخر وازدياد معدلات الملوحة في المياه والتلوث.

٥- هنالك أطماع خارجية على المياه العربية والتي تتمثل في المشاريع التركية على نهري دجلة والفرات والذين تأتي مياههما من ثلوج الهضبة التركية، وتسعى تركيا لحرمان سوريا والعراق من الاستفادة من مياههما (سد أتاتورك، مشروع دجلة - كراي قينوى، مشروعات فرات الحدود، مشروع فرزان، مشروع ادي يامان كاهتا وغيرها من المشاريع).

٦- الأطماع الأثيوبية والإسرائيلية على نهر النيل ومنابعه، وإقامة مشاريع عليه تشمل إنشاء ٢٦ سداً على نهر النيل الأزرق. أما المشاريع الإسرائيلية تشمل مشروع استغلال الآبار الجوفية في سيناء، مشروع اليشع كالي لنقل مياه النيل من مصر عبر قناة السويس حتى حدود فلسطين الجنوبية وغيرها من المشروعات.

التوصيات:

١- على حكومات الدول العربية أن تعمل على تنسيق الجهود المشتركة والتعاون لتكثيف الوعي المجتمعي بين المواطنين وفي المؤسسات العامة والخاصة بضرورة ترشيد استهلاك المياه، وحفظه من الهدر والتلوث وذلك عبر تكثيف الرسائل الإعلامية في مختلف الوسائط.

٢- على قيادات الدول العربية تعزيز التعاون والتكامل ووضع إستراتيجيات تعمل من خلالها على إدارة المياه ومواردها المشتركة على أراضيها، مع مراجعة حصص الدول العربية التي تتشارك نهر النيل مع بعض الدول الأفريقية حفاظاً على حصتها، وتغطية احتياجات الزيادات السكانية في هذه الدول العربية.

٣- استحداث وسائل الري الجديدة كالرش بالتنقيط، وتحلية المياه، ومعالجة مياه الصرف الصحي واستخدامها في سقاية الحدائق.

٤- استبدال زراعة المحاصيل التي تستهلك كميات كبيرة من المياه بأخرى أقل استهلاكاً.

٥- بناء السدود لحصاد مياه الأمطار وحفظها حتى يتم استخدامها في مواسم الجفاف والصيف.

قائمة المصادر والمراجع

١. حسن، سامي محجوب، ٢٠٠٠م، "المشروع الصهيوني للسيطرة على الموارد المائية العربية"، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في الدراسات الدبلوماسية، جامعة النيلين.

٢. الحسن، عبد الرحمن محمد، ٢٠١١، " التنمية المستدامة ومتطلبات تحقيقها "، بحث قدم في ملتقى إستراتيجية الحكومة في القضاء على البطالة وتحقيق التنمية المستدامة، جامعة المسيلة.
٣. الحمدان، وعد الله حسين ياسين، ٢٠١٤، نهر النيل وتأثيره على الأمن القومي العربي، المكتب الجامعي الحديث للنشر الإسكندرية - مصر.
٤. دهب، مهدي، ٢٠٠٧، الإشكالات الجغرافية ودورها في رسم السياسة الإسرائيلية، مركز الراصد للدراسات السياسية والإستراتيجية، الخرطوم.
٥. الدومة، صلاح الدين عبد الرحمن، ٢٠٠٥، أمن القرن الأفريقي، مطبعة جى تاون، الخرطوم.
٦. سليمان، بشار عبد الله، ٢٠٠٣م، أمن منابع النيل، مركز الدراسات الإستراتيجية، الخرطوم.
٧. السنبل، عبد العزيز بن عبد الله، ٢٠٠١م، "دور المنظمات العربية في التنمية المستدامة"، ورقة عمل مقدمة في مؤتمر التنمية والأمن في الوطن العربي (الأمن مسؤولية الجميع)، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.
٨. عبد العي، وليد، ٢٠٢٠/٠٨/٠٦. ورقة علمية: الإستراتيجية الإسرائيلية تجاه سدّ النهضة الأثيوبي، <https://www.alzaytouna.net>، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، لبنان.
٩. عبد الرازق، محمد قبلي، ٢٠٠٦م، التنمية الريفية المستدامة وقضايا الغذاء في العالم (السودان سلة غذاء العالم العربي)، دمشق.
١٠. الفيتوري، حسن بالعيد سالم، ٢٠١٠م، أزمة المياه وانعكاساتها في العلاقات الدولية المعاصرة كدراسة تحليلية لأزمة المياه في الشمال الأفريقي وأثارها على الأمن القومي العربي، الناشر المكتب العربي الحديث، الإسكندرية - مصر.
١١. مصطفى طلبه، ٢٠٠٦م، الموسوعة العربية للمعرفة من أجل التنمية المستدامة، الأكاديمية العربية للعلوم، الناشر: الدار العربية للعلوم، لبنان.
١٢. مندور، عصام عمر، ٢٠١١، التنمية الاقتصادية والاجتماعية والتغيير الهيكلي في الدول العربية (المنهج - النظرية - القياس)، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية.
١٣. الموسوعة العربية للمعرفة من أجل التنمية المستدامة، ٢٠٠٦م، المجلد الأول، الأكاديمية العربية للعلوم، الناشر الدار العربية للعلوم، لبنان.
١٤. الموسوعة العربية للمعرفة من أجل التنمية المستدامة، ٢٠٠٦م، المجلد الثاني: البعد البيئي، الأكاديمية العربية للعلوم، الناشر الدار العربية للعلوم، لبنان.
١٥. موسى، أروى عوض خليفة، ٢٠١٠م، أهمية المياه في إدارة الصراع الدولي (دراسة حالة منطقة حوض النيل من ١٩٥٩-٢٠١١) بحث تكميلي قُدم لنيل درجة الماجستير في العلوم السياسية، جامعة النيلين.
١٦. النحال، محمد، ٢٠٠٣م، دور مياه النيل في صياغة المخططات الإسرائيلية ضد السودان، السودان في الأجندة الإسرائيلية، مركز الراصد للدراسات، الخرطوم- السودان.

١٧. نوفل وجمال، الظاهر، أحمد سعيد وأحمد، ٢٠٠٧م، الوطن العربي والتحديات المعاصرة،
جامعة القدس المفتوحة، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، مصر.

المآل وأثره في السياسة الشرعية

أ.د. عبد الكريم عمر الشقافي^(*)

المستخلص

إن تقدير المآل في الأفعال من الأهمية بمكان، وهو في السياسة الشرعية أكد؛ ذلك لأن معيار السياسة هو المصلحة المرجوة من الأحكام، وقولنا المرجوة أي التي نتوقع أنها تقع، فمراعاة تحصيل تلك المصالح أمر مقصود شرعا، بغض النظر إن كانت الأفعال موافقة أم مخالفة؛ ذلك أن السياسي من المفروض أن لا يحكم أو يؤسس لمسألة ما بالإقدام أو بالإحجام إلا بعد نظره إلى ما يتوقع أن يقع بعد حكمه على المسألة أو تأسيسه لها؛ لأن ذلك يكون باعثا على الاحتراز قدر الإمكان من المفساد التي قد تقع، وتكمن أهمية البحث في إيجاد السبل الكفيلة للوصول للمصلحة ودرء المفسدة قدر الإمكان، ويهدف البحث إلى رسم سياسة اتخاذ القرارات وفق توقع الرؤى المستقبلية المحتملة احتمالا راجحا بالإيجاب أو السلب، ويعالج البحث من خلال الأخذ بقاعدة النظر إلى مآلات الأفعال في التفكير ما يترتب على الوسائل المتخذة والوضع العام والمحيط الخارجي على اتخاذ القرار الصحيح في السياسات الجزئية وفق المصالح المرجوة، وينحو البحث المنهج التطبيقي من خلال عرض بعض الحوادث الواقعة فعلا، وقد خلص البحث إلى أهم النتائج التالية: أن تعرض كل مسألة تحتاج إلى قرار على الشرع، بكل ما تعني الكلمة من ذلك من المصادر المعتبرة، المتفق عليها والمختلف فيها، وأن تكون هناك مراحل محددة لاتخاذ القرار السياسي وفق تصور المآل، وهي: المدخلات، ثم المعالجات ثم المخرجات، ثم تقويم ومراجعة وتدقيق، وإن لم تجد نصا واضحا في المسألة فلا تخرج عن دائرة الشرع بالرجوع إلى أقرب النصوص موافقة، سواء بالقياس أو الاستحسان، وغيرها، فإن عُدِم ذلك فالعقل الراجح، كذلك النظر ببصيرة إلى مآل تلك المسألة سلبا وإيجابا، والنظر إلى المحيط الخارجي المتأثر بالقرار.

الكلمات المفتاحية: المآل - السياسة - الشرعية - المصلحة.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد...

فإن تقدير المآل في الأفعال من الأهمية بمكان، وهو في السياسة الشرعية أكد؛ ذلك لأن معيار السياسة هو المصلحة المرجوة من الأحكام، وقولنا المرجوة أي التي نتوقع أنها تقع، فمراعاة تحصيل تلك المصالح أمر مقصود شرعا، وهو عين القاعدة التي تقول: "النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعا، بغض النظر إن كانت الأفعال موافقة أم مخالفة" (الشاطبي، ١٩٩٧م/٥/١٧٧) ذلك أن السياسي من المفروض أن لا يحكم أو يؤسس لمسألة ما بالإقدام أو بالإحجام إلا بعد نظره إلى ما

(*) الجامعة العراقية، كلية القانون والعلوم السياسية

يتوقع أن يقع بعد حكمه على المسألة أو تأسيسه لها؛ لأن ذلك يكون باعثاً على الاحتراز قدر الإمكان من المفاصد التي قد تقع، وفي ذلك يقول الشاطبي: "فإذا نظر المتسبب إلى مآلات الأسباب؛ فربما كان باعثاً له على التحرز من أمثال هذه الأشياء" (الشاطبي، ١٩٩٧م/١/٣٦٣)، لذلك على السياسي أو من يملك القرار سواء أكان شخصاً اعتبارياً أو مؤسسة سياسية، أن ينظر إلى المآل في كل مسألة تعرض له، حسب ما يتوفر له من معلومات دقيقة وظروف محيطية قد تتغير من حين لآخر، فيعرف ما يتخذ من قرار أو يدع من قرار، "وضابط ذلك أنك تعرض مسألتك على الشريعة، فإن صحت في ميزانها فانظر في مآلها بالنسبة إلى حال الزمان وأهله، فإن لم يؤدّ ذكرها إلى مفسدة فاعرضها في ذهنك على العقول، فإن قبلتها فلك أن تتكلم فيها، إما على العموم إن كانت مما تقبلها العقول على العموم، وإما على الخصوص إن كانت غير لائقة بالعموم، وإن لم يكن لمسألتك هذا المساغ، فالسكوت عنها هو الجاري على وفق المصلحة الشرعية والعقلية" (الشاطبي، ١٩٩٧م/٥/١٧٢)، فالترتيب الذهني في فن اتخاذ القرار وفق تلك القاعدة يستلزم التدرج في الأفكار حتى اتخاذ القرار النهائي؛ وهي كالتالي:

١. عرض المسألة على الشرع، بكل ما تعني الكلمة من ذلك من المصادر المعتبرة، المتفق عليها والمختلف فيها.

٢. إن لم تجد نصاً واضحاً في المسألة فلا تخرج عن دائرة الشرع وذلك بالرجوع إلى أقرب النصوص موافقة، سواء بالقياس أو الاستحسان، وقد يكون استصحاب البراءة الأصلية، أو استصحاب الإباحة، فإن عُدِم ذلك فالعقل الراجح.

٣. النظر ببصيرة إلى مآل تلك المسألة سلبي وإيجاباً.

٤. النظر إلى المحيط الخارجي المتأثر بالقرار.

٥. قد يكون فن السكوت إجابة.

مشكلة البحث:

يعالج البحث من خلال الأخذ بقاعدة النظر إلى مآلات الأفعال في التفكير ما يترتب على الوسائل المتخذة والوضع العام والمحيط الخارجي على اتخاذ القرار الصحيح في السياسات الجزئية وفق المصالح المرجوة.

أسئلة البحث:

هل للمآل تأثير في اتخاذ القرارات السياسية؟

هل تقدير المآل دور في ترتب النتيجة على السبب

أهداف البحث:

رسم سياسة اتخاذ القرارات وفق توقع الرؤى المستقبلية المحتملة احتمالاً راجحاً بالإيجاب أو السلب؛ وذلك من أجل تحصيل أكبر قدر ممكن من المصالح ودرء ما يتوقع من المفاصد

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في إيجاد السبل الكفيلة للوصول للمصلحة ودرء المفسدة قدر الإمكان عن طريق تقدير المآلات.

منهج البحث:

المنهج التطبيقي من خلال عرض بعض الحوادث الواقعة فعلا، والعمل على تطبيق القاعدة على فن اتخاذ القرار الصائب قدر الإمكان في السياسة الشرعية

المفاهيم العامة.

التعريف بالمأل.

المأل في اللغة: "الأول: الرُّجُوعُ. آل الشيء يُؤُولُ أوَّلًا ومَأَلًا: رَجَعَ. وأَوَّلَ إليه الشيء: رَجَعَهُ. وأُلْتُ عَنِ الشيء: ارْتَدَدْتُ (ابن منظور، ١٤١٤هـ/٣٢/١١).

بمعنى ما يؤول إليه الشيء، منتهى الشيء سواء أكان فعلا أم قولا.

الفرع الثاني: المأل في الاصطلاح: "وهو أن يأخذ الفعل حكماً يتفق مع ما يؤول إليه، سواء أكان الفاعل يقصد ذلك الذي آل إليه الفعل أم لا يقصده، فإذا كان الفعل يؤدي إلى مطلوب فهو مطلوب، وإن كان لا يؤدي إلا إلى شر فهو منهي عنه" (بوزهرة، ٢٠٠٢م/٢٥٦.٢٥٥).

أي هو ما ينتهي إليه الفعل أو القول، والتناسب ما بين تكليف المأمور وبين الحكم لأجله، سلبا كان أم إيجابا.

التعريف بالسياسة الشرعية.

السياسة الشرعية في اللغة.

أولاً: السياسة لغة: مصدر مشتق من سوس أو ساس، "والسين والواو والسين أصلان: أحدهما فسادٌ في شيء، والآخر جبلةٌ وخليقة من ساس، فالسُّوس وهو الطبع. ويقال: هذا من سُوس فلان، أي طبعه (ابن فارس، ١٩٧٩م/١٩/٣). "والوالي يَسُوسُ رَعِيَّتَهُ، وَسَّوَسَ له أمراً أي رَوَّضَهُ، والسياسة فعل السائس" (ابن منظور، ١٤١٤هـ/١٠٨/٦) (الفيروزآبادي، ٢٠٠٥م/١/٥٥١).

من ذلك يمكن القول إن السياسة معناها في اللغة:

١. السياسة فعل السائس.

٢. القيام على الشيء بما يصلحه.

٣. تعني الرياسة وقيادة الناس والقيام على تدبير أمورهم.

٤. الطبع والخليقة.

ثانياً: الشرعية لغة: "الشين والراء والعين أصلٌ واحد، وهو شيء يُفْتَحُ في امتدادٍ يكون فيه. من ذلك الشريعة" (ابن فارس، ١٩٧٩م/٢٦٢/٣)، "وهي مورد الشَّارِبَةِ الماء. واشتقَّ من ذلك الشَّرْعَةُ في الدِّين، والشريعة: ما شرع الله لعباده" (ابن منظور، ١٤١٤هـ/١٧٥/٨)، (الفيروزآبادي، ٢٠٠٥م/١/٩٤٦).

من ذلك يمكن القول إن الشريعة معناها في اللغة: مورد الماء، وشرع الله سبحانه وتعالى لعباده.

السياسة الشرعية في الاصطلاح.

السياسة الشرعية عند علمائنا القدامى رحمهم الله تراعي المعاني الآتية:

"الأول: المعنى العام وهو تدبير أمور الناس وشؤون دنياهم بشرائع الدين على وفق المصلحة المقدرة من الشارع.

الثاني: المعنى الخاص، وهو ما يراه الإمام أو يصدره من الأحكام والقرارات (القرضاوي، ١٩٩٨م/٣٢).
الثالث: إن السياسة تدخل فيما لا نص فيه، وفي المنصوص عليه.

الرابع: إن المسؤول عن تطبيق السياسة الشرعية من له صفة الإلزام كالوالي والقاضي والوزير... وبناء على ذلك فإن المفتي ليس مسؤولاً عن تطبيق السياسة، ويقتصر دوره على الإرشاد لا الإلزام.

أما تعريفات العلماء المحدثين فقد مزجت بين القولين، فعرفها الشيخ عبد الوهاب خلاف رحمه الله تعالى بأنها: "تدبير الشؤون العامة لدولة الإسلام بما يكفل تحقيق المصالح ورفع المضار مما لا يتعدى حدود الشريعة وأصولها الكلية، وإن لم يتفق وأقوال الأئمة المجتهدين (خلاف، ١٩٩٣م/١٧)، وعرفها الدكتور الدريني أيضاً بأنها: "أحكام ونظم وقوانين تعالج بها شؤون المسلمين من الناحية الدستورية والمالية والمدنية والأمنية وجميع مناحي الحياة الداخلية والخارجية ويمكن القول بأنها: "تعهد الأمر بما يصلحه (الدريني، ١٩٧٨/١٩١٠)."

أثر المال في السياسات الداخلية.

أولاً: الأمن الداخلي.

مسألة: الفصل بين السلطات الثلاث

من المعلوم أن هناك ثلاث سلطات في أنظمة الحكم كما هو مقرر في الشرائع السماوية والقوانين المدنية، تشريعية، وقضائية، وتنفيذية، وكانت هذه السلطات تجتمع في يد رسول الله ﷺ، وما كان في ذلك أي خطر لتأييده بالوحي، مع ذلك "فإن الفعل المجرد لرسول الله ﷺ لا يدل على الوجوب إلا إذا كان بياناً لواجب كأعمال الصلاة والحج (الشوكاني، ١٩٩٢م/٧٧.٧٤).

وكانت الدولة في بدايتها محدودة النفوس نقية طاهرة والوازع الديني يقظاً ومسيطرًا على التصرفات، والفقهاء رحمهم الله تعالى بعد رسول الله ﷺ اختلفوا في حكم الجمع أو الفصل بين هذه السلطات، فالفصل بين السلطات أو الجمع بينهما - والله تعالى أعلم - من السياسات الجزئية المرتبطة بفقه الوقت والمصلحة، بدليل أن سيدنا الفاروق رضي الله عنه، فصل بين السلطين التشريعية والقضائية (لم يخالف رسول الله ﷺ)، بخلاف سيدنا عثمان رضي الله عنه فقد جمع بين السلطة التشريعية والقضائية، فكان يجلس للقضاء رضي الله عنه.

إذن فالفصل بين السلطات هو من الأمور المباحة التي قد تقيد بواجب الوقت، والمصلحة؛ لذلك فهي من السياسات الجزئية وليست من السياسات العامة المستندة إلى نصوص قطعية. وفي ذلك يقول ابن خلدون رحمه الله تعالى: "وأما القضاء فهو من الوظائف الداخلة تحت الخلافة لأنه منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسماً للتداعي وقطعاً للتنازع، إلا أنه بالأحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة، فكان لذلك من وظائف الخلافة ومندرجاً في عمومها. وكان الخلفاء في صدر الإسلام يباشرونه بأنفسهم ولا يجعلون القضاء إلى من سواهم. وأول من دفعه إلى غيره وفوضه فيه عمر (رضي الله عنه) فولى أبا الدرداء (رضي الله عنه) بالمدينة، وولى شريحاً رحمه الله تعالى بالبصرة وولى أبا

موسى الأشعري (رضي الله عنه) بالكوفة. وكتب له في ذلك الكتاب المشهور الذي تدور عليه أحكام القضاة وهي مستوفاة فيه (ابن خلدون، ١٩٨٤م/٢٢٠.٢٢١).

والذي أراه -والله تعالى أعلم- أنه في الوقت الحاضر لابد من فصل السلطات، لمصلحة ضمان إقامة نظام دستوري يكفل حماية الحريات في العصر الحديث؛ لمنع تمركز السلطة بيد واحدة، أو بيد هيئة أو مجلس واحد، فلو جمعت هذه السلطات الثلاث بيد واحدة وقيدت نفسها بقواعد أو ضوابط دستورية لعملها، فمن سيعمل ضمان احترام وتطبيق هذه القواعد والضوابط، إذا كان المشرع والقاضي والمنفذ واحد. وسداً لذريعة الاستبداد والظلم والبغي والتفرد بالقرار ولكي نحبي الحريات المقيدة بالشرع، ونضمن حق الشورى المكفول شرعاً؛ فلا بد من إسناد الوظائف الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية لسلطات أو هيئات ثلاث، فيكون هناك جهاز خاص للتشريع، وجهاز خاص للتنفيذ، وجهاز ثالث للقضاء، ومتى تحقق ذلك أصبح لكل عضو اختصاص محدد لا يمكن الخروج عليه دون الاعتداء على اختصاص الأعضاء الأخرى، ولا شك في أن الفصل بين السلطات يمنع ذلك الاعتداء لأن كلاً منها سيوقف عدوان الأخرى (بدوي، ١٩٧٢م/١٧٥)، (البياتي، ٢٠٠٣م/١٦١)، (مذكور، ١٩٨٣م/٤٤١).

إلا أن هذا الانفصال إنما هو انفصال مرّن فيمكن للسلطة القضائية مثلاً مراقبة السلطة التنفيذية، كما يحصل اليوم من المراقبة القضائية على النظام الانتخابي في الدول الدستورية الحديثة المحترمة لشعوبها، كذلك فإن البعض يعتبر أن هناك في بعض المسائل تداخلاً بين السلطة القضائية والسلطة التشريعية أو التنفيذية، فنجد أن الإمام القرافي رحمه الله تعالى في تحديد العلاقة بين الإمامة والقضاء يقول: "إن الإمام نسبته إليهما كنسبة الكل لجزئه والمركب لبعضه، فإن للإمام أن يقضي وأن يفتي.... وله أن يفعل ما ليس بفتيا ولا قضاء كجمع الجيوش وإنشاء الحروب وحوز المال وصرفها في مصارفها وتولية الولاة وقتل الطغاة وهي أمور كثيرة يختص بها لا يشاركه فيها القاضي ولا المفتي، فكل إمام قاض ومفت، والقاضي والمفتي لا يصدق عليهما وصف الإمامة الكبرى (القرافي، ١٩٦٧م، ٣٢).

هذه العبارة تؤيد ما ذهبنا إليه إن الجمع بين السلطات جائز لكنه ليس منتهى السياسة، والفصل جائز ولكنه ليس النهاية في السياسة الشرعية. فالمعيار هنا أن ينظر إلى مآل ذلك من حيث التوقع الراجح والمرجوح.

وضابط ذلك كله مصلحة الظرف الزماني (واجب الوقت)، وفقه الواقع الحالي، وسد ذريعة استغلال السلطة لمصالح شخصية.

ثانياً: القضاء.

مسألة: إقامة الحدود والعقوبات مناصرة بالإمام أو من يمثله القانون.

من المقرر في الشريعة أن إقامة الحدود منوطة بالإمام أو من ينيبه، ومع "أنَّ الحدود منضبطة في أنفسها، لا تفتقر إلى تحرير مقاديرها، غير أنَّها لو فُوضت لجميع الناس، فبادر العامة لجلد الزناة، وقطع العداة بالسرقة وغيرها، اشتدَّت الحَمِيَّات، وثارَت الأنْفَاق، وغَضِبَ ذوو المُرُوءات، فانتشرت

الْفِتْنُ، وَعَظُمَتِ الْإِخْنُ؛ فَحَسَمَ الشَّرْعُ هَذِهِ الْمَادَّةَ وَقَوَّضَ هَذِهِ الْأُمُورَ لَوْلَاةِ الْأُمُورِ، فَأَذْعَنَ النَّاسُ لَهُمْ، وَأَجَابُوا طَوْعاً وَكَرْهاً، وَانْدَفَعَتْ تِلْكَ الْمَفَاسِدُ الْعَظِيمَةَ (القرافي، ١٩٦٧م/١٥٣).

وهذا ينسحب على إقامة العقوبات في القوانين الوضعية أيضاً، فإن النظر إلى مآلات الأفعال لو أنيطت هذه العقوبات بالأحكام العشائرية مثلاً فإن المآلات ستكون كارثية لا محالة، لافتقارها للسند الشرعي والقانوني وبالتالي فلا بد من أن تكون التشريعات ضابطة لمثل هذه المسائل.

ويتفرع عن هذه المسألة أيضاً أن الحدود لا تقام عند الغزو، بدليل قوله ﷺ: "لَا تُقَطَّعُ الْأَيْدِي فِي الْغَزْوِ" (الترمذي، د.ت/٥٣/٤)، وهي عبارة نص واضحة المعنى في النهي، ودلالة نص في باقي الحدود، فيقاس عليها بقية الحدود، "وعلى هذا ذهب أكثر أهل العلم على أن عدم إقامة الحدود في الغزو وفي الثغور مخافة أن يلحق من يقام عليه الحد بالعدو فإذا خرج الإمام من أرض الحرب ورجع إلى دار الإسلام أقام الحد على من أصابه (الترمذي، د.ت/٥٣/٤).

ومن المعلوم أيضاً عدم إقامة الحد في الفتن في بعض الظروف، كما ثبت ذلك في حادثة الإفك، حيث لم يجلد رسول الله ﷺ عبد الله بن أبي سلول حينما قذف أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)، بينما جُلِدَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ (رضي الله عنه) وَحَمْنَةُ ابْنَةُ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَمِسْطَحُ بْنُ أَثَّانَةَ (رضي الله عنه)، حينما شاركوا في إشاعة هذا الإفك وقذف أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) التي برأها الله ﷺ من سابع سماء بقرآن يقرأ إلى قيام الساعة، فيقاس على هذا الفعل عدم إقامة الحدود في الفتنة على من يخاف لو أقيم عليه الحد ثارت الفتن والمحن، كرئيس عشيرة أو قبيلة كبيرة، وهنا النظر للمآل واضح جداً، حتى لا يأتي أحقق فيقول هذا منافق فيقتل، فيكون النفاق ذريعة للقتل، فيحصل الهرج كما ابلغنا بذلك رسول الله ﷺ: "يكثر الهرج، قالوا وما لهرج يا رسول الله ﷺ، فقال القتل القتل، فلا يعرف المقتول فيما قُتِلَ ولا القاتل فيما قَتَلَ" كما يحصل اليوم للأسف، وهذا لا ينافي قوله ﷺ: "إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَأَيُّمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا (البخاري، ١٩٨٧م/٦، ٣٤٩١)، (مسلم، د.ت/١٣١٥/٣)، لأن مفهوم الحديث هنا أنه إخبار عن الحاكم الظالم قبل الإسلام، أما رسول الله ﷺ، فهو إمام عادل، فكان دليلاً على عدم تعارض الحديثين.

أثر المآل في السياسات الخارجية.

أولاً: الأمن الخارجي.

لا شك كان للإسلام الدور الريادي في تقعيد قواعد العلاقات الخارجية مع الدول، والسيرة النبوية وسيرة الصحابة رضي الله عنهم زاخرة بمواقف تدل على فهم واسع وفقه عميق في العلاقات الخارجية بين الدول، وهذه العلاقات منها ما كان في الجانب العسكري، ومنها في الجانب المدني. ومن ذلك عقد الهدنة.

والمهادنة في اللغة: "الْمُصَالَحَةُ وَهِيَ مُسْتَقَّةٌ مِنَ الْهُدُونِ "هَدَنَ يَهْدُنُ هُدُونًا: سَكَنَ. وَهَدَنَهُ أَيَّ سَكَّنَهُ، وَهَادَنَهُ مُهَادَنَةً: صَالَحَهُ، وَالْأَسْمُ مِنْهُمَا الْهُدْنَةُ (ابن منظور، ١٤١٤هـ/١٣/٤٣٤).

وَشَرَعًا: "مُصَالَحَةُ أَهْلِ الْحَرْبِ عَلَى تَرْكِ الْقِتَالِ مُدَّةً مُعَيَّنَةً بِعَوَضٍ أَوْ غَيْرِهِ"، "وَيُقَالُ تَوَادَعَ الْفَرِيقَانِ أَيَّ تَعَاهَدَا عَلَى أَنْ لَا يَغْزُوا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ (الكسائي، ١٩٨٢م/٧/١٠٨)، "وَتُسَمَّى الْمُوَادَعَةُ وَالْمُعَاهَدَةُ وَالْمُسَالَمَةُ وَالصَّلْحُ (السيواسي، د.ت/٥/٤٥٦).

كفعله ﷺ بعدم كتابة صفته النبوية في صلح الحديبية، "قال رسول الله ﷺ: اكتب باسمك اللهم! هذا ما صالح عليه محمد رسول الله وسهيل بن عمرو، فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن أكتب: محمد بن عبد الله، اسمك واسم أبيك، فقال رسول الله ﷺ: كتب محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو، فكان دليلاً على الأخذ بالرخص لتحصيل المصالح الراجحة بتقدير المأل، وهذا لا يعني أننا نعمل بقاعدة الغاية تبرر الوسيلة، لكننا نعمل بالقاعدة الشرعية "الأمر إذا ضاق أتسع" (الحموي، د.ت/١/١٧٣)، (الزرقا، ١٤٠٩/١/١٦٣)، فإذا ضيق على المسلمين اتسع الأمر، والذريعة كما تسد تفتح عند الضرورة، فإذا ضيق الأمر على المسلمين وحوصروا من كل جانب، وكانت الدول الإسلامية في حالة ضعف كما هي اليوم فأرى والله تعالى أعلم إن الدخول في تحالفات دولية سياسية أمر في غاية الأهمية لتحديد تلك الدول على الأقل.

لذلك يمكن القول: لا تجوز المهادنة والصلح إلا لمصلحة راجحة متوقعة عن طريق تقدير مأل تلك الهدنة أو الموادعة أو الصلح، وهذا ما حصل بالفعل من مأل صلح الحديبية حيث كان من مآلها فتح مكة وانتشار الإسلام في جزيرة العرب.

بمعنى "أن الموادعة جهاد معنى إذا كان خيراً للمسلمين لأن المقصود هو دفع الشر (الميرغاني، د.ت/٢/١٣٨)، (الزيلي، ١٣١٣/٣/٣٤٦)، كذلك: "فإن الصلح على مالٍ لدفع شر العدو للحال، والاستعداد للقتال في المستقبل من باب المجاهدة بالمال والنفس، فيكون جائزاً (الكسائي، ١٩٨٢م/٧/١٠٩).

ثانياً: العلاقات الدولية.

فكل ما جاز في الأحلاف العسكرية جاز في الجانب السياسي من باب أولى، فيكون الدخول فيه مصلحة الحفاظ على الدين والنفس، ومنها التعامل مع سفراء الدول.

ومن ذلك التعامل مع سفراء الدول، كانت هناك ضوابط في التعامل مع السفراء ومنها إعطاؤهم الأمان والحماية، فعن نعيم بن مسعود الأشجعي (رضي الله عنه) قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لِهَمَّا (رسولاً) مسيلمة الكذاب إلى النبي الحق: المصطفى ﷺ (حِينَ قَرَأَ كِتَابَ مُسَيْلِمَةَ، مَا تَقُولَانِ أَنْتُمَا: قَالَا: نَقُولُ كَمَا قَالَ، قَالَ ﷺ: أَمَّا وَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّ الرُّسُلَ لَا تُقْتَلُ لَضَرَبْتُ أَعْنَاقَكُمَا) (الإمام أحمد، د.ت/٣/٤٨٧) (ابو داود، د.ت/٣/٨٣)، ففي هذا الحديث دليل على تحريم قتل الرسول، ولو تلفظ بلفظة الكفر أمام الإمام (شمس الحق، ١٩٩٥م/٧/٢١١)، وهنا لو افترضنا أن رسول الله ﷺ قد قتل رسول مسيلمة الكذاب لكان هناك التعامل بالمثل بإعطاء الذريعة لقتل رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن قُتِلَ رسلنا فلا يقولن قائل بأن فعلنا كان سبباً، فهنا النظر إلى المأل أمر مقصود شرعاً، وَجِبَ العمل به.

وعن أبي رافع (رضي الله عنه) قال: "بَعَثَنِي فُرَيْشٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُلْقِيَ فِي قَلْبِي الْإِسْلَامُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِنِّي وَاللَّهِ لَا أَزْجِعُ إِلَيْهِمْ أَبَدًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنِّي لَا أَخِيسُ بِالْعَهْدِ وَلَا أَخِيسُ الْبُرْدَ وَلَكِنْ أَزْجِعُ فَإِنْ كَانَ فِي نَفْسِكَ الَّذِي فِي نَفْسِكَ الْآنَ فَارْجِعْ قَالَ فَذَهَبْتُ ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَاسْتَلَمْتُ" (ابو داود، د.ت/٨٣/٣)، "وروي أن أبا رافع كان قُبُطِيًّا (شمس الحق، ١٩٩٥م، ٢١١/٧)، هنا أيضا دليل على مراعاة المآل في العلاقات الدولية، بقوله ﷺ إِنِّي لَا أَخِيسُ بِالْعَهْدِ وَلَا أَخِيسُ الْبُرْدَ، فكانت النتيجة أن دخل أبو رافع الإسلام.

كذلك فإن للوفود والرسول والسفراء أن يؤديوا شعائرهم الدينية في بلادنا، وهذا له دليل من الشرع، "فلما قدم وفد نجران على رسول الله ﷺ دخلوا عليه مسجده بعد العصر، فحانت صلاتهم، فقاموا يصلون في مسجده، فأراد الناس منعهم، فقال رسول الله ﷺ: دعوهم، فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم" (البيهقي، ١٩٨٨م/٣٨٢/٥)، (ابن القيم، ١٩٨٦م/٥٤٩/٣).

الخاتمة وأهم النتائج

١. عرض كل مسألة تحتاج إلى قرار على الشرع، بكل ما تعني الكلمة من ذلك من المصادر المعتبرة، المتفق عليها والمختلف فيها.
٢. أن تكون هناك مراحل محددة لاتخاذ القرار السياسي وفق تصور المآل، وهي: المدخلات (دراسة الحال والزمان والمكان)، ثم المعالجات (تبويب وتحليل وتركيب)، ثم المخرجات (توصيف وتطبيق)، ثم تقويم ومراجعة وتدقيق.
٣. إن لم تجد نصا واضحا في المسألة فلا تخرج عن دائرة الشرع بالرجوع إلى أقرب النصوص موافقة، سواء بالقياس أو الاستحسان، وقد يكون استصحاب البراءة الأصلية، أو استصحاب الإباحة، فإن عُدِم ذلك فالعقل الراجح.
٤. النظر ببصيرة إلى مآل تلك المسألة سلبي وإيجابا.
٥. النظر إلى المحيط الخارجي المتأثر بالقرار.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. ابن القيم: أبو بكر محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي، (١٤٠٥هـ-١٩٨٦م)، زاد المعاد في هدي خير العباد، ت: شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار، بيروت، الكويت.
٢. ابن حبان: محمد بن حبان بن التميمي، البُستي، (١٤١٧هـ)، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، نشر الكتب الثقافية، بيروت.
٣. ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، (١٩٨٤)، المقدمة، دار القلم، بيروت.
٤. ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م)، معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق.
٥. ابن منظور: محمد بن مكرم الأفرريقي المصري، (١٤١٤هـ) لسان العرب، دار صادر، بيروت.

٦. أبو زهرة: محمد، (د.ت) أصول الفقه، دار الفكر العربي، مصر.
٧. البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م) الجامع الصحيح (صحيح البخاري)، ت: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت،
٨. بدوي: ثروت، (١٩٧٢م). النظم السياسية، دار النهضة العربية، القاهرة.
٩. البياتي: منير حميد، (٢٠٠٣م)، النظام السياسي الإسلامي مقارنا بالدولة القانونية، دار وائل للنشر، عمان الأردن.
١٠. البيهقي: أبي بكر أحمد بن الحسين، (١٤٠٥هـ-١٩٨٥) كتاب دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعي، دار الكتب العلمية، بيروت.
١١. الترمذي: محمد بن عيسى أبو عيسى، (د.ت)، سنن الترمذي، ت: أحمد محمد شاكر وآخرون، (دار إحياء التراث العربي، بيروت).
١٢. الحموي: أحمد بن محمد أبو العباس، (د.ت) غمز عيون البصائر شرح الاشباه والنظائر لابن نجيم المصري، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٣. خلاف: عبد الوهاب، (١٤١٣هـ-١٩٩٣م) السياسة الشرعية أو نظام الدولة الإسلامية في الشؤون الدستورية والخارجية والمالية، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت.
١٤. الدريني: محمد فتحي، (١٤٠٧هـ-١٩٧٨م)، خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت.
١٥. الزرقا: أحمد بن الشيخ الزرقا، (١٤٠٩هـ) شرح القواعد الفقهية، دار القلم، بيروت.
١٦. الزيلعي: فخر الدين عثمان بن علي الحنفي، (١٣١٣هـ) تبين الحقائق، دار الكتب الإسلامية، القاهرة.
١. السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث، (د.ت) سنن أبي داود، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.
١٧. السيواسي: كمال الدين محمد عبد الواحد، (د.ت)، شرح فتح القدير، دار الفكر، بيروت.
١٨. الشاطبي: إبراهيم بن موسى اللخعي الغرناطي المالكي، (١٤١٧هـ-١٩٩٧م)، الموافقات في أصول الفقه، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، القاهرة.
١٩. الشوكاني: محمد بن علي بن محمد، (١٤١٢هـ-١٩٩٢م)، كتاب إرشاد الفحول، ت: محمد سعيد البدري، دار الفكر، بيروت.
٢٠. الشيباني، أحمد بن حنبل أبو عبد الله، مسند الإمام أحمد بن حنبل، (د.ت)، مؤسسة قرطبة، مصر.
٢١. عثمان: محمود حامد (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م)، القاموس المبين في اصطلاحات الأصوليين، دار الزاحم، الرياض، المملكة العربية السعودية.
٢٢. العظيم آبادي: شمس الحق محمد شمس الحق (١٩٩٥م)، عون المعبود على سنن أبي داود، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٣. الفيروز آبادي: محمد بن يعقوب الشيرازي، (١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م) القاموس المحيط، ت: مكتب تحقيق التراث. مؤسسة الرسالة، بيروت.
٢٤. القرافي: الإمام شهاب الدين بن أبي العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي المصري، (١٩٦٧م)، الأحكام في تميز الفتاوى من الأحكام وتصرفات القاضي والإمام، ت: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب.
٢٥. القرضاوي يوسف عبد الله، (١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها، ط ١، المؤسسة السعودية، مصر.
٢٦. القشيري: مسلم بن الحجاج النيسابوري، (د.ت) صحيح مسلم، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار أحياء التراث، بيروت.
٢٧. الكاساني: علاء الدين أبو بكر بن مسعود بن أحمد، (١٩٨٢م)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتاب العربي.
٢٨. مذكور: محمد سلام، (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م)، معالم الدولة الإسلامية، مكتب الفلاح، الكويت.
٢٩. الميرغثاني: علي بن أبي بكر بن عبد الجليل، (د.ت) الهداية شرح البداية، المكتبة الإسلامية، بيروت.

Readiness of EFL Postgraduate Students to Use Telegram in English Language Learning

Amna Alsafi Mohamednoor Alsafi^(*)

Nada SidAhmed Eljack,

Abstract

This study aimed to investigate the readiness of Sudanese postgraduate students studying English as a foreign language to use the Telegram application at Sudan University of Science and Technology. The importance of this study lies in its contribution to understanding how digital tools can be effectively integrated into higher education, as well as providing guidance for policymakers and faculty members to develop training programs and digital policies that enhance e-learning environments. The problem of the study is that, despite the increasing use of digital applications in education, many challenges still hinder effective digital learning in Sudan, including poor internet connectivity, lack of modern devices, insufficient training programs, weak technical skills, and preference for traditional teaching methods among some lecturers.

The study adopted a quantitative approach, using means, standard deviations, and SPSS for data analysis. The population consisted of PhD candidates (batch one), while the sample included 36 participants selected through simple random sampling. Data were collected using an online questionnaire based on the Theory of Planned Behavior (TPB), measuring readiness through five factors: readiness, subjective norm, self-efficacy, learning autonomy, and behavioral control. The results revealed that postgraduate students exhibit a high level of readiness to use Telegram for academic purposes. The study recommended integrating Telegram into higher education institutions to improve communication, support digital learning, and enhance student engagement.

المستخلص

هدفت هذه الدراسة إلى استقصاء مدى استعداد طلاب الدراسات العليا السودانيين الدارسين للغة الإنجليزية كلغة أجنبية لاستخدام تطبيق التلغرام في جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا. وتكمن أهمية هذه الدراسة في مساهمتها في فهم كيفية دمج الأدوات الرقمية بفاعلية في التعليم العالي، إضافة إلى تقديم إرشادات لصناع القرار وأعضاء هيئة التدريس لتطوير برامج تدريبية وسياسات رقمية تعزز بيئات التعلم الإلكتروني. وتتمثل مشكلة الدراسة في أنه رغم تزايد استخدام التطبيقات الرقمية في التعليم، لا تزال هناك تحديات تعيق التعلم الرقمي الفعال في السودان، مثل ضعف

(*) Department of English Language, Faculty of Education “Romi El Bakri” -Dongola University, Dongola, Sudan.

* Department of English Language, College of Languages-Sudan University of Science and Technology, Khartoum Sudan.

الاتصال بالإنترنت، ونقص الأجهزة الحديثة، وقلة برامج التدريب، وضعف المهارات التقنية، بالإضافة إلى تفضيل بعض الأساتذة لأساليب التدريس التقليدية. اعتمدت الدراسة المنهج الكمي، واستخدمت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وبرنامج SPSS لتحليل البيانات. تكون مجتمع الدراسة من طلاب الدكتوراه (الدفعة الأولى)، بينما تكونت العينة من ٣٦ مشاركاً تم اختيارهم بطريقة العينة العشوائية البسيطة. وتم جمع البيانات باستخدام استبانة إلكترونية قائمة على نظرية السلوك المخطط، وقيست درجة الاستعداد من خلال خمسة عوامل: الاستعداد، والمعايير الذاتية، والكفاءة الذاتية، والاستقلالية في التعلم، والتحكم السلوكي. وأظهرت النتائج أن الطلاب يتمتعون بمستوى عالٍ من الاستعداد لاستخدام التلغرام. وأوصت الدراسة بدمج التلغرام في مؤسسات التعليم العالي لتعزيز التواصل ودعم التعلم الرقمي وزيادة مشاركة الطلاب.

Introduction

The use of technology has become an essential element in English language learning, both inside and outside the classroom. In today's modern era, technological advancements are rapidly evolving, with new tools emerging every day. One prominent form of this is e-learning. (Elawad & Mohammed, 2024).

E-learning was the most common and widely adopted approach. Globally, most educational institutions turned to e-learning as the optimal solution to ensure the continuity of the education. (Babikir et al., 2024).

E-learning offers many benefits, most notably providing greater flexibility and convenience in the teaching and learning process for both students and teachers. However, the implementation of technology-enhanced learning was not without challenges. Not all students were able to benefit from the available technology. Many experienced boredom due to prolonged home-based learning, which led to a decline in students' engagement as a result of the prevailing challenges. In response to these crises, teachers made continuous efforts to deliver educational materials in different ways despite the absence of face-to-face interaction with their students. They also strived to find new methods to enhance students' participation and engagement with the rapid advancement of Information and Communication Technologies (ICT). (Babikir et al., 2024).

English Language Teaching (ELT) has witnessed significant development, as the increased use of applications, social media, and digital platforms has provided students with greater opportunities to improve their language skills. Sudan is among the countries most severely affected by these circumstances, all sectors were greatly impacted, including the education sector. As a result, universities across all states were closed, which consequently led to the suspension of educational activities throughout the country. After that, life continued normally, and there were attempts by some universities to continue studying through electronic attribution. However, in April 2023, a new challenge emerged when an internal conflict broke out between the regular army in Sudan and the Rapid Support Forces in the Sudanese capital,

Khartoum. This conflict quickly spread to other states, and consequently, education was once again suspended in most regions of Sudan, especially in universities. Given these conditions, one of the most viable solutions in the present context is the delivery of lectures through electronic platforms. This can be achieved by using computers or smart devices such as laptops, tablets, and smartphones. In this regard, internet connectivity becomes indispensable, as teaching and learning can be facilitated through instant messaging applications such as Telegram, WhatsApp, Google Chat, and others. In the Sudanese context, existing research has mainly addressed e-learning in general with a particular focus on mobile learning and the use of applications such as WhatsApp to facilitate teaching and learning, while these studies have provided valuable insights into the role of digital tools in education, little attention has been given to Telegram as an emerging platform.

Statement of the Problem

This study explores the readiness of Sudanese postgraduate EFL students towards the use of the Telegram app. It highlights that modern technologies and communication tools have become essential in supporting English language learning. Despite challenges in Sudan, such as poor internet access, lack of devices, and limited training on educational applications, as well as, some instructors' reliance on traditional teaching methods.

Conflicts in Sudan have affected continuity of educational institutions, forcing them to shift to online learning, which highlighted the importance of mobile learning applications such as Telegram. At the same time, weak infrastructure and the limited availability of digital devices have had a clear impact the educational process.

Thus, the study addressed the gap in scientific research in Sudan amid widespread disruptions that led to prolonged suspension of education, these challenges accelerated the shift towards e-learning and traditional face-to-face instruction. Postgraduate Studies were significantly affected, with learning only resuming through applications such as Zoom and Telegram. Therefore, I personally experienced these challenges during that time. Academic studies came to a complete halt, and postgraduate students were only able to resume lectures after transitioning to the use of the Zoom application via mobile phones. At the same time, other lecturers began to use the Telegram app for teaching and sharing academic materials.

Therefore, this study aims to explore Sudanese postgraduate students' readiness to adopt Telegram in their learning, as understanding their technological preparedness is essential for evaluating its effectiveness as an educational tool.

Objective of the Research

This study is set out to achieve the following objective:

1. To explore the level of readiness among Sudanese EFL post graduate students to use the Telegram app.

Question of the Research

This study sets out to answer the following question:

1. To what extent are Sudanese EFL postgraduate students ready to use the Telegram app?

Hypothesis of the Research

This study aims to test the following hypothesis:

1. Sudanese EFL postgraduate students are ready to use the Telegram app.

Significance of the Research

This study holds considerable significance, as it contributes both theoretically and practically to the field of educational technology and post graduate learning. It offers a deeper understanding of how Sudanese postgraduate students perceive and adopt Telegram as an academic tool. Despite its popularity for social communication, limited research has explored its use in postgraduate education, especially in Sudan. In this context, by using the Theory of Planned Behavior (TPB), the study identifies the psychological and social factors influencing learners' readiness to adopt Telegram. It is also shows how understanding this readiness can help universities and supervisors improve communication and academic support. Moreover, telegram's features, such as channels, group discussions, file sharing, and real-time interaction facilitate research collaboration and access to academic materials. The study highlights its role as an accessible, flexible, and cost-effective tool that addresses challenges like limited resources, communication barriers. The findings help institution design better digital communication strategies and guide policy makers in developing training programs and supportive digital policies. An addition, faculty members and research supervisors can also improve their engagement by understanding students' readiness for digital platforms.

Finally, the study provides a foundational for future research on mobile learning adoption and technology acceptance in postgraduate education, supporting further exploration of TPB constructs and comparisons across context.

Literature Review

The Concept of Telegram App and Features:

Veronika et, al. (2022) explained that Telegram is an online platform designed to serve a large digital community. It was established in 2013 by the Russian brothers Pavel and Nikolai Durov and operates from Berlin. The application offers multiple features, including channels and groups, which meet the diverse needs of its users. They further noted that Telegram has rapidly gained popularity as a social media tool for both educational and entertainment purposes. Moreover, advancements in computer technology over the past decades have significantly influenced various aspects of life, and several studies have identified a relationship between students' academic performance and their use of the internet and social networking sites(Veronika et al.,2022)

Advantages of the Telegram Application are as follows:

First, as a cloud-based application, Telegram ensures that all chat histories are saved on the Telegram server, which simplifies the process of switching between devices. For instance, if we get a new smartphone and install Telegram with a previously registered number, upon successful login, all chat data from the old device—including pictures, messages, and files will be transferred to the new one without any loss.

Secondly, it allows for the free upload of all file types. This is one of the most appreciated features of Telegram; it accepts any file for upload. Even obscure file types are not an issue. This contrasts with other applications that are limited to supporting only photos, videos, and audio. The file size limit permits a single file of up to 1.5 GB to be sent.

Thirdly, it enables the creation of a username. This feature is particularly useful for protecting personal data privacy. For example, if we need to communicate with someone we don't know well, we can create a username to conceal our phone number. Usernames are prefixed with the @ symbol, such as @ilmu-Telegram. Clicking on this username will take you directly to the Telegram Science Channel, with the actual link being <http://Telegram.me/ilmu-Telegram>.

Fourth, it allows for the creation of channels. A channel is a unique feature designed for broadcasting information, functioning much like a personal website where visitors or members can access content freely (Rasiban, 2021).

Disadvantages of Telegram

Rifanti (2022) noted that every application uses technological sophistication, and in addition to having advantages, this application also has several disadvantages. Some of the weaknesses are summarized as follows: (1) the asynchronous nature of learning English through Telegram groups, which can lead to student indiscipline because they are not strictly bound by time; (2) in some situations, students may become passive in Telegram group discussions because the teacher only shares material and asks for discussion without providing clear guidance; (3) based on the author's experience using this application for English learning, there is a risk of plagiarism and a culture of cheating.

Theory of Planned Behavior

The Theory of Planned Behavior (TPB) which evolved from the Theory of Reasoned Action (TRA), accounts for human behavior through the lens of rational decision-making.

Cheon et al. (2012) explained that it is a theory for explaining general individual behavior. The Theory of Planned Behavior (TPB) posits that individual behavior is driven by behavioral intentions, where behavioral intentions are a function of three determinants: an individual's attitude toward behavior, subjective norm, and perceived behavior control. Attitude toward behavior is about the individual's positive or negative feelings regarding the performance of a behavior. Subjective norm refers to an individual's perception of whether people important to them think they should perform the

behavior in question. Perceived behavior control is the individual's perception of how easy or difficult it is to perform a behavior perceived behavior control reflects how easy or difficult an individual believes it is to perform a given behavior (Nguyen & Thanh, 2025). TPB has been utilized in a variety of fields, including technology, health, care, and politics, and has been effective in explaining the adoption of individual behaviors. There are three key points on TPB. First, distinguish perceived behavioral control from attitude in a conceptual sense. Personal behavioral control is not about the probability that performing a behavior will lead to a certain result; instead, it concerns the subjective level of control over the performance of that behavior. Therefore, perceived behavior control represents the students' perceived ease or difficulty in using Telegram (Cheon et al., 2012). Second, the use of intention as the final dependent variable rather than actual behavior. Intentions are thought to encompass the motivational elements that drive a behavior.

Consequently, the stronger the intention to perform a behavior, the greater the likelihood that the individual will actually perform it, indicating a positive correlation between intention and actual behavior.

Previous Studies:

As a research topic and a valuable educational tool for learning, Telegram is currently gaining increasing popularity. Many recently published studies have explored its potential in enhancing the learning process. However, the effective integration and using it of Telegram in educational context largely depends on learners' and teachers readiness to adopt and utilize this technology, which plays a crucial role in maximizing its educational benefits. In this context, several studies have been conducted to examine the use of Telegram in educational setting. The first study by Martino (2023) investigated Telegram as a platform for e-learning at the university level within sport pedagogy course at the University of Romo Foro Italico. The study aimed to contribute to growing body of literature on the use of Telegram in e-learning context, as well as provide practical insights for both teachers and students in online learning environment. A mixed methods approach was employed through interviews and questionnaire. Martino (2023) confirmed that Telegram provides various features that support the teaching and learning process, including the ability to create group chats and channels. These features enables instructors to discuss course content, share updates, and respond to students' inquiries , which also allowing students to collaborate, exchange ideas, and engage in group work. Moreover, Telegram channels function as effective broadcasting tools through which instructors can deliver course materials and lectures to students efficiently.

Alkhamis and Pirani (2024) conducted a study in India to explore examine the impact of perceived usefulness and ease of use of Telegram on users' intention to continue using the application in the near future, within the framework of the Technology Acceptance Model in model in a different context.

Alahmad (2020) investigated the effectiveness of Telegram in facilitating English language learning among Iranian learners, where the application is

widely used compare to other contexts. The study aimed to explore how Telegram can be utilized as a support tool in teaching and learning English. Alahmad (2020) demonstrated that Telegram enables the sharing and downloading of course materials, thereby encouraging both students and teachers to engage in self-directed learning. It also supports vocabulary development through various applications, contributing to improvements in students' reading and writing skills. Furthermore, Telegram has become an important platform for English language learners (ELLs) particularly at the college level, as it promotes independent study and provides teachers with alternative methods for introducing new concepts and content. Overall, the study concluded that Telegram has become an integral part of EFL college student's daily lives.

Abu-Ayfah (2020) explored Saudi college students' perceptions of the suitability of the Telegram application for English language instruction. A questionnaire was administered to a sample of 300 students to examine their views on the use of Telegram in learning English. The study indicated that Telegram is perceived as a useful tool for EFL learners.

Al-Shahrani (2023) his studied investigate the factors influencing EFL teachers' intention to utilize Telegram for educational purposes in KSA. A self-reporting questionnaire was used to collect data. Subjective norms influence perceived usability, which positively increased perceived utility. It was discovered that self-efficacy perceived utility.

Khan et al. (2024) examined the usefulness of Telegram App in learning English as Foreign Language from perspectives of both teachers and students at Najran University. The study revealed that the majority of participants perceived Telegram as an effective tool for enhancing EFL learning and the participants (both students and teachers) had a role in influencing the study's sample's responses in favor of teachers. However, many students face difficulties learning English through Telegram due to issues like device compatibility, health concerns, lack of motivation, feelings of loneliness and distraction, and problems with uploading and downloading files. They also often lack access to feedback or academic support because of insufficient technical staff and training.

Sevnarayan (2023) conducted a study in South Africa to examine how Telegram groups, create for first-year students at Open Distance e-learning (ODEL) universities, enhance student motivation and interaction in an Academic Writing model. The study employed qualitative methods, including interviews and observations, to collect data. The study revealed that lecturers perceived Telegram as an effective pedagogical tool to for increasing student and interaction. Additionally, the platform encourages students to actively engage in group discussions and interact with course content.

Besides, at the local level, Elawed and Mohammed. (2023) conducted a study in Khartoum that aimed to investigate the extent to which EFL teachers use the Telegram application to develops learners' speaking skills, examine their attitudes towards its use, and determine its effectiveness in improving these

skills. A descriptive analytical method was adopted and data collected through a questionnaire administered to a sample of secondary schools teachers. The study indicated that the use of technology in EFL classroom enhances students' interaction. However, teachers demonstrated limited ability to effectively utilize it in teaching speaking skills.

Materials and Methods:

The study employed a descriptive analytical and quantitative research approach to explore the readiness and attitudes towards using the Telegram application as an educational tool. The study was based on Theory of Planned Behavior (TPB) as a conceptual framework to analyze five interconnected factors, including students' readiness, subjective norms, perceived self-efficacy, learning autonomy, and behavioral control towards using the application. The study was conducted at Sudan University of Science and Technology, College of Languages, Department of English on a sample of 36 Post graduate students (PhD Candidates Batch One) enrolled in 2021-2023 academic year, aged between 30 to 60. Data were collected using a questionnaire designed through Google Form, adapted from Cheon et al. (2012), and structured according to the TPB dimensions, using a five-point Likert scale. The collected data was analyzed using quantitative methods with SPSS to test the study hypothesis and answer the research question.

Results:

The researcher will present, discuss and interpret the result of the questionnaire that was based on the research hypothesis which stated that "Sudanese EFL postgraduate students are ready to use the Telegram app"

Student Readiness

Table (1) Students' Readiness

Item	Statement	Strongly Agree %	Agree %	Neutral %	Disagree %	Strongly Disagree %
1	I believe that the Telegram App is a useful educational tool during my courses	36.11	50.00	13.89	0	0
2	I have the technical skills to use the Telegram App in my coursework	36.11	41.67	19.44	2.78	0

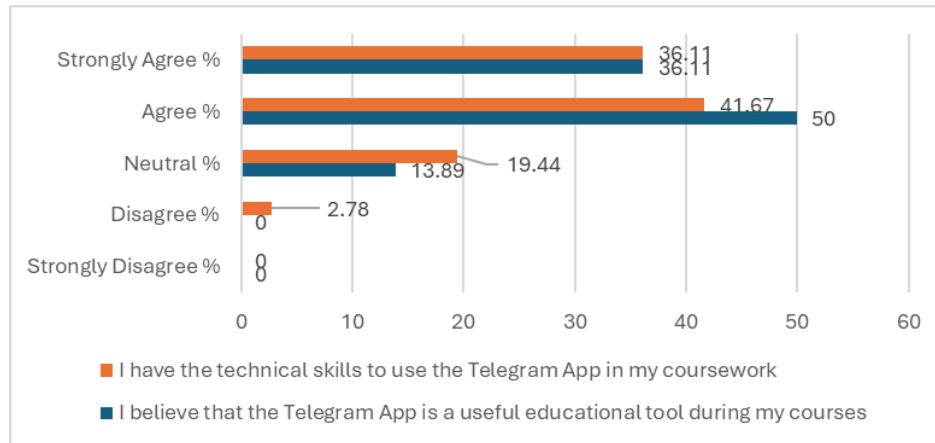


Figure (1) Student Readiness

The table (1) and figure (1) show the distribution of the sample by the two statements as follows:

For statement (1): “I believe that the Telegram App is a useful educational tool during my courses”, responses were as follows: strongly agree (36.11%), agree (50.00%), and neutral (13.89%), with no responses for disagree and strongly disagree. These results indicate that a high percentage of participants fall within the “strongly agree and agree” categories, with a combined total of 86.11 %, reflecting strong support for the idea that Telegram is a useful educational too.

For statement (2): “I have the technical skills to use the Telegram App in my coursework”, the responses were strongly agree (36.11%), agree (41.67%), neutral (19.44%), and disagree (2.78%), with no responses under strongly disagree. The combined percentage of “strongly agree” and “agree” reached 77.78%, which is considered high. These results indicate that the majority of participants support both statements, demonstrating a positive perception of Telegram’s educational usefulness and a high level of technical readiness to use it in an academic context.

Subjective Norm

Table (2) Subjective Norm

Item	Statement	Strongly Agree %	Agree %	Neutral %	Disagree %	Strongly Disagree %
3	I think the students in my classes would be willing to adopt the Telegram App for learning	16.67	47.22	25.00	8.33	2.78
4	I am in favor of using the Telegram App for postgraduate courses	36.11	44.44	13.89	0	5.56

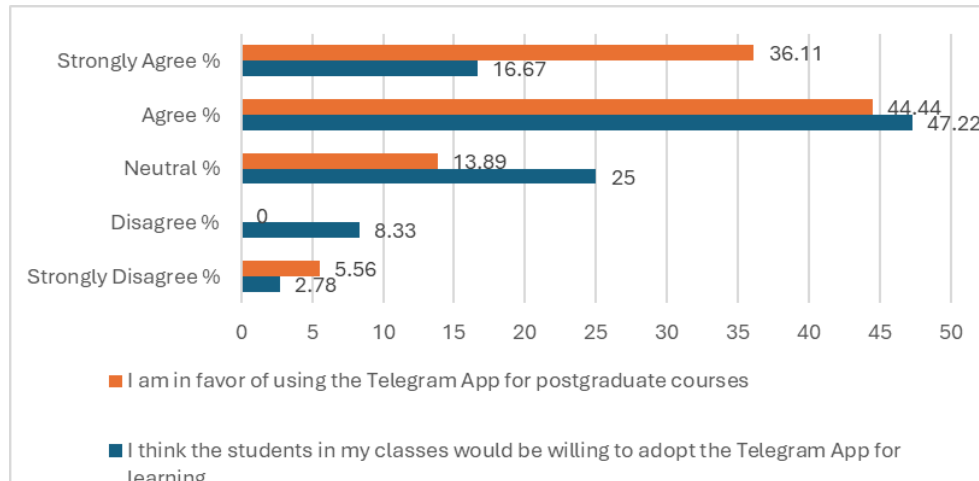


Figure (2) Subjective Norm

The table (2) and figure (2) present the distribution of responses for two statements related to students' subjective norms regarding the use of the Telegram App.

For statement (3): "I think the students in my classes would be willing to adopt the Telegram App for learning", the responses were as follows: strongly agree (16.67%), agree (47.22%), neutral (25.00%), disagree (8.33%), and strongly disagree (2.78%). The results indicate that the combined percentage of 'agree' and 'strongly agree' responses amount to 63.89%, indicating that a majority of respondents believe that their classmates are likely to be supportive of using Telegram for learning purposes.

For statement (4): "I am in favor of using the Telegram App for postgraduate courses", the responses were strongly agree (36.11%), agree (44.44%), neutral (13.89%), disagree (0%), and strongly disagree (5.56%). Here, the combined percentage of agreement responses is notably high at 80.55%, showing that most participants personally support the integration of Telegram in postgraduate learning.

Self-efficacy

Table (3) Self-efficacy

Item	Statement	Strongly Agree %	Agree %	Neutral %	Disagree %	Strongly Disagree %
5	I am skillful in using the Telegram App in learning English courses	30.56	41.67	19.44	8.33	0
6	Using the Telegram App for my courses would not challenge me	19.44	55.56	19.44	5.56	0
7	I would be interested in using the Telegram App in my courses	36.11	41.67	13.89	2.78	5.56

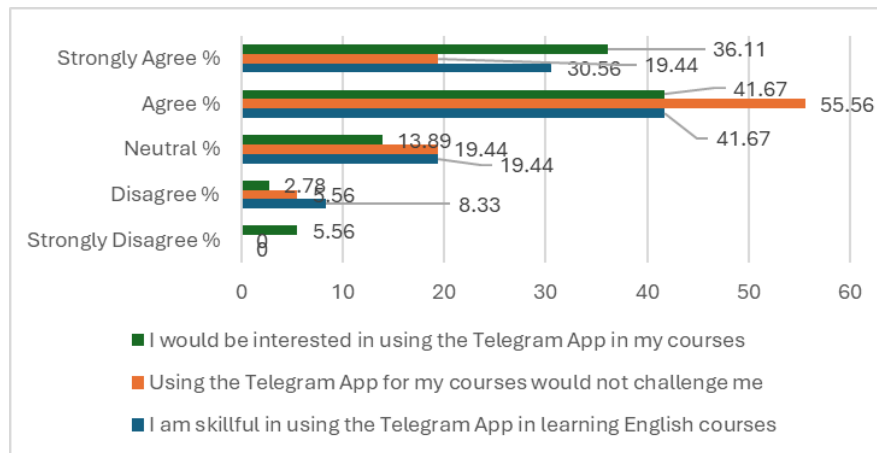


Figure (3) Self-efficacy

The table (3) and figure (3) display the distribution of students' responses to three statements under the dimension of Self-Efficacy, reflecting their confidence and willingness to use the Telegram App in learning courses.

For statement (5): "I am skillful in using the Telegram App in learning courses", responses were strongly agree (30.56%), agree (41.67%), neutral (19.44%), disagree (8.33%), and strongly disagree (0%). The combined percentage for strongly agree and agree reached 72.23%, indicating a high level of self-reported technical skill among participants in using the Telegram App for learning English.

For statement (6): "Using the Telegram App for my courses would not challenge me", participants responded with strongly agree (19.44%), agree (55.56%), neutral (19.44%), disagree (5.56%), and strongly disagree (0%). The total agreement reached 75%, showing that most students do not perceive Telegram as a challenging platform, reflecting a strong sense of ease and confidence in its use.

For statement (7): "I would be interested in using the Telegram App in my courses", the responses were strongly agree (36.11%), agree (41.67%), neutral (13.89%), disagree (2.78%), and strongly disagree (5.56%). With a total agreement of 77.78%, this item shows high student interest in integrating Telegram into their learning process. The responses to these three statements reflect a high level of self-efficacy, as the majority of students reported both confidence in their skills and willingness to use the Telegram App in an academic setting.

Learning Autonomy

Table (4) Learning Autonomy

Item	Statement	Strongly Agree %	Agree %	Neutral %	Disagree %	Strongly Disagree %

8	I have more opportunities to create knowledge in my coursework with the Telegram App	25.00	52.78	16.67	5.56	0
9	I am able to control the pace of learning in my classes with the Telegram App	22.22	47.22	19.44	5.56	5.56

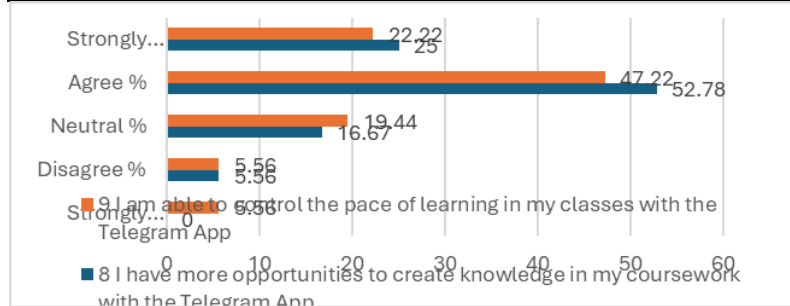


Figure (4) Learning Autonomy

The table (4) and figure (4) present the distribution of students' responses to two statements under the dimension of Learning Autonomy, which measures how the Telegram App supports independent learning.

For statement (8): "I have more opportunities to create knowledge in my coursework with the Telegram App", the responses were strongly agree (25.00%), agree (52.78%), neutral (16.67%), disagree (5.56%), and strongly agree (0%). The combined percentage of agreement 'agree' and 'strongly agree' reached 77.78%, indicating that Telegram enhances their ability to engage actively in knowledge construction within their coursework.

For statement (9): "I am able to control the pace of learning in my classes with the Telegram", the responses included strongly agree (22.22%), agree (47.22%), neutral (19.44%), disagree (5.56%), and strongly disagree (5.56%). The combined percentage of agreement (69.44%) reflects that most students believe that Telegram helps them manage their own learning pace.

Behavioral Control

Table (5) Behavioral Control

Item	Statement	Strongly Agree %	Agree %	Neutral %	Disagree %	Strongly Disagree %
10	I have a sufficient degree of self-confidence to make a decision to use Telegram App	22.22	44.44	30.56	2.78	0

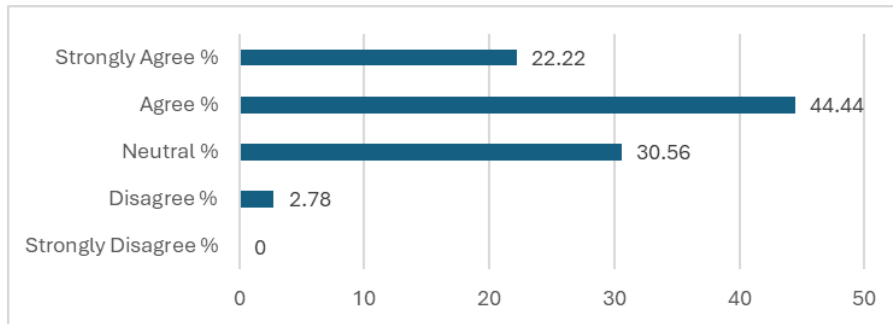


Figure (5) Behavioral Control

The table (5) and figure (5) display the distribution of participants' responses to statement (10) under the dimension of Behavioral Control, which reflects learners' confidence in making decisions regarding the use of the Telegram App.

For the statement (10): "I have a sufficient degree of self-confidence to make a decision to use the Telegram App", the responses were strongly agree (22.22%), agree (44.44%), neutral (30.56%), disagree (2.78%), and strongly disagree (0%)

These results show a total of 66.66% of the participants agreed and strongly agreed, indicating a generally high level of confidence among students in their ability to decide to use the Telegram App.

Discussions

Regarding the hypothesis of the study which states Sudanese EFL postgraduate students are ready to use the Telegram app, the results of five dimensions of questionnaire can be discussed as follows:

Firstly, it is obvious from the responses of questionnaire item No.1, which is around students' readiness, that the results show 86.11% of the majority of the respondents support the statement, which claims I believe the Telegram App is a useful educational tool during my courses. This was consistent with the findings of (Abu-Ayfah, 2020; Elawad & Mohamed, 2023; Sevnarayan, 2023), which revealed that Telegram is a useful pedagogical tool for increasing motivation and interaction among learners. The study was done in South Africa, further supporting the applicability of Telegram in diverse educational contexts.

The questionnaire item No.2, the results show that 77.78% of the participants reported having the technical skills to use the application in their coursework, as indicated by their agreement with the statement "I have the technical skills to use the Telegram App in my coursework". This finding indicates a high level of technological readiness among students. These results are consistent with Susilowati and Ardiyanti (2024), who defined technology readiness as "the extent to which users are willing and able to adopt new technology in their daily lives". In this context, students' positive perception of the app's usefulness reflects their psychological readiness (mental preparedness) to accept the technology, while their possession of the required technical skills

demonstrates their practical readiness (actual ability) to effectively use the application for academic purposes.

Secondly, with regard to item No.3, which relates to subjective norms, the results reveal that 63.89% of students expressed willingness to adopt the Telegram app for learning. In addition, regarding item No.4, the results show that 80.55% of participants are personally in favor of using Telegram in postgraduate courses. Cheon et al.(2012), who stated that when learners perceived that significant people in their lives, such as family members, teachers, or peers, support the use of a particular technology, their intention to use it becomes stronger. Furthermore, students' belief that their classmates support the use of Telegram reflects a positive social pressure that encourages adoption. The high percentage of people using the app indicates that this app not only influences perception but also develops into a strong individual conviction that motivates actual usage.

Third, the questionnaire items No.5,6, and 7, which are related to self-efficacy, the results for item No.5, showed that 72.23% of students consider themselves skilled in using the app for learning English. With regard to item No.6, 75% believe that using Telegram would not pose a challenge for them, and item No.6, the results indicate that 77.78% expressed interest in using it in their courses. This was also a similar case of Dollah (2021) found majority of students found the use of the Telegram app interesting in writing skills. This finding is consistent with the definition of self-efficacy by Mahat et al. (2012), who described it as "one's judgment of their ability to organize and execute a course of action required to attain a designated type of performance". Therefore, a high level of skills, confidence, and interest observed in this study reflect strong self-efficacy among students, which plays a crucial role in facilitating the adoption of the Telegram in the educational context. However, the findings also relate to Alahmad (2020) emphasized the effectiveness of Telegram in facilitating self-directed learning and improving students' language skills, which supports the current study.

Fourth, the questionnaire items No. 8 and 9, which are related to learning autonomy, indicate that students exhibit a good level of autonomy when using the Telegram app. Specifically, the results for item No.8 show that 77.78% of participants had more opportunities to create knowledge through the application. Furthermore, item No.9 revealed that 69.44% of the participants were able to control the pace of their learning through the use of Telegram. These findings are consistent with Lai (2019), who stated that learning autonomy reflects learners' ability to make independent decisions and to self-regulate their learning. The present study demonstrates that the use of Telegram provides a flexible learning environment that enhances learners' autonomy.

Lastly, with regard to item No.10, which relates to behavioral control, the results show that 66.66% of the students have sufficient self-confidence to use the Telegram pp in their learning. This reflects a strong sense of ability to perform this behavior within their educational context. This study aligns with

Sansom (2012), who stated that perceived behavioral control refers to the extent to which an individual feels capable of performing a specific behavior within their own context. Thus, the students' confidence in using the Telegram reflects a strong perceived behavioral control, which increases the likelihood of actual adoption and use of the application in their educational process.

Moreover, based on findings of the study, the researcher's personal experience as a learner, researcher, and doctoral candidate serves as a supporting factor for these results. The researcher demonstrates sufficient readiness to use the Telegram application in the educational process, given its flexibility in communication, ease of sharing academic material, and ability to organize learning in ways that align with the demands of postgraduate studies. This personal readiness reflects a high level of acceptance and preparedness to use the application, which is consistent with the finding indication a clear willingness among participants to adopt Telegram for educational purposes. Thus, the use of Telegram is not merely a theoretical option but a practical and applicable educational practice within the postgraduate context.

Despite the diversity of previous studies that have examined the use of the Telegram application in English language, they have not directly focused on measuring students' readiness to use it. Instead, their emphasis has been on perceptions, effectiveness, attitudes, as well as the development of language skills. This indicates the existence of clear research gap. Accordingly, the present study sought to fill this gap by exploring the level of students' readiness to use the Telegram app.

Findings:

A number of findings were obtained, which can be summarized as follows:

1. Postgraduate students demonstrate a high level of readiness towards the use of the Telegram application in academic learning.
2. Postgraduate students consider Telegram app is a useful tool for improving English language learning.
3. Postgraduate students state that Telegram provides greater opportunities to create knowledge.
5. Postgraduate students supported the use of the Telegram application learning.
6. Postgraduate students have sufficient skills and confidence to use the Telegram.

Conclusion:

The analysis of the quantitative data collected through the online questionnaire revealed the main results as follows:

1. Postgraduate students in English as a Foreign Language (EFL) at Sudan University of Science and Technology demonstrated a high level of readiness to use the Telegram application for learning process.
2. The finding indicated that student showed strong positive level across the measured factors, including self-efficacy, subjective norm, learner autonomy, and behavioral control.

3. The results suggest that postgraduate students are generally willing and prepared to integrate Telegram as an educational tool in their English language learning process.

4. The application of the Theory of Planned Behavior (TPB) confirmed that behavioral control, self-efficacy, and autonomy play an important role in shaping students' readiness to use the Telegram.

Recommendations:

1. The Telegram app should be adopted into higher institutions' curriculum to improve university activities.

2. Integrate the use of Telegram into formal study plans and supervision processes for PhD students as a permanent tool for follow-up, communication, and feedback, particularly during times of crises and conflicts.

3. University administrations should formally adopt and support the use of Telegram as platform for academic communication and exchange of research materials between postgraduate students and their supervisors.

4. Faculty members should employ modern teaching methods within the university curriculum as a complementary approach to support students in acquiring deeper knowledge and enhancing their English language proficiency.

5. Postgraduate students should actively utilize Telegram, including channels and educational bots to enhance their learning processes and foster academic interaction.

References

Alahmad, M. (2020) 'The effectiveness of Telegram app in learning English'. *Budapest International Research and Critics in Linguistics and Education (BirLE) Journal*, 3(3), 1274-1280.

Alkhamis, A., & Pirani, S. (2024) 'Telegram adoption: Ease and utility perspectives '. *International Journal of Multidisciplinary Research & Reviews*, 3(1) 105-113.

Al-Shahrani, H.(2023) 'Extending the technology acceptance model EFL teachers' telegram technology by incorporating subjective norms and self-efficacy constructs'. *Bisha University Journal of Education Science*, 6(1) 1-34

Babikir, G., Mohmoud, M., & Ghanim, H. (2024) 'Implementation of e-learning in Sudanese universities: A Case of the university of Gezira'. *Production System and Information Engineering* 12(1) 1-15.

<https://doi.org/10.32968/psaie.2024.1.1>

Cheon, J., Lee, S., Crooks, S. M., & Song, J. (2012) 'An investigation of mobile learning readiness in higher education based on the theory of planned behavior'. *Computers & Education* 59(3), 1054-1064.

<https://doi.org/10.1016/j.compedu.2012.04.015>

Chorrojprasert, L. (2020) 'Learner readiness-why and how should they be ready?'. *LEARN Journal: Language Education and Acquisition Research Network Journal*, 13(1) 1-7.

- Dollah, M. (2021) 'The effect of utilizing Telegram app to enhance students' ESL writing skills'. *International Journal of Educational Studies*, 4(1), 10-16.
<https://doi.org/10.53935/2641-533x.v4i1.55>
- Elawad, M., & Mohammed, K. (2024) 'The impact of teaching Telegram application "techniques on improving EFL students speaking skills: A Case study of Sudanese secondary schools -Khartoum municipality, 2019-2021AD'. *Al-Qulzum Journal for Educational, Psychological, and Linguistics Studies*, 25, 131-180.
- Khan, M., Nazim, M., & Alzubi, A. (2024) 'The usefulness of the Telegram app in learning English as a foreign language: Teachers and students voices'. *International Journal of Religion*, 5(3) 301-310.
<https://doi.org/10.61707/e9j18r87ijor.co.uk>
- Lai, C. (2019) 'Technology and learner autonomy: An argument in favor of the nexus of formal and informal language learning'. *Annual Review of Applied Linguistics*, 39, 52-58.
<https://doi.org/10.1017/so26719000035>
- Mahat, j., Ayub, A., Luan, S., & Wong. (2012) 'An assessment of students' mobile self-efficacy, readiness and personal innovation toward mobile learning in higher education in Malaysia'. *Procedia-Social and Behavioral Science* 64, 284-290 <https://doi.org/10.1016/j.sbspro.2012.11.033>
- Martino, M. (2023) 'Exploring the use of telegram as platform for e-learning at university: A case study'. *The 19 th International Scientific Conference eLearning and Software for Education Bucharest*, 254-266.
<https://doi.org/10.12753/2066-026X-23-065>
- Nguyen, T & Phan, T. (2025) 'The impact of factors on mobile-assisted language learning usage behavior for English learning: Extension theory planned behavior model'. *HCMCOUJS-Social Science*, 16(6) ,3-17
<https://doi.org/10.46223/HCMCOUJS.soci.en.16.6.4265.2026>
- Rasiban, A. (2021) 'The effect of telegram application in Japanese language distance learning during COVID-19 pandemic'. *Proceeding of the Fifth International Conference on Language, Literature, Culture, and Education (ICOLLITE2021)*, 595, 8-13.
- Rifanti, A. (2022) 'An analysis of instructional task in learning activities with Telegram application as asynchronous communication during Pandemic COVID-19, Descriptive Research at SMAN 4 Bulukumba Majelis Diktilitbang pp Muhammedityah'.
- Sansom, R. (2021, March 9). 'Theory of planned behavioral'. *Accelerating Systematic Changes in STEM Higher Education* / <https://ascnhighered.org>
- Sevnarayan, K. (2023) 'The implementation of Telegram as a pedagogical tool to enhance student motivation and interaction'. *Journal of Education Technology*, 7(1) 71-79.
- Susilowati, E & Ardiyanti, A. (2024) 'Perceived usefulness and technology readiness mediate perceived ease of use and digital competence on Technology adoption of artificial intelligence'. *Proceeding of 7th Conference of Economic Business and Government Challenges*, 7(1), 124-133

Veronika, S., Simaibang, B., & Sari, A. (2022) 'Exploring challenges, benefits, and strategies of Telegram implementation in teaching process during COVID-19 P A SMP Negero Tanung Batu'. *Ogan ILIR*5,(2), (2022): ESTEEM.